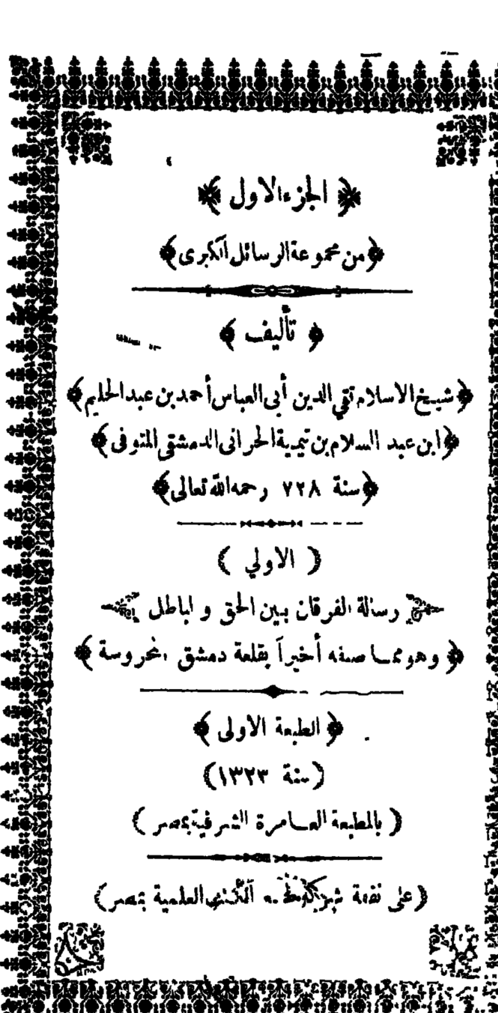


الجزء الاول

من مجموعة الرسائل الكبرى

تأليف

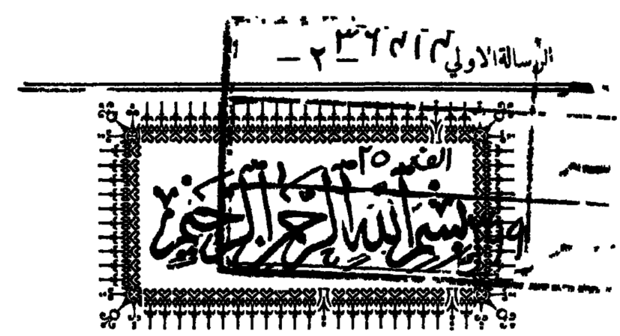
شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى
سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الاولى)

رسالة الفرقان بين الحق و الباطل

وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة

الطبعة الاولى
(سنة ١٣٢٣)
(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر)
(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)



الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال الامام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله وهو مما صنفه بقاعة دمشق أخيراً

﴿ فصل في الفرقان بين الحق والباطل ﴾ وان الله بين ذلك بكتابه ونبيه فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذى أنزله ونبيه الذى أرسله كان أعظم فرقانا ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان والنبى الصادق بالمتنبي الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى شتبه عليهم الخالق بالمخلوق فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور ففرق به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغىّ والصدق والكذب والعلم والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الاشقياء وبين ما عليه الناس من الاختلاف وكذلك النبيون قبله قال الله تعالى

(كان الناس أمة واحـدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الي صراط مستقيم) وقال تعالى (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهـم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهـم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال سبحانه وتعالي (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (الم الله لااله الا هو الحى القيوم نزل عليـك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

قال جماهير المفسرين هو القرآن * روى ابن أبي حاتم باسناده عن الربيع بن أنس قال هو الفرقان فرق بين الحق والباطل قال وروى عن عطاء ومجاهد ومقسم وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وروى باسناده عن شيبان عن قتادة في قوله وأنزل الفرقان قال هو القرآن الذى أنزله الله على محمـد ففرق به بين الحق والباطل وبين فيـه دينه وشرع فيه شرائعه وأحل حلاله وحرم حرامه وحد حدوده وأمر بطاعته ونهى عن معصيته وعن عباد بن منصور سألت الحسن عن قوله تعالى وأنزل الفرقان قال هو كتاب بحق * والفرقان مصدر فرق فرقانا مثل الرجحان والكفران والخسران وكذلك القرآن هو في الاصل مصدر قرأ قرآنا ومنـه قوله (ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا

بيانه) ويسمى الكلام المقروء نفسه قرآنا وهو كثير كما في قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كما ان الكلام هو اسم مصدر كلم تكليما وتكلم تكلما ويراد به الكلام نفسه وذلك لان الانسان اذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر وحصل عن الحركة صوت يقطع حروفا هو نفس التكلم فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعا من العمل اذا أريد به المصدر وتارة يجعل قسيما له اذا أريد ما يتكلم به وهو يتناول هذا وهذا وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان لفظ الفرقان اذا أريد به المصدر كان المراد أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل وهذا منزل فى الكتاب فان في الكتاب الفصل وانزال الفرق هو انزال الفارق وان أريد بالفرقان مايفرق فهو الفارق أيضا فهما فى المعنى سواء وان أريد بالفرقان نفس المصدر فيكون انزاله كانزال الايمان وانزال العدل فانه جعل فى القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن كما جعل فيها الايمان والعدل وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان والميزان قد فسر بالعدل وفسر بانه مايوزن به ليعرف العدل وهو كالفرقان يفسر بالفرق ويفسر بما يحصل به الفرق وهما متلازمان فاذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه واذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الاخرى سمى كتابا باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب وسمى فرقانا باعتبار أنه

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمى هدى باعتبار أنه يهدى الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشبهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقتفى والماحى والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والعطف يكون لتغاير الاسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى *وقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك* وهنا ذكر أنه نزل الكتاب فانه نزله متفرقا وانه أنزل التوراة والانجيل وذكر أنه أنزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان فى القلوب وأنزل الميزان والايمان والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا أنزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكم بنصره على فرعون كما فى قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل يتناول الآيات التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هناك جاء بلفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فلهذا شاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان

كما حصل بالقرآن ويحصل بالنظر والتميز بين أهل الحق والباطل بان ينجي هؤلاء وينصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين كما يفرق المفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الي هؤلاء وعقوبة هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله على كل شيء قدير) قال الوالبي عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وبذلك فسر أكثرهم ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا كما في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أى من كل ما ضاق على الناس قال الوالبي عن ابن عباس في قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى مخرجا قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان كذلك غير ان مجاهداً قال مخرجا في الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن ابن عباس قال نصراً قال وفي آخر قول ابن عباس والسدى نجاة وعن عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أى فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفيء به باطل من خالفكم وذكر البغوى عن مقاتل ابن حيان قال مخرجا في الدنيا من الشبهات لكن قد يكون هذا تفسيرا لمراد مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن قتيبة أنهم قالوا هو المخرج ثم قال والمعنى يجعل لكم مخرجا في الدنيا من الضلال وليس مرادهم وانما

مرادهم المخرج المذكور فى قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا والفرقان المذكور فى قوله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقدذكر عن ابن زيد أنه قال هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهو النصر والنجاة ونوعا الظهور فى قوله تعالي هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان ويظهر باليد والعز والسنان وكذلك السلطان في قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً فهذا النوع وهو الحجة والعلم كما فى قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر وقوله ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بسلطان القدرة واليد وفسر بالحجة والبيان فمن الفرقان مانعته الله به فى قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبيث أحل هذا وحرم هذا

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

السيآت قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقال تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولو الالباب وقال تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولاالظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً و نذيراً وقال تعالى أو من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ماأمر به و بين مانهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق لايجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شئ فيجعل المخلوق نداً للخالق قال تعالى(ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى(هل تعلم له سمياًولم

يكن له كفواً أحد ليس كمثله شيء وضرب الامثال فى القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خالقه كما قالوا وهم فى النار يصطرخون فيها تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقال تعالى أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ماتسرون وما تعلنون والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون

فهو سبحانه الخالق العليم الحق الحى الذى لايموت ومن سواه لايخلق شيئا كما قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره

وهذا مثل ضربه الله فان الذباب من أصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لايخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه فاذا تبين انهم لايخلقون ذبابا ولا يقدرون على انتزاع مايسلبهم فهم عن خلق غيره وعن مغالبته أعجز وأعجز

والمثل هو الاصل والنظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أى لما جعلوه نظيرا قاسوا عليه آلهتهم وقالوا اذا كان قد عبد وهو لايعذب فكذلك آلهتنا فضربوه مثلا لآلهتهم وجعلوا يصدون أى يضجون ويعجبون منه احتجاجا به على الرسول والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه فى قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال فى فرعون وجعلناه سلفا ومثلا للآخرين أى مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره فمن عمل بمثل عمله جوزى بجزائه ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله وقال تعالى ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهو ماذكره من أحوال الامم الماضية التى يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلة كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم ان الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم ان الله يشقيه فى الدنيا والآخرة كما قال فى حق هؤلاء أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وقد قال قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال فى حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لااله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وقال في قصة أيوب رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة منا وذكرى لأولي الالباب وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك * فلفظ المثل يراد به النظير الذى يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع القياس قال سبحانه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وهي رميم * فمثل الخالق بالمخلوق في هذا النفي فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احيائها سواء لعظمة قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع وبين ان معنى القياسين قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل المضروب المذكور في القرآن فاذا قلت النبيذ مسكر وكل مسكر حرام وأقمت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم قياساً على الخمر لان الخمر انما حرمت لأجل الاسكار وهو موجود في النبيذ فقوله ضرب مثل فاستمعوا له جعل ماهو من أصغر المخلوقات مثلا ونظيراً يعتبر به فاذا كان أدون خلق الله لا يقدرون على خلقه ولا منازعته فلا يقدرون على خلق ماسواه فيعلم بها من عظمة الخالق وان كلما يعبدون من دون الله في السماء والارض لا يقدرون على ماهو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم جعلوا آلهتهم مثلا لله فاستمعوا لذكرها وهذا لانهم لم يفقهوا المثل الذي ضربه الله جعلوا المشركين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا في القرآن قد ضربه الله يبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا ومثلا كقوله قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون

ولما قرر الوحدانية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم اياه ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون مملوكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتعظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك بخلاف من لا يعدل به ولكن يذنب مع اعترافه بان الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك

(فصل) وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه يجمع ويسوى بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقا وأمرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوى بين شيئين غير متماثلين بل ان كانا

مختلفين متضادين لم يسو بينهما

ولفظ الاختلاف في القرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً وقوله انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالى ان السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع * والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل مافعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا ياأولى الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا وقال تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله قبل الاحزاب وظهور الاسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ماكانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبعدها وقبل أحد وبعدها فاخفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم

وبهذا يجيب من لم يقتل الزنادقة ويقول اذا أخفوا زندقتهم لم يمكن قتلهم ولكن اذا أظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون مافي أنفسهم من النفاق فاوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق قال مقاتل ابن حيان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا فذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدى كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبي وعبد الله بن نفيل ومالك بن داعس فكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزناة ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يتبعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجالسون على

الطريق ثم قال .لمومنين ثم فصلت الآية أينما ثقفوا يعملون هذا العمل مكابرة النساء * قال السدى هذا حكم فى القرآن ليس يعمل به لو أن رجلا أو أكثر من ذلك اقتصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها ففجروا بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم

قال السدى قوله سنة كذلك كان يفعل بمن مضى من الامم قال فمن كابر امرأة على نفسها فقتل فليس على قاتله دية لانه مكابر

قلت هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا لصوله عنها مثل أن يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمته فهو شهيد وهذه لها أن تدفعه بالقتل لكن اذا طاوعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قضيتان عن عمر وعلى معروفتان وأما اذا فجر بها مستكرها ولم تجد من يعينها عليه فهؤلاء نوعان أحدهما أن يكون له شوكة كالمحاربين لاخذ المال وهؤلاء محاربون للفاحشة فيقتلوا قال السدى قد قاله غيره وذكر أبو اللوبى ان هذه جرت عنده ورأى ان هؤلاء أحق بأن يكونوا محاربين والثانى أن لا يكونوا ذوى شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالا حتى اذا صارت عندهم المرأة أكرهوها فهذا المحارب غيلة كما قال السدى يقتل أيضا وان كانوا جماعة في المصر فهم كالمحاربين في المصر وهذه المسائل لها مواضع أخر

والمقصود ان الله أخبر ان سنته لن تبدل ولن تتحول وسنته عادته التى يسوى فيها بين الشىء وبين نظيره الماضى وهذا يقتضى انه سبحانه يحكم في الامور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال أكفاركم خير من أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى أشباههم ونظراءهم

وقال واذا النفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم باحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان والجنة و قد قال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا و جاهدوا معكم فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقال تعالى وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم فمن اتبع السابقين الاولين كان منهم وهم خير الناس بعد الانبياء فان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في الصحاح من غير وجه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم * ولهذا كان معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم في جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والاخلاق والجهاد وغير ذلك فانهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه الكتاب والسنة فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة مايذكر من اجماع غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لايكون الامعصوما واذا تنازعوا فالحق لايخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم ولايحكم بخطأ قول من أقوالهم حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلوك سبيلهم ولا لهم خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون به ولا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى والزهد والتصوف فهؤلاء تجد عمدتهم فى كثير من الامور المهمة فى الدين انما هو عما يظنونه من الاجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال السلف البتة أوعرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحكون الاجماع ولا يعلمون الاقولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة أوطائفتين أو ثلاث وتارة عرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك يحكون اجماعا ونزاعا ولا يعرفون ماقال السلف في ذلك البتة بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجد ذلك في مسائل أقوال الله وأفعاله وصفاته مثل مسئلة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكونوا قد علموا بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم باجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به لعدم علمهم بأقوال السلف فكيف اذا كان المسلمون يتعذر العلم باجماعهم في مسائل النزاع بخلاف السلف فانه يمكن العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي يكون كل قول من تلك الاقوال سائغا لم يخالف اجماعا لان كثيرا من أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبوق باجماع السلف على خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعا كخلاف الخوارج والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها النصوص المستفيضة المعلومة واجماع الصحابة بخلاف مايعرف من نزاع السلف فانه لايمكن أن يقال انه خلاف الاجماع وانما يرد بالنص واذا قيل قد أجمع التابعون على أحد قوليهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على مقدمتين احداهما العلم بأنه لم يبق في الامة من يقول بقول الآخر وهذا متعذر * الثاني ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف يمكن القول به اذا كان معه حجة ذ على خلافه ونزاع المتأخرين لايمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كما دلت النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعا وأيضا فلم يبق مسئلة في الدين الا وقد تكلم فيها السلف فلابد أن يكون لهم قول يخالف ذلك القول أو يوافقه وقد بسطنا في غير هذا الموضع ان الصواب في أقوالهم أكثر وأحسن وان خطأهم أخف من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأفحش وهذا في جميع علوم الدين ولهذا أمثلة كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم

(فصل ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث) اذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى أقوال أهل اللغة فانه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف

وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الاصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان انه لا يقبل من أحد قط ان يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فانهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وان القرآن يهدى للتي هي أقوم فيه نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسن فلا يستطيع أن يزيغه الى هواه ولا يحرف به لسانه ولا يخلق عن كثرة الترداد فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يمل كغيره من الكلام لا تنقضي عجائبه ولا تشبع منه العلماء من قال به

صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم

فكان القرآن هو الامام الذى يقتدى به ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى، وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول فيجب تقديم العقل والنقل يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين اما أن يفوض واما أن يؤول * ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم انه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول * وانه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته أو يقول الولى أفضل من النبي ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد * فان هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد في المسلمين * وانما يعرف مثل هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله فى الحواريين فانهم عندهم رسل وهم يقولون أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسي وان سموهم أنبياء الى أمثال هذه الامور * ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها * فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها فالنسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعني لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد وقد فهمه
منها قوم فيسمون مارفع ذلك الابهام والافهام نسخا هذه
التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك الشيطان
ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الاذهان من ظن دلالة الآية
على معنى لم يدل عليه سمى هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخا كما سموا
قوله فاتقوا الله مااستطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حق تقاته وقوله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها ناسخا لقوله ان تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وامثال ذلك مما ليس
هذا موضع بسطه

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان القرآن لا يعارضه الا قرآن
لارأى ومعقول وقياس ولاذوق ووجد والهام ومكاشفة

وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هى من سوء فهمهم
للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه مالم يدل عليه فظنوا انه
يوجب تكفير أرباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقى قالوا فمن لم
يكن برا تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلى ومن
والاهما ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها
مقدمتان الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو
كافر والثانية ان عثمان وعليا ومن والاهما كانوا كذلك ولهذا يجب
الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت
في الاسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث الصحيحة في ذمهم والامر بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وأفرد البخاري قطعة منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته معارضة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان غرضه فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الأحاديث الصحيحة ولهذا لايوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فانه لايعرف فيهم من يكذب

(والشيعة) لايكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب فيهم ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروى البخاري ومسلم أحاديث على الا عن أهل بيته كاولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد ابن الحنفية وكاتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم مثل عبيدة السلماني والحرث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم اذ هؤلاء صادقون فيما يروونه عن على فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم

وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان في السنة الاولى من ولايته متفقين لاتنازع بينهم ثم حدث فى أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعا من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا

عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين الى مكان يقال له حروراء فكف عنهم أمير المؤمنين وقال لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نمنعكم المساجد الى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبد الله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين فعلم على أنهم الطائفة التي ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فسجد لله شكراً

وحدث فى أيامه الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخد لهم أخاديد عند باب مسجد بني كنده وقيل انه أنشد

لما رأيت الامر أمراً منكراً * أججت ناري ودعوت قنبرا

وقد روى البخاري فى صحيحه عن ابن عباس قال أتي علي بزنادقة

فحرقهم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه

وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى أنه أجلهم ثلاثا

(والثانية) السابة وكان قد بلغه عن أبي السوداء انه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه قيل انه طلبه ليقتله فهرب منه

(والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتواتر عنه انه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية انه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قال عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر وانما كان النزاع في على وعثمان ولهذا قال شريك ابن عبد الله ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا وهو الذي قال هذا على اعواد منبره أفتكذبه فيما قال ولهذا قال سفيان الثوري من فضل عليا على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواه أبو داود في سننه وكانه يعرض بالحسن بن صالح بن حي فان الزيدية الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وانما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب

وكلا الطائفتين تطعن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعليا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهما ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ الاموال والخروج بالسيف فلهذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنه وأحاديث الشفاعة والحوض

(وقد رويت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة) روى بعضها أهل السنن كأبي داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء من طعن فيها وضعفها ولكن الذي ثبت في ذم القدرية ونحوهم هو عن الصحابة كابن عمر وابن عباس

(وأما لفظ الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي زيديه والزيدية يتولونه وينسبون اليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

(ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية) وأصل بدعتهم كانت من

عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايمان بامره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا ان ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده وظنوا أنه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من يطيع ومن يعصي لانهم ظنوا أن من علم ماسيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم أنهم يفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة أنكروا انكارا عظيما وتبرؤا منهم حتى قال عبد الله بن عمر أخبر أولئك أني بريء منهم وانهم مني برآء والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ماقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصرا

ثم كثر الخوض في القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبين * النفاة يقولون لاارادة الا بمعنى المشيئة وهو لم يرد الا ماأمر به ولم يخلق شيأ من أفعال العباد * وقابلهم الخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وأمثاله فقالوا ليست الارادة الا بمعني المشيئة والامر والنهي لا يستلزم ارادة وقالوا العبد لافعل له البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لا يسمى الله شيأ ولا غير ذلك من

الاسماء التي تسمى بها العباد الا القادر فقط لان العبد ليس بقادر * وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة وقالوا انهم كفار مخلدون في النار فخاض الناس فى ذلك وخاض فى ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون فى النار فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون وعلى انه ليس معهم من الاسلام والايمان شئ ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السختيانى وأمثالهما

(فسموا معتزلة من ذلك الوقت بعد موت الحسن) وقيل ان قتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أى فى أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق وفى أحكام هؤلاء فى الدنيا والآخرة فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم فى الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم مااستحلته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا فيها وسائر أقوالهم قدشاركهم فيها غيرهم

(وحدثت المرجئة) وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن أصحاب عبد الله من المرجئة ولا ابراهيم النخعي وأمثاله فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمال ليست من الايمان وكانت هذه البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين يضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلي انه لابد في الايمان أن يتكلم بلسانه وعلى ان الاعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب فكان في الاعمال هل هي من الايمان وفي الاستثناء ونحو ذلك وعامته نزاع لفظي فان الايمان اذا أطلق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لااله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقد ذكر مقيدا بالعطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه وعطفت عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكن مع العطف كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين وكما في آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة مساكين وفي قوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل في الايمان هو كذلك في لفظ البر والتقوي والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تختلف دلالتها في الافراد والاقتران لمن تدبر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كبيرا في الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل الذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد فلذلك هو ثمرة مافي القلب فلهذا قال بعضهم الاعمال ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت في الاسم كما نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفي الجملة الذين رموا بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب وابراهيم التيمي ونحوهما كان ارجاؤهم من هذا النوع

﴿ وكانوا أيضا ﴾ لايستثنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو الايمان الموجود فينا ونحن نقطع بأنا مصدقون ويرون الاستثناء شكا وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستثنون وقد روى في حديث انه رجع عن ذلك لما قال له بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكر هذا وضعف هذا الحديث وصار الناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدعا وقول ان الاستثناء محظور فانه يقتضي الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز الاستثناء باعتبار وتركه باعتبار فاذا كان مقصوده انى لاأعلم انى قائم في كل ماأوجب الله علي وانه يقبل أعمالي ليس مقصوده الشك فيما في قلبه فهذا استثناؤه حسن وقصده أن لايزكي نفسه وأن لايقطع بأنه

عمل عملا كما أمر فقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه لايقول واحد منهم ان ايمانه كايمان جبريل وميكائيل والبخاري في أول صحيحه بوب أبوابا في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بعض من صنف في هذا الباب من أصحاب أبي حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايماني كايمان جبريل وميكائيل قال محمد لانهم أفضل يقينا أو ايماني كايمان جبريل أو ايماني كايمان أبي بكر أو كايمان هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لايجوزون الاستثناء فى الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لايوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتفون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء فيه بانه لايصح لتعليقه علي الشرط لان المعلق على الشرط لايوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا علق الايمان بالشرط كسائر المعلقات بالشرط لايحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يترجاه القائل لايتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل على التصديق والاقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معنى للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤمنا وربما يتوهم هذا القائل القارن بالاستثناء علي الايمان بقاء التصديق وذلك يزيله

(قلت) فتعليلهم في المسئلة انما يتوجه فيمن يعلق انشاء الايمان

على المشيئة كالذى يريد الدخول فى الاسلام فيقال له آمن فيقول أنا أو من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو أشهد ان شاءالله أن لااله الا الله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول الله والذين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا فى الانشاء وانما كان استثناؤهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما ان الايمان المطلق يقتضي دخول الجنة وهم لايعلمون الخاتمة كانه اذا قيل للرجل أنت مؤمن قيل له أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة فيقول أنا كذلك انشاء الله أو لانهم لايعرفون انهم أتوا بكمال الايمان الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن آمنت بالله وملائكته وكتبه فيجزم بهذا ولا يعلقه أو يقول ان كنت تريد الايمان الذى يعصم دمي ومالى فأنا مؤمن وان كنت تريد قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا وقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون فأنا مؤمن انشاء الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

فتبين ان النزاع فى المسئلة قد يكون لفظيا فان الذي حرمه هؤلاء غير الذى استحسنه وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما فى قلبه من

الحال وهـذا حق لاينافي تعليق الكمال والعاقبة ولكن هؤلاء عندهم الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند أولئك

(والمشهور عند أهل الحديث أنه لايستثني فى الاسلام) وهو المشهور عن أحمد رضى الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط هذا فى شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التى فى الكتاب والسنة

(ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله) ففيه نزاع مشهور وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيآن يراد به ايقاع الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده ألت طالق بهذ اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين أتي بالتطليق فيقع وان كان قد علق لئلا يقع أو علقه على مشيئة توجد بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هـذا فانه حينئذ شاء الله أن يطلق وقول من قال المشيئة تنجزه ليس كما قال بل نحن نعلم قطعا أن الطلاق لايقع الا اذا طلقت المرأة بان يطلقها الزوج أومن يقوم مقامه من ولى أو وكيل فاذا لم يوجـد تطليق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا بتطليق بعد ذلك وكذلك اذا قصد تعليقه لئلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة توكيدا وتحقيقا فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمـان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا أومن بعد ذلك فهذا لم يصر مؤمنا

مثل الذي يقال له هل تصير من أهل دين الاسلام فقال اصير ان شاء الله فهذا لم يسلم بل هو باق على الكفر وان كان قصده انى قد آمنت وايمانى بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء وأيضافان الاصل انه انما يعلق بالمشيئة ما كان مستقبلا فأما الماضى والحاضر فلا يعلق بالمشيئة والذين استثنوا لم يستثنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فأخبر انهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء

وعلى كل أحد أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثني أحد من السلف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كما يخبر عن نفسه بأنه بر تقي فيقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت برّ تقي فاذا قال أنا برّ تقي فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يتعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فالاستثناء يعود الى ذلك لا الى ماعلمه هو من نفسه وحصل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك تحقيق لا تعليق والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم

بأنه يكون فالمعلق هو الفعل كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لأفعلن كذا ان شاء الله وهو لايجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه عليه قد يكون جازما ولكن لايجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون العزم مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متى كان المعزوم عليه معلقا لزم تعليق بقاء العزم فانه بتقدير ان تعليق العزم ابتداء أو دواما فى مثل ذلك ولهذا لم يحنث المطلق المعلق وحرف أن لايكون لايبقى العزم فلابد اذا دخل على الماضى صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ واذا أريد الماضى دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى فيفرق بين قوله أنا مؤمن ان شاء الله و بين قوله ان كان الله شاء ايمانى * وكذلك اذا كان مقصوده انى لاأعلم بماذا يختم لى كما قيل لابى مسعود ان فلانا يشهد انه مؤمن قال فليشهد أنه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن عند الله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايمانى حاصل بمشيئة الله * ومن لم يستثن قال أنا لاأشك فى ايمان قلبى فلاجناح عليه اذا لم يزك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل ان ايمانه كايمان جبريل وأبى بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما كان مسعر بن كدام يقول أنا لاأشك فى ايمانى قال أحمد ولم يكن من المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان يقول هى من الايمان لكن أنا لاأشك فى ايمانى

وكان الثورى يقول لسفيان بن عيينة ألا تنهاه عن هذا فانهما من قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن النزاع فى هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس المنازعة فى كثير من الاحكام وكلهم من أهل الايمان والقرآن .

﴿ وأما جهم ﴾ فكان يقول ان الايمان مجرد تصديق القلب وان لم يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الائمة وأئمتها بل أحمد ووكيع وغيرهما كفروا من قال بهذا القول ولكن هو الذى نصره الاشعرى وأكثر أصحابه ولكن قالوا مع ذلك ان كل من حكم الشرع بكفره حكمنا بكفره واستدللنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة وقد بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم فى الايمان

والاصل الذى منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم يكن معه شئ من الكفر والنفاق وظن بعضهم ان هذا اجماع كما ذكر الاشعرى ان هذا اجماع فهذا كان أصل الارجاء كما كان أصل القدر عجزهم عن الايمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا حزبين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الاعمال من الايمان فمن تركها فقد ترك بعض الايمان واذا زال بعضه زال جميعه لان الايمان لا يتبعض ولا يكون فى العبد ايمان ونفاق فيكون أصحاب الذنوب مخلدين فى النار اذا كان ليس معهم من الايمان شئ وقالت المرجئة مقتصدتهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا ان أهل الذنوب من أهل القبلة لا يخلدون فى النار بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الاحاديث

وعلمنا بالكتاب والسنة واجماع الأئمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله فلو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتلهم وبهذا ظهر للمعتزلة ضعف قول الخوارج فخالفوهم في أحكامهم فى الدنيا

والخوارج لايتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ماخالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزانى ولا يرون للسرقة نصابا وحينئذ فقد يقولون ليس فى القرآن قتل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين

وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية والكرامية والاشعرية والسالمية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط الكلام علي تفصيل القوم في أقوال هؤلاء فى غير هذا الموضع

(وان الناس فى ترتيب أهل الاهواء علي أقسام) منهم من يرتبهم علي زمان حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من رتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد رضى الله عنه كعبد الله ابنه ونحوه وكالخلال وأبى عبد الله بن بطة وأمثالهما وكابى الفرج المقدسى وكلا الطائفتين تختم بالجهمية لانهم أغلظ البدع وكالبخارى في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهمية وكذلك رتب أبو القاسم الطبرى كتابه في أصول السنة والبيهقي أفرد لكل صنف مصنفا فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر ومصنف فى شعب الايمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام فى الايمان والاسلام انهم لما ظنوا انه لايتبعض قال أولئك فاذا فعل ذنبا زال بعضه فيزول كله فيخلد في النار فقالت الجهمية والمرجئة قد علمنا أنه ليس يخلد في النار وانه ليس كافرا مرتدا بل هو من المسلمين واذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنا تام الايمان معه بعض الايمان لان الايمان عندهم لايتبعض فاحتاجوا أن يجعلوا الايمان شيأ واحدا يشترك فيه جميع أهل القبلة فقال فقهاء المرجئة هو التصديق بالقلب والقول باللسان فقالت الجهمية بعد تصديق اللسان قد لايجب اذا كان الرجل أخرس أوكان مكرها فالذى لابد منه تصديق القلب وقالت المرجئة الرجل اذا أسلم كان مؤمنا قبل أن يجب عليه شئ من الافعال وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم ان الايمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن المبارك يقول هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لاينقص روايتان والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم يعرف هذا اللفظ الا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجعل من نقصان

دينها انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذي أمر به كل شخص فان المسلمين في أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالقبلة فكان من الايمان في أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في الشريعة الواحدة وأيضا فمن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ماأمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه مالا يجب على غيره الا مجملا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول مايسلم انما يجب عليه الاقرار المجمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شيء واحد وانه يستوي فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين ان الايمان الذى أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما فيجب على الملائكة من الايمان مالا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

مالا يجب على غيرهم ويجب علي العلماء مالا يجب على غيرهم ويجب على الامراء مالا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم الاقرار المجمل بكل ماجاء به الرسول فاكثرهم لا يعرفون تفصيل كل ماأخبر به ومالم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا ومالم يؤمر به العبد من الاعمال لايجب عليه معرفته ومعرفة الآمر به فمن أمر بحج وجب عليه معرفة ماأمر به من أعمال الحج والايمان بها فيجب عليه من الايمان والعمل مالا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ماأمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به مالا يجب على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل مالا يجب على غيره اذا جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا فى مسمى الايمان كان أبلغ فبكل حال قد وجب عليه من الايمان مالايجب على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور أخرى لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حولت القبلة الى الكعبة وطائفة نافقت لما انهزمت المسلمون يوم أحد ونحو ذلك

ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك فى سورة البقرة فقال مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا

فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا ايمانا مجملا ثم يأتي أمورا يؤمن بها فينافق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة فلا يمكن المنازعة ان الايمان الذى أوجبه الله يتباين فيه أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فى النساء ناقصات عقل ودين وقال فى نقصان دينهن انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلى وهذا مما أمر الله به فليس هذا النقص دينا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان من أمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا أفضل دينا وايمانا وهذا المفضول ليس بمعاقب ومذموم فهذه زيادة كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب فى حق شخص وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة وتركها بهذا لا يستحق العقاب بتركها وذاك لا يستحق العقاب بتركها ولكن ايمان ذلك أكمل قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا

فهذا يبين تفاضل الايمان فى نفس الامر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الاتيان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذى يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليس ايمان السارق والزاني والشارب كايمان غيرهم ولا ايمان من أدى الواجبات كايمان من أخل ببعضها كما انه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل دينا وبرا وتقوي فهو كذلك أفضل ايمانا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وقد يجتمع في العبد ايمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لا يتبعض ولا يتفاضل بل هو شيء واحد يستوى فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغلطوا في هذا وهذا ثم تفرقوا كما تقدم .

وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماؤهم وأئمتهم أحسنهم قولا وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان .

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن كامل الايمان لكن ان كان مقراً بقلبه كان من أهل الجنة وان كان مكذبا بقلبه كان منافقا مؤمناً من أهل النار

(وهذا القول هو الذى اختصت به الكرامية وابتدعوه) ولم يسبقها

أحد الي هذا القول وهو آخر ماأحدث من الاقوال في الايمان وبعض الناس يحكي عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار فيلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وان قالوا لايخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بألسنتهم سراً فكفروا بذلك وانما يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك رده عن الايمان قيل لهم ولو أضمروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالي يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ماتحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم وانهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان فى القلب وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وفي الصحيحين عن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى رجالا ولم يعط رجلا فقلت يارسول الله أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أوثلاثا وبسط الكلام في هذا له مواضع أخر وقد صنفت فى ذلك مجلداً غير ماصنفت فيه غير ذلك

وكلام الناس فى هذا الاسم ومسماه كثير لأنه قطب الدين الذى يدور عليه وليس فى القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ولهذا سمى هذا الاصل مسائل الاسماء والاحكام وقد رأيت لابن الهيصم فيه مصنفاً فى أنه قول اللسان فقط ورأيت لابن الباقلانى فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط وكلاهما في عصر واحد وكلاهما يرد على المعتزلة والرافضة

(والمقصود هنا ان السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان)

فلما حدث في الامة ماحدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم فى الباطن ليست على القرآن والايمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون فى التوحيد والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ثم ماظنوا أنه يوافقها من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجدهم اذا احتجوا بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلالتهما ولم يستقصوا مافى القرآن

من ذلك المعنى اذ كان اعتمادهم في نفس الامر الي غير ذلك والآيات التى تخالفهم يشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده ان يفهم مراد الرسول بل ان يدفع منازعه عن الاحتجاج بها

ولهذا قال كثير منهم كأبى الحسين البصرى ومن تبعه كالرازى والآمدى وابن الحاجب ان الامة اذا اختلفت فى تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم احداث قول ثالث بخلاف مااذا اختلفوا فى الاحكام على قولين فجوزوا ان تكون الامة مجتمعة على الضلال فى تفسير القرآن والحديث وان يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون ولكن قالوا ان الله أراد معنى آخر وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا فان أصلهم أن الأمة لاتجتمع على ضلالة ولا يقولون قولين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه لكن قد اعتادوا ان يتأولوا ماخالفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية يجوز ان يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ ولم يستشعروا أن المتأول هو مبين لمراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى اذا حملها على معنى وكذلك اذا قال يجوز أن يراد بهاهذا المعنى والامة قبله لم يقولوا أريد بها الا هذا أو هذا فقد جوزوا أن يكون ماأراده الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ماأراده لكن الذى قاله هؤلاء يمشى اذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بانه مراد وتكون الامة قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله ضالة عن

معرفته وانقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية ولكن طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال ههنا معنى يجوز ان يكون هو المراد فاذا كانت الامة من الجهل بمعانى القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال توجه ماقالوه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لاعلى القرآن ولا على الايمان الذى جاء به الرسول بخلاف السلف فلهذا كان السلف أكمل علماً وايماناً وخطؤهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه وكان الاصل الذى أسسوه هو ماأمرهم الله به فى قوله يأأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين فوصفهم سبحانه بانهم لايسبقونه بالقول وانهم بامره يعملون فلا يخبرون عن شئ من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله كما قال لايسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ماأمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا توكيد وقال بعضهم بل لا يعصونه فى الماضى ويفعلون ما أمروا به فى المستقبل وأحسن من هذا وهذا أن العاصى هو الممتنع من طاعة الامر مع قدرته على الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به لعجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون الله ماأمرهم لم يكن فى هذا بيان انهم يفعلون مايؤمرون فان العاجز ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون مايؤمرون ليبين أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لايتركونه لاعجزاً ولا معصية والمأمور انما يترك ماأمر به لأحد هذين اما أن لايكون قادراً واما أن يكون عاصياً لايريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الأمر وهو قادر وجب وجود فعل ماأمر به فكذلك الملائكة المذكورون لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين

فالملائكة مصدقون بخبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعليهم أن لا يقولوا حتى يقول الرسول ما نقله عن الله ولا يعملون الا بما

أمرهم به كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم

قال مجاهد لا تفتاتوا عليه بشئ حتى يقضيه الله على لسانه تقدموا معناه تتقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ يقدموا يقال قدم وتقدم كما يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم متعديا أى قدم غيره لكن هنا هو فعل لازم فلا تقدموا معناه لا تتقدموا بين يدى الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم فى شئ من الدين الا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ماقال فيكون قوله تبعاً لقوله وعلمه تبعاً لامره فهذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين فلهذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شئ من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع لا يجعلون اعتمادهم فى الباطن ونفس الامر على ماتلقوه عن الرسول بل على مارووه وذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك فاذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلا

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن فيهم من النفاق والبدعة بحسب ماتقدموا فيه بين يدى الله ورسوله وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لما قالوه لم يكونوا منافقين بل ناقصى الايمان مبتدعين وخطؤهم مغفور لهم لا يعاقبون عليه وان نقصوا به

(فصل) وكل من خالف ماجاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لايكون عنده الا جهل وظلم وظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ماأخبر به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لايكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لاظلم فيه فمن نهي عنه فهو نهى عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون مايخالفه الا جهلا وظلما ظنا وما تهوى الانفس وهو لايخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناهما أن يكون ماشرع قط بل يكون من المبدل فكل ماخالف حكم الله ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبدل ماشرعه الله بل شرعه شارع بغير اذن من الله كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله لكن هذا وهذا قد يقعان فى خفى الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها استفرغوا فيه وسعهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع مايغمر ذلك كما وقع مثل ذلك من بعض الصحابة فى مسائل الطلاق والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلى الامور وجليلها لان بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف الرسول وهم معتصمون بحبل الله يحكمون الرسول فيما شجر بينهم لايتقدمون

بين يدى الله ورسوله فضلا عن تعمد مخالفة الله ورسوله

فلما طال الزمان خفي علي كثير من الناس ماكان ظاهرا لهم ودق على كثير من الناس ماكان جليا لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة مالم يكن مثل هذا في السلف

وان كانوا مع هـذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات مايكون للعامل منهم أجر خمسين رجلا يعملها فى ذلك الزمان لانهم كانوا يجدون من يعينهم على ذلك وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم علي ذلك لكن تضعيف الاجر لهم فى أمور لم يضعف للصحابة لايلزم ان يكونوا أفضل من الصحابة ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فان الذى سبق اليه الصحابة من الايمان والجهاد ومعاداة أهل الارض في موالاة الرسول وتصديقه وطاعته فيما يخبر به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كلمته وتكثر أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين وانفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه فى مثل تلك الحال أمر مابقي يحصل مثله لاحد كما فى الصحيحين عنه صلي الله عليه وسلم لاتسبوا أصحابي فوالذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد استفاضت النصوص الصحيحة عنه انه قال

خير القرون قرنى الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

فجملة القرن الاول أفضل من القرن الثانى والثانى أفضل من الثالث والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثانى وهل يكون فيمن بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة للمفضولين لاالفاضلين هذا فيه نزاع وفيه قولان حكاهما القاضى عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له مزية الصحبة والجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له مزية فضيلته من العدل والزهد والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا بد وأن يتبع الظن وماتهوي الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي

وقال في الذين يخبرون عن الملائكة انهم اناث ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم اناثا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم و يسئلون وهؤلاء قال عنهم ان يتبعون الا الظن لانه خبر محض ليس فيه عمل وهناك وما تهوى الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهذه عبادة وعمل بهوى أنفسهم

فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس * والذى جاء به الرسول كما قال والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوي وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغنى من الحق شيأ كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب أوخطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله وكان من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هى عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا اما أن يحتج بادلة عقلية و يظنها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبه من ألفاظ مجملة ومعانى متشابهة لم يميز بين حقها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة اذ انما يركب حججه من ألفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل. وهذه هى الحجج العقلية وان تمسك المبطل بحجج سمعية فاما أن تكون كذبا على الرسول أوتكون غير دالة على ما احتج بها أهل البطول فالنشء اما في الاسناد واما في المتن ودلالته على ما ذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر

وأما حجج أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل الحق من هؤلاء لهم (الهامات صحيحة) مطابقة كما في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا

منهم مايقولون فانها تجلي لهم أمور صادقة * وفي الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لآيات للمتوسمين * وقال بعض الصحابة أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم * وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ولايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها * وفي رواية في يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشي فقد أخبر انه يسمع بالحق ويبصر به وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه * وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور على نور الايمان مع نور القرآن * وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله * وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ماعليه المؤمن من بينة الايمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم أهل التصفية والرياضة والعبادة و لتأله يحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون لنظر كما قال الشيخ الملقب بالكبرى (للرازى) ورفيقه وقد قالا له ياشيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال نعم فقالا كيف تعلم ونحن نتناظر في زمان طويل كلما ذكر شيأ أفسدته وكلما ذكرت شيأ أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها لجحدها لا يحجبان من ذلك ويكروان الكلام وطلب أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المنزلة النفاة

فبين له ان الحق مع أهل الاثبات وان الله سبحانه فوق سمواته وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد ابن محمد بن خلف المقدسي وذكر ان الشيخ الكبيري حكاها له وكان قد حدثني بها عنه غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل هذا كثير وهذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب مايعرفون فانهم قد قسموا العلم الي ضروري ولظاري والنظري مستند الى الضروري والضروري هو العلم الذي يلزم نفس المخلوق لزوما لايمكنه معه الانفكاك عنه هذا حد القاضي أبي بكر الطيب وغيره فخاصته أنه يلزم النفس لزوما لايمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لايمكنه مع ذلك الانفكاك عنه وقال واردات لانه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظار متقدميهم كالكيا الهراسي والغزالي وغيرهما ومتأخريهم كالرازي والآمدي وقالوا نحن لاننكر أن يحصل لناس علم ضروري بما يحصل لنا بالنظر هذا لايدفعه لكن ان لم يكن علما ضروريا فلابد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان لو دفع ذلك الاعتقاد

الذي حصل له لزم دفع شي مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لايلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان هذا الجنس واقع لكن يقع أيضا مايظن انه منه كثير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا أو يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب انه انسي وقد يقول له أنا الخضر أو الياس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا لبس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط في السمعيات والعقليات فهؤلاء يتبعون ظنا لايغني من الحق شيأ ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجده وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعا لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما تهوي الانفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحبه من آبائه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وانا

على آثارهم مقتـدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد هذا وسلطنا عليه فهم يعملون بهواهم وارادة نفوسهم بحسب قدرتهم كالملوك المسلطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بمـا أمر الله فيتبعون أمر الله وما يحبـه ويرضاه لايتبعون ارادتهم ومايحبونه هم ويرضونه وأن يستعينوا بالله فيقولون اياك نعبد واياك نستعين لا حول ولا قوة الا بالله لايعتمدون على ماأوتوه من القوة والتصرف والحال فان هـذا من الجد وقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم يقول عقب الصـلاة وفي الاعتدال بعد الركوع اللهم لامانع لمـا أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد

فالذوق والوجـد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بحلاوته وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوبه ذوق ووجد فان لم يكن ذلك بسلطان من الله وهو ماأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحبه متبعا لهواه بغير هدي وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعـالى ومالكم أنلا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصـل لكم ماحرم عليكم الا ماالضطررتم اليه وان كثير اليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين

وكذلك من اتبع مايرد عليـه من الخطاب أو مايراه من الانوار والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنةفانما يتبع ظنا لا يغني من الحق شيأ

فليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صـلي الله عليه

وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم وقد وافق عمر ربه فى عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل مايردعليه حتي يعرضه علي الرسول ولا يتقدم بين يدى الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليمه كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره من مانع الزكاة وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه مايقوله وتذكر الحجة من القرآن فيرجع اليها كما جرى فى مهور النساء ومثل هذا كثير

فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر فعليه أن يسلك سبيله فى الاعتصام بالكتاب والسنة تبعا لما جاء به الرسول لايجعل ماجاء به الرسول تبعا لما ورد عليه وهؤلاء الذين أخطؤا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا ان ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت فيقال له أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما من اليهود والنصاري وأما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله ومن أين لك انه ليس من وحى الشيطان

والوحى وحيان وحى من الرحمن ووحي من الشيطان قال تعالى

وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وقال تعالي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا وقال تعالي هل أنبئكم على من تنزل الشياطين وقد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمروابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحي اليه فقال وان الشياطين ليوحون الي أوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين فهؤلاء يحتاجون الى الفرقان الايماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها و يسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما ان النظار لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هي طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع أغلب علي بعض الناس فى الدين وغير الدين كالطب فانه تجربات وقياسات وأهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس أصله التجربة والتجربة لابد فيها من قياس لكن مثل قياس العاديات لايعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فقد يغلط

والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه فان الحس يرى أمرا معينا فيظن صاحبه فيه شيأ آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شيأ وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هى خيالات وأمثلة فلما عزب ظنها الرائى نفس الحقائق كالذى يرى نفسه فى مكان آخر يكلم أمواتا ويكلمونه ويفعل أمورا كثيرة وهو فى النوم يجزم بانه نفسه الذى يقول ويفعل لان عقله عزب عنه وتلك الصورة التى رآها مثال صورته وخيالها لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان ذلك المثال هو نفسه فلما ثاب اليه عقله علم ان ذلك خيالات ومثالات ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم فى المنام أن ذلك فى المنام وهذا كالذى يرى صورته فى المرآة أو صورة غيره فاذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هى الشخص حتى انه يفعل به ما يفعل بالشخص وهذا يقع للصبيان والبله كما يخيل لاحدهم فى الضوء شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة ولا يعلمون انه خيال فالحس أحس صحيحا لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان العقل قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وانه لا يكون فى الهواء ولا فى المرآة ولا يكون بدنه فى غير مكانه وأن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود فى الخارج وما لا يكون موجوداً الا فى أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه

كل أحد ولكن قد يرون في الخارج أشخاصاً يراها عياناً وما في خيال الانسان لا يراه غيره ويخاطبهم أولئك الاشخاص ويحملونهم ويذهبون بهم الى عرفات فيقفون بها واما الى غير عرفات ويأتوهم بذهب وفضة وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون الي الناس ويأتونهم أيضاً بمن يطلبونه مثل من يكون له ارادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك اما محمولاً في الهواء واما بسعي شديد ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث القوىّ مالم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطابا وقد يقتلون له من يريد قتله من أعدائه أو يمرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من يعلم ان هذا من الشيطان وأنه من السحر وان ذلك حصل بما قاله ويعلمه من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا بتسخير الجن لنا ومنهم من لا يظن أولئك الاشخاص الا آدميين أو ملائكة فان كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وان يسمو قالوا هذا هو الخضر وهذا هو الياس وهذا هو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبد القادر أو الشيخ عدىّ أو الشيخ أحمد الرفاعي أو غير ذلك ظن أن الامر كذلك فهنا لم يغلط لكن غلط عقله حيث لم يعرف ان هذه شياطين تمثلت على صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه اياه من قال انه النبي أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذى له عقل وعلم يعلم ان هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه فى الجنة لا تصير فى الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يتشكل وقد يقولون روحانيته ومن هؤلاء من يقول اذا مت فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذلك جنياً قد قال لهذا الميت انك تجيء بعد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته يقول له أموراً وغرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضي ديونا ودخل الي منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص نفسه وانما هو شيطان تصور فى صورته

(ومن هؤلاء) من يكون في جنازة أبيه أو غيره والميت على سريره وهو يراه آخذاً يمشي مع الناس بيد ابنه وأبيه قد جعل شيخاً عد أبيه فلا يشك ابنه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذي رآه هو دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمي نفسه خالداً وغير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه فيقولون محمدا الخالدي ونحو ذلك

(فان الجن مأمورون ومنهيون) كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله * قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتم من الانس وأضللتموهم قال البغوى قال بعضهم استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهيئونها ويسهل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس *وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة في الدنيا وقال ابن السائب استمتاع الانس بالجن استعاذتهم بهم واستمتاع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في أنفسهم وعظماً في نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا * قلت الاستمتاع بالشئ هو أن يتمتع به ينال به مايطلبه ويريده ويهواه ويدخل فى ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم لبعض كما قال فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث

ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل فى ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم فهى تستمتع بخدمته ومنهم من يمتع بكسوة أونفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى المتعة خادم وأدناها كسوة يجزى فيها الصلاة

وفى الجملة استمتاع الانس بالجن والجن بالانس يشبه استمتاع الانس بالانس قال تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وتقطعت بهم الاسباب قال مجاهد هى المودات التى كانت لغير الله وقال الخليل انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال تعالي أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمشرك يعبد مايهواه واتباع الهوي هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والجن هذا كله

وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من صورة أومال أوقتل عدوه والانس تطيع الجن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس الذى يخدمنه مايريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير فى رجال الجن

ونسائهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسي وقد يفعل ذلك بالذكران

(وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة) تارة يكون الجني يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسي آذاهم اذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الاذى هـذا أشد الصرع وكثيراً مايقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الانس بابناء السبيل

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى الاخبار بالامور الغائبة كما يخبر الكهان فان فى الانس من له غرض في هـذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهانا وقدم النبي صلى الله عليـه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلمى أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يجعـل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لايخدم الانسي بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسي بان يطيعه الانسي فى بعض مايريده اما في شرك واما فى فاحشة واما في أكل حرام واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة

والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذى لا ينفعه فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بآدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فى احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتاع الجن بالانس استعمالهم فيما يريده الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتاع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى فى صورة الانسي فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به يا سيدي فلان فينقل الجني ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسيّ حتى يظن الشيخ انه صوت الانسيّ بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتى الجني بمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه وهو الذي فعل ذلك حتى ان تابع الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجنيّ يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظن ذلك التابع انه شيخه حاضر معه والجنيّ يمثل للشيخ نفسه مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ ان يده في ذلك الاناء فاذا حضر المريد ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل ولكن الجنيّ مثل للشيخ ومثل للمريد حتى ظن كل منهما أن أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجني وخيله واذا سئل الشيخ المخدوم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطلب منه أن يخبر بحاله أو علة في النساء أو غير ذلك فان الجنيّ قد يمثل ذلك فيريه صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدله على سرقته مثل له الشيخ الذي أخذه أو المكان الذى فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليها لان الذى سرق المال معه أيضا حتى يخدمه والجن يخاف بعضهم من بعض كما ان الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجنيّ عليه جاء اليه أولياء السارق فآذوه وأحيانا لا يدل لكون السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب معرّف اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما الرغبة ينالها منه واما الرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق لكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه فهذا وأمثاله من استمتاع بعضهم ببعض

(والجن مكلفون كتكليف الانس) ومحمد صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص واجماع المسلمين (وأما مؤمنهم) ففيهم قولان وأكثر العلماء على انهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون فى ربضها يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو حديث رواه الطبرانى في معجمه الصغير يحتاج النظر في اسناده *وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والفجار في الاحقاف والانعام * واحتج الاوزاعى وغيره بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خسرين ولكل درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما فى الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع

واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانس بشيء * منهم من يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من أفعال الشياطين * ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة اما احضار ماله أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أودفع من يؤذيه ونحو ذلك فهذا كاستعانة الانس بعضهم ببعض في ذلك * والنوع الثالث أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس وينهاهم وهذه حال نبينا صلى الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدى به من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقلين الانس والجن وقد قال الله له قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (وعمر رضى الله عنه لما نادي ياسارية الجبل قال ان لله جنودا يبلغون صوتي) وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحي الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والانفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول يافلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يافلان وقد يقول لمن هو بعيد عنه يافلان احبس الماء تعال الينا وهو لايسمع صوته فيناديه الواسطة بمثل ذلك يافلان احبس الماء ارسل الماء امابمثل صوت الاول إن كان لايقبل الا صوته والا فلا يضر بأي صوت كان اذا عرف ان صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد أرسل جيشا فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذاك أبو الهيثم بريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه اياه فيخرج فيرى الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لاينبغي لاحد بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي صلى الله عليه وسلم لماتفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلاته قال فأخذته فذعته حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فأرسلته (فلم يستخدم) الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس * والذى أوتيه صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيه سليمان فانه استعمل الجن والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لالغرض

يرجع اليه الا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكا فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الابرار أصحاب اليمين وكثير من يرى هذه العجائب الخارقة يعتقد أنها من كرامات الاولياء وكثير من أهل الكلام والعلم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الخارقة وما لاولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الاسلام جعلوا الخوارق جنساً واحدا وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة اذا اقترنت بدعوي النبوة والاستدلال بها والتحدى بمثلها

واذا ادعى النبوة من ليس بنبي من الكفار والسحرة فلابد أن يسلبه الله ماكان معه من ذلك وأن يقيض له من يعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله فخاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل اليهم لا يأتون بمثل ماأتى به النبي كان معتاداً للناس قالوا ان عجز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هى خرق العادة لكن أنكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأولئك أثبتوا الكرامات ثم زعموا أن المسلمين أجمعوا على أن هذه لا تكون الا لرجل صالح أو نبي قالوا فاذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الاجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون للسحرة مما هو مثلها ويناقضوا في ذلك كما قد بسط في غير هذا الموضع

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان وما يفعله الشياطين من العجائب وظنوا أنها لا تكون الا لرجل صالح فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولى اذا تولى لا يعترض عليه فمنهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك الصلاة المفروضة وأكل الخبائث كالخمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل الفواحش والفحش والتفحش فى المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولى من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلا من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه من أعمال الشياطين وان هذه من أولياء الشياطين يضل به الناس ويغويهم

(ودخلت) الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لى وأصير شيخك وأنت تتوب الناس لي ويلبسه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه فلا يشك ان الصديق هو الذى جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام وتارة يقص شعره فى النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً مايستغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت فيأتونه في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكاتصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضلته الشياطين والملائكة لاتجيب مشركا وتارة يأتون الى من هو خال في البرية وقد يكون ملكا أو أميراً كبيراً ويكون كافراً وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة انسي ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون في موضع

﴿كما جرى مثل هذا لي ﴾ كنت في مصر في قلعتها وجري مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير انى أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هـذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك التتر مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ماتيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامي ليظن ذاك انى أنا الذى فعلت ذلك

﴿قال لى طائفة من الناس فلم لايجوز أن يكون ملكا قلت لا ﴾ ان الملك لايكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك

﴿وكثير من الناس ﴾ رأى من قال انى أنا الخضر وانما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الخضر والذين قد عرفوا صدقها يقطعون بحياة الخضر وكلا الطائفتين مخطئ فان الذين رأوا من قال انى أنا الخضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطؤا فى ظنهم أنه الخضر وانما كان جنياً ولهذا يجرى مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا مايأتيهم فى كنائسهم من يقول انه الخضر وكذلك اليهود يأتيهم في كنائسهم من يقول انه الخضر وفى ذلك من الحكايات الصادقة مايضيق عنه هذا الموضع يبين صدق من رأي شخصاً وظن أنه الخضر وانه غلط في ظنه أنه الخضر وانما كان جنياً وقد يقول أنا المسيح أو موسي أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآنى حقاً فان الشيطان لايتمثل فى صورتى قال ابن عباس فى صورته التى كان عليها فى حياته وهذه رؤية فى المنام وأما فى اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيئ بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة فمن جهله أتى

(ومن هنا) ضلت النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتى الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذى جاء كان شيطانا قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشتبه مثل هذا على الحواريين كما اشتبه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ماأخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذى يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ

رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الي السماء

(وأصحاب الحلاج) لماقتل كان يأتيهم من يقول أنا الحلاج فيرونه في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه الكتاب الذي أرسله فرأيته بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة وفيه كلام من كلام الجن وذاك المعتقد يعتقد ان الشيخ حيّ وكان يقول. انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء عليّ أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان يأتي الى بعض أصحابهم جنيّ في صورته وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنيا فهذا باب واسع واقع كثيراً وكلما كان القوم أجهل كان عندهم أكثر ففي المشركين أكثر مما في النصارى وهو في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها الى ماهو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فاسداً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأى فانه ينقطع بها كثير من أهل الباطن ويقوى بها قلوب كثير من أهل

الحق وان كانت فى نفسها باطلة فغيرها أبطل منها والخير والشر درجات فينتفع بها أقوام ينتقلون مما كانوا عليه الى ماهو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد يغزو غزواً يظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خلق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذاك كان شراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها أقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة فى الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا أسلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان فى قلبه فنفس ذل الكفر الذى كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل الى خير مما كان عليه وخف الشر الذى كان فيه ثم اذا أراد الله هدايته أدخل الايمان فى قلبه والله تعالي بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها والنبى صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون وأكثر المتكلمين يردون باطلا بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلما مبتدعا وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع

ولا ريب ان المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فان المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الاربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم انهم يتولون عليا ومنهم من يفضله علي أبي بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل احدى الطائفتين ولا أعلم عينها وقالوا انه قال لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما لفسق أحدهما لا بعينه ولو شهد على مع آخر ففي قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم تعظيم على

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لاجل على ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة فانهم يقولون ان هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولي عثمان ويعظمون أبا بكر وعمر ويعظمون الذنوب فهم يتحرون الصدق كالخوارج لا يختلقون الكذب كالرافضة ولا يرون أيضا اتخاذ دار غير دار الاسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن ونصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون على الخوارج والروافض وهم قصدهم اثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ماقالوه في كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفي الصفات وانكار الرؤية والقول بان القرآن

مخلوق فوافقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لايشاء مايكون ويكون مالا يشاء وانه لم يخلق أفعال العباد فنفوا قدرته ومشيئته وخلقه لاثبات العدل وجعلوا من الرحمة نفي أمور خلقها لم يعرفوا مافيها من الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق لايكذب اذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام فمتى لم يقل بذلك لزم كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما يقصده الخوارج والزيدية فغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارق غير المعجزات قصدوا به اثبات النبوة ونصرها وغلطوا فيما سلكوه فان النصر لايكون بتكذيب الحق وذلك لكونهم لم يحققوا خاصة آيات الانبياء والاشعرية ماردوه من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وبينوا مابينوه من تناقضهم وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة فحصل بما قالوه من بيان تناقض أصحاب البدع الكبار وردهم ماانتفع به خلق كثير

فان الاشعرى كان من المعتزلة وبقي على مذهبهم أربعين سنة يقرأ على أبي علي الجبائي فلما انتقل عن مذهبهم كان خبيرا باصولهم وبالرد عليهم وبيان تناقضهم وأما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية وأما خصائص المعتزلة فلم يوالهم الاشعري فى شيء منها بل ناقضهم في جميع أصولهم ومال فى مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه وكثير من الطوائف كالنجارية أتباع حسين النجار والضرارية أتباع

ضرار بن عمر ويخالفون المعتزلة في القدر والاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد والمعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والخوارق والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر مما يبالغون في ذم اليهود وهم الي اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم الى النصاري أقرب فان النصاري عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مغضوب عليهم والنصارى ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وروى باسناد عن أبي روق عن ابن عباس وغير طريق "الضالين وهم النصارى الذين أضلهم الله بفريتهم عليه يقول فالهمنا دينك الحق وهو لااله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تغضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضللت النصارى فتعذبنا كما تعذبهم يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك" قال ابن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافا بين المفسرين وقد قال سفيان ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

فاهل الكلام أصل أمرهم هو النظر فى العلم ودليله فيعظمون العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر

وأهل الزهد يعظمون الارادة والمريد وطريق أهل الارادة

فهؤلاء يبنون أمرهم علي الارادة وأولئك يبنون أمرهـم علي النظر وهذه هي القوة العلمية ولابد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ولابد أن يكون هذا وهذا موافقا لمـا جاء به الرسول

فالايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فغلطوا من جهة كون جانب الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال الظاهرة فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخـبر به وبين النظر البدعي الباطل المنهي عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى وبالغوا في الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقه لامر الله ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة النظر

وأعرض كثير منهـم فدخل عليهـم الداخل من هاتين الجهتين ولهذا صار هؤلاء يميل اليهم النصارى ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم اليهود ويميلون اليهـم وبين اليهود والنصاري غاية التنافر والتباغض وكذلك بين أهل الكلام والرأى وبين أهل التصوف والزهد تنافر وتباغض وهذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصـديقين والشهداء والصالحين وحسـن أولئك رفيقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(فصل) فان قيل فاذا كان في كتب الاناجيل التي عندهم ان المسيح صلب وانه بعد الصلب بايام أتى اليهم وقال لهم أنا المسيح ولا يقولون ان الشيطان تمثل على صورته فالشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه أثر المسامير أو نحو هذا الكلام فاين الانجيل الذي قال الله عز وجل فيه وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه وقال قبل هذا وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون وقد قال قبل هذا وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال أيضا ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال أيضا قل ياأهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول لاهل الكتاب الذين بعث اليهم وهو من كان في وقتهم ومن يأتي من بعدهم الي يوم القيامة لم يؤمر أن يقول ذلك

لمن قد تاب منهم وكذلك قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله اخبار عن اليهود الموجودين وان عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله

وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان محمد لاهل الانجيل ومن لايؤمن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قيل قبل هذا انه قد قيل ليس في العالم نسخة بنفس ماأنزل الله في التوراة والانجيل بل ذلك مبدل فان التوراة انقطع تواتره والانجيل انما أخذت عن أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما في التوراه او الانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل وهذان القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو ان في الارض نسخا صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونسخا كثيرة محرفة ومن قال انه لايحرف شيء من النسخ فقدقال مالا يمكنه نفيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلى الله عليه وسلم حرفت فقد قال مايعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والانجيل ويخبران فيهما حكمه وليس في القرآن خبر أنهم غيروا جميع النسخ واذ كان كذلك فنقول هو سبحانه قال وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو ماتلقوه عن المسيح فاما حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها في التوراة ذكر وفاة موسى عليه السلام ومعلوم ان هذا الذى في التوراة والانجيل من الخبر عن موسى

وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك للتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدهما عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمرا به في حياتهما ولا مما أخبرا به الناس

وكذلك لستم على شيء حتي تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا فى الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه فى آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

(ولهذا) أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن وان لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتي كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا ما فى الانجيل من الخبر عن صلب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الي الحواريين ليس

هو مما قاله المسيح وانما هو مما رآه من بعده والذى أنزله الله هو ماسمع من المسيح المبلغ عن الله

فان قيل فاذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب وانه أتاهم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الانجيل والدين فقد دخلت الشبهة

قيل الحواريون وكل من نقل عن الانبياء انما يجب أن يقبل منهم مانقلوه عن الانبياء فان الحجة فى كلام الانبياء وما سوى ذلك فموقوف على الحجة ان كان حقاً قبل والا رد ولهذا كان مانقله الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لاسيما المتواتر كالقرآن وكثير من السنن وأما ماقالوه فما أجمعوا عليه فاجماعهم معصوم وما تنازعوا فيه رد الى الله والرسول وعمر قد كان أولا أنكر موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في دفنه حتي فصل أبو بكر بالحديث الذى رواه وتنازعوا فى تجهيز جيش اسامة وتنازعوا في قتال مانعى الزكاة فلم يكن هذا قادحا فيما نقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا متفقين على صلب المسيح ولم يشهد أحد منهم صلبه فان الذى صلب انما صلبه اليهود ولم يكن أحد من أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتبه عليهم المصلوب بالمسيح وقد قيل انهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم كذبوا وشبهوا على الناس والاول هو المشهور وعليه جمهور الناس وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عمدتهم

على ذلك الشخص الذى جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذاك شيطان وهم يعترفون بأن الشياطين كثيراً مايجيء ويدعي أنه نبي أو صالح ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطانا وفى ذلك حكايات متعددة مثل حكاية الراهب الذى جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت لاهديك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل بها فان جئت اليوم بشيء يخالف ذلك لم نقبل منك

فليس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وأضاف الخبر عن قتله الي اليهود بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فانهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة اذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم فى هذا القول كاذبون وهم آثمون واذا قالوه فخرا لم يحصل لهم الفخر لانهم لم يقتلوه وحصل الوزر لاستحلالهم ذلك وسعيهم فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وقوله وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى والآية تعم الطائفتين وقوله لفي شك منه قيل من قتله وقيل منه أى فى شك منه هل صلب أم لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر وقالت النصارى انه اله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب أم لا وهم في شك من ذلك مالهم به من علم فاذا كان هذا فى الصلب فكيف فى

الذى جاء بعد الرفع وقال انه هو المسيح

فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا فى ايمانهم فأين المؤمنون به الذين قال فيهم

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لايقدح فى ايمانه اذا كان لم يحرف ماجاء به المسيح بل هو مقر بأنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه فاعتقاده بعد هذا أنه صلب لايقدح في ايمانه فان هـذا اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبي لايقدح في نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثراً من الانبياء وقال تعالي وكأين من نبيّ قتل معه ربيون كثير الآية وقال تعالى وما محمـد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد كثير من مشايخ المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم فى اليقظة فانهم لايكفرون بذلك بل هذا كان يعتقده من هو من أكثر الناس اتباعاً للسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان يأتيه من يظن أنه رسول الله فهذا غلط منه لايوجب كفره فكذلك ظن من ظن الحواريين ان ذلك هو المسيح لايوجب خروجهم عن الايمان بالمسيح ولايقدح فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسي وأنه لايموت

حتى ·وت أصحابه لم يكن هذا قادحا في ايمانه وانما كان غلطاً و رجع عنه

(فصل وقوله تعالى فى هـذه مالهم به من علم الا اتباع الظن)

هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هى الا أسماء سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهـدى وكذلك قوله ومالهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئا وقوله تعـالي وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقوله أفمن يهـدى الي الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن لايغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لايتبعون الا الظن وكذلك قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنـده علم وكذلك قوله نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن

وقد ثبت فى السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين وان لم يكن شهود حلف الخصم * وفى الصحيحين عن النبى صـلى الله عليه و سـلم أنه قال انكم تختصمون الىّ ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وانما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد فى تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولابد منه كحكم ذوى عدل بالمثل في جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند الاشتباه ونحو ذلك فلا يقطع به الانسان بل يجوز أن تكون القبلة في غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشىء من حق الآخر وأدلة الاحكام لابد فيها من هذا فان دلالة العموم في الظواهر قد تكون محتملة للنقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا فى خبر الواحد كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع فى العموم كالمعتزلة البغداديين وان نازع فى العموم والقياس منازع كبعض الرافضة مثل الموسوى ونحوه لم ينازع فى الاخبار فان الامامية عمدتهم على مانقل عن الاثنى عشر فلابد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغني عن الظواهر والاخبار والاقيسة بل لابد أن يعمل ببعض ذلك مع تجويز نقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت طرق الناس فى جوازهذا فطائفة قالت لايتبع قط الا العلم ولا يعمل بالظن أصلا وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في الظواهر بل يقولون نقطع بخطأ من خالفنا و ننقض حكمه كما يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما الاستصحاب والاستصحاب فى كثير من المواضع من أضعف الادلة وهم فى كثير مما يحتجون به قد لايكون ما احتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر خلافه فطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح

كنا متبين للعلم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لا نعمل بالظن وهذه طريقة القاضى أبى بكر وأتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه انه العلم بالاحكام الشرعية العملية وقال الرازى العلم بالاحكام الشرعية العملية المستدل على أعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

(فان قلت) الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

(قلت) المجتهد اذا غلب على ظنه مشاركة صورة لصورة في مناط الحكم قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالعلم حاصل قطعا والظن واقع فى طريقه وحقيقة هذا الجواب ان هنا مقدمتين احداهما انه قد حصل عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن فالمقدمة الاولى وجدانية والثانية عملية استدلالية فليس الظن هنا مقدمة فى الدليل كما توهمه بعضهم لكن يقال العمل بهذا الظن هو حكم أصول الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذاك الظن الحاصل بالظاهر وخبر الواحد والقياس والاصول يفيد أن العمل بهذا الظن واجب والا فالفقهاء لا يترضون لهذا فهذا الحكم العملى الاصولي ليس هو الفقه وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناه على أصله فانه عنده كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالى وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس الى أحد القولين دون الآخر تمثل ذى الشدة الى قول وذى اللين الى

قول وحينئذ فعندهم متى وجد المجتهد ظنا في نفسه فحكم الله في حقه اتباع هذا الظن وقد أنكر أبو المعالى وغيره عليه هـذا القول انكارا بليغا وهم معذورون فى انكاره فان هذا أولا مكابرة فان الظنون عليها أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهـذا أمر معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شـيأ على شئ والكلام في شيئين في اتباع الظن وفى الفقه هل هو من الظنون

أما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ماأمر الله تعـالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الخفية عليه أن ينظر في الادلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عندأمر مقطوع به وان قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به واذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على أن هـذا راجح وفرق بين اعتقادالرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان فقد يكون عاما وقد لايعمل حتى يعلم الرجحان واذا ظن الرجحان أيضا فلابد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلا ن ينتهى الامر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لمـا علم انه أرجح وهـذا اتباع للعـلم لاللظن وهو اتباع الاحسن كما قال فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها وقال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال واتبعوا أحسـن ماأنزل اليكم من ربكم فاذا كان أحد الدليلين هو الارجح فاتباعه هو الاحسـن وهذا معلوم

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم انه أرجح من غيره وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الا بالعلم وهذا جواب الحسن البصرى وأبى وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع الا الظن فلم يستند ظنه الى علم فان هذا أرجح من غيره كما قال ماهم به من علم ان يتبعون الا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وهكذا فى سائر المواضع يذم الذين ان يتبعون الا الظن فعندهم ظن مجرد لاعلم معه وهم يتبعونه والذى جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس انهم لا يعلمون الا بعلم بان هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقادا عمليا لكن لا يلزم اذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الامر وهذا كما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فاذا أتي أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالما بان حجة هذا أرجح فما حكم الا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أولا يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أولا يذكرها أولا يجسران يتكلم بذلك فيكون هو المضيع بحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم الا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه وتفريطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الاحكام فاذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لان المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا

ضبطه كشاهدين زكى أحدهما ولم يزك الآخر فهـذا المزكى أرجح وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا علي هذا ليس ممن لم يتبع الا الظن ولم يكن تبين له الا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك الحديث وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد يكون هذا الشاهد عدلا ونحن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوى لكن معنا عدم العلم بعدالتهما وقد لا يعلم عدالتهما مع تقويتها ورجحانها في نفس الامر فمن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد لكن هـذا لا سبيل الي أن يكلفه العالم أن يدع مايعلمه الي أمر لا يعلمه لامكانه ثبوته في نفس الامر فاذا كان لابد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هـذا الذى علم ثبوته على مالا يعلم ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما اذا تعارضا وكانا متناقضين فاثبات أحدهما هو نفي الآخر فهذا الدليل المعلوم قد علم أنه يثبت هذا وينفي ذاك وذاك المجهول بالعكس فاذا كان لابد من الترجيح وجب قطعا ترجيح المعلوم ثبوته على مالم يعلم ثبوته ولكن قد يقال انه لا يقطع بثبوته وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل الا بذلك العلم وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هـذا الاعتقاد على هـذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن ممن قال الله فيه ان يتبعون الا الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذاك وهـذا الظن هو الراجح ورجحانه معلوم فحكم بما علمه من الظن الراجح ودليله الراجح

وهذا معلوم له لا مظنون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب لظنون فقد أجاب طائفة منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه التي يحتاج اليها الناس ويفتون بها هي ثابتة بالنص أوالاجماع واءنا يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود فى سائر العلوم وكثير مسائل الخلاف هى في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما ما لابد للناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه واخراجه من الفقه قول لم يعلم أحد من المتقدمين قاله ولا احترز بهذا القيد أحد الا الرازى ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأيضا فكون الشيء معلوما من الدين ضرورة أمر اضافى لحديث العهد بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلا عن كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد للسهو وقضى بالدية على العاقلة وقضى أن الولد للفراش وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

الية * الجواب الثانى أن يقال الفقه لايكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو علمه برجحان هذا الدليل وهذا الظن ليس الفقه قطعه بوجوب العمل أى بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولي يتكلم في جنس الادلة ويتكلم كلاما كليا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بارجحهما ويقول أيضا اذا تعارض العام والخاص فالخاص أرجح واذا تعارض المسند والمرسل فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شموله الافراد أرجح من عدم شموله ويجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيتكلم في دليل معين في حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم خاص فى أهل الكتاب ومتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لاتتناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصاً فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذى يختص به الفقيه وهو علم قطعي لاظنى ومن لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتقاد المقلد ليس بفقه ولهذا قال المستدل على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والمسؤل عنه وحيث لايعلم الرجحان فهو متوقف لاقول له واذا قيل له فقد قال ولا تمسكوا

بعصم الكوافر قال هـذا نزل عام الحديبية والمراد به المشركات فان سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعا وسورة المائدة بعد ذلك فهي خاص متأخر وذاك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المتقدم ولهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر فارق عمر امرأة مشركة وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل على أن آية البقرة بعد آية الممتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة * فهذا النظر وأمثاله هو نظر الفقيه العالم برجحان دليل وظن على دليل وهذا علم لا ظن

فقد تبين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذى لا يعلم رجحانه فلا يجوز اتباعه وذلك هو الذى ذم الله به من قال فيه ان يتبعون الا الظن فهم لا يتبعون الا الظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين بأنه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الظن والله أعلم

﴿ فصـل ﴾ فههنا ثلاثة أشياء أحدها الظن الراجح في نفس المستدل المجتهد

والثانى الادلة التى يسميها بعض المتكلمين أمارات التى تعارضت وعلم المستدل بأن التى أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها

الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر على القول الآخر

لم يعلم به المستدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل قد يسمع نصا عاما كما سمع ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قطع الخفين وانه أمر أن لا يخرج أحد حتى يودع البيت أو ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا راجح على الاستصحاب النافي للتحريم فعملوا بهذا الراجح وهم يعلمون قطعا ان النهي أولى من الاستصحاب لكن يجوز أن يكون مع الاستصحاب دليل خاص ولكن لم يعلموه لم يجز لهم أن يعدلوا عما علموه الى مالم يعلموه فكانوا يفتون بأن الحائض عليها الوداع وعليها قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وابن الزبير كان يحرمه على الرجال والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للحائض أن تنفر بلا وداع وانها تلبس الخفين وغيرهما مما نهى عنه المحرم ولكن تجتنب النقاب والقفازين وانه رخص في موضع أصبعين أو ثلاث أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح في رواية عمر ولم يعرف به ابنه عبدالله وكان له جبة مكفوفة بالحرير فلما سمع ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجعوا وعلموا حينئذ انه كان في نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذى يستصحبوه ولم يعلموا به وهم في الحالين انما حكموا بعلم لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا رجحوا العموم على استصحاب البراءة الاصلية وهذا ترجيح بعلم فان هذا راجح بلا ريب والشرع طافح بهذا

فما أوجبه الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي نصوص عامة وما حرمه كالميتة والدم ولحم الخنزير حرمه بنصوص عامة وهي راجحة ومقدمة على البراءة الاصلية النافية للوجوب والتحريم فمن رجح ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدليلين المعلوم الرجحان ولم يكن ممن لم يتبع الا الظن لكن لتجويزه أن يكون النص مخصوصا صار عنده ظن راجح ولو علم انه لاتخصيص هناك قطع بالعموم وكذلك لو علم ارادة نوع قطع بانتفاء النصوص وهذا القول فى سائر الادلة مثل أن يتمسك بنصوص وتكون منسوخة ولم يبلغه الناسخ كالذين نهوا عن الانتباذ في الاوعية وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص الناسخ وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم النسخ مثل من كان من المسلمين بالبوادى وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاة الى القبلتين بعضها الى هذه القبلة وبعضها الى هذه القبلة لما بلغهم النسخ وهم فى أثناء الصلاة فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة من جهة الشام الى جهة اليمن

فالقاضى أبو بكر ونحوه من الذين ينفون أن يكون في الباطن حكم مطلوب بالاجتهاد أو دليل عليه يقولون ماثم الا الظن الذى فى نفس المجتهد والامارات لاضابط لها وليست أمارة أقوى من امارة فانهم اذا قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذى عمل بالمرجوح دون الراجح مخطئا وعندهم ليس فى نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعة والجمهور فيقولون بل الامارات بعضها أقوى من بعض في نفس الامر (وعلى الانسان أن يجتهد) ويطلب الاقوى فاذا رأى دليلا أقوى من غيره ولم ير مايعارضه عمل به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها واذا كان في الباطن ماهو أرجح منه كان مخطئا معذورا وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على معرفته فمن عجز عن معرفته لم يؤاخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطئ بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ماأمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الامر فالمصيب واحد وله أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا الى أربع جهات فالذى أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما وعملا زاده أجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لايتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع مالم يسمع الآخر

واما بان فهم مالم يفهم الآخر كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع ولم يفرق أحد من السلف والائمة بين أصول وفروع

بل جعل الدين قسمين أصولا وفروعا لم يكن معروفا فى الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذى استفرغ وسعه فى طلب الحق يأثم لافى الاصول ولا في الفروع ولكن هـذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن العنبرى انه قال كل مجتهد مصيب ومراده انه لايأثم

وهذا قول عامة الائمة كابي حنيفة والشافعي وغيرهما

ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء و يصلون خلفهم ومن ردها كمالك وأحمد فليس ذلك مستلزما لأئمهما لكن المقصود انكار المنكر وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان ذلك منعا له من اظهار البدعة ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية للبدعة المظهر لها وغيره وكذلك قال الخرقى ومن صلى خلف من يجهر ببدعة أو منكرا عاد وبسط هذا له موضع آخر

والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكروا ضابطا يميز بين النوعين بل تارة يقولون هـذا قطعى وهـذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قطعي وكثير من مسائل الاصول ظني عند بعض الناس فان كون الشيء قطعيا وظنيا أمرا ضافي وتارة يقولون الاصول هي العلميات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من جحدها كفر كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات وهذه سمعيات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخطيء فان الكفر حكم شرعي يتعلق بالشرع وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم ماليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك المتقدم في الاصول الخمسة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد وهي التي توالي المعتزلة من وافقهم عليها ويتبرؤن ممن خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب وثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك مسلكهم كابي الحسن الاشعري وأصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول الخمسة وكان عندهم علم ليس عند أولئك وكان عند أولئك علم ليس عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما في الكتاب والسنة من بيان هذه الامور بل علموا بعضا وجهلوا بعضا فان هؤلاء المجبرة هم في الحقيقة لايثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا واولئك قصدوا اثبات هذه الامور أما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شيء وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهي عنه وهو لاناهي له ويجوزون الامر بكل شيء وان كان منكرا وشركا والنهي عن كل شيء وان كان توحيدا ومعروفا فلا ضابط عندهم للفعل فلهذا ألزموهم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقا بين المعجزات وغيرها ولا ما به يعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا اذا نقضوا أصلهم وقد قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وعندهم هذا لافائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائما بهذا دون هذا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع

وكذلك الحكمة عندهم لا تفعل لحكمة وقد فسروا الحكمة اما بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيما ويكون غير حكيم كذلك المريد قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم يطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان الله حكيم وكذلك الرحمة ما عندهم في نفس الامر الا ارادة ترجيح احد المثلين بلا مرجح نسبتها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أيضا وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وتناقض كل من أثبت بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نفاة الارادة أعظم تناقضا منهم فان الرازي ذكر في المطالب العلية مسئلة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة المتفلسفة على أصول أصحابه الجهمية والمعتزلة ففر اليهم وكذلك في غير هذا من المسائل فهو تارة يرجح قوله قول المتفلسفة وتارة يرجح قول المتكلمة وتارة يحار ويقف واعترف فى آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لاتشفى عليلا ولاتروى غليلا

وقال قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ فى الاثبات الرحمن على العرش استوى اليه يصعد الكلم الطيب واقرأ في النفى ليس كمثله شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى فقد تبين انهم لايثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق فى الكلام النفساني واجب لانه يعلم الامور ومن يعلم يمتنع أن يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه وعلي هذا اعتمد الغزالى وغيره فقيل لهم هذا ضعيف لوجهين أحدهما الصدق فى ذلك المعني لاينفع ان لم يثبت الصدق في العبارات الدالة عليه ويميز بين الافعال عندهم الثانى انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبرك بالكذب فيقوم في نفسه معني ليس هو العلم وهو معنى الخبر فهذا يقتضى انهم يقولون ان العلم قد يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه والرازى لما ذكر مسئلة انه لايجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا للحشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لايعنى بكلامه شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب ان في

هذا زاعا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص والله منزه عنه فقيل له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات المخلوقة أما الاول فلا يجوز ارادته هنا لان المسألة هى فيمن يتكلم بالحروف المنظومة ولا يعني به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك أن يخلق كل شيء ليس منزها عن فعل من الافعال والعيب عندك هو مالا تريده فهذا ممتنع فتبين انه ليس لهم حجة لاعلى صدقه ولا على تنزيهه عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون ممن تنزيهه عن بعض الافعال وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه والمعتزلة قصدهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات كما يذكرها أبو الحسين البصرى وغيره كما ذكر في أول صور الادلة خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأظن فيها اثبات صدقه ولهذا يكفرون من يجوره أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في مواضع كثيرة كما قد نبه على هذا في غير موضع فكلا الطائفتين معها حق وباطل ولم يستوعب الحق الامن اتبع المهاجرين والانصار وآمن بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء هم أهل الرحمة الذين لايختلفون بخلاف أولئك المختلفين قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

(فصل) والجهمية والمعتزلة مشتركون فى نفى الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعري وأبي العباس القلانسي ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون فعله الاختياري يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد ايمانهم ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فاثبت رؤية مستقلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادي موسى حين أتى لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته فان المعتزلة والجهمية يقولون خلق نداء في الهواء والكلابية والسالمية يقولون النداء قام بذاته وهو قديم لكن سمعه موسى فاستجدوا سماع موسى والا فما زال عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها تخالف هذا وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه يتكلم بمشيئته في وقت بكلام معين كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما الاحاديث فلا تحصى وهذا قول أئمة السنة والسلف وجمهور العقلاء ولهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلهذا اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم نعرف عن أحد من

السلف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في علمه ومنهم من يقول قديم أى متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لأنه أزلي لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات عباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خالقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم وقد جاء فى القرآن والسنة في غير موضع أنه يخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك فى الاستماع قال تعالى وأذنت ربها وحقت أى استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به وقال لله أشد اذنا الى صاحب القرآن من صاحب القينة الى قينته فهذا تخصيص بالاذن وهو الاستماع لبعض الاصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده وقول الخليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربى سميع قريب يقتضى التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاة هو تخصيص بامر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من يحب ومحبته بالنظر والاستماع المذكور يقتضى ان هذا النوع منتف

عن غيرهم

(لكن مع ذلك هل يقال) ان نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجود مسموع ومرئي الا وقد تعلق به كالعلم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته فيمكنه أن لاينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لايجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الادراك به

(والقول الثاني) ان جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لاينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال ما نظر الله الي شيء من خلقه الا رحمه ولكنه قضى أن لاينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذكروني أذكركم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا وان أتاني يمشي أتيته هرولة فهذا الذكر يختص بمن ذكره فمن لايذكره لايحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسروا هذا النسيان بأنه   وهذا النسيان ضد ذلك الذكر وفى الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال أفظننت أنك ملاقيّ قال لا قال فاليوم أنساك كما نسيتني فهذا يقتضى أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضا وهو سبحانه قد خلق هذا العبد وعلم ماسيعمله قبل أن يعمله ولما عمل علم ماعمل ورأى عمله فهذا النسيان لايناقض ماعلمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال والرشاد والغى وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان يجعل مابعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق الذى يجب اتباعه وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملا لايعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يمسك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ماقام عليه الدليل) والنافع منه ماجاء به الرسول وقد يكون علم من غير الرسول لكن فى أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة وأما الامور الالهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

مأخذ عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم فى تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوي الرسول اما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد واما أن لايكون له ارادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه اما لرغبة واما لرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة يبين الادلة العقلية الدالة عليها والقرآن مملوء من الادلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الالهية والمطالب الدينية وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات البينات والدلائل اليقينيات على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لايقول عليه الا الحق وان الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما بلغه عنه والادلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متبوعة وهي أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل وهي أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن القرآن اشتمل على الادلة العقلية فى المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتجون بالادلة السمعية الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول وجب تصديقه فيما يخبر به

(والعلوم ثلاثة أقسام) منها مالا يعلم الا بالادلة العقلية وأحسن الادلة العقلية التى بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغى أن يعرف

أن أجل الادلة العقلية وأكملها وأفضلها مأخوذ عن الرسول فان من الناس من يذهل عن هذا فمهم من يقدح فى الدلائل العقلية مطلقا لانه قد صار فى ذهنه أنها هى الكلام المبتدع الذى أحدثه من المتكلمين ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه لانه قد صار فى ذهنه أن القرآن انما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتي يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها مالا يعلمه غير الانبياء الا بخبر الانبياء وخبرهم المجرد هو دليل سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الامور الالهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل مايؤمر به وينهي عنه فاما نفس اثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالادلة العقلية وان كانت الادلة والآيات التى يأتى بها الانبياء هى أكمل الادلة العقلية لكن معرفة هذه ليست مقصورة على الخبر المجرد وان كان أخبار الانبياء المجردة تفيد العلم اليقينى أيضا فيعلم بالادلة العقلية التى أرشدوا اليها ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالادلة والآيات والبراهين التى دلت على صدقهم

(وقد تنازع الناس فى العلم بالمعاد وبحسن الافعال وقبحها) فاكثر الناس يقولون انه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بان العقل يعلم به الحسن والقبيح أكثر من القائلين بأن المعاد يعلم بالعقل قال أبوالخطاب هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول المعاد والحسن والقبيح لايعلم الا بمجرد الخبر وهو قول الاشعرى وأصحابه ومن وافقهم

من أتباع الائمة كالقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي وغيرهم وكلهم متفقون على أن من العلوم مايعلم بالعقل والسمع الذي هو مجرد الخبر مثل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة وكون رؤيته ممكنة أو ممتنعة ونحو ذلك وكتب أصول الدين بجميع الطوائف مملوءة بالاحتجاج بالادلة السمعية الخبرية لكن الرازي طعن في ذلك في المطالب العالية قال لان الاستدلال بالسمع مشروط بان لايعارضه قاطع عقلي فاذا عارضه العقلي وجب تقديمه دليه قال والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو انما يثبت بالسمع ماعلم بالاضطرار ان الرسول أخبر به كالمعاد وقد يظن أن هذه طريقة أئمته الواقفة في الوعيد كالاشعري والقاضي أبي بكر وغيرهما وليس كذلك فان هؤلاء انما وقفوا في اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لايفيد القطع أو لانهم لايقولون بصيغ العموم وقد تعارضت عندهم الادلة والا فهم يثبتون الصفات الخبرية لله كالوجه واليد بمجرد السمع والخبر ولم يختلف قول الاشعري في ذلك وهو قول أئمة أصحابه لكن أبو المعالي وأتباعه لايثبتون الصفات الخبرية بل فيهم من ينفيها ومنهم من يقف فيها كالرازي والآمدي فيمكن أن يقال قول الاشعري ينزع من قول هؤلاء بأن يقال لايعرف أنهم اعتمدوا في الاصول على دليل سمعي لكن يقال المعاد يحتجون عليه بالقرآن والاحاديث ولكن الرازي هو الذي سلك فيه طريق العلم الضروري ان الرسول جاء به وفي الحقيقة فجميع الادلة اليقينية توجب علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا بأخبار

الرسول لكن منها ماتكثر أدلته كخبر الاخبار المتواترة ويحصل به علم ضروري من غير تعيين دليل وقد يعين الادلة ويستدل بها وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن يؤخذ من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعيها وعقليها ويجعل ماجاء به هو الاصول لدلالة الادلة اليقينية البرهانية على أن ماقاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاعلامها تدل على ذلك جملة وتفاصيل الادلة العقلية الموجودة في القرآن والحديث يدل على ذلك تفصيلا وأيضا فان الانبياء والرسل انما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضا فمن جرب مايقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفيهم كما قال الرازي مع انه من أعظم الناس طعنا في الادلة السمعية حتى ابتدع قولا ماعرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لاتفيد اليقين ومع هذا فانه يقول لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى واقرأ في النفي ليس كمثله شيء ولايحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وأيضا (فمن اعتبر ماعند الطوائف) الذين لم يعتصموا بتعليم الانبياء وارشادهم واخبارهم وجدهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين أو جاهلين جهلا مركبا فهم لايخرجون عن المثلين اللذين في القرآن والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور

﴿ فصل ﴾ وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع ومشتبه في العقل كما قال فيهم الامام أحمد قال هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يحتجون بالمتشابه من الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموفقة من أهل الضلال تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفه فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل أئمتهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يجعلون أقوالهم البدعية محكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويجعلون كلام الله ورسوله الذى يخالفها من المتشابه الذى لا يعرف معناه الا الله أولا يعرف معناه الا الراسخون فى العلم والراسخون عندهم من كان موافقا لهم على ذلك القول وهؤلاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من آيات الكتاب ويترك المحكم كالنصارى والخوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابها وأما أولئك كنفاة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) فيجعلون ما ابتدعوه هم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتباعه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتاب والسنة مايوافقه ويجعلون ماجاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرهما كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية * وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى يقال منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في المتشابهات قولان أحدهما أنها آيات بعينها تتشابه على كل الناس * والثاني وهو الصحيح ان التشابه أمر نسبي فقد تشابه عند هذا مالا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لايتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كله محكم كما قال أحكمت آياته ثم فصلت وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لايعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذمهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد تكلم العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التي سأل عنها نافع بن الازرق لابن العباس قال الحسن البصري ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وماذا عنى بها ومن قال من السلف ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله بعلمه مثل وقت الساعة ومجيء اشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده في الجنة لاوليائه وكان من أسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابه عليهم كقوله انا ونحن وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد المعظم الذي له أعوان لم يرد به ان الآلهة ثلاثة فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ماقيل فيه ايا وما قيل فيه انا لدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسله وأما كونه هو المعبود الاله فهو له وحده ولهذا لا يقول فاياناً فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتقوى والخشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة مادل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ماقاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويعقل ويعرف برهانه ودليله اما العقلي واما الخبري السمعي ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة فيقال لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا به ما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا به ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك ولفظ الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ مالا يوجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذى يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة أيضا بل هم يختصمون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعانى بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعانى بعبارات أخرى ويبطن مادل عليه القرآن الادلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها ملفقة من مقدمات مشتركة يأخذون اللفظ المشترك فى احدى المقدمتين بمعنى وفى المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو في صورة اللفظ دليل وفي المعنى ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لايجوز أن يقترن بها ولا يتزوجها والذى قال

* أيها المنكح الثريا سهيلا *

أراد امرأة اسمها الثريا ورجلا اسمه سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان * هى شامية اذا ما استقلت

* وسهيل اذا استقل يمان *

وهذا لفظ مشترك فجعل يعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة في غير موضع

والاصل الذى بني عليه نفاة الصفات وعطلوا ماعطلوه حتى صار منتهاهم الى قول فرعون الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى في

أن الله كله هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لاتخلو من الحوادث ولم تسبقها ومالم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والأئمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والأئمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين

(والسلف لم يذموا جنس الكلام) فان كل آدمي يتكلم ولاذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل

فالكلام الذى ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفي عليه بطلان هـذا الكلام فمنهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أولايتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وماكان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهم لايعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل لكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطار يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق الطويل والطريق المخيف مع اعتقادهم أنه يوصل الى المعرفة وأنه صحيح

في نفسه* وأما الحذاق العارفون تحقيقه فعلموا أنه باطل عقلا وشرعا وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك

ولهذا صار حذاق سالكيه ينتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا مكابرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لابد له من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين

وكذلك ماابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال بالممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هـذا الموضع وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود بنفسه مع انهم جعلوا هذا طريقاً لاثبات الواجب بنفسه كما يجعل أولئك هذا طريقاً لاثبات القديم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن لايكون العالم رب مباين العالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لابد منه على كل قول وفرعون ونحوه ممن أنكر الصانع ماكان ينكر هـذا الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود قديم ولاواجب لكنهم لايعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه

(ولكن وصفوه) بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي تستلزم عدمه وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر ويعرف أن هذا صفة المعدوم الممتنع لا صفة الموجود فدليلهم في نفس الامر يستلزم أنه ما ثم قديم ولا واجب ولكن ظنوا انهم أثبتوا القديم والواجب وهذا الذى أثبتوه هو ممتنع فما أثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو عين الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحدث الممكن والحلول هو الذى أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والائمة وردوه وأما حقيقة قولهم فهو النفي أن لا داخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم تسمعه الائمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من باطنهم ولهذا كان الائمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان ويحكون عنهم وصفه بالصفات السلبية وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها * قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف ما يعلمه كل أحد ببديهة عقله فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزم ان كل الموجودات حدثت بأنفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شيء من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ماخلق من مادة أو لغاية فلابد له من خالق

(ومعرفة الفطر) أن المحدث لابد له من محدث أظهر فيها من ان كل محدث لابد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم ينازع فى الاول طائفة قال ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع واما أن يقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لايعرف عن طائفة معروفة وانما يحكى عمن لايعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد فى عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفى بعض الامور ولكن أمة من الامم كلهم سوفسطائية في كل شيء هذا لايتصور فلهذا لايعرف عن أمة من الامم أنهم قالوا بحدوث العالم من غير محدث وهؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ماقامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث وممكن لزمهم القول بحدوث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفا بما يقوم به من الصفات والامور الاختياريات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته و يخلق مايخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ماقامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لايخلو

من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قديم واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لايشار اليه ولا يتعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لاحقيقة له في الخارج وانما هو في الذهن فكان ماأثبتوه واعتقدوا أنه الصانع للعالم انما يحقق في الادهان لافي الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم في أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بحلوله في كل شئ وقال آخرون منهم هو وجود كل شئ ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله فى العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد فى اللبن وكالزيت والشيرج فى السمسم والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذى أضلهم قولهم ماقامت به الصفات و الافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لايخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لايخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لايخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لايخلو عن الاعراض والاعراض كلها حادثة وهى لاتبقى زمانين وهذه طريقة الآمدى وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم وامكانه وذكرنا في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق وانهم هم بينوا فساد جميع ما استدل به على حدوث الجسم وامكانه و بينوا فسادها طريقاً طريقاً ذكروه كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد شاركوهم في أصل هـذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا قالوا ان التجسم لاينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسماً قديما وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام ان القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام في الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السلف والائمة في ذم الجهمية كثير مشهور فان مرض التعطيل شر من مرض الجسم وانما كان السلف يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه و إسحق ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كبصري ويد كيدي وقدم كقدمي وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التي لاتثبت بمشيئته وقدرته فينفونها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثا لان ماقبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هـذه الحوادث لم يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثا

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصر مسلم بن الحجاج أثبت انه يوصف بالصفات الاختياريات ويتكلم بمشيئته وقدرته ولكن عنده يمتنع انه كان في الاول متكلما بمشيئته وقدرته لامتناع حوادث

لاأول لها فلم يقل بقول السلف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه صار يتكلم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعدان لم يكن كذلك وقال هو وأصحابه في المشهور عنـه ان الحوادث التي تقوم به لايخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منـه ومالم يخل من الحوادث فهو حادث وانما يقبـل على أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط كمايقبـل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تخل منه كما لم يلزم أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم حادث لامحدث لان المحدث يفتقر الي احداث بخـلاف الحدوث وهم اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث بل يقولون السكون أمر عدمى كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر وجودى بخلاف مايقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودى كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هـذا الحادث فانما يعدم الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع وهم يقولون انه يمتنع عدم الجسم وعنـدهم ان البارى يقوم به احـداث المخلوقات وافناؤها فالحوادث التي تقوم بهم تقوم به لو أفناها لقام به الاحداث والافناء فكان قابلا لان يحدث فيـه حادث ويفنى ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من احداث وافناء فلم يخل من الحوادث ومالم يخل منها فهو حادث وانمـا كان كذلك لان القابل للشئ لايخلو عنه وعن ضـده كما قالت الكلابية لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لايخلو عنه

وعن الآخر وهؤلاء يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو عدمي وانما الوجودي هو الاحداث والافناء فلو قبل قيام الاحداث والافناء به لكان قابلا لقيام الاضداد الوجودية والقابل للشيء لايخلو عنه وعن ضده وهؤلاء لما أراد منازعوهم ابطال قولهم كان عمدتهم بيان تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالي وأتباعه وكما ذكر الآمدي تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع وغايتها انها تدل على مناقضتهم لاعلى صحة مذهب المنازع

وثم طائفة كثيرة تقول انه تقوم به الحوادث وتزول وانه كلم موسى بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان والا فالقول بفناء الصوت الذي كلم به موسى من جنس القول بقدمه كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام والحديث والفقه من السالمية وغيرهم ومن الحنبلية والشافعية والمالكية يقول انه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك الصوت قديم وهذا القول يعرف فساده ببديهة العقل وكذلك قول من يقول كلمه بصوت حادث وان ذلك الصوت باق لايزال هو وسائر مايقوم به من الحوادث هي أقوال يعرف فسادها بالبديهة

وانما أوقع هذه الطوائف في هذه الاقوال ذلك الاصل الذي تلقوه عن الجهمية وهو أن مالم يخل من الحوادث فهو حادث وهو باطل عقلا وشرعا وهذا الاصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا للاسلام نصروا ولا لالعدو كسروا

بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وسلطوا عليهم وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم في هذا الاصل الذى جعلوه أصل دينهم ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول فحرموا الوصول والاصول اتباع ماجاء به الرسول

وأحدثوا أصولا ظنوا انها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة و يضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء والاصول مأخوذة من أصول الشجرة وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل مايبتنى عليه غيره أو مايتفرع عنه غيره

فالاصول الثابتة هى أصول الانبياء كما قيل

أيها المقتدى لتطلب علما * كل علم عبد لعلم الرسول
تطلب الفرع كي تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الاصول ينبني عليها مافي القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هي قضية جازمة وعقيدة جامعة ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتي فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الاولية والآخرية على أتم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهي العقيدة الايمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل أصول الايمان ثابت في قلب المؤمن كثبات أصل الشجرة الطابية وفرعها في السماء اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن عنده يقين وطمأنينة والايمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الايمان مستقر لايحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض استؤصلت واجتثت كما يقطع الشيء يجتث من فوق الارض مالها من قرار لامكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى بئس القرار وقال جعل لكم الارض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أى ثبات وقد فسر القرار فى الآية بهذا وهذا فالمبطل ليس قوله ثابتا في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى فى المثل الآخر فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذى يشرك بالله فعنـد الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الافعال الباطلة التي يعتقدها الانسان عنـد الحقيقة تخونه ولا تنفـعه بل هى كالشجرة الخبيثه التى اجتثت من فوق الارض مالها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الى الله فانه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصول ولهذا تجد أهل البـدع والشبهات لايصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال

والله سبحانه بعث الرسـل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لاشريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسله

وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصف به رسله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسـه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ماقدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ماقدروا الله حق قدره فى ثلاث مواضع ليثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وانه لايستحق العبادة الا هو وليثبت ماأنزله على رسله فقال في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال فى الحج ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره وقال فى الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ماأنزل الله على بشر من شئ والمواضع الثلاثة ذم الذين ماقدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب علي المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقاته والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذى أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذى بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما مايخرج عن طاقة البشر فذلك لايذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو * ودلت الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفى تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا لقول الحبر وقرأ هذه الآية

وعن ابن عباس قال مر يهودى بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ماتقول اذا وضع الله السماء على ذه والارض على ذه والجبال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه رواه الامام أحمد والترمذى من حديث أبى الضحى عن ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضى ان عظمته أعظم مما وصف ذلك الحبر فان الذى فى الآية أبلغ كما فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وفى الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبى ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود فى صفة الرب تبارك وتعالى فقالوا مالم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفته التي وصفوا بها شركا

وقال حدثنا أبي ثنا أبونعيم ثنا الحكم يعني أبامعاذ عن الحسن قال عمدت اليهود فنظروا فى خلق السموات والارض والملائكة فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله حق قدره وهذا يدل على انه أعظم مما وصفوه وانهم لم يقدروه حق قدره وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شئ من الاشياء فأحبه مثل مايحب الخالق أو وصفه بمثل مايوصف به الخالق فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شئ من الاشياء فعدل بربه والرب تعالى لا كفؤ له ولاسمى له ولامثل له ومن جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معطل ممثل والمعطل شر من المشرك (والله ثنى قصة فرعون) فى القرآن فى غير موضع لاحتياج الناس الى الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو مالم يحصل مثله لاحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ماذكر الله تعالى وليس لله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولاقياس الشمول الذى يستوى افراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه بالمخلوق بل قياس الاولى فانه سبحانه له المثل الاعلى فى السموات والارض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص وقد بسط هذه الامور فى غير هذا الموضع وبين ان من جعله الوجود المطلق والمقيد بالسلب أوذاتا مجردة فهؤلاء مثلوه بأنقص المعقولات الذهنية وجعلوه دون الموجودات الخارجية والنفاة

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسم لم يثبتوا بذلك حدوث شئ كما قدمنا في موضعه

ثم انهم جعلوا عمدتهم في تنزيه الرب عن النقائص على نفي الجسم ومن سلك هذا المسلك لم ينزه الله عن شئ من النقائص البتة فانه مامن صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم وتكون من صفات الاجسام الا يقال له فيما أثبته نظير مايقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي ينفيها كالقول فيما أثبته فان كان هذا تجسيما وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا أثبت هذا على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت أنا أثبته وأنفي التجسيم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفي الصفات كالمعتزلة قيل له في الصفات مايقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا عالما قادرا وهو لا يعرف من هو متصف بذلك الا جسما كان أثبات ان له علما وقدرة كما نطق به الكتاب والسنه كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قيل له فلابد أن تثبت موجودا قائما بنفسه وأنت لا تعرف ذلك الا جسما وان قال لا اسميه باسم لا اثبات ولا نفي قيل له سكوتك لا ينفي الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأيضا فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تتكلم وان عرفته فلابد أن تميز بينه وبين غيره بما يختص به مثل أن يقول رب العالمين أو القديم الازلي

أو الموجود بنفسه ونحو ذلك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه وأثبته فاعلا وأنت لا تعرف ما هو كذلك الا الجسم وان قدر انه جاحد له قيل له فهذا الوجود مشهود فان كان قديما أزليا موجودا بنفسه فقد ثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ما فررت منه وان كان مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولابد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت الموجود القائم بنفسه القديم الازلى على كل تقدير وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

وهنا قد نبهنا على ذلك وانه كل من بنى تنزيهه للرب عن النقائص والعيوب على نفي الجسم فانه لا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا بهذه الحجة وكذلك من جعل عمدته نفي التركيب

ومن تدبر ما ذكروه في كتبهم تبين له انهم لم يقيموا حجة على وجوده فلا هم أثبتوه وأثبتوا له ما يستحقه ولا نزهوه ونفوا عنه ما لا يجوز عليه اذ كان اثباته هو اثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك دليلا والنفي اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفي كونه جسما فكيف اذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما يتبين لك ان من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه علم لا عقلي ولا سمعي لاسيما في هذا المطلوب الاعظم لكنهم قد يكونون معتقدين لعقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ما تثبت وتنفي ما تنفي بناء على هذه الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أصلا ولكن يستفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر وبيان تناقضه ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا يردونها بان ذلك تجسيم كما فعل القاضي أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً مما يقول اليهود بأنه تجسيم وقد كان اليهود عند النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانوا أحياناً يذكرون له بعض الصفات كحديث الحبر وقد ذم الله اليهود على أشياء كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وغير ذلك ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم قط انهم يجسمون ولا ان في التوراة تجسيما ولا عابهم بذلك ولا رد هذه الاقوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من النفاة فبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهلها من جنس الذين قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقد بين في غير هذا الموضع فساد ماذكره الرازي من ان طريقة الوجوب والامكان من أعظم الطرق وبينا فساده وانها لاتفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلا على اثبات واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها وعليها اعتماد العقلاء قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بانه قد تأمل الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجوب والامكان لم يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المتكلمين الذين قسموا الوجود الى محدث وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن ليمكنه القول

بأن الفلك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغير سلفه وخالف نفسه فانه قد ذكر فى المنطق ما ذكره سلفه من أن الممكن لايكون الا محدثا كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضع

(ثم) ان هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم الى قول فرعون فان فرعون جحد الخالق وكذب موسى فى أن الله كلمه وهؤلاء ينتهى قولهم الى جحد الخالق وان أثبتوه قالوا انه لايتكلم ولا نادي أحداً ولا ناجاه وعمدتهم فى نفي ذاته على نفى الجسم وفي نفى كلامه وتكليمه لموسى على أنه لاتحله الحوادث فلا يبقى عندهم رب ولا مرسل فحقيقة قولهم تناقض شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان الرسول هو المبلغ لرسالة مرسله والرسالة هى كلامه الذى بعثه به فاذا لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الانبياء على أن الله يتكلم ومن لم يقل انه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاما يقوم بذاته لم يقل انه يتكلم والنفاة منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعنى أنه مخلوق بائن عنهم ومنهم من يقول هو صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لايتكلم بمشيئته وقدرته وكل طائفة مصيبة فى ابطال باطل الاخرى

والدليل يقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب يتكلم بمشيئته وقدرته فادلة من قال انه صفة فعل كلها انما تدل على أنه يتكلم بقدرته ومشيئته وهذا حق وأدلة من قال انه صفة ذات انما تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا حق وأما من أثبت أحدهما كن

قال ان كلامه مخلوق أوقال انه لايتكلم بمشيئته وقدرته فهؤلاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم ولا أثبتوا له كلاما وهـذا يقولون مالا يعقل هـذا يقول انه معنى واحـد قام بالذات وهـذا يقول حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بائن عنه

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم مافى قولهم من الفساد ولم يعرفوا غير هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عليه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أوبحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم أن الهدي في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ماجاء به الرسول وهو الموافق لصريح المعقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسيما والقلوب تطلب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قد رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عقائدهم وفيما صنفوه فى أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنفوا فى أصول الدين ماصنفوه ولما تكلموا في مسئلة القرآن وهـل هو مخلوق أو قديم أوهو الحروف والاصوات أو معـنى قائم بالذات نهوا عن هـذه الاقوال وقالوا الواجب أن يقال ماقاله المسلمون كلهـم ان القرآن كلام الله ويمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك ولهم رغبة فى العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول المعتزلة والكلابية والسالمية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من الفساد مايوجب الامتناع من قبوله ولم يعلموا قولا غير هذه فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب ذلك أنهم واقفوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على امكانها بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون جسما بهذه الطريقة وذلك نفى عنه أنه جسم بتلك الطريقة وحذاق النظار الذين كانوا أخبر بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالا بها وبغيرها قد عرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله سبحانه يجزي الانسان بجنس عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف الرسل عوقب بمثل ذنبه فان كان قد قدح فيهم ونسب مايقولونه الى أنه جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلى في عقله وعلمه وظهر من جهله ماعوقب به ومن قال عنهم انهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال انهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى انه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون اهلاكه بالقتل وصار يصفه بالعيوب كقوله وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد

وقال أم أنا خير من هـذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين أهلك الله فرعون وأظهر كذبه وافتراءه على الله وعلى رسله وأذله غاية الاذلال وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو كما سماه رسول الله صلي الله عليه وسلم أبو جهل أهلك به نفسه وأتباعه فى الدنيا والآخرة

(والذين) قالوا عن الرسول انه أبتر وقصدوا أنه يموت فينقطع ذكره عوقبوا بانبتارهم كما قال تعالى ان شانئك هو الابتر فلا يوجد من شنأ الرسول الا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر ابن عيش ان بالمسجد قوما يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من جلس للناس جلس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكرهم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا فرعون فى جحده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى تكليما كما قال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكان فرعون جاحداً للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى فاوقد لي ياهامان على الطين فاجعل

لي صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الي النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هـذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلي الله عليه وسلم لما عرج به الي ربه وفرض عليه الصلوات الخمس ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك فسله التخفيف الى أمتك كما تواتر هذا في أحاديث المعراج فموسي صدق محمدا فى أن ربه فوق وفرعون كذب موسى فى ان ربه فوق فالمقرون بذلك متبعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون

وهذه الحجة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهى مما اعتمد عليه أبو الحسن الاشعرى في كتابه فى الابانه وذكر عدة أدلة عقلية وسمعية على ان الله فوق العالم وقال في أوله

فان قال قائل قـد أنكرتم قول الجهـمية والقدرية والخوارج والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون

قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنـا وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وبما كان يقول به أبو عبـد الله أحمد بن محمـد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون فانه الامام الكامل والرئيس الفاضـل الذي أبان الله به الحق وأوضح به

المناهج وقع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمه الله من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذكر جملة الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤية ومسئلة القرآن ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لايعتمدون في ذلك علي ماجاء به الرسول اذ كان ماجاء به الرسول انما يتضمن الاثبات لا النفي لكن يعتمدون فى ذلك على مايظنونه أدلة عقلية ويعارضون بذلك ماجاء به الرسول وحقيقة قولهم ان الرسول لم يذكر في ذلك مايرجع اليه لامن سمع ولا عقل فلم يخبر بذلك خبرا يبين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب فى ذلك على زعمهم بخلاف غير هذا فانهم معترفون بان الرسول ذكر فى القرآن أدلة عقلية علي ثبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون أيضا انه أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ماذكروه من النفي لم يذكره الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الاثبات وليس هو فى نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض فلما نسبوا ماجاء به الرسول الي أنه ليس فيه لادليل سمعي ولا عقلي لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عاقبهم الله بجنس ذنوبهم فكان مايقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجده من الشبهات الشيطانية من جنس شبهات أهل السفسطة والالحاد الذين يقدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع فخلافهم له ظاهر لكل أحد وانما يظن من يعظمهم ويتبعهم انهم أحكموا العقليات فاذا حقق الامر وجدهم كما قال أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وكما قال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قولهم ان القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب دليل سمعى ولا عقلي سلبهم الله في هذا الباب معرفة الادلة السمعية والعقلية حتي كانوا من أضل البرية مع دعواهم انهم أعلم من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون انهم أعلم من النبيين وهذا ميراث من فرعون وحزبه اللعين

وقد قيل ان أول من عرف انه أظهر في الاسلام التعطيل الذى تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله القسرى وقال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم انى مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء المسلمين مافعله كالحسن البصرى وغيره وهذا الجعد اليه ينسب مروان ابن محمد الجعدى آخر خلفاء بنى أمية وكان شؤمه عاد عليه حتي زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا يتظاهرون به الرفض فكانوا خيارهم وأقربهم الى الاسلام الرافضة وظهر بسببهم الرفض والالحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بني حمدان الغالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بني بويه في المشرق وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك اشتغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمى حينئذ بامير المؤمنين الاموى الذى كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول لا يكون للمسلمين خليفتان فلما ولى المقتدر قال هذا صبي لا تصح ولايته فسمى بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القداح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم بخلاف الاموى والعباسى فان كلاهما نسبه صحيح وهم مسلمون كامثالهم من خلفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الاعداء فخرجت الروم النصارى الى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هـذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام باسوء حال بين الكفار النصاري والمنافقين الملاحدة الى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الاسلام والطهارة والجهاد لاعـدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فانجـدهم وجرت فصول كثيرة الي أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسـف بن سادي وخطب بها لبني العباس فمن حينئـذ ظهر الاسلام بمصر بعد ان مكثت بايدى المنافقين المرتدين عن دين الاسلام مائة سنة

فكان الايمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ماجاء به سبب لشر الدنيا والآخرة

فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبـدع سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ماأقاموه من الاسـلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار تحقيقا لقوله يأيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لمـا كان أهل المشرق قائمين بالاسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والالحاد والفجور سلط عليهم الكفار قال تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم باموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشايخ يقول هولاكو ملك الترك التتار الذى قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو للمسلمين بمنزلة بخت نصر لبني اسرائيل

وكان من أسباب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الالحاد والنفاق والبدع حتى انه صنف الرازى كتابا فى عبادة الكواكب والاصنام وعمل السحر سماه السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم ويقال انه صنفه لام لسلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه وكان من أعظم ملوك الارض وكان للرازى به اتصال قوى حتى انه وصى اليه على أولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة العلائية فى الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستخارة التى علمها النبى

صلي الله عليه وسلم المسلمين كما قال جابر فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خير لى في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به (وأهل النجوم) لهم اختيارات اذا أراد أحدهم أن يفعل فعلا أخذ طالعا سعيدا فعمل فيه ذلك العمل لينجح بزعمهم وقد صنف الناس كتباً في الرد عليهم وذكروا كثرة مايقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به ويأمرون به وكم يخبرون من خبر فيكون كذبا وكم يأمرون باختيار فيكون شرا والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك كما ذكر فى السر المكتوم فى عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم والتقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفسوق والعصيان فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله ورسوله وهذا فى نفس الامر يقرب الى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك ويقولون لهم ان الكوكب نفسه يحب ذلك والا

فالكواكب مسخرات بأمر الله مطيعة لله لاتأمر بشرك ولا غيره من المعاصي ولكن الشياطين هى التى تأمر بذلك ويسمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هى شياطين فلما ظهر بأرض المشرق لسبب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه ماظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكفار فأبادوا هذا الملك وجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويعلم تحقيق ماأخبر الله به في كتابه حيث يقول سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أى ان القرآن حق وقال سأريكم آياتي فلاتستعجلون وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن دولة بنى أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل وغيره من الاسباب التى أوجبت ادبارها وفى آخر دولتهم (ظهر الجهم بن صفوان) بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاة الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المسلمين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبدالله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام فى الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوى أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وتلقى عن هؤلاء ماتلقاه

ثم لما ولى الخلافة اجتمع بكثير من هؤء ودعا الى قولهم فى آخر عمره

وكتب الى بغداد وهو (بالثغر بطرسوس) التي ببلدسيس وكانت اذ ذاك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهـل الدين من كل ناحية ويرابطون بها رابط بها الامام أحمد رضي الله عنه والسري السقطي وغيرهما وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاءها أيضا صالح بن أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كتب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما

فكتب من الثغر الى نائبه ببغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب كتابا يدعو الناس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم كتب كتابا ثانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وارساله اليه فأجاب أكثرهم ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد القيد وبقي اثنان لم يجيبا الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوهما اليه فمات قبل أن يصلا اليه ثم أوصى الى أخيه أبي اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي أحمد في الحبس الى سنة عشرين فجري ماجرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب النفاة الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعوه العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتكوا الاسرى يمتحنون الاسير فان أجابهم افتدوه والالم يفتدوه

وكتب قاضيهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير

ثم ولي الواثق واشتد الامر الى أن ولي المتوكل فرفع المحنة وظهرت حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان أئمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية ينوه حتى قال عبدالله بن المبارك انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشيطان دعا الناس جهرة * الى النار واشتق اسمه من جهنم

وقيل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه قيل له بحد قال بحد وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من أئمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل جلاله ويقول ما علمت لكم من اله غيري ويقول لموسى لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين ويقول أنا ربكم الاعلى وكان ينكر أن يكون الله كلم موسى أولا يكون لموسى اله فوق السموات ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية المعطلة النفاة يؤول الي قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب العالمين وانكار عبادته وانكار كلامه حتي ظهروا بدعوي التحقيق والتوحيد والعرفان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والموجود القديم الازلى الخالق هو الموجود المحدث المخلوق والرب هو العبد ماثم رب وعبد وخالق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يعيبون على الانبياء وينقصونهم يعيبون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرهما ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضون بأن تعبد الاصنام حتى يقولوا ان عباد الاصنام لم يعبدوا الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فجحدوا الرب وأبطلوا دينه وأمره ونهيه وما أرسل به رسله وتكليمه لموسى وغيره

وقد ضل في هذا جماعه ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القونوى تلميذ ابن عربي والبلياني والتلمساني وهو من حذاقهم علماً ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل فيشرب الخمر ويأتي المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي وكان يظنه من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه ورآه يخالف القرآن قال فقلت له هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في كلامنا وكان يقول ثبت عندنا في الكشف مايخالف صريح المعقول

وحدثني من كان معه ومع آخر اظير له فرا على كلب أجرب ميت بالطريق عند دار الطعم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان يخالف أحداً فينافقه فلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب العلو في الارض والظلم دعاه الى الجحود والانكار كما قال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه ينافقون المسلمين فلا يمكنهم

اظهار جحود الصانع ومن وجه هم ضلال يحسبون أنهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الالحاد والجحود ويوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاما أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسي يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعاني الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذاكرني بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاسد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثني بهذا فقلت له ماظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع اقرار الخصم ميحتاج الى بينة قال عبد السيد فقلت له لا أدع موسى وأذهب الى فرعون فقال ولم قلت لان موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكوني فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم نفعتك اليهودية يهودي خير من فرعوني

وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيماهم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمداً رسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لايفهمون حقيقة قولهم بل يحسبون أنه تحقيق ماجاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله فيحسبون هؤلاء من جنس أولئك من جنس الفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني والسرى السقطى والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله وأمثال هؤلاء

وأما عرافهم الذين يعلمون حقيقة قولهم فيعلمون أنه ليس الأمر كذلك ويقولون مايقول ابن عربي ونحوه ان الاولياء أفضل من الانبياء وان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وان جميع الانبياء يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الاولياء وأنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يأتى خاتم الانبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون أقوال الفلسفة والجهمية فى قالب الكشف وعند المتفلسفة أن جبريل انما هو خيال فى نفس النبي ليس هو ملكا يأتى من السماء والنبي عندهم يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الاولياء في زعمهم فانه يأخذ من العقل المجرد الذى يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ماقاله صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت وان جاز في العرف الناموسى لذلك قال أنا ربكم الاعلى أى وان كان الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له بذلك وقالوا له اقض ماأنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا قال فصح قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق

وحدثنى الثقة الذى كان منهم ثم رجع عنهم ان أبغض الناس اليهم

محمد بن عبد الله صلي الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجعلوه كسائر المظاهر وأنتم تعظمون المظاهر كلها أو اسكتوا عنه قال فقالوا لى محمد نبغضه فانه أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا فى مذهبهم الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم يصرحون باللعنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا فهم اذا سمعوا نهيق الحما ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون سجودهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جليل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من هؤلاء الذين يسبون الانبياء وقد صنف كتابا سماه فك الازرار عن أعناق الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم قد غلبتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لى قصة تعجبت منها مع شيخ منكم فانى تجليت له فقلت أنا الله لا اله الا أنا فسجد لى فتعجبت كيف سجد لى قال هذا الشيخ فقلت له ذاك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم تعرف قصده مارأى فى الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحد لايميز بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذاك الذى سجد لابليس لايميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من الموجودات جملة أفضلهم وأعلمهم

ولهذا عاب ابن عربى نوحا أول رسول بعث الى أهل الارض وهو الذى جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ماعبدوا الا الله وان خطاياهم خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادته ينتقص الانبياء و يمدح الكفاركما ذكر مثل ذلك فى قصة نوح وابراهيم وموسى وهرون وغيرهم ومدح عباد العجل وتنقص هرون وافترى على موسى فقال وكان موسى أعلم بالامر من هرون لانه علم ماعبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى أن لايعبد الا اياه وما قضى الله بشئ الا وقع فكان عتب موسى أخاه هرون لما وقع الامر فى انكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق فى كل شئ بل يراه عين كل شئ فذكر عن موسى انه عتب على هرون أنه أنكر عليهم عبادة العجل وانه لم يسع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شئ بل يراه عين كل شئ

وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهرون وعلى الله وعلى عباد العجل فان الله أخبر عن موسى أنه أنكر العجل انكاراً أعظم من انكار هرون وانه أخذ بلحية هرون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفة

قال تعالى وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الي قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ماأخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لايرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتي يرجع الينا موسى قال ياهارون مامنعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولى

قلت لبعض هؤلاء هذا الكلام الذى ذكره هذا عن موسى وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه قلت فاختر لنفسك اما القرآن واما كلام ابن عربى وكذلك قال عن نوح قال لو أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أي ذكر لهم فدعاهم جهارا ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو لانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الي الله فهذا عين المكر على بصيرة فنبه أن الامر كله لله فاجابوه مكرا كما دعاهم فجاء المحمدى وعلم أن الدعوة الى الله ماهى من حيث هويته وانما هى من حيث

أسماؤه فقال يوم نحشر المتقين الي الرحمن وفدا فجاء بحرف الغاية وقرنها بالاسم فعرفنا ان العالم كان تحت حيطة اسم الهي أوجب عليهم أن يكونوا متقين فقالوا فى مكرهم لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ماتركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله كما قال فى المحمديين وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أى حكم فالعارف يعرف من عبد وفى أى صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالاعضاء في الصورة المحسوسة وكالقوي المعنوية في الصورة الروحانية فما عبدغير الله فى كل معبود

وهو مما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال فى هذه القصة مما خطاياهم فهى التى خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهى الحيرة فادخلوا نارا في عين الماء في المحمديين واذا البحار سجرت سجرت التنور أوقدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه الي الابد وقوله وقضى ربك أن لاتعبدوا الا اياه بمعنى أمر وأوجب وفرض وفي القراءة الاخري ووصى ربك أن لاتعبدوا الا اياه فجعل معناه انه قدر وشاء أن لاتعبدوا الا اياه وما قدره فهو كائن فجعل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ماعبد غير الله قط وهذا من أظهر الفرية على الله وعلى كتابه وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله فى غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر أن لاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون وقال تعالى وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتوا علي قوم يعكفون علي أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ قال لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ياأبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا وأعتزلكم وماتدعون من دون الله وأدعو ربى عسى أن لاأكون بدعاء ربى شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا

فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهؤلاء

الملحدون يقولون ماعبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هى لكل مفتر الي يوم القيامة أن يذله الله

والجهمية النفاة كلهم مفترون كما قال الامام أحمد بن حنبل انما يقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله فان القائلين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد وهو ان الخالق اتحد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئآن متباينان ثم اتحد أحدهما بالآخر كما يقوله النصارى من اتحاد اللاهوت مع الناسوت وهذا انما يقال في شئ معين وهؤلاء عندهم ماثم وجود لغيره حتى يتحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون ماثم غير ولا سوى ويقول السبعينية ليس الا الله بدل قول المسلمين لااله الا الله ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لايرون هذا فاذا كان ماثم غير ولا سوى فمن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب وعما حجب فقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا بمحجوبين وأمرا انكشف لهؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم منم اثنان ولاوجودان كما حدثني الثقة أنه قال للتلمساني فعلى قولكم لافرق بين امرأة الرجل وأمه وبنته قال نعم الجميع عندنا سواء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فقيل لهم فمن المخاطب المحجوبين أهوهم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم ماثم غير وهؤلاء اشتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أى يعني واحد كلي وهذا الكلي لايكون كليا الا في الذهن لافي الخارج فظنوا هذا الكلي ثابتا فى الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلى مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلى فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه فحيوانية الحيوان وانسانية الانسان سواء قدرت معينة أو مطلقة هي صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن الاعيان على رأى من أثبت المثل الافلاطونية فتثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات ويدعى انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذى جعله مجردا هو مجرد فى الذهن وليس في الخارج كلى مجرد واذا قدر ثبوت كلي مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحدثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لايكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال فلا يوصف بأنه حي عليم قدير اذ ليس وصفه بذلك باولى من

وصفه بانه عاجز جاهل ميت والخالق لابد أن يكون حيا عاما قديرا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الاعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق ولا يمكن جحد وجود الاعيان المعينة ولكن الواحد من هؤلاء قد تغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه فيظن ان مالم يشهده قد عدم في نفسه وفنى وليس كذلك فان ماعدم وفني شهوده له وعلمه به ونظره اليه فالمعدوم الفانى صفة هذا الشخص والا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس علما بالمعدوم وعدم المشهود ليس شهودا للعدم ولكن هذه الحال يعتري كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لاانها فى نفسها فنيت ومن قال فنى مالم يكن و بقى مالم يزل فالتحقيق اذا كان صادقا انه فنى شهوده لمالم يكن وبقي شهوده لمالم يزل لاان مالم يكن فني فى نفسه فانه باق موجود ولكن يتوهمون اذا لم يشهدوه انه قد عدم في نفسه

ومن هنا دخلت طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله ويستغرق فى ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقلبه الا الله ويفنى ذكره وشهوده لما سواه فيتوهم أن الاشياء قد فنيت وان نفسه فنيت حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود هو الله

ومن هذا الباب غلط أبي يزيد ونحوه حيث قال مافي الجبة الا الله
وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالفناء عن ثلاثة أمور
* أحدها أنه يغني بعبادة الله عن عبادة ماسواه وبمحبته وطاعته وخشيته
ورجائه والتوكل عليه عن محبة ماسواه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل
عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب
وهو تحقيق شهادة أن لااله الا الله فقد فني من قلبه التأله لغير الله و بقي
في قلبه تأله الله وحده وفني من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل
على غير الله وبقي في قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهـذا
الفناء يجامع البقاء فيخلى القلب عن عبادة غير الله مع تحلي القلب بعبادة
الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم لرجل قل أسلمت لله وتخليت وهو
تحقيق شهادة أن لااله الا الله بالنفي مع الاثبات نفي الهية غيره مع اثبات
الهيته وحده فانه ليس في الوجود اله الا الله ليس فيـه معبود يستحق
العبادة الا الله فيجب أن يكون هذا ثابتا في القلب فلا يكون في القلب من
يألهه القلب ويعبده الا الله وحده ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ويثبت
فيه تأله الله وحـده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله
مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالي عن
الخليل عليه السلام واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء ممـا تعبدون
الا الذى فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون
وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدولي
الا رب العالمين

وقال تعالي قدكانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض ماخاطبته من شيوخ هؤلاء قول الخليل انني براء مما تعبدون ممن تبرأ الخليل اتبرأ من الله تعالى وعندكم ماعبد غير الله قط والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجوالله واليوم الآخر قال تعالي قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الاقول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو اللهواليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقدقال صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد * ألاكل شيء ماخلاالله باطل * وهذا تصديق قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن مايدعون من دونه هوالباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الاوجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ماأريد به وجهه وقدقال سبحانه ولايصدنك عن آيات الله بعد اذأنزلت اليك

وادع الى ربك ولاتكونن من المشركين ولاتدع مع الله الها آخر والاله هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولايستحق أن يؤله ويعبد الاالله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والحمال بمعنى المركوب والمحمول وكان الصحابة يرتجزون في حفر الخندق يقولون

هذا الحمال لاحمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذى يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى لابراهيم انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين فعهده بالامامة لاينال الظالم فالظالم لايجوز أن يؤتم به فى ظلمه ولايركن اليه كما قال تعالى ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمن ائتم بمن لايصلح للامامة فقد ظلم نفسه فكيف بمن جعل مع الله الها آخر وعبد من لايصلح للعبادة والله تعالي لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقد غلط) طائفة من أهل الكلام فظنوا ان الاله بمعنى الفاعل وجعلوا الألهية هي القدرة والربوبية فالاله هو القادر وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون * فالذين يقولون بوحدة الوجود متنازعون في أمور لكن امامهم ابن عربي يقول الاعيان ثابتة في العدم ووجود الحق فاض عليها فلهذا قال فنحن جعلناه بمألوهيتنا الها فزعم ان المخلوقات جعلت الرب الها لها حيث كانوا مألوهين ومعني مألوهين عنده مربوبين وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة في العدم وفى كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يحصى فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شئ والمعدوم ليس بشئ في الخارج ولكن الله يعلم مايكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره ويخبر به فيكون شيئا في العلم والذكر والكتاب لافي الخارج كما قال انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو الذي خلق خلق الانسان من علق وهو الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ولو قدر أن الاله ؛ في الرب فهو لذي جعل الرب مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله ربا بل ربوبيته صفة وهو الذي خلق المربوب وجعله مربوبا وهو اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبغ ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شئ وقال تعالى أفغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى فلا تجعل مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقال تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين فالمحبوب ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذه الها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لاينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يقضى وغير الله لا يصلح أن يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من سوى الله اما انه لا يسمع دعاء الداعى أو يسمع ولكن لا يستجيب له فان غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك فى شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل قد يكون له شفاعة اذ كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

(فصل) وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم للفلاسفة وتلقيهم عنهم فان أولئك القوم من أبعد الناس عن الاستدلال بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدى بين الادلة العقلية ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بعقولهم وهؤلاء المتفلسفة يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلالته وانما خاطب خطابا جمهوريا ليصلح به العامة فيعتقدوا في الرب والمعاد اعتقادا ينفعهم وان كان كذبا

وباطلا وحقيقـة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما تخـبر به لكن كذبا للمصلحة فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن أخبارهم مطابقة للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ماأخـبروا به والمتكلمون الذين يقولون أنهم لايخبرون الا بصـدق ولكن يسلكون فى العقليات غير طريقهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على لادلة العقلية فكيف بهؤلاء الملاحدة المفترين ولهذا لايعتنون بالقرآن ولاتفسـيره ولابالحـديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شـيأ فلاجل تعلق الجمهور به ليعيشوا بينهم بذكره لا لاعتقادهم موجبه في الباطن وهذا بخلاف طوائف المتكلمين فانهم يعظمون القرآن في الجملة وتفسيره مع مافيهم من البدع * ولهذا لمـا استولى التتار على بغداد وكان الطوسى منجما لهولاكو استولى على كتب الناس الوقف والملك . فكان كتب الاسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هى الكتب المعظمة وكان بعض من أعرفه قارئا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية سحرية حتى يستخدم الجن وكان بعض الشياطين التى اليـه ان هؤلاء يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يافلان عن قليل يرى هـذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيـه المنطق والطبيعى والرياضى والالهى ثم يرضيه فيقول والعربية أيضا والعربية انمـا احتاج المسلمون اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا أعرض عن الاصل كان أهل العربية بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع فى الاسلام بعد مقتل سيدنا عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق علي ومعاوية علي التحكيم أنكرت الخوارج ، قالوا لاحكم الا لله وفارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس واستحلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كلنا قتله فقاتلهم علي وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لايرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبي أن يكون ظالما فلم ينفذوا لحكم النبي ولا لحكم الائمة بعده بل قالوا ان عثمان وعليا ومن والاهما قد حكموا بغير ماأنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبنى على مقدمتين باطلتين احداهما ان هذا يخالف القرآن والثانية ان من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئا أو مذنبا معتقدا للوجوب والتحريم

وبازائهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل شئ وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ماجاءت به الرسل فلا يعرجون لاعلى القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوما وانتهى الامر الى الائتمام بامام معدوم لاحقيقة له فكانوا أضل من الخوارج فان أولئك يرجعون الي القرآن وهو حق وان غلطوا فيه وهؤلاء لايرجعون

الى شئ بل الى معدوم لاحقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم. ولهذا كانوا أكذب الطوائف والخوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث الشيعة من أكذب الحديث ولكن الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم والشيعة تختار هذا لكنهم عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لا لقتل الا تحت راية امام معصوم والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة والباطنية وغيرهم ولهذا وصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا فى البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم كانوا يستترون بالتشيع أوصوا بان يدخل على المسلمين من باب التشيع فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا فى مواضع

والمقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله فحض على كتاب الله ثم قال وعترتى أهل بيتى أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون اليهم فانتحلت الخوارج كتاب الله وانتحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير متبع لما انتحله فان الخوارج خالفوا السنة التى أمر القرآن باتباعها وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم ولهذا تأول سعد بن أبى وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد

الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وساروا يتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ فى العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل البيت فكثيرة جدا قد بسطت فى مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية فكانت الخوارج تتكلم فى حكم الله الشرعي أمره ونهيه ومايتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهى مسائل الاسماء والاحكام وسموا محكمة لخوضهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لا حكم الا لله قالوا هو محكم أى خائض في حكم الله فخاض أولئك فى شرع الله بالباطل وأما القدرية فخاضوا فى قدره بالباطل وأصل ضلالهم ظنهم ان القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يعظمون الشرع والامر والنهي والوعد والوعيد واتباع مايحبه الله ويرضاه وهجر مايبغضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لايمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الخوارج ماأمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ماأمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبين حزبا يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه أو ينفي بعضه وحزبا يغلب القدر فينفي الشرع فى الباطن أو ينفي حقيقته

ويقول لافرق بين ماأمر الله به وما نهى عنـه في نفس الامر الجميع سواء وكذلك أولياؤه واعداؤه وكذلك ماذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكنه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة يأمر بهذا وينهي عن مثله فجحدوا الفرق والفصل الذى بين التوحيد والشرك وبين الايمـان والكفر وبين الطاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجمع وأنكروا أن يكون الله علي كل شئ قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شيء عليما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شئ وأن يكون ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعالا لمـا يشاء وأثبتوا لغير الله الانفراد بالاحداث وشركاء خلقوا كخلقه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لايمكن الايمـان بأمره ونهيـه الا مع تعجيزه أو تجهيله وانه لايمكن أن يوصف بالاحسان والكرم انلم يجعل عاجزا والا لزم أن يكون بخيلا كما أن القـدرية المجبرة قالوا لايمكن أن يجعل عالما قادرا الا بتسفيهه وتجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيئته أوقدرته ومشيئته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس فى الاشراك بربوبيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لايفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لوشـاء الله ماأشركنا الآية وهؤلاء منتهى توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيـد الربوبية فاما توحيد الالهيـة المتضمن للامر والنهى ولكون الله يحب ماأمر به ويبغض مانهى عنـه فهـم ينكرونه ولهذا هم أكثر اتبـاعا لاهوائهـم وأكثر شركا

وتجويزا من المعتزلة ومنتهى متكلميهم وعبادهم تجويز عبادة الاصنام وان العارف لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما ذكر ذلك صاحب منازل السائرين وأما عبادة الاصنام فباح بها متأخروهم كالرازى صنف فيها مصنفا وابن عربى وابن سبعين وأمثالهما يصرحون بجواز عبادتها وبالانكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك فالقدرية أصلهم انه لايمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادراً لفعل عين مافعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا يثبت حكمته كما يثبت حكمه لان نفي ذلك يوجب السفه والظلم وهو منزه عنه بخلاف مالم يقدر عليه فانه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقال الجبرة بل قدرته ثابتة بلا حكمة ولا يجوز أن يفعل لحكمة لان ذلك انما يكون لمن يحتاج الى الفعل وهو منزه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم بل كل ماأمكن فعله فهو عدل وليس في الافعال ماهو حسن ينبغى الامر به وقبيح ينبغى النهى عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شئ وينهي عن كل شئ

ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكلية وأنكر النبوات مع أنه مضطر الى أن يأمر بشئ وينهي عن شئ فان هذا لازم لجميع الخلق لايجدون عنه محيصاً لكن من اتبع الانبياء يأمر بما ينفعه وينفع غيره وينهى عما يضره ويضر غيره ومن خالف الانبياء فلابد أن يأمر بما يضر وينهي عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان منهم مقراً بالنبوة فأنكر الشرع فى الباطن وقال العارف لايستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة فصار منافقاً يظهر خلاف مايبطن ويقول

الشرع لاجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سموا الملاحدة باطنية فان كلاهما يبطن خلاف مايظهر ببطون تعطيل ماجاء به الرسول من الامر والنهي

فنتهى الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما نافقون فيبطنون الشرك ولهذا يظنون بالله ظن السوء وأنه لاينصر محمداً وأتباعه كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم وساءت مصيراوهم يعتلون بقوله لايسئل عما يفعل و أنه يفعل مايشاء ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثر فى عبادهم وعلمائهم من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الاسلام اما باطناً وظاهراً واما باطناً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا يحتجون لمن هو معظم للرسل عما يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من الشرك والخروج عن الشريعةو والاة المشركين وأهل الكتاب والدخول في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتيهم شياطينهم بما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور وان الرسول أمر بقتال المسلمين مع الكفار لكون المسلمين قدعصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين برجال الغيب وان لهم خوارق يقتضى أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم ثلاثة أحزاب حزب يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس وثبت ذلك عمن عاينهم أو حدثه الثقاة بما رأوه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وحزب عرفوهم ورجعوا الى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً الي الله غير طريقة الانبياء وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا أولياء الله خارجا عن دائرة الرسول فقالوا يكون الرسول هو ممدا للطائفتين لهؤلاء وهؤلاء فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه والذين تبايهم يجوزون لاتباع دين غير دينه وطريق غير طريقه .

وكانت هذه الاقوال الثلاثة بدمشق لما فتحت عكا ثم تبين بعد ذلك ان هؤلاء من أتباع الشياطين وان رجال الغيب هم الجن وان الذين مع الكفار شياطين وان من وافقهم من الانس فهو من جنسهم شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً

وكان سبب الضلال عدم الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسعون بين المخلوقات فلا يفرقون بين المحبوب والمسخوط ثم أنه بعد ذلك جرت أمور يطول وصفها

ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخري فظهر أن اليونسية كانوا قد ارتدوا وصاروا كفاراً مع الكفار

وحضر عندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الاسلام وحدثني بفصول كثيرة فقلت له لما ذكر لي احتجاجهم بما جاءهم من أمر الرسول فهب ان المسلمين كاهل بغداد كانوا قد عصوا وكان في بغداد بضعة عشر ألف فالجيش الكفار المشركون الذين جاؤا كانوا شراً من

هؤلاء فان هؤلاء كن يزنين اختياراً فأخـذ أولئك المشركون عشرات ألوف من حرائر المسلمين وسراريهم بغير اختيارهم وردوهم عن الاسلام الي الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصـنام ودين النصارى وتعظيم الصليب حتى بقي المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع تضاعيف ماكان يفعل من المعاصي فهل يأمر محمد صلي الله عليه وسـلم بهذا ويرضى بهذا فتبـين له وقال لا والله وأخبرني عن ردة من ارتد من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكرههم على الردة في الباطن وتعذبهم ان لم يرتدوا

فقلت كان هذا لضعف ايمانهم وتوحيدهم وللمادة التي يشهدونهـا من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهـم على قلوب الموحدين وهذا وأمثاله ماكانوا يعتقدون أنهم شياطين بل انهم رجال من رجال الغيب الانس وكلهم الله بتصريف الامر

فبينت لهم ان رجال الغيب هم الجن كما قال تعالي وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ومن ظن أنهـم انس فمن جهله وغلطه فان الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون انما يحتجب الانسي أحيانا لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الانس بخلاف الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم وكان غير هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هو لاكو ملك المشركين لما دخل بغداد رأي ابن السكران شيخاً محلوق الرأس على صورة شيخ من مشايخ الدين والطريق آخذا بفرس هو لاكو قال

فلما رأيته أنكرت هذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين يقود فرس ملك المشركين لقتل المسلمين فقلت يا هذا أوكلة نحو هـذا فقال تأمر بأمر أوقال له هل يفعل هذا بأمر أوفعات هذا بأمر فقلت نعم بأمر فسكت ابن السكران وأقنعه هذا الجواب وكان هذا لقلة علمه بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن ما يؤمر به الشيوخ في قلوبهم هو من الله وان من قال حـدثني قلبي عن ربي فان الله هو يناجيه ومن قال أخـذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لايموت هو كذلك وهـذا أضل من ادعى الاستغناء عن الأنبياء وانه لايحتاج الي واسطتهم

وجواب هذا أن يقال له بأمر من تأمر فان قال بامر الله قيل بامر الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم بامر وقع في قلبـك فان قال بالاول ظهر كذبه فانه ليس فيما بأمر الله به رسوله أن يأتي بالكفار المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبيهم وأخذ أموالهم لاجل ذنوب فعلوها ويجعل الدار تعبد بها الاوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويقتل قراء القرآن وأهل العلم بالشرع ويعظم التجسية علماء المشركين وقساقسة النصارى وأمثال ذلك فان هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو من جنس مشركى العرب الذين قاتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من عصاة أمته وان كان فيهم منافقون كثيرون فالمنافقون يبطنون نفاقهم وان قال بأمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحماني ولم لايكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا وقد علمت أن مايقع في قلوب

المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان فان رجع الى توحيد الربوبيه وان الجميع بمشيئته قيل له فحينئذ يكون مايفعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالامر ولا ريب انه بالامر الكونى القدرى فجميع الخلق داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الامر لابامر الرسول فانما يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله فى الدنيا والآخرة وهو عابد لغير الله متبع لهواه وهو ممن قال الله فيه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وممن قال فيهم الشيطان فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لايأمر الله به كما لايأمر بالفحشاء فان هذا من أفحش الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل مايعظم قبحه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة فى الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ ببعلبك الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه خفير الفرنج النصارى راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه ويقول ياشيخ عثمان وكانت بحفظ خنازيرهم فيعذره عثمان وأتباعه في

ذلك ويرون ان الله أمره بهذا كما أمر الخضر أن يفعل مافعل كما عذر ابن السكران وأمثاله لخفراء المشركين التتار

والجواب لهذا كالجواب لذلك بقال له وكلك الله تعالى بهذا أنزل على لسان نبيه الذين أمرأن يوالى المسلمين وأن لايتخذاليهود والنصارى أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم فان قال هذا ظهر كذبه وان قال لى هو أمر ألقى فى قلبي لم يكذب وقيل له فهذا من أمر الشيطان لامن أمر الرحمن الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله ولكنه من الامر الذى كونه وقدره كشرك المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من يظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة الموكلة ببنى آدم المعقبات

فقال الشيخ كان من شيوخهم محمد أرسل الى الثقلين الانس والجن ولم يرسل الي الملائكة فكل انسى أو جني خرج عن الايمان به فهو عدو لله لاولى لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لايعاونون الكفار على المعاصى ولا على قتال المسلمين وانما يعاونهم على ذلك الشياطين ولكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان ذلك ليس بمعصية فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين

وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لامن جنس الملائكة وكان

هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدى نسبة الى شيطان كان يقربه يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من الانس من رجال الغيب

وحدثني الثقة عنه انه كان يقول الانبياء ضيعوا الطريق ولعمري لقد ضيعوا طريق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ الذين يحبون المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار و يظنون أنهم من أولياء الله اشتركوا هم وهم في أصل ضلالة وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهؤلاء وهؤلاء عشوا عن ذكر الرحمن الذى أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذى أوحاه الله الى نبيه الذى جعله الله نورا يهدى به من يشاء من عباده وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء و معجزاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجعلون الله يحب ما أمر به ويبغض مانهي عنه بل يجعلون كل ماقدره وقضاه فانه يحبه ويرضاه فبقي جميع الامور عندهم سواء وانما يتميز بنوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له اما اتباعا له واما موافقة له ومحبة واما ان يسلموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الايمان مايعرفون به المعروف وينكرون به المنكر فى هذا

للوضع

وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي رواية لمسلم من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وميت الاحياء الذين لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا وفي حديث حذيفة الذى في صحيح مسلم ان الفتنة تعرض على القلوب كعرض الصبر عودا عودا فايما قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء وأيما قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء حتى تبقى القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة مادامت السماء والارض وقلب أسود مرباد لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ماأشرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بآرائهم وذوقهم ووجدهم لا بالامر والنهى منتهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لاسيما اذا كانت حقيقتهم هى قول الجهمية الجبرية فرأوا أن جميع الكائنات اشتركت فى المشيئة ولم يميزبعضها عن بعض فان الله يحب هذا ويرضاه وهذا يبغضه ويسخطه فان الله يحب المعروف ويبغض المنكر فاذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سود فسود قلوبهم فيكون المعروف مايهوونه ويحبونه ويجدونه ويذوقونه ويكون المنكر مايهوون بغضه وتنفر عنه قلوبهم كالمشركين الذين كانوا عن

التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الاسد ولهذا يوصفون بانهم اذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ ابراهيم بن معضاد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونسية والاحمدية ياخنازير ياأبناء الخنازير ماأرى لله ورسوله عندكم رائحة بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفا منشرة كل منهم يريد أن يحدثه قلبه عن ربه فيأخذ عن الله بلا واسطة الرسول واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين للرسل ومنتهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا ان القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ماعندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الامر والنافية تنفي القدرة العامة والمشيئة التامة وتزعم انها تثبت

الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمة والعدل والمشيئة والقدرة كما قد بسط في مواضع وأولئك ينطلقون بقوله لا يسأل عما يفعل والله يفعل مايشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرته لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه ان يفعل مايشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضه اذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل مايشاء بخلاف المخلوق الذى يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفرلى ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فانّ الله لامكره له ولكن ليعزم المسئلة وذلك انه انما يقال افعل كذا ان شئت لمن قد يفعله مكرها فيفعل مالا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لامكره له فلا يفعل الا مايشاء فقوله تعالى ان الله يفعل مايشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على مايشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ كل ما كان بل لا يشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الآيات التى تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي يحتج بها النفاة التى تدل على أنه حكم عادل لا يظلم مثقال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك يدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه مايدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ما تحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذى نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يتمارون فى القدر وهــذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكانما فقئ فى وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم الى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد فى بعض مناظرته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهينا عن هذا

فمن دفع نصوصا يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حال أهل الاهواء هم مختلفون فى الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو مايجمع تلك الاقوال فصــار وا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ماأنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضــاء اذلم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الاما وافقو فيه الرسول وهو ماتمسكوا به من شرعه مما أخبر به وماأمر به * وأما ماابتدعوه فكله ضلالة كما قال صــلي الله عليه وســلم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البــدعة أعظم عندهم ممــا أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هى الاصول العقلية كالقدرية المجبرة

والنفاة فكلاهما يجمل ماأحدثوه من الكلام فى الاصول وهو الذى يسمونه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع فالمنزلة يجعلون العقليات هى الخبريات والامريات جميعا فالواجبات الشرعية لكن يقولون أيضا ان الشرع أوجبها ولكن لهم فيها تخليط ليس هذا موضعه

وكذلك ماابتدعوه فى الخبريات كاثبات حدوث العالم بطريقة الاعراض واستلزامها للاجسام وهم ينفون الصفات والقدر ويسمون ذلك التوحيد والعدل

وجهم بن صفوان وأتباعه هم أعظم نفيا منهم فانهم ينفون الاسماء مع الصفات وهم رؤس المجبرة والاشعرية وافقهم في الجبر لكن نازعوهم نزاعا لطيفا في اثبات الكسب والقدرة عليه وهم يرون أن هذه الاصول العقلية وهى العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه ومايجوز عليه من الافعال هى أعظم العلوم وأشرفها وانهم برزوا بها على الصحابة وان النبي لم يعلمها الصحابة امالكونه وكلها الى استنباط الامة واما لكون الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد واما لكونه قال لهم فى ذلك مالم يبلغوه ولم يشغلهم بالادلة لاشتغالهم بالجهاد

وهذه هى الاصول العقلية التى يعتمدون عليها هم ومن يوافقهم كالقاضى أبي يعلى وأبى المعالى وأبي الوليد الباجى تبعا للقاضى أبي بكر وأمثاله وهو وأتباعه يناقضون عبد الجبار وأمثاله كما ناقض الاشعرى وأمثاله أباعلى وأباالهاشم

وكل الاصول العقلية التى ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة فى العقل

والشرع وان كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها أعظم الدين ويقدمونها على الاصول الشرعية فانهم في ذلك بمنزلة مايعظمه العباد والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية ويفضلونها على العبادات الشرعية والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك كلها باطلة وان كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا نهاية الصوفي ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء المولة وكذلك صاحب منازل السائرين يذكر في كل باب ثلاث درجات فالاولى وهي أهونها عندهم توافق الشرع في الظاهر والثانية قد توافق الشرع وقد لاتوافق والثالثة في الاغلب تخالف لاسيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد يفضل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

(تمت الرسالة الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية)

(ويليها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الامام العالم تقي الدين أوحد المجتهدين أحمد بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق متأخراً

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله) فان هذا الاصل هو أصل أصول العلم والايمان وكل من كان أعظم اعتصاما بهذا الاصل كان أولى بالحق علماً وعملا ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملا كالقرامطة والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ماكانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية والكلية وانما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون خاصة النبوة هي التخييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور لاعند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل بشر بن فاتك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون التخييل في خطابه لافي علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لايمكن معرفته من كلامهم بل يعرف بطريق آخر اما المعقول عند طائفة واما المكاشفة عند طائفة اما قياس فلسفي واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يفوض واما أن يؤول وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل والكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق بين جمود الحنابلة وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة وهم الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا في نظير مافروا منه نسبوه الى التلبيس والتعمية واضلال الحق بل الى أن يظهر الباطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخييل وقال انه خطاب الجمهور بما يخيل اليهم مع علمه أن الحق في نفس الامر ليس كذلك فهؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم والايمان فمتفقون على أن الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع علمهم بأنهم أعلم الخلق بالحق فهم الصادقون المصدوقون علموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ماعملوا

من الخير والعدل فى العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصلحة الخلق كما يحكى عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لايفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافلكل منهما خوارق هى عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصلحة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لايكون لا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان أقل الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعاريض التي يعنى بها المتكلم معنى صحيحاً لكن لايفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أقل الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذبا فى الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن فى ذات الله وهى معاريض لقوله عن سارة أنها أختى اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهى (١)

وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما اخبروا به عن الغيب كذب من المعاريض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

---

(١) ذكر احدي الثلاث والثانية قوله انى سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا

دون التمريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم مايدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاعراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء فى غير هذا الموضع

وبين ان أصول الدين الحق الذى أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهى الادلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الي الادلة العقلية والبراهين اليقينية التى بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون أثبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالادلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالادلة العقلية وان كان لايحتاج اليها فان كثيراً من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الادلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقين السمعى والعقلي

وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الي الآيات والبراهين والادلة المبينة لاصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا

حزب يقدمون فى كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الي ماهو الاصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثانى عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لايرى في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمية فصنفوا كتباً قدموا فيها مايدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من القرآن والحديث وكلام السلف وذكرو أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون الآثار صحيحها بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لامن جهة دلالته فلا يذكرون مافيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سموا كتبهم أصول السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد استقر فلا يحتاج أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبوهم الى الجهل اذ لم يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك الى البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولا تخالف ماقاله الرسول والطائفتان يلحقهما الملام لكونهماأعرضتا عن الاصول التي بينها الله بكتابه فانها أصول الدين وأدلته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع بينهم العداوة كما قال الله تعالى فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

وحزب ثالث قد عرف تفريط هؤلاء وتعدي أولئك وبدعتهم فذمهم وذم طالب العلم الذكي الذي اشتاقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج عن التقليد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها ونحو ذلك مما يقتضي ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل لاتتبين دلالته على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التي ذكرها الله في القرآن التي تبين أن ما جاء به الرسول حق ويخرج الذكي بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة والجهل فهؤلاء أضل بفرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات الله التي بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله المخلوقة قال الله تعالي وكم من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال تعالى وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر الآية وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر

والمقصود ان هؤلاء الغالطين الذين أعرضوا عما فى القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لايذكرون النظر والدليل والعلم الذى جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك والمتكلمون يعترفون بأن فى القرآن من الادلة العقلية الدالة على أصول الدين مافيه لكنهم يسلكون طرقا أخر كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غالط

والمتفلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الاقناعية التى تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقينى وهم أبعد عن البرهان فى الالهيات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية فى الالهيات والكليات ولكن للمتفلسفة فى الطبيعيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الالهيات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلمهم فيها قليل كثير الخطأ فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات البينات وهى الدلائل اليقينيات وقد قال الله تعالى لرسوله أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن والمتفلسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية فى البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت فى غير هذا الموضع بل الحكمة هى معرفة الحق والعمل به فالقلوب

التي طافهم وقصد تدعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به
وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب من الباطل والوعظ أمر ونهي بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو أنهم فعلوا مايوعظون به وقال تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا فالدعوة بهذين الطريقين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بالتي هي أحسن والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل و يستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لايمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وقوله أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد وقوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون وقوله وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة مافي الصحف الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقوله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يسلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لايحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدليل على صحتها كقوله وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ماأنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب ومع من ينكرها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ يبدونه كابن كثير وأبي عمرو وجعلوا قوله وعلمتم مالم تعلموا احتجاجا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ماقد بين بعضه في غير موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله علمتم مالم تعلموا بيان لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء مالم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الانبياء ومالم يعرفوه

وقد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار انها من الله وابتلعت عصاه الحبال والعصي التي أتى بها

السحرة بعد ان جاؤا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشدعذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا من البينات من الدلائل البينات اليقينية القطعية وعلى الذى فطرنا وهو خالقنا وربنا الذى لابد لنامنه لن نؤثرك على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية فاقض ماأنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة موضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس فى هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبيّ الرحمة ونبيّ التوبة ونبيّ الملحمة فى كل اسم دلالة على معنى ليس فى لاسم الآخر وان كانت لذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن اذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الاسماء المفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الأخر

وليس في القرآن تكرار أصلا وأماماذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلولم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض وأن يلقيها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب في قوله مثاني لما قيل لم ثنيت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هي التنويع والتجنيس وهي استيفاء الاقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الاقسام والامثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ماأحدثه المبتدعون والملحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفي عليلا

ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى واقرأ في النفي ليس كمثله شئ ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتي

والخير والسعادة والكمال والصلاح منحصر فى نوعين في العلم النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى ودين الحق كما قال هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الايدى والابصار فذكر النوعين قال الوالبي عن ابن عباس يقول أولو القوة فى العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن سعيد بن جبير وعطاء الخراسانى والحسن والضحاك والسدى وقتادة وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه في الدين وقال مجاهد الابصار الصواب فى الحكم وعن سعيد بن جبير قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراسانى أولى الأيدى والابصار قال أولو القوة فى العبادة والبصر والعلم بامر الله وعن مجاهد وروى عن قتادة قال أعطوا قوة فى العبادة وبصرا في الدين

وجميع حكماء الامم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل الصالح هو عبادة الله وحده لاشريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فالعلم النافع هو الايمان والعمل الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل بأمر الله هذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثانى أن يشرك بالله مالم ينزل به سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تفضل هذين النوعين لكن الذى جاء به الرسول هو أفضل مافيهما كما قال ان هذا القرآن يهدى للتي هى أقوم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ فى ركعتي الفجر تارة سورة الاخلاص وقل ياأيها الكافرون ففى قل ياأيها الكافرون عبادة الله وحده وهو دين الاسلام وفي قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولى وذلك هو التوحيد العلمي

وكان تارة يقرأ فيهما في الاولى بقوله فى البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفى الثانية قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون

قال أبو العالية فى قوله فلنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجبت المرسلين

فالاول تحقيق شهادة أن لااله الا الله والثاني تحقيق الشهادة بان محمدا رسول الله

والصوفية بنوا أمرهم على الارادة ولا بد منها لكن بشرط أن تكون ارادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولابد منه لكن بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الادلة التى دل بها الرسول. هى آيات الله ولابد من هذا وهذا

ومن طلب علما بلا ارادة أو ارادة بلا علم فهو ضال ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال بل كمن قال من السلف الدين والايمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الاعمال الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد يتكلمون فى قصد الانسان وارادته وأهل النظر والكلام وأهل العقائد من اهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والمعرفة والتصديق الذى هو أصل الارادة ويقولون العبادة لابد فيها من القصد والقصد لايصح الا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلابد من معرفة المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباههم لهم عبادات وزهادات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وانما القصد والارادة النافعة هو ارادة عبادة الله وحده وهو انما يعبد بما شرع لا بالبدع

وعلى هذين الاصلين يدور دين الاسلام على أن يعبد الله وحده وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن يعرف ماأخبر به الرسول ويعرف ان ماأخبر به حق اما لعلمنا بانه لايقول الا حقا وهذا تصديق عام واما لعلمنا بان ذلك الخبر حق بما أظهر الله من آيات صدقه فانه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ان القرآن حق

(فصل) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقه فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شيء مماأمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه الا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفتري ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وماأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه أنه ماأنزل عليه الكتاب الا ليبين لهم الذى اختلفوا فيه كما بين انه أنزل جنس الكتاب مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب وقال تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون

فقد بين للمسلمين جميع مايتقونه كما قال وقد فصل لكم ماحرم

عليكم الا مااضطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله أو الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل نكرة في سياق الشرط فاى شئ تنازعوا فيه ردوه الى الله والرسول ولولم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنزاع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمته الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وامر ازواج نبيه بذكر ذلك فقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فآيات الله هى القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على انه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كمالك وغيره هى معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهى تتضمن التمييز بين المأمور والمحظور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه فى الكتب التى يذكر فيها هذه الآثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد فيما يصنفونه في السنة مثل ابن بطة واللالكائى والطلمنكى وقبلهم المصنفون في السنة كأصحاب احمد مثل عبدالله والاثرم وحرب

الكرماني وغيرهم ومثل الخلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الامة فهو في نفسه حق لاتجتمع الامة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفه ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهى الامثال المضروبة ماينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق النص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما أنزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الامة فهو حق لاتجتمع الامة ولله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك في الكتاب والسنة فقال تعالي كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك في قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين فى قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الامة في الدين بما هو ضلال لكانت لم تأمر بالمعروف فى ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الخيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بجنازة فأثنوا عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يارسول الله ماقولك وجبت وجبت قال هذه الجنازة أثنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أثنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أنتم شهداء الله في الارض

فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان الله أمر بشئ فقد أمر به واذا شهدوا أن الله نهي عن شئ فقد نهي عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله فى الارض بل زكاهم الله فى شهادتهم كما زكى الانبياء فيما يبلغون عنه أنهم لايقولون عليه الا الحق وكذلك الامة لاتشهد على الله الا بحق وقال تعالى واتبع سبيل من أناب الى والامة منيبة الى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فرضى عمن اتبع السابقين الي يوم القيامة فدل على أن متابعهم عامل بما يرضى الله والله لايرضى الا بالحق لا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولي ونصله جهنم وساءت مصيرا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلي الله عليه وسلم وولاة الامر من بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله ومعونة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله تعالى ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا

والشافعي رضي الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى مستحق للوعيد ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرده فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل فى ذلك لكان لافائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثة أقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين هو بمجرد مخالفة الرسول المذكورة فى الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع غير سبيل المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآية لكن هذا لايقتضى مفارقة الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو فى نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل المؤمنين وهذا كما فى طاعة الله والرسول فان طاعة الله واجبة وطاعة الرسول واجبة وكل واحد من معصية الله ومعصية الرسول موجب للذم وهما متلازمان فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله

ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى أميري فقد عصاني وقال انما الطاعة في المعروف يعني اذا أمر أميري بالمعروف فطاعته من طاعتي وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول يصدق الآخر ويقول انه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب رسولا فقد كذب الذي صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به

فى ذلك الوقت لطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لايتبع الا ديناً مبدلا أو منسوخا فكل ماخالف ماجاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد واما أن لايكون شرع قط فهذا كالاديان التى شرعها الشياطين على ألسنة أوليائهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول موافقاً لقول الرسول أولا يكون واما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما أن لايكون فهذا الثالث المبدل كاديان المشركين والمجوس وماكان شرعا لغيره وهو لايوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكليتين فان اتخاذ السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات

قد كان شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما في شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله فى القرآن كالسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر الله ذلك عنهم في سورة الانعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على الله وذكر تعالى ماحرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى في الانعام قل لاأجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة فقال أودما مسفوحا أولحم خنزير فانه رجس أوفسقاً أهل لغيرالله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادواحرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل

فبين ان ماحرمه المشركون لم يحرمه على لسان موسى ولا لسان محمد وهذان هما اللذان جاآ بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه وقالت الجن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة ابن نوفل ان هذا والذى جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشى فالقرآن والتوراة هما كتابان جاآ من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذى فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته وحده لاشريك له ففيه التوحيد قولا وعملا كما في سورتي الاخلاص قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما فى الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح فانه قال ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع مافيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع مافى الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة

لاتوجد في الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه يقرر مافيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ مانسخه الله فيقر الدين الحق وهو جمهور مافيها ويبطل الدين المبدل الذى لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر والانبياء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم لتصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لايجوز أن يكذب نبي نبيا بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ماأنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته * ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا *وقال تعالى أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وماالله بغافل عما تعملون

ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا فى جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم انهم لم يعلموا الحق أولم يبينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب و بما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوليد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب بعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافرين حقا وكثير من لايكذب الرسل تكذيبا صريحا من الفلاسفة والباطنية وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضلهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أوانهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أوان النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل الفعال من جنس مايراه النائم ولا يقر بملائكة مفضلين ولابالجن ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض بما أوتوه دون بعض لايقرون بجميع ماأوتيه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شرا من اليهود والنصاري الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذى أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وأكثر اذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خلق السموات والارض في ستة أيام ويقرون بقيام القيامة ويقرون بأنه تجب عبادته وحده لاشريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وانما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصاري أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعى الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين الي الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من النفاق بحسب مافيهم من الكفر والنفاق يتبعض والكفر يتبعض ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعض ويزيد وينقص قال الله تعالي انما النسيء زيادة في الكفر وقال واذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * وقال وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا * وقال وليزيدن كثيرا منهم ماأنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا * وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى * وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا

وكثير من المصنفين في الكلام لايردون على أهل الكتاب الا مايقولون انه يعلم بالعقل مثل تثليث النصارى ومثل تكذيب محمد

ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين وهذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ماخالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ماخالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم دينا بما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالاعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو أصول الدين ولو كان ماقالوه حقا لكان ذلك جزأ من الدين فكيف ان كان باطلا

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل مايظهر به من كفرهم مايظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح نخاطبهم في مقامين

أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطابهم فى تكذيب من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فقليلا مايؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الى أن ذكر انهم أعرضوا عن كتاب الله مطلقا واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول

من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى تذمهم على الغلو والشرك الذى ابتدعوه وعلى تكذيب الرسول والرهبانية التي ابتدعوها ولا تحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدعوها وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه فيبقى عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذى يعذر صاحبه فلا يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فاته المقصود وهو الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون ملعونا مطرودا ولهذا فى حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا له لن تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات فالعليا لعصاة هذه الامة والتي تليها للنصارى والتى تليها لليهود فجعلوا اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود يوجدون أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة زيادة فى الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وان كان النصارى أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر المهتدين ولعنوا وطردوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحجة فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب وقد يفعل بعض ماأمر به فيكون له أجر على اجتهاده وخطؤه الذى ضل فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدى السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ماهو بدعة ولم يعلموا انه بدعة أما لاحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة وأما لآيات فهموا منها مالم يرد منها واما لرأى رأوه وفى المسئلة نصوص لم تبلغهم واذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وفى الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان الاجماع اجماع الامة حق فانها لاتجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى

ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها لمن جمع الامرين وهذا لانزاع فيه أو لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه أو أن سبيل المؤمنين هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول من يقول لاتدل على محل النزاع وآخرون يقولون بل تدل على وجوب اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا لذلك ماتكلفوه كما قد عرف من كلامهم ولم يجيبوا عن أسئلة أولئك بأجوبة شافية

والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاقة الرسول من بعد ماتبين له الهدي وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن لاتنفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم اما أن يكون لاحقا لمشاقة الرسول فقط أو باتباع غير سبيلهم فقط أو أن يكون الذم لايلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا أو يلحق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر أو بكل منهما لكونه مستلزما للآخر والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لايلحق بواحد منهما باطل قطعا فان مشاقة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عمن اتبعه ولحوق الذم بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاتدل عليه الآية فان الوعيد فيها انما هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

ومخالفة القرآن والاسلام فيقال من خالف القرآن والاسلام ومن خرج عن القرآن و لاسلام فهو من أهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاصول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون فانه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين أنه باطل اذ لو بينه زال الباطل الذى لبس به الحق فهكذا مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين من شاقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد تبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاقة الرسول قلنا لانهما متلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون منصوصا عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا يقتضى ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب

فلا يوجد قط مسئلة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة فى القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمها فان مادل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسئلة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مسائل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم فى الجاهلية لاسيما قريش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان أصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والعير التى كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيرها فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراره فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذى رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبو موسى بمال أقرضه لابنيه واتجرا فيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسر المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض الصحابة اجعله مضاربا

فجعله مضاربة وانما قال ذلك لأن المضاربة كانت معروفة بينهم والعهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم انها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والجزارة وعلى هذا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفة يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لا نشترط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل الاخبار لكن استقرأنا موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوصة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون فى المسألة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء القصرى نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضعن حملهن يقتضى انحصار الاجل فى ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بابعد الاجلين لم يكن أجلها أن تضع حملها وعلى وابن عباس وغيرهما أدخلوها في عموم الآيتين وجاء النص الخاص فى قصة سبيعة الاسلمية بما يوافق قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعوا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفتى ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت

واثق بما يوافق ذلك وقد خالفه على وزيد وغيرهما فقالوا لامهر لها فثبت ان بعض المجتهدين قديخفى بعموم أو قياس ويكون فى الحادثة نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا تعلم مسئلة واحدة اتفقوا على انه لانص فيها بل عامة ماتنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئك يحتجوا بنص كالمتوفي عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرين قالوا انما يدخل في آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما ان آية القروء فى غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا فى الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم ماأحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم .

وكذلك لما تنازعوا فى المبتوتة هل لها نفقة أو سكنى احتج هؤلاء بحديث فاطمه وبان السكنى التى فى القرآن للرجعية وأولئك قالوا بل هى لهما ودلالات النصوص قد تكون خفية نخص الله بفهمهن بعض الناس كما قال على الا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه

وقد يكون النص بينا ويذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال الحاضر مادرى عبد الله مايقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم فى هذا لاوشك أحدهم اذا وجد المرء البرد أن يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هى الرجعية بدليل قوله لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأى أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأتموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الآية من منع الفسخ وآخرون يقولون انما أمر بالاتمام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الى غير حج فلم يتمها أما اذا فسخها ليحج من عامه فهذا قد أتى بما تم مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع

وتنازعوا فى الذى بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه

وأما مسئلة مجردة اتفقوا على أنه لا يستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا ما لا أعرفه

والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما أخرج أبويكم من الجنة وقال ابن عباس لو كانت الجن تظن ان الانس تسمى أبا الاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا تقول انما هو أب لكن أب أبعد من أب

وقد روى عن على وزيد أنهما احتجا بقياس فمن ادعى اجماعهم على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعي ان من المسائل مالم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم فمن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لاتتناقض لكن قد يخفى وجه اتفاقها أو ضعف أحدها على بعض العلماء

وللصحابه فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين كما أن لهم معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لايعرفها أكثر المتأخرين فانهم شهدوا التنزيل وعاينوا الرسول وعرفوا من أقواله وأفعاله وأحواله مايستدلون به على مرادهم مالم يعرفه أكثر المتأخرين الذين لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أوقياس

ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد أخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك وهذا كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الي القياس لعدم دلالة النصوص عليها فانما هذا قول من لامعرفة له بالكتاب والسنة ودلالتهما على الاحكام

وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه انه مامن مسئلة الا وقد تكلم فيها الصحابه أو في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم بالرأى فى مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتج به عامتهم ولا يحتاجون اليه اذهم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر الى شريح اقض بما فى كتاب الله فان لم تجد فبما فى سنة رسول الله فان لم تجد فبما به قضى الصالحون قبلك وفي روايه فبما أجمع عليه الناس وعمر قال قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ماقال عمر قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتى بمافي

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من أشهر الصحابة بالفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولا في الاجماع فان وجده لم يلتفت الي غيره وان وجد نصاً خالفه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم الاجماع نسخه

والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه نص فلابد أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذاك منسوخ فاما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ فهذا لايوجد قط وهو نسبة الامة الي حفظ مانهيت عن اتباعه واضاعة ما أمرت باتباعه وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تتعذر كثيراً أو غالبا فمن ذا الذي يحيط بأقوال المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون بالكتاب أولاً لان السنة لاتنسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شئ منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة شئ منسوخ الا والسنة نسخته لاينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لايجد مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له اذا لم يجده

فى القرآن أن يطلبه في السنة واذا كان فى السنة لم يكن مافي السنة معارضاً لما فى القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لايعارض كتاباولاسنة

تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله

﴿ تمت الرسالة الثانية ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثالثة التبيان في نزول القرآن ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن تيميه)

(رحمه الله تعالى ورضي عنه)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

(وآله وصحبه أجمعين)

(أما بعد فهذا) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر فى كتاب الله تعالي فان كثيراً من الناس فسروا النزول فى مواضع من القرآن بغير ماهو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع

فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان

ومن الكلابية من يقول أنزله بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذى قالوه باطل فى اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول فى كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لابهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان أحدها لاحذف فى الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله العزيز الحكيم والثانى أنه خبر مبتدأ محذوف أى هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد وغيره واليه يعود أى هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن منه أى لم يخلقه فى غيره فيكون مبتدأ منزلا من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لامن مخلوق فهو الذى تكلم به لخلقه

وأما النزول المقيد بالسماء بقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم جنس لكل ماعلا فاذا قيد بشىء معين لقوله في غير موضع من السماء مطلق أي فى العلو ثم قد بينه في موضع آخر بقوله ءأنتم أنزلتموه من المزن وقوله فترى الودق يخرج من خلاله أى انه منزل من السحاب وما يشبه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحى من أمره الذى هو كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها يناسب قوله فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا انا كنا مرسلين فهذا شبيه بقوله قل نزله روح القدس

وأما المطلق ففى مواضع منها ما ذكره من انزال السكينه لقوله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين الي غير ذلك

ومن ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو مايوزن به ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحى ربك الي الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا فذلك الثبات نزل فى القلوب بواسطة الملائكة وهو السكينة قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد و هو ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضى الله عنه الذى فى الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة فى جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة والامانة هى الايمان أنزلها في أصل قلوب الرجال وهو كانزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله الحديث الى آخره فذكر أربعة عشر غشيان الرحمة وهى أن تغشاهم كما يغشى اللباس لابسه وكما يغشى الرجل المرأة والليل

النهار ثم قال ونزلت عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحفتهم الملائكة أي جاست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار وقوله فلما تغشاها حملت حملاً خفيفا وقوله والمؤتفكة أهوى فغشاها ماغشى وقوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس فى قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر اذ يغشاكم النعاس أمنة منه والنعاس ينزل فى الرأس بسبب نزول الابخرة التي يدخل فى الدماغ فتنعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الاشعرى ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعى وأحمد جعلوا النزول والاتيان والمجيء حدثا يحدثه منفصلا عنه فذاك هو اتيانه واستواؤه على العرش فقالوا استواؤه فعل يفعله في العرش يصير به مستويا من غير فعل يقوم بالرب لكن أكثر الناس خالفوهم وقالوا المعروف أنه لايجيء شيء من الصفات والاعراض الا بمجيء شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقد جاء الهواء الذى يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحمى

فالحمى حر وبرد تقوم بعين قائمة بسبب أخلاط تحرك وتحول من حال الي حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذى يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لايقال فى هذا جاء به الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر واذا كان كذلك فانزله تعالى العدل والسكينة والنعاس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا أفضى بها اليهم فأعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحى والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل غير الملائكة كالهواء الذى نزل بالاسباب فيحدث الله منه البخار الذى يكون معه النعاس فكان قد أنزل النعاس سبحانه مايحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد يخلق في المعادن

وما يذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة فهو كذب لايثبت مثله

وكذلك الحديث الذى رواه الثعلبي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من لسماء الى الارض فأنزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب فى اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال ابن الجوزي هو يف ين محمد ابن أخت سفيان الثوري يروي عن الثورى وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كذاب يضع الحديث وقال مرة ليس بشئ وقال يحيي كان كذابا خبيثا وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال الدار قطني ضعيف متروك والناس يشهدون ان هذه الامة تصنع من حديد المعادن مايريدون فان قيل ان آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهذه مكابرة للعيان وان قيل بل نزل معه آلة واحدة وتلك لاتعرف فأى فائدة في هذا لسائر الناس ثم مايصنع بهذه الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود يطرق بهذه الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت منه هذه الآلات مع أن المأثور ان أول من خط وخاط ادريس عليه السلام و آدم عليه السلام لم يخط ثوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الاكبر بذكر الحديد هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من السماء فان قيل نزلت الآلة التي يطبع بها قيل فالله أخبر أنه أنزل الحديد لهذه المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس حتي قال قطرب رحمه الله معناه جعله نزلا كما يقال أنزل الامير على فلان نزلا حسنا أى جعله نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان النزل انما يطلق على مايؤكل لا على

مايقابل به قال الله تعالى فنزل من حميم والضيافة سميت نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا فينزل في مكان يؤتى اليه بضيافته فيه فسميت نزلا لاجل نزوله ونزل بني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين لانه كان راكبا في السفينة وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة تبع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه أخرجه من المعادن وعلمهم صنعته فان الحديد انما يخلق في المعادن والمعادن انما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها تخلق من الماء فان به يكون النبات الذى ينزل أصله من السماء وهو الماء وقال قطرب جعلناه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب انزاله وهو على جنب اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب انزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا أنه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من ذلك المحل كالحديد والانعام

وقال تعالى يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشا الآية وفيها قراءتان احداهما النصب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا وأما قراءة الرفع فلا وكلتاهما حق وقد قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الاقوال ضعيفة فان النبات الذى ذكروا لم يجىء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل مايصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا الدور وأنزلنا الطبيخ ونحو ذلك وهو لم يقل انا أنزلنا كل لباس ورياش وقد قيل ان الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حالته

والصحيح ان الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمرو العرب تقول أعطانى فلان ريشه أى كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد جمالا وهذا لانه مأخوذ من ريش الطائر وهو مايروش به ويدفع عنه الحر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك مايبيت فيه الانسان من الفرش وما يبسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذى يلبس على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية فامتن سبحانه بما ينتفعون به من الانعام في اللباس والاثاث وهذا والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والأوبار والأشعار وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الارض كسوتهم من جلود الدواب فهي لدفع الحر والبرد وأعظم مما صنع من القطن والكتان والله تعالى ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول النعم التي لايعيش بنو آدم الا بها وذكر في اثنائها تمام النعم التي لا يطيب عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لابد لهم منه وذكر مايدفع البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم في اثناء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الآية ثم ذكر ما به الظلال التي تقيهم الحر والبأس فقال والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا الى قوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا مايقى من البرد لانه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا يقدر أحد أن يعيش فى البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى لكنه لايقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرها وأهله أيضا لايحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه اهل البرد بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطرف في النهار ولا يتأذون به تأذيا كثيرا بل لايحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى كما يظنه من لم يحسن القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعنى

فاذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة من الاصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الانعام لا ينتفع به بنو آدم حتى ينزل

فقد تبين ان ليس في القرآن ولا فى السنة لفظ نزول الا فيه معنى النزول المعروف هذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب منزولا الا بهذ المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذى أخبر الله تعالى انه بينه وجعله هدي للناس وليكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الاديان عند الموت هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعياذ بالله تعالى هل يجازى باعماله الصالحة قبل الردة أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الاديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرا عاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس من تعرض عليه الاديان ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام وذلك كله من فتنة المحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها فى صلاتنا منها ما في الحديث الصحيح الذى أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن

لستعيذ فى صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون الشيطان أحرص مايكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقدقال النبي صلي الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الاعمال بخواتيمها وقال صلي الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه و بينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتي مايكون بينه وبينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان أشد مايكون على ابن آدم حين الموت يقول لاعوانه دونكم هذا فانه انفاتكم لن تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه وهو يقول لابعد لابعد مشهورة ولهذا يقال ان من لم يحج يخاف عليه من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زاداوراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم ولله على الناس حج البيت فقالوا لانحجه فقال الله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين

وأما الفتنة في القبور فهى الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك و يقولان له

ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه فينتهره انتهارة شديدة وهي آخر فتنة التي يفتن بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقيل لايفتنون لان المحنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضي أبو يعلي وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقنون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حكيم وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذى ذكره أبو الحسن الاشعرى عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى نصوص الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فانه اذا مات على ذلك والعياذ بالله تعالي حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك والمراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ولكن التنازع فيما اذا ارتد ثم عاد الي الاسلام هل تحبط الاعمال التي عملها قبل الردة ويجب عليه قضاؤها. أم لا تحبط الا ذا مات مرتدا على قولين مشهورين هما قولان في مذهب الامام أحمد والحبوط مذهب الامامين مالك وأبي حنيفة وعدمه الراجح والوقف مذهب الشافعي وتنازع الناس أيضاً في المرتد هل يقال كان له ايمان صحيح لحبط بالردة أم يقال بل بالردة تبين ان ايمانه كان فاسدا وان الايمان الصحيح لا يزول البتة على قولين لطوائف

من الناس وعلى ذلك ينبني قول المستثني انا مؤمن ان شاء الله

هل يعود الاستثناء الى كمال الايمان في الحال أو

يعود الي الموافاة في المال والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاءه وتوفيقه

تمت الرسالة الثالثة

ويليها الرسالة الرابعة له أيضاً

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال أبي القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي يتفضل سيدنا الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المبدع المغرب المعرب المفصح أعلم من لقيت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أبقى الله علينا بركته بأن يوصيني بما يكون فيه صلاح ديني ودنياي ويرشدني الي كتاب يكون عليه اعتمادي في علم الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وينبهني على أفضل الاعمال الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد الايجاز والاختصار والله تعالي يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته

قال شيخ الاسلام بحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه الحمد لله رب العالمين (اما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله ورسوله لمن عقلها واتبعها قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ووصي النبي صلى الله عليه وسلم معاذا لما بعثه الى اليمن فقال يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وكان معاذ رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة علية فانه قال له يا معاذ والله اني لأحبك وكان يردفه وراءه وروي فيه أنه أعلم الامة بالحلال والحرام وأنه يحشر أمام العلماء برتوة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عنه داعياً ومفقها ومفتياً وحاكماً الى أهل اليمن وكان يشبهه بابراهيم الخليل عليه السلام وابراهيم امام الناس وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذا كان أمة قانتا حنيفاً ولم يك من المشركين تشبيهاً له بابراهيم ثم

أنه وصاه هذه الوصية فعلم أنها جامعة وهي كذلك لمن عقلها مع أنها تفسير الوصية القرآنية

اما بيان جمعها فلان العبد عليه حقان حق لله عز وجل وحق لعباده ثم الحق الذي عليه لابد أن يخل ببعضه أحيانا اما ترك مامور به أو فعل منهي عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوى في السر والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمحها فان الطبيب متى تناول المريض شيئا مضراً أمره بما يصلحه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فالكيس هو الذي لايزال يأتي من الحسنات بما يمحو السيآت وانما قدم في لفظ الحديث السيئة وان كانت مفعولة لان المقصود هنا محوها لافعل الحسنة فصار كقوله صبوا على بوله ذنوبا من ماء

وينبغي أن تكون الحسنات من جنس السيآت فانه أبلغ في المحو والذنوب يزول موجبها باشياء *أحدها التوبة *والثاني الاستغفار من غير توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فاذا اجتمعت التوبة والاستغفار فهو الكمال *الثالث الاعمال الصالحة المكفرة أما الكفارات المقدرة كما يكفر المجامع في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات الحج أو تارك بعض واجباته أوقاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما قال حذيفة لعمر فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد دل على

ذلك القرآن والاحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له ماتقدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصا ماصنف من فضائل الاعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين يبلغ خصوصاً في هذه الازمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذى ينشأ بين أهل علم ودين قد يتلطخ من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضى الله عنه لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسرى في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصاري قد ابتلى به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذى بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزله على أحوال الناس واذا كان الامر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لابد أن يلاحظ أحوال الجاهلية

وطرفي الامتين المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى فيرى أن قد ابتلى ببعض ذلك

فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات وهو اتباع السيآت الحسنات والحسنات ماندب الله اليه على لسان خاتم النبيين من الاعمال والاخلاق والصفات ومما يزيل موجب الذنوب المصائب المكفرة وهى كل مايؤلم من هم أوحزن أو أذى في مال أو عرض أو جسد أوغير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضى بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح الفاسد قال وخالق الناس بخلق حسن وهو حق الناس

وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والاكرام والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عن ظلمك في دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذى وصف الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فهو الدين الجامع لجميع ماأمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن وحقيقته المبادرة الى امتثال مايحبه الله تعالى بطيب نفس وانشراح صدر

وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع فعل كل ما أمر الله به ايجابا واستحبابا وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاًوهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية

العذاب المقتضية للانكفاف عن المحارم جاء مفسراً في حديث معاذ وكذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي وصححه قيل يارسول الله ما أكثر مايدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن الخلق وقيل ما أكثر مايدخل الناس النار قال الأجوفان الفم والفرج وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً فجعل كمال الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الايمان كله تقوى الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لايحتمله هذا الموضع فانها الدين كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله اياك نعبد واياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفي قوله عليه توكلت واليه أنيب وفي قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له بحيث يقطع العبد تعلق قلبه من المخلوقين انتفاعابهم أوعملا لاجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بملازمة الدعاء له في كل مطلوب من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم هذا فلا يمكن أن يوصف مايعقبه ذلك

وأما ماسألت عنه من أفضل الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه ومايناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالاجماع بين العلماء بالله وأمره ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ماشغل العبد به نفسه في الجملة وعلى ذلك حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

امة ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله والدلائل القرآنية والايمانية بصرا وخبرا ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن يلازم العبد الاذكار المأثورة عن معلم الخير وامام المتقين صلى الله عليه وسلم الاذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والاذكار المقيدة مثل مايقال عند الاكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد الى غير ذلك وقد صنفت له الكتب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا اله الا الله وقد تعرض أحوال يكون بقية الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أفضل منه ثم يعلم ان كل ماتكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب الى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أوجلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك اذا تدبرت لم تجد بين الاولين في كلماتهم في أفضل الاعمال كبير اختلاف وما اشتبه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وليتحر الاوقات الفاضلة كآخر الليل وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

(وأما أرجح المكاسب) فالتوكل على الله والثقة بكفايته وحسن الظن به وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه الى الله ويدعوه كما قال سبحانه فيما يأثر عنه نبيه كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم وفيما رواه الترمذي عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع فانه ان لم ييسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى في كتابه واسألوا الله من فضله وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وهذا وان كان في الجمعة فمعناه قائم في جميع الصلوات ولهذا والله أعلم أمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح لى أبواب رحمتك واذا خرج أن يقول اللهم اني أسألك من فضلك وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وهذا أمر والامر يقتضى الايجاب فالاستعانة بالله واللجأ اليه في أمر الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه باشراف وهلع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج اليه من غير أن يكون له في القلب مكانة والسعى فيه اذا سعى كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأته من الدنيا الاما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة وقال بعض السلف أنت محتاج الي الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج فان بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين

فأما تعين مكسب علي مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ولا أعلم فى ذلك شيئا عاما لكن اذا عن للانسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان فيها من البركة ما لا يحاط به ثم ما تيسر له فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية

وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا يختلف باختلاف نشأ الانسان فى البلاد فقد يتيسر له فى بعض البلاد من العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير أن يستعين بالله سبحانه فى تلقى العلم الموروث عن النبي صلي الله عليه وسلم فانه هو الذى يستحق أن يسمي علما وما سواه اما أن يكون علما فلا يكون نافعا واما أن لا يكون علما وان سمى به ولان كان علما نافعاً فلابد أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما يغنى عنه مما هو مثله وخير

منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فاذا اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله تعالى ولا مع الناس اذا أمكنه ذلك

وليجتهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت تهدي من تشاء الي صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه رسوله ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منا في أثناء المذاكرة مايسره الله سبحانه ومافي الكتب المصنفة المبوبة كتاب أنفع من صحيح محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لايقوم بأصول العلم ولا يقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم اذ لابد من معرفة أحاديث أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الامور التي يختص بعلمها بعض العلماء وقد أوعبت الامة في كل فن من فنون العلم ايعابا من نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب الا حيرة وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الانصاري أوليست التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم فسأل الله

العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد و يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذهدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين

﴿ وجد بأصله ما نصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الائمة الاعلام شيخ الاسلام سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسلمين مفتي الفرق علم الهدي تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الدباهي وعز الدين عبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الانصاري ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الرحبي الكناني وزين الدين عبادة بن عبد الغني بن منصور بن منصور بن ابراهيم بن سلامة الحراني وجرير بن سعيد بن حميد الغساني وعبد المجيد ابن محمود بن أحمد الحيلي وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغني بن العلائي الحراني وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي في ليلة ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة بدار الحديث بالقصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

﴿ تمت الرسالة الرابعة ويليها الخامسة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مسئلة في النية في الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخافت اماما كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أو لا أو قال أحد من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنية بطلت صلاته وان كانت غير واجبة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون في ذلك واذا أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتدع مخالف لشريعة الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عليه اذا لم ينته أم لا

فأجاب عنها الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام مفتي الانام أوحد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه وأرضاه في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمد لله رب العالمين * محل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف مانوى في قلبه كان الاعتبار بما نوى لا بما لفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يجز ذلك باتفاق أئمة المسلمين فان النية هي من جنس القصد والعزم تقول العرب نواك الله بخير أى قصدك بخير وقول النبي صلي الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه مراده صلى الله عليه وسلم بالنية النية التى فى القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الائمة الاربعة وغيرهم وسبب الحديث يدل علي ذلك فان سببه ان رجلا هاجر من مكة الى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فسمى مهاجر أم قيس فخطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر وذكر هذا الحديث فهذا كانت نيته فى قلبه

والجهر بالنية لايجب ولا يستحب باتفاق المسلمين ولا تبطل صلاة من لم يجهر بها عند أحد من المسلمين بل الجاهر بالنية مبتدع مخالف للشريعة اذا فعل ذلك معتقدا انه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق التعزير والعقوبة على ذلك اذا أصر على ذلك بعد تعزيره والبيان له لاسيما اذا آذى من الى جانبه برفع صوته أو كرر ذلك مرة بعد مرة فانه يستحق التعزير البليغ علي ذلك ولم يقل أحد من المسلمين ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة الخافت بها سواء كان اماما أو مأموما أو منفردا وأما التلفظ بها سرا فلا يجب أيضا عند الائمة الاربعة وسائر أئمة المسلمين ولم يقل أحد من الائمة ان التلفظ بالنية واجب لافي طهارة ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلى

الظهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفى أن تكون نيته فى قلبه والله يعلم ما فى القلوب وكذلك نية الغسل من الجنابة والوضوء يكفى فيه نيـة القلب وكذلك نية الصيام في رمضان لايجب على أحـد أن يقول بلسانه أنا صائم غدا باتفاق الائمة بل يكفى نية قلبـه والنية تتبع العلم فمن علم مايريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فاذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو ممن يصوم رمضان فلابد أن ينوى الصيام فاذا علم ان غدا العيد لم ينو الصيام تلك الليلة وكذلك الصلاة اذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوى تلك الصلاة لا يمكنه أن يعلم انها الفجر وينوى الظهر وكذلك اذا علم انه يصلى اماما أو مأموما فانه لابد أن ينوى ذلك وان علم أنه يصلي وحده فلا بد أن ينوى ذلك والنية يتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا اذا كان يعلم مايريد أن يفعله فاذا كان يعلم انه يريد أن يصلى الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق فنوى الصلاة في وقتها فتبين ان الوقت قد خرج اجزأته صلاته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى الصلاة بعد الوقت فتبين انها في الوقت أجزأته الصـلاة باتفاق الائمة واذا كان قصده أن يصـلى خلف الامام بعينه مثل زيد فكان الامام غيره لم يكن قد صلي خلف ذلك وانما اذا كان قصـده ان يصلى خلف الامام الحاضر أى امام كان واعتقد انه زيد فظهر أنه عمر لم يضره ذلك وكذلك لو كان مقصوده أن يصلى على الجنازة الحاضرة أى جنازة كانت

فظنها رجلا فكانت امرأة صحت صلاته بخلاف ما اذا كان مقصوده أن لا يصلى الا على من يعتقد أنه فلان فصلى على من يعتقدانه فلان فتبين غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر

والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الائمة ولكن بعض المتأخرين خرج وجها من مذهب الشافعي لوجوب ذلك غلطه جماهير أئمة أصحاب الشافعي وكان غلطه ان الشافعي قال ان الصلاة لا بد من النطق في أولها فظن هذا الغالط ان الشافعي أراد النطق بالنية فغلطه أصحاب الشافعي جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان معروفان للفقهاء منهم من استحب التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا التلفظ بها أوكد واستحبوا التلفظ بها فى الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك وأحمد وغيرهما وهذا هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرهما من الائمة وقال أبو داود قلت لاحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ بالنية لا في الصلاة ولا في الحج ولا غيرها من العبادات ولا خلفاؤه ولا أمر أحدا أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاة اذا قمت الى الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاة كبر كما فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

بنية ولا غيرها ولا علم ذلك أحدا من المسلمين ولو كان ذلك مستحبا لفعله ولعلمه للمسلمين وكذلك فى الحج انما كان يفتتح الاحرام بالتلبية ويشرع للمسلمين أن يلبوا فى أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حجي واشترطى فقولي لبيك اللهم لبيك ومحلي حيث حبستنى فامرها أن تشترط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا لايقول اللهم اني أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره على وتقبل منى ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتكبير في الصلاة وكان هو وأصحابه يقولون فلان أهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بهما كما يقال كبر للصلاة والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تلبيته لبيك عمرة وحجا فيسمي مايريد فعله بعد التلبية لاقبلها وجميع ماأحدثه الناس من التلفظ بالنية قبل التكبير وقبل التلبية وفى الطهارة وسائر العبادات فهي البدع التى لم يشرعها وكل مايحدث في العبادات المشروعة من الزيادات التى لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم فى العبادات على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث اعتقاد المعتقدان ذلك مشروط مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فيبقى حقيقة هذا القول أن مافعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف عليه

الفتنة فقال له السائل وأى فتنة في ذلك وانما هي زيادة ابتال فى طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن فى نفل انك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنه فى الصحيحين انه قال من رغب عن سنتي فليس مني أى من ظن أن غير سنتى أفضل من سنتى فرغب عما سننته معتقدا ان مارغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني ألا (ان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال ان هدى غير محمد أفضل من هدى محمد فهو مفتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتقد وجوب ماأوجبه واستحباب ماأحبه وانه لاأفضل من ذلك فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد هلك المتنطعون قالها ثلاثا وقال أبي بن كعب وابن مسعود اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر انه قال صلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أى من اعتقد أن الركعتين في السفر لاتجزىء المسافر فقد كفر .

الوجه الثانى من حيث المداومة على خلاف ماداوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العبادات فان هذا بدعة باتفاق الائمة وان ظن

الظان ان فيه زيادة خير كما أحدث بعض المتقدمين الاذان والاقامة في العيدين فنهي عن ذلك وكرهه أئمة الاسلام وكما لو صلى عقب السعي ركعتين قياسا على ركعتي الطواف وقد استحب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي واستحب بعض المتأخرين من أصحاب أحمد في الحاج اذا دخل المسجد الحرام أن يفتتح بتحية المسجد فخالف الأئمة والسنة وانما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذي يريد الصلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أكمل الله ولامته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعل عملا واجبا مالم يوجبه الله ورسوله أو مستحبا مالم يستحبه الله ورسوله فهو غالط كما أن جعل حراما أو مكروها مالم يحرمه الله ورسوله أولم يكرهه الله ورسوله فهو غالط فجماع الدين لاحرام الا ماحرمه الله ورسوله ولا دين الاماشرعه الله ورسوله ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حزب من شرع من الدين مالم يأذن به الله وحرم مالم يحرمه الله وهذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله في سورة الانعام والاعراف وغيرهما من السور حيث شرعوا من الدين مالم يأذن به الله وحرموا مالم يحرمه الله وأحلوا ماحرمه الله فذمهم الله وعابهم على ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله ان الاحكام الخمسة الايجاب والاستحباب والتحليل والكراهة والتحريم لاتؤخذ الا عن الله ورسوله فلا واجب الا

ماأوجبه الله ورسوله ولا مستحبا الا ماأحبه الله ورسوله ولا حلال الا ماأحله الله ورسوله ولا مكروه الا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم الا ماحرمه الله ورسوله فمن ذلك مااتفق عليه أئمة الدين ومنه ماتنازعوا فيه فما تنازعوا فيه رد الى الله ورسوله كما قال تعالى ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الائمة ينهى عن ذلك ويؤدب على الاصرار كما يفعل بامثاله من الجهال ولا يقتدى في خلاف الشريعة باحد من أئمة الضلالة وان كان مشهورا بالفقه والعلم بل يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض السلف لاتنظر الى عمل الفقيه ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

وهذه فتوى أخرى فى المسئلة السابقة

سئل الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتى الانام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبعمائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا ويمين الصلاة بعينها ويعد الركعات بحيث يشوش على من الى جانبه فأنكر عليه رجل وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو يقرأ خلفه فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أو أحد من الصحابة أو أحد من الائمة

الأربعة وغيرهم فاذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فماذا يجب على من ينسب هذا اليهم ويقول كل من يعمل في دينه مايشتهي بل أنت جاهل فيما تذكره انتهى

أجاب رضي الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين الجهر بلفظ النية ليس بمشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف الامة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله أو انه واجب فانه يجب تعريفه الشريعة واستتابته من هذا القول فان أصر على ذلك قتل بل النية الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكفارة وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين اذ النية هي القصد والارادة والقصد والارادة محلهما القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلو نوى بقلبه خلاف ماتكلم به بلسانه كانت العبرة بما نواه لا باللفظ ومتى نوى بقلبه ولم يتلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من الاولين والآخرين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتي بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم ان اللفظ بالنية واجب ولم يقل ان الجهر بها واجب ومع هذا فهذا القول خطأ صريح مخالف لاجماع المسلمين انما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلي الصحابة والتابعون فان كل من يعلم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولا علمه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت فى الصحيحين وغيرهما أنه قال للاعرابى المسىء فى صلاته اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن وفي السنن عنه أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل المتواتر واجماع المسلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا يفتتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لاعن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لاجهراً ولا سراً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعى متوفرة على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشرعا كتمان نقل ذلك فاذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن ولهذا يتنازع الفقهاء المتأخرون فى التلفظ بالنية هل هو مستحب مع النية التي في القلب فاستحب طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد قالوا لانه أوكد وأتم تحقيقا للنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا أنه بدعة مكروهة قالوا لانه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كل مايقرب الى الله لاسيما الصلاة التي انما تؤخذ صفتها عنه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال صلوا كما رأيتمونى أصلي فزيادة هذا وأمثاله فى صفة الصلاة بمنزلة سائر الزيادات المحدثة فى العبادات كمن زاد فى العيدين الاذان

والاقامة ومن زاد في الـهدي صلاة ركعتين على المروة وأمثال ذلك
قالوا وأيضاً فان التلفظ بالنية فاسد في العقل فان قول القائل أنوى ان
أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوى انى آكل هذا الطعام لاشبع وانى
ألبس هذا الثوب لاستتر وامثال ذلك من النيات الموجودة فى القلب
التي يستقبح النطق بها وقد قال تعالى قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم
ما فى السموات وما في الارض وقال طائفة من السلف في قوله انما
نطعمكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بألسنتهم وانما علمه الله من قلوبهم

وبالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سراً فهل
يكره أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه
منهى عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الامام
والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لايشرع لاحد منهم أن يجهر بلفظ النية
ولايكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة
اذا كان فيه أذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلي الله عليه وسلم على
أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم
على بعض بالقراءة وأما المأموم فسنته المخافتة باتفاق المسلمين لكن اذا
جهر أحيانا بشئ من الذكر فلا بأس كالامام اذا أسمعهم أحيانا الآية
في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه أخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان فى صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحيانا
وثبت في الصحيح ان من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح
الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك

ومن أصر على فعل البدع وتحسينها فانه ينبغي أن يعزر تعزيراً يردعه وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ماليس منه

وأما قول القائل كل من يعمل في دينه مايشتهي فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه الكلمة توجب القتل فليس لاحد أن يعمل في الدين الا ماشرعه الله ورسوله دون مايشتهيه ويهواه قال تعالي ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلاأم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد روى عنه أنه قال والذى نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتي يكون هواه تبعاً لما جئت به وقد قال تعالي ألم تر الي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ماأنزل الله والى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال تعالى المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ماأنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاماتذكرون وقال تعالى ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وأمثال هذافى القرآن كثير يبين أن على العبد أن يتبع الحق الذى بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسئلة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضى القضاة جمال الدين أبوالربيع سليمان بن عمر الشافعى رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين الله الموفق * النية المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات محلها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه الي العصر ولا يكفى النطق بها مع غفلة القلب وانما استحب بعض أصحابنا مساعدة اللسان القلب من غير جهر وقد شذ صاحب الافصاح بما نقله عن بعض أصحابنا أنه لا بد من التلفظ بها فى الصلاة وهو خلاف قول جمهور الاصحاب وأما الجهر بها وبالقراءة خلف الامام فليس من السنة بل مكروه فان حصل به تشويش على المصلين فحرام ومن قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره أن يقول في دين الله تعالى بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال فى الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه مايشتهي فهذا قول جاهل يعزر على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالي الا ماشرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد اتبع هواه نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وقد تكرر في الكتاب العزيز الذم والانكار على من اتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم الي غير ذلك مما ورد في القرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريرى الانصارى عفا الله عنه؛ الحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ماكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضى الله عنهم ولا أحد من الائمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة و لشرط أن يعلم بقلبه أى صلاة يصلى أما الذكر باللسان فلا معتبر به ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلي الله عليه وسلم وأدخل فى دين الله تعالى ماليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التى عرضت له فان تاب والاقتل بذلك والجهر بالتلاوة خلف الامام لايجوز ولانقل عن النبي صلي الله عليه وسلم ولاعن أحد من أصحابه والعلماء على خلافه ويجب تعزيره على ذلك ولايحل لاحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب تعزيره وقوله كل من يعمل فى دينه مايشتهى فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب علينا اتباع ماجاء به كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا

هو الدين فقد كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيستتاب فان تاب والاقتل والحالة هذه والله أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم التونسي المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على الناس وكذلك الجهر بالقرآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع للسنة وانكاره على المنكر عليه جهل ودعوي باطلة وقوله كل من يعمل في دينه مايشتهي فهذا أمر شنيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن يتوب منه ونعوذ بالله من الجهل واتباع الهوي ونسأله الهدى والعصمة والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين ابن العطار عفا الله عنه الحمد لله لايشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية وأما التلفظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا يشترط ولايجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا ومع عدمه بدعة قبيحة فان قصد به الرياء كان حراما من وجهين كبيرة من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومصوبه مخطئ ونسبته الى دين الله تعالى اعتقادا كفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ودينه خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا للسنة بل يجب على كل مؤمن تمكن في زجره زجره ومنعه وردعه ولم ينقل هذا النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام وأصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة بمعني انها جزء العبادة أو لايشترط ذلك ويجعلها شرطا لصحة العبادة لايضر تقدمها عليها مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ماذكر فى الاستفتاء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أعلم أمتي بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذي يسبقه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه فكل عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل ولاقصد بها الصبر على مقتضاه ولاأخلص فيها لله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح

﴿ تمت الرسالة الخامسة ﴾

﴿ ويليها السادسة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فاذا كان كريا والله من ورائه محيط به بائن عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه فيقصد العلو دون التحت فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي ومع هذا نجد قلوبنا قصد الطالب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلومكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات * احداها ان القائل الذي يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا بدليل عقلي وانما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا فى علم الهيئة وغيرها من الفلسفة فرأوا ان الافلاك تسعة وان التاسع وهو الاطلس يحيط بها مستديرا كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شئ اما مطلقا واما أنه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

فيه مايقدره في الارض أو يحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة أو في العقل الذي زعموا انه الذي صدر عنه هـذا الفلك وربما سماه بعضهم الروح وربما جعل بعضهم النفس هي الروح وربما جعل بعضهم النفس هي اللوح المحفوظ كما يجعل العقل هو القلم وتارة يجعلون اللوح العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر أو النفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك بالنسبة الى الحق كالدماغ بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون الى غير ذلك من المقالات التي شرحناها وبينا فسادها في غير هذا الموضع * ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليدا لهم أو موافقة لهم على طريقتهم الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم * وقد يتخيل في نفسه مايقلده عن غيره فيظنه كشفا كما يتخيل النصراني التثليث الذي يعتقده * وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كشفا وانما هو تخييل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم فيتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفا وقد بسطنا الكلام على هذا في غير ماموضع

والمقصود هنا انما ذكروه من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلي ولا شرعي أما العقل فان أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك ولكن دلتهم الحركات والكسوفات ونحو ذلك على ماذكروه وما لم يكن لهم دليل على ثبوته

فهم لا يعلمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك أنهم علموا انهذا الكوكب تحت هذا بان السفلي يكسف العلوى من غير عكس فاستدلوا بذلك على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره فاما ماكان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم مايستدلون به على ثبوته فهم لا يعلمون نفيه ولا اثباته بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له حركة تخصه بما فيه من الثوابت ولتلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية فتلك الاشكال سبب الحوادث السفلية كانت حركة التاسع جزء السبب كحركة غيره والاشكال الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابلته له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتثليثه له اذا كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان بينهما ربعه تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفة وكل حركة ليست عن الاخرى اذ حركة الثامن التى تخصه ليست عن حركة التاسع وان كان تابعا له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك فى السفينة الى خلاف حركتها وكذلك حركة السابع التى تخصه ليست عن التاسع ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن يجعل مبدأ

الحوادث كلها بمجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش كيف والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لااختلاف فيه أصلا فكيف يكون سببا لامور مختلفة لاباعتبار القوابل وأسباب أخر

ولكن هم قوم ضالون يجعلونه مع هذا ثلاثمائة وستين درجة ويجعلون لكل درجة من الاثر مايخالف الاخرى لا باختلاف القوابل كمن يجيء الى ماء واحد فيجعل لبعض أجزائه من الاثر مايخالف الآخر لابحسب القوابل بل يجعل أحد أجزائه مسخنا والآخر مبردا والآخر مسعدا والآخر مشقيا وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم ماينفي وجود شيء آخر فوق الافلاك التسعة كان الجزم بان ماأخبرت به الرسل من ان العرش هو الفلك التاسع رجما بالغيب تهاولا بلا علم هذا كله بتقدير ثبوت الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع والاضطراب وفي أدلة ذلك ماليس هذا موضعه وانما نتكلم على هذا التقدير والافلاك فى أشكالها واحاطة بعضها ببعض من جنس واحد فنسبة السابع الى السادس كنسبة السادس الى الخامس واذا كان هناك فلك تاسع فنسبته الى الثامن كنسبة الثامن الى التاسع

وأما العرش فالاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه ليس نسبة الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به الآية وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامة وان حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين ومعلوم ان قيام ذلك من الافلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة وان قدر أن لبعضها ملائكة في نفس الامر تحملها فحكمه حكم نظيره وقال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش الآية فذكر هناك ان الملائكة تحف من حول العرش وذكر في موضع آخر ان له حملة وجمع في موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله وأيضا فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والارض كما قال تعالى وهو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء وقد ثبت فى صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء وفي رواية لغيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وفى صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة انتهى

تمت الرسالة السادسة

ويليها السابعة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

من احمد ابن تيمية عفا الله عنه الي من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين الي السنة والجماعة المنتمين الى جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدى بن مسافر الاموى رحمه الله ومن نحا نحوهم وفقهم الله لسلوك سبيله وأعانهم علي طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وجعلهم معتصمين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجنبهم طريق أهل الضلال والاعوجاج الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الشرعة والمنهاج حتي يكونوا ممن أعظم عليهم المنه بمتابعة الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فانا نحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شئ قدير ونسأله أن يصلي علي خاتم النبيين وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق علي ربه وأقربهم اليه زلفى وأعظمهم عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وأكمل له ولامته الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجعلهم أمة وسطا أى عدلا

وخيارا ولذلك جعلهم شهداء على الناس هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذى شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذى جعله لهم فالاولى مثل أصول الايمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لااله الا الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالي واسأل من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى وقال تعالى ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالي قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسي وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالى قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم ومثل قوله تعالي آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير الى آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومثل أصول الشرائع كما ذكر في سورة الانعام والاعراف وسبحان وغيرهن من السور المكية من أمره بعبادته وحده لاشريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الارحام والوفاء بالعهود والعدل في المقال وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير الحق وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن وتحريم الاثم والبغي بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع مايدخل في التوحيد من اخلاص الدين لله والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف من الله والصبر لحكم الله والقيام لامر الله وأن يكون الله ورسوله أحب الى العبد من أهله وماله والناس أجمعين الى غير ذلك من أصول الايمان التي أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدنية وأما الثاني فما أنزله الله في السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لامته قان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامتن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذكر ذلك فقال وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وقال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هي السنة لان الذى كان يتلى في بيوت أزواجه رضي الله عنهن سوى القرآن هو سننه

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وهذه الشرائع التى هدى الله بها هذا النبي وأمته مثل الوجهة والمنسك والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس فى أوقاتها بهذا العدد وهذه القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض الزكاة ونصبها التى فرضها فى أموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جعلت له حيث يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التى حدها لهم فى المناكح والمواريث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التى سنها لهم من الاعياد والجمعات والجماعات فى المكتوبات والجماعات في الكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة والتراويح وما سنه لهم فى العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التى هى حكم الله ورسوله بينهم في الدماء والاموال والابضاع والاعراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق الى غير ذلك مما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الامم قبلهم اذ كانت كل أمة اذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا اليهم كما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لانبي بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقوم به الحجة الى يوم القيامة ولهذا كان اجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الامة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما مضت عليه جماعة المسلمين

فان الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالي ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وقال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شئ وقال تعالي ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هــذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهــم ولا الضالين

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

فأمر سبحانه فى أم الكتاب التى لم ينزل فى التوراة ولا في الانجيل ولا فى الزبور ولا فى القرقان مثلها التي أعطيها نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش التى لاتجزئ صــلاة الا بها أن نسأله ان يهــدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى .

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاســلام المحض وهو مافي كتاب الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هى دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنــه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام أحمد وأبى داود والترمذى وغــيرهم أنه قال ستفترق هذه الامة على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وهى الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي

وهذه الفرقة الناجية أهل السنة وهم وسط فى النحل كما ان ملة الاســلام وسط في الملل فالمسلمون وسط فى أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحــداً

لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الانبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً

بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أربابا كما قال تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقالوا على مريم بهتانا عظيما حتى جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول وروح منه

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وبقوله واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ولا جوزوا لا كابر علمائهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤا وينهوا عما شاؤا كما يفعله النصاري كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون

الله قال عدى بن حاتم رضى الله عنه قلت يارسول الله ماعبدوهم قال ماعبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والامر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فاطاعوا كل ماأمر الله به وقالوا ان الله يحكم مايريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيما

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس سمىّ ولا ند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شئ فانه رب العالمين وخالق كل شئ وكل ماسواه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والبط ولا شحم الثرب والكليتين ولا الجدى فى لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعا والواجب عليهم مائتان وثمانية

وأربعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وانما قال لهم المسيح ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المؤمنون فكما نعتهم الله به في قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا باب يطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوقات

فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل

وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه مالا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الاعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وانه مختار ولا يسمونه مجبوراً اذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله

وهم في باب الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية و يكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية

فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله وليس معهم جميع الايمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة

وأنهم لايخلدون في النار بل يخرج منها من كان فى قلبه مثقال حبة من ايمان أومثقال خردلة من ايمان

وأن النبي صلي الله عليه وسلم ادخر شفاعته لاهل الكبائر من أمته

وهم أيضاً فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في على رضى الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الامام المعصوم دونهما وأن الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الامة بعدهم كذلك وربما جعلوه نبياً أوالهاً وبين الجافيـة الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضى الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحبون سب على وعثمان ونحوهما ويقدحون فى خلافة على رضى الله عنه وامامته

وكذلك فى سائر أبواب السـنة هم وسط لانهم متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليـه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

(فصـل) وأنتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى الاسلام الذى هو دين الله وعافاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الاسلام من المشركين وأهل الكتاب والاسلام أعظم النعم وأجلها فان الله لايقبل من أحد ديناً سواه ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين وعافاكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية بحيث جعل عندكم من البغض لمن يكذب باسماء الله وصـفاته وقضائه وقدره

أو يسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهو من طريقة أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين مالا يوجد مثله فى طوائف المبتدعين ومازال في عساكر المسلمين المنصورة وجنود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويعز به المؤمنين وفى أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكيه والطريقة المرضيه وله المكاشفات والتصرفات وفيكم من أولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدماء المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبي الحسن على بن أحمد بن يوسف القرشي الهكارى وبعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ماعظم الله به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدى قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكابر المشايخ المتبعين وله من الاحوال الزكيه والمناقب العليه مايعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت مشهور ولسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن عقيدة من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن على الانصارى الشيرازى ثم الدمشقى وكشيخ الاسلام الهكارى ونحوهما وهؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول الكبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب فى أصول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنابذة من خالفها

مع الدين والفضل والصلاح مارفع الله به أقدارهم وأعلا منارهم وغالب مايقولونه في أصولها الكبار جيد مع أنه لابدوان يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كأحاديث لاتثبت ومقاييس لاتطرد مايعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما المتأخرون من الامة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقه فيهما ويميزوا بين صحيح الاحاديث وسقيمها وناتج المقاييس وعقيمها مع ماينضم الى ذلك من غلبة الاهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الاسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم اللذين نعت الله بهما الانسان في قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا منّ الله على الانسان بالعلم والعدل أنقذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأنتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وماتركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب التفاسير والمغازي وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار مايستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدى وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى وعثمان بن سعيد الدارمى وغيرهم في طبقتهم ومثلها مابوب عليه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم فى كتبهم ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم وعبدالله بن أحمد وأبى بكر الخلال وأبى القاسم الطبرانى وأبى الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الآجرى وأبى الحسن الدارقطنى وأبى عبد الله بن منده وأبى القاسم اللالكائى وأبى عبد الله بن بطه وأبى عمر الطلمنكى وأبى نعيم الاصبهاني وأبى بكر البيهقى وأبى ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة مايعرفه أهل المعرفة

(وقد) يروى كثير من الناس فى الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها مايكون كلاما باطلا لايجوز أن يقال فضلا عن ان يضاف الى

النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام مايكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقا أو مما يسوغ فيه الاجتهاد أو مذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عندمن لا يعرف الحديث مثل المسائل لتي وضعها الشيخ أبو الفرج عبـد الواحد بن محمد بن علي الانصاري وجعلها محنة يفرق فيها بين السني والبدعي وهي مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهـذا يعلمه من له أدني معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة ففيها ما اذا خالفـه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة يعقبها ألم هـل تسمي نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فان السنة هي الحق دون الباطل وهي الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموما ولمن يدعي السنة خصوصاً

(فصل) وقد تقـدم ان دين الله وسط بين الغالى فيه والجافي عنه والله تعالى ماأمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بامرين لايبالى بايهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيـه واذا كان الاسلام الذى هو دين الله لايقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

اليه حتى أخرجه عن كثير من شرائعه بل أخرج طوائف من أعبد هذه الامة وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرميـة وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدري وسهيل بن حنيف وأبى ذر الغفارى وسعد بن أبي وقاص وعبـد الله ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم وغير هؤلاء ان النبي صـلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهـم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فان فى قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لاقتلنهم قتـل عاد وفي رواية شر قتلى تحت أديم السماء خـير قتلى من قتلوه وفي رواية لو يعلم الذين يقاتلونهم مازوي لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسـلم لنكلوا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتالهـم واتفق على قتالهم جميع أئمة الاسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الاهواء المضلة والبـدع المخالفة ولهـذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضـة الذين هم شر من هؤلاء وهم الذين يكفرون جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يري في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الي طلوع النجم ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقنتون في الصلوات الخمس ويحرمون الفقاع وذبائح أهل الكتاب وذبائح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرفقة تلهم المسلمون بامر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب الي الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلي الله عليه وسلم بقتالهم فيعلم أن المنتسب الى الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك باسباب

منها الغلو الذى ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله وكيلا وقال تعالى ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلي الله عليه وسلم اياكم والغلو فى الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذى ذكره الله تعالي فى كتابه العزيز

ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب عليه باتفاق أهل المعرفة يسمعها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة ظنه وهواه

وأصل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم ان يتبعون الا الظن وما تهوي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي وقال فى حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحى يوحي فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضال هو الذى لا يعلم الحق والغاوى الذى يتبع هواه وأخبر أنه ماينطق عن هوى النفس بل هو وحى أوحاه الله اليه فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعها طوائف ممن ينتسب الى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الظالمين وهي فصول

(الفصل الاول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الاحاديث التي في دواوين الاسلام مما نعلم باليقين القاطع انها كذب وبهتان بل كفر شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يروون فيه حديثا مثل حديث يروونه ان الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلي الله عليه وسلم وقائله من اعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلا بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم كابن قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشنعوا به أهل الحديث ويقولون انهم يرون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيج وعليه جبة صوف أوما يشبه هذا البهتان والافتراء على الله الذي لايقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وهكذا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه ويقرؤن قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر الى آثار خطي الله وانما قال أثر رحمة الله ورحمته هنا النبات

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأي ربه في الطواف وفي بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفي بعضها انه رآه في بعض سكك المدينة الى أنواع أخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هـذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضي الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأي ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رضي الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم ترو عائشة رضي الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ولا سألته عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصديق رضى الله عنه كما يروونه ناس من الجهال ان أباها سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لعائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضى أبو يعلى وغيره أنه اختلفت الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذى رواه أهل العلم انه قال رأيت ربى فى صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفى حتى وجدت بردانامله على صدرى هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كام الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسرا فى كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحى لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج وقد اتفق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينيه فى الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الي الارض

بل الاحاديث الصحيحة ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

وثبت في الصحيح ان الله يدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء الدنيا فيباهي الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا ما أراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه أهل العلم

وكذلك ماروى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء تبدى له ربه على كرسي بين السماء والارض غلط باتفاق أهل العلم بل الذي في الصحاح ان الذي تبدى له الملك الذي جاءه بحراء في أول مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فهذا أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا أنا أمشي اذ سمعت صوتا فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض رواه جابر رضي الله عنه في الصحيحين فاخبر ان الملك الذي جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في

بعض الروايات الملك فظن القارئ انه الملك وانه الله وهذا غلط وباطل

وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينيه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من خطوات الحق وفيه انه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين لايرى ربه بعيني رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس ابن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال و بين لهم ان أحدا منهم لن يري ربه حتى يموت فلا يظنن أحد ان هذا الدجال الذي رآه هو ربه ولكن الذى يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه فى المنام فى صور متنوعة على قدر ايمانه ويقينه فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الافي صورة حسنة واذا كان فى ايمانه نقص رأى مايشبه ايمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة فى اليقظة ولها تعبير وتأويل لمافيها من الامثال المضروبة للحقائق

(وقد) يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضا من الرؤيا نظير مايحصل للنائم في المنام فيرى بقلبه مثل مايرى النائم * وقد يتجلى له من الحقائق مايشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا

وربما غلب أحدهم مايشهده قلبه وتجمعه حواسه فيظن انه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم أنه منام وربما علم في المنام انه منام

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تغنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين انه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك باجماع أهل العلم والايمان

نعم رؤية الله بالابصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضا للناس في عرصات القيامة كما تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم ستروون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر صحوا ليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما ومافيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما ومافيهما ومابين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد ياأهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها في الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة بالقبول وتفق عليها أهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة

ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعيون في الدنيا وكلاهما باطل

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم انه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال كما تقدم فان ضموا الى ذلك انهم يرونه في بعض الاشخاص اما بعض الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من النصارى الذين يزعمون انهم رأوه في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذي يكون في آخر الزمان ويقول للناس أنا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبت ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها وهذا هو الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال ما من خلق آدم الى قيام الساعة فتنة أعظم من الدجال وقال اذا جلس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع ليقل اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم انه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء قد يسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في على رضى الله عنه ونحوه وقوم في أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم في بعض الصور الجميلة الى غير ذلك من الاقوال التي هي شر من مقالة النصارى

وصنف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجاسات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمية ومن تبعهم من الاتحادية كأصحاب ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني والبلياني وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب ان الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم والخلق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير

فهؤلاء الضلال الكفار الذين يزعم أحدهم انه يرى ربه بعينيه وربما زعم انه جالسه وحادثه أو ضاجعه وربما يعين أحدهم آدميا اما شخصا أو صبيا أو غير ذلك ويزعم انه كلمهم يستتابون فان تابوا والا ضربت أعناقهم وكانوا كفارا اذهم أكفر من اليهود والنصارى الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فان المسيح رسول كريم وجيه عند الله في الدنيا والآخرة ومن المقربين فاذا كان الذين قالوا انه هو الله وانه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا انه اتخذ ولدا حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً فكيف بمن يزعم في شخص من الاشخاص انه هو هذا أكفر من الغالية الذين يزعمون ان علياً رضي الله عنه أوغيره من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار وأمر باخاديد خدت لهم عند باب كنده وقذفهم فيها بعد ان أجلهم ثلاثا ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقهم بالنار واتفقت الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم لكن ابن عباس رضي الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء

(فصل) وكذلك الغلو في بعض المشايخ اما في الشيخ عدي ويونس القتي أو الحلاج وغيرهم بل الغلو في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

ونحوه بل الغلو فى المسيح عليه السلام ونحوه فكل من غلا فى حىّ أو فى رجل صالح كمثل على رضى الله عنه أوعدى أو نحوه أو فى من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس القنى ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لايرزقنيه الشيخ فلان ما أريده أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدى أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول ياسيدى فلان اغفر لى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقنى أو أغثنى أو أجرنى او توكلت عليك أو أنت حسبى أو أنا فى حسبك أو نحو هذه الاقوال والافعال التى هى من خصائص الربوبية التى لاتصلح الا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لاشريك له ولا نجعل مع الله الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ويغوث ويعوق ونسرا وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق أو انها تنزل المطر أو انها تنبت النبات وانما كانوا يعبدون الانبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى

ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من السلف كان اقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون الي كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي وقال تعالي قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فاخبر سبحانه ان مايدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق عون يستعين به وانه لاتنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالى وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالي ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بمالا يعلم في السموات ولافي الارض الآية

وعبادة الله وحده هى أصل الدين وهو التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى

كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه لااله الا أنا فاعبدون

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لاتقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن ماشاء الله ثم ماشاء محمد ونهي عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لاتطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله

ولهذا اتفق العلماء على انه ليس لاحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة ونحوها

ونهى النبي صلي الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال لايصلح السجود الا لله وقال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه أرأيت لو مررت بقبرى أكنت ساجدا له قال لا قال فلا تسجد لى

ونهي النبي صلي الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

قبل أن يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول الصلاة عندها باطلة

والسنة في زيارة قبور المسلمين لنظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال الله تعالى في كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره فكان دليل الخطاب ان المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

وذلك ان من أكبر أسباب عبادة الاوثان كان التعظيم للقبور بالعبادة ونحوها قال الله تعالى في كتابه وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على ان من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لان التقبيل والاستلام انما

تكون لاركان بيت الله الحرام فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق

وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات انما تقصد في بيوت الله وهي المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا تقصد بيوت المخلوقين فتتخذ عيدا كما قال صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا بيتي عيدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لايقبل الله عملا الا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آية فى القرآن آية الكرسي الله لااله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة والاله الذي يألهه القلب عبادة له واستعانة ورجاء له وخشية واجلالا واكراما

(فصل)ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيار قال مازلت أسمع الناس يقولون ذلك

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئا لا لمن قاله مبلغا مؤديا قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن فى المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل فى القرآن وفى كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات وقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه

واذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا ان لاينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عربا لايلحنون وهكذا هى المصاحف التى بعث بها عثمان رضى الله عنه الي الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحمر ثم شكلت بمثل خط الحروف فتنازع العلماء فى كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لايكره للحاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

والتصدق بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتكلم بصوت وينادى آدم عليه السلام بصوت الي أمثال ذلك من الاحاديث فهذه الجملة كان عليها سلف الامة وأئمة السنة

وقال أئمة السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلى وحيث كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان ذلك يدخل فيه القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقة لان ذلك يدخل فيه أفعال العباد

ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة بل انكروا على من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال أن المداد قديم فهذا من اجهل الناس وابعدهم عن السنة قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف مداد وورق أو حكاية وعبارة فهو مبتدع ضال بل القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في المصحف على الوجه الذى يعرفه الناس له خاصة يمتاز بها عن سائر الاشياء

وكذلك من زاد على السنة فقال ان ألفاظ العباد واصواتهم قديمة فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا مبتدع منكر للسنة

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله واما من ز د على ذلك من الجهال الذين يقولون أن الورق والجلد والوتد وقطعة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ماتكلم الله بالقرآن ولا هو كلامه هذا الغلو من جانب الاثبات يقابل التكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعة

وكذلك افراد الكلام في النقطه والشكلة بدعة نفيا واثباتا وانما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أوأكثر بقليل فان من قال ان المداد الذي تنقط به الحروف ويشكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهوضال مبتدع

بل الواجب أن يقال هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال مابين اللوحين جميعه كلام الله فان كان المصحف منقوطا مشكولا أطلق على مابين اللوحين جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوط ولامشكول كالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة كان أيضا مابين اللوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر محدث ونزاع لفظي لاحقيقة له ولايجوز أن يحدث في الدين ماليس منه

(فصل) وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقرابة رضي الله عنهم فان الله تعالى أثنى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضى عنهم ورضوا عنه وذكرهم في آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً

وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً مابلغ مد احدهم ولا نصيفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ماتواتر عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة عثمان بعد عمر رضى الله عنهما وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والامراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك نؤمن بالامساك عما شجر بينهم ونعلم أن بعض المنقول فى ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم وما كان لهم من السيآت وقد سبق لهم من الله الحسنى فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير أمة أخرجت للناس

ونعلم مع ذلك ان على بن أبي طالب رضى الله عنه كان أفضل وأقرب الى الحق من معاوية وممن قاتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين الي الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضى الله عنه أقرب الي الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما رضى الله عنهم فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

مايجب رعايتها فان الله جعل لهم حقاً فى الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعى وأحمد ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد وقد قال الله تعالى فى كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وحرم الله عليهم الصدقة لانها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي بكر وعمر ايمان و بغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس لما شكا اليه جفوة قوم لهم قال والذي نفسى بيده لايدخلون الجنة حتي يحبوكم من أجلى

وفي الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى بنى اسماعيل واصطفى بنى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم

وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الامة بعده صار قوم ممن يحب عثمان ويغلو فيه ينحرف عن علىّ رضى الله عنه مثل كثير من أهل الشام ممن كان اذ ذاك يسب علياً رضى الله عنه ويبغضه

وقوم ممن يحب علياً رضى الله عنه ويغلو فيه ينحرف عن عثمان رضى الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضى الله عنه

ثم تغالظت بدعتهم بعد ذلك حتى سبوا أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلى جميعا وتقديم أبى بكر وعمر عليهما رضى الله عنهم لما خصهما الله به من الفضائل التى سبقا بها عثمان وعليا جميعاً وقد نهى الله في كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبله

فهذا موضع يجب للمؤمن أن يتثبت فيه ويعتصم بحبل الله فان السنة مبناها على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فالرافضة لما كانت تسب الصحابة صار العلماء يأمرون بعقوبة من يسب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا حكمهم فيها في غير هذا الموضع

ولم يكن أحد اذذاك يتكلم فى يزيد بن معاوية ولا كان الكلام فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق الى لعنة غيره فكره أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدي وصار الغلاة فيه على طرفي نقيض هؤلاء يقولون انه كافر زنديق وانه قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وقتل الانصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بثأر أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جده لامه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وغيرهما ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واظهار الفواحش أشياء وأقوام يعتقدون أنه كان اماما عادلا هاديا مهديا وانه كان من الصحابة أو أكابر الصحابة وانه كان من أوليا الله تعالى وربما اعتقد بعضهم انه كان من الانبياء ويقولون من وقف فى يزيد وقفه الله على نار جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عدى انه كان كذا وكذا ولياً وقفوا على النار لقولهم فى يزيد وفى زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا فى الشيخ عدى وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدى الكبير قدس الله روحه فان طريقته كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسنا وجرت فتن لايحبها الله ولارسوله

وهذا الغلو فى يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل العلم والايمان

فان يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شبان المسلمين ولا كان كافراً ولا زنديقاً وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما يحكي عنه خصومه

وجرت فى امارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين رضى الله عنه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله ولا نكت بالقضيب

على ثناياه رضى الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضى الله عنه الى الشام لكن أمر بمنع الحسين رضى الله عنه وبدفعه عن الامر ولو كان بقتاله فزاد النواب على أمره وحض الشمر ذى الجيوش على قتله لعبيد الله ابن زياد فاعتدي عليه عبيد الله بن زياد فطلب منهم الحسين رضى الله عنه أن يجيء الى يزيد أو يذهب الي الثغر مرابطاً أو يعود الى مكة فمنعوه رضى الله عنه الا أن يستأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه مظلوما له ولطائفة من أهل بيته رضى الله عنهم

وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن فى هذه الامة وقتلتهما من شرار الخلق عند الله ولما قدم أهلهم رضى الله عنهم على يزيد بن معاوية أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زيادا على قتله وقال كنت أرضى من طاعة أهل العراق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بثاره كان هو الواجب عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب مضافا الى أمور أخري وأما خصومه فيزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا نوابه وأهله فبعث اليهم جيشاً وأمره اذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثا فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثا يقتلون وينهبون و يفتضون الفروج المحرمة ثم أرسل جيشاً الي مكة المشرفة

فحاصروا مكة وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره

ولهذا كان الذي عليه مقتصد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسب ولا يحب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لابي ان قوما يقولون انهم يحبون يزيد قال يابني وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت ياأبت فلماذا لاتلعنه قال يابنى ومتى رأيت أباك يلعن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن يزيد بن معاوية فقال لا ولا كرامة أو ليس هو الذى فعل بأهل المدينة مافعل

فيزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لايحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه فانهم لايحبون لعنة المسلم المعين لما روى البخارى فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا كان يدعى حمارا وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما أتي به الى النبى صلى الله عليه وسلم ضربه فقال رجل لعنه الله ماأكثر ما يؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتلعنه فانه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه لانهم يعتقدون أنه فعل من الظلم مايجوز لعنة فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لانه مسلم تولى على عهد الصحابة وبايعه الصحابة ويقولون لم يصح عنه مانقل عنه وكانت له محاسن ولم يصح عنه مانقل عنه أوكان مجتهدا فيما فعله

والصواب هو ماعليه الائمة من أنه لم يخص بمحبة ولا يلعن ومع هذا فان كان فاسقا أوظالما فالله يغفر للفاسق والظالم لاسيما اذا أتى بحسنات

عظيمة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الانصاري رضى الله عنه

وقد يشتبه يزيد بن معاوية بعمه يزيد بن أبي سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر رضى الله عنه فى فتوح الشام ومشى أبو بكر في ركابه يوصيه مشيعا له فقال له ياخليفة رسول الله اما أن تركب واما أن أنزل فقال لست براكب ولست بنازل انى أحتسب خطاى هذه في سبيل الله فلما توفى بعد فتوح الشام فى خلافة عمر ولى عمر رضى الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وأقام معاوية بالشام الي أن وقع ماوقع

فالواجب الاقتصار فى ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحان المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وانه من أكابر الصالحين وأئمة العدل وهو خطأ بين

(فصل) وكذلك التفريق بين الامة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شكيلي أوقرفندى فان هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الائمة لا شكيلي ولا قرفندي والواجب

على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شكيلي ولا قرفندي بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله

وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان انه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال أنت على ملة علي أو ملة عثمان فقال لست على ملة علي ولا على ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلي الله عليه وسلم وكذلك كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم ما أبالي أي النعمتين أعظم على ان هداني الله للاسلام أوان جنبني هذه الاهواء والله تعالى قد سمانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا نعدل عن الاسماء التي سمانا الله بها الي اسماء أحدثها قوم وسموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الي امام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو الى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب الى القبائل كالقيسي واليماني والي الامصار كالشامي والعراقي والمصري

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أى طائفة كان

وأولياء الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال

على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والتقوى هى فعل ما أمر الله به وترك مانهى الله عنه

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وماصاروا به أولياء ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدى بمثل آداء ماافترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشى بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ولان سألني لاعطينه ولان استعاذني لاعيذنه وماترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابدله منه

فقد ذكر في هذا الحديث ان التقرب الى الله تعالى على درجتين * احداهما التقرب اليه بالفرائض * والثانية هى التقرب الى الله بالنوافل بعد آداء الفرائض * فالاولى درجة المقتصدين الابرار أصحاب اليمين * والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضى الله عنهما يمزج لاصحاب اليمين مزجا ويشربه

المقربون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله

والله سبحانه قد أوجب موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه ان ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله تعالى فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفى الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه وفي الصحاح أيضاً أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم اخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

وقال أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله الآية

فكيف يجوز مع هذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان تفترق

وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك ان يفضل الرجل من يوافقه على هواه وان كان غيره أتقى لله منه

وانما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره الله ورسوله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله وأن يكون المسلمون يداً واحدة ،كيف اذا بلغ الامر ببعض الناس الي أن يضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ فى شئ من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله لهذه الامة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى فى كتابه فى دعاء لرسول صلي الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وثبت في الصحيح ان الله قال قد فعلت

لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الاسلام مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعى أو منتسباً الى الشيخ عدى ثم بعد

هذا قد يخالف في شيء وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه ودمه أو ماله مع ماقد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن

وكيف يجوز التفريق من الامة باسماء مبتدعة لاأصل لها في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا التفريق الذى حصل من الامة علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء

فمتي ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا واذا اجتمعوا صلحوا وملكوا فان الجماعة رحمة والفرقة عذاب

وجماع ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا الي قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف والفرقة ومن النهى عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أوطلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد أن أحدا يستغنى عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فان تاب والا ضربت عنقه

وكذلك من اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه لان الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وكان مبعوثا الى بنى اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الي جميع الثقلين انسهم وجنهم فمن اعتقد انه يسوغ لاحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فانه يجب نهيه عن ذلك وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فانه اذا عوقب المعتدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الاسباب التي ترضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويصلح أمر المسلمين ويجب على أولى الامر وهم علماء كل طائفة وأمراؤها ومشايخها أن يقوموا عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمرونهم

بما أمر الله به ورسوله وينهونهم عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها واقامة الجمعة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعياد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح وصلاة الجنائز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومثل سائر ماأمر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه والصبر لحكم الله والتسليم لامر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الي أهلها وبر الوالدين وصلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والعدل في المقال والفعال ثم الندب الي مكارم الاخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لايحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ماعليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذى نهى الله عنه ورسوله فاعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة أو نبياً من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فكل هذا وأشباهه من الشرك الذى حرمه الله على لسان جميع رسله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل اما بالغصب واما بالربا أو الميسر كالبيوع والمعاملات التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وتطفيف المكيال والميزان و لاثم والبغي بغير الحق

وكذلك ماحرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله مالا يعلم مثل أن يروى عن الله ورسوله أحاديث يجزم بها وهو لايعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا اثارة من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت من صفات النفي والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لايري في الآخرة وانه لايتكلم ولا يحب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو كانت من صفات الاثبات والتمثيل مثل من يزعم انه يمشى فى الارض أو يجالس الخلق أو انهم يرون باعينهم أو ان السموات تحويه وتحيط به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع الفرية على الله

وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فاحدث لهم الشيطان عبادات ضاهاها بها مثل انه شرع لهم عبادة الله وحده لاشريك له فشرع لهم شركاء وهي عبادة ماسواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذى خلق أمر فى أولها بالقراءة وفى آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الافعال السجود لله وحده لاشريك له وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالي واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم ان يقرأ والباقى يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لابى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومر النبى صلى الله عليه وسلم بابى موسى رضى الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته فقال ياأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت لحبرته لك تحبيراً وقال لله أشد اذنا أى استماعا الى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته

وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الامة وأكابر المشايخ كمعروف

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ونحوهم وهو سماع المشايخ المتأخرين الاكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدى بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية

قال السلف المكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاه فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه

فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها الى الله فقد ضاها هؤلاء فى بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التى أثنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الافراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فان دين الاسلام واسع لاحرج فيه

وعماد الدين الذي لايقوم الا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها مالا يجب من الاعتناء بغيرها

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد اضاعة

وهى أول ماأوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله ايجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهى آخر ماوصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله و آخر ما يفقد من الدين فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فتى ذهبت سقط الدين

قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وغيره اضاعتها تأخيرها عن وقتها ولو تركوها كانوا كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي والمحافظة عليها فعلها في أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتي يخرج الوقت

وقد اتفق المسلمون على أنه لايجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا تأخير صلاة الليل الى النهار لا لمسافر ولا لمريض ولا غيرهما لكن يجوز عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتى النهار وهى الظهر والعصر في وقت احداهما ويجمع بين صلاتي الليل وهى المغرب والعشاء في وقت احداهما وذلك لمثل المسافر والمريض وعند المطر ونحو ذلك من الاعذار

وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم فعلي الرجل أن يصلى بطهارة كاملة وقراءة كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادما للماء أو يتضرر باستعماله لمرض أوبرد أوغير ذلك وهو محدث أوجنب يتيمم الصعيد الطيب وهو التراب يمسح به وجهه ويديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان محبوساً أو مقيداً أو زمناً أو غير ذلك صلى على حسب حاله واذا كان بإزاء عدو صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الي قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الى قوله فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

ويجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال النبي صلي الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم على تركها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس أو ترك بعض فرائضها المتفق عليها فانه يستتاب فان تاب والا قتل

فمن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فانها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وتارة يفتتح بها أعمال البر ويختمها بها كما ذكره في سورة سأل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغي وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا واياكم من الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً كثيرا

تمت الرسالة السابعة

ويليها الرسالة الثامنة له أيضا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضي الله عنه من الديار المصرية في شوال سنة أربع عشرة وسبعمائة في حسن ارادة الله تعالى لخالق الخلق وانشاء الانام وهل يخلق لعلة أو لغير علة فان قيل لا لعلة فهو عبث تعالى الله عنه وان قيل لعلة فان قلتم انها لم تزل لزم أن يكون المعلول لم يزل وان قلتم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال

الجواب * الحمد لله رب العالمين * هذه المسئلة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوباً وفروعاً وأكثرها شبهاً ومحارات فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فكل ما في الوجود متعلق بهذه المسئلة فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق سبحانه وكذلك الشرائع كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها وهي متعلقة بمسائل القدر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه جوامع علوم الناس فعلم الفقه هو الامر والنهي

وقد تكلم الناس في تعليل الاحكام الشرعية والامر والنهي كالامر بالتوحيد والصدق والعدل والصلاة والزكاة والصيام والحج والنهي عن الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك لحكمة ومصلحة وعلة اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهل علل الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة

وهل يسوغ في الحكمة أن ينهي الله عن التوحيد والصدق والعدل

ويأمر بالشرك والكذب والظلم أم لا

وتكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزه عنه مع قدرته عليه أم الظلم ممتنع لنفسه لايمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه هل هو بمعنى ارادته وهو الثواب والعقاب المخلوق أم هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل يريده ويحبه ويرضاه كما يريد ويحب سائر مايحدث أم هو واقع بدون قدرته ومشيئته وهو لايقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهتديا أم هو واقع بقدرته ومشيئته ولا يكون فى ملكه مالا يريد وله فى جميع خلقه حكمة بالغة وهو يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يريده الارادة الدينية المتضمنة لمحبته ورضاه وان ارادة الارادة الكونية التي تتناول ماقدره وقضاه وفروع هذه المسئلة كثيرة ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى التقديرات الثلاثة المذكورة في سؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف من بنى آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لا لعلة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينتسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس

الظاهرية كابن حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء أنه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها فانه اما أن يكون وجود تلك العلة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثانى ثبت ان وجودها أولى به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً

ومن حجتهم ماذكره السائل من أن العلة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان العلة الغائية وان كانت متقدمة على المعلول فى العلم والقصد كما يقال أول الفكرة آخر العمل وأول البغية آخر الدرك ويقال ان العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلا فلا ريب أنها متأخرة في الوجود عن العمل فمن فعل فعلا لمطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذى هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الاولى (فلو قيل) نه يفعل لعلة قديمة لزم أن لايحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل أنه فعل لعلة حادثة لزم محذور ان أحدها أن يكون محلا للحوادث فان العلة اذا كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها واذا قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثاً فيقوم به الحوادث والمحذور الثانى ان ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدها أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هى أيضاً مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير علة لزم العبث كما تقدم وان كان

لعلة عاد التقسيم فيها فاذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلة والعلة مما أحدثه لزم تسلسل الحوادث الثانى ان تلك العلة اما أن تكون مرادة لنفسها أو لعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كانت مرادة لغيرها فالقول فى ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج من ينفي تعليل أفعال الله تعالي وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقول ذلك طوائف من المسلمين كما سيأتى بيانه كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهؤلاء أصل قولهم ان المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها لا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم يكن جميع شروط الفعل وجدت فى الازل فانا لا نعنى بالعلة التامة الا ما يستلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هى جميع الامور المعتبرة في الفعل وهى المقتضى التام لوجود الفعل وهى جميع شروط الفعل التى يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجدد سبب والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة

للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح

ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكونهم متناقضين فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون له العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لا فاعل بالاختيار

وقولهم باطل من وجوه كثيرة * منها أن يقال هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلولها يقترن بها معلولها ولا يجوز أن يتأخر عنها شيء من معلولها فكل ما حدث من الحوادث لا يجوز أن يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما يصدر عنه الممكنات سوى الواجب بنفسه الذى سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث عنه وليس هناك محدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وأيضا فلو قدر أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالقول في الواجب الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة تستلزم مقارنة معلوله له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لا بواسطة ولا بغير واسطة لان تلك الواسطة ان كانت من لوازم وجود كانت قديمة معه فامتنع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها كالقول في غيرها وان قدر ان المحدث للحوادث غير واجب بنفسه كان ممكنا مفتقرا الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزمة له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لايوجد هو ولاشئ من صفاته وأفعاله الاعن الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعلة قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضى الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل كما تقدم

الوجه الثانى الذى يبين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحجة انه اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح والتسلسل عندكم جائز فان أصل قولهم ان هذه الحوادث متسلسلة شيأ بعد شئ وان حركات الفلك توجب استعداد القوابل لان تفيض عليها الصور الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم هى العقل الفعال أو هى الواجب الذى يصدر عنه بتوسط العقول أو غير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل جائزا عندكم لم يمتنع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك ان الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض فى ستة أيام وهذا مما اتفق عليه الملل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه خلقها بسبب حادث قبل ذلك كان خيرا من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع وكان أولى في العقل لان العقل ليس فيه مايدل على قدم هذه الافلاك حتى يعارض الشرع وهذه الحجة العقلية انما تقتضى أنه لايحدث شئ الا بسبب حادث فاذا قيل ان السموات والارض خلقها الله تعالى بسبب حدث قبل ذلك لم يكن في حجتكم العقلية مايبطل هذا

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتنعا فان كان ممتنعا في العقل لزم ان الحوادث جميعها لها أول كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام وبطل قولهم بقدم حركات الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حجتكم على التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا لمبدع العالم حكمة وغاية مطلوبة واما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة الباري تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحداثه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتم له حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

وأما التفسير الثالث وهو انه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسلمين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال * منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الي الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب وقالوا ان فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم الناس أنتم متناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لرقة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتذاذه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الي غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لاعاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم

علتم أفعاله فراراً من العبث فوقعتم في العبث فان العبث هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لماله في ذلك من المنفعة والمصلحة والا فامر الفاعل بفعل لايعود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لايستحسن من الآمر

وانشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسئلة التحسين والتقبيح العقلي فاثبت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبي حنيفة نفسه ونفى ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملائما له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعلها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على معصيته ضار للفاعل ومفسدة له

والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه
من أفعاله ومنازعوهم لما اعتقدوا ان لاحسن ولا قبح الا ماعاد الى
الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح فى حق الله تعالى هو الممتنع
لذاته وكل مايقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه
عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى
الفاعل منه حكم يقوم بذاته اذ عندهم لا يقوم بذاته وصف ولا فعل
ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على
مايحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه مايوجبون
على العبد ويحرمون عليه من جنس مايحرمون على العبد و يسمون
ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون
له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شئ قديرا ولا يقولون
ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ولا يقرون بانه خالق كل شئ ويثبتون
له من الظلم مانزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما أى لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه
من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى مايبدل القول لدىّ
وما أنا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث البطاقة الذى
رواه الترمذى وغيره يجاء برجل من أمتي يوم القيامة فتنشر له تسعة
وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيقال له هل تنكر من هذا شيئا
فيقول لا يارب فيقال له لا ظلم عليك اليوم و يؤتى ببطاقة فيها شهادة
أن لا اله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت

السجلات وثقلت البطاقة فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظلم بل يثاب على ماأتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجمهور هؤلاء الذين يسمون أنفسهم عدلية يقولون من فعل كبيرة واحدة أحبطت جميع حسناته وخلد فى نار جهنم فهذا الذى سماه الله ورسوله ظلما يصفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ويسمون تخصيصه من يشاء برحمته وفضله وخلقه ماخلقه لما فيه من الحكمة البالغة ظلما

والكلام فى هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نبهنا على مجامع أصول الناس في هذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ماهو الاصلح في دينه وتنازعوا في وجوب الاصلح في دنياه ومذهبهم أنه لا يقدر أن يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير مافعل ولا يقدر أن يهدى ضالا ولا يضل مهتديا

وأما سائر الطوائف الذين يقولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم والمتفلسفة أيضاً فلا يوافقونهم على هذا بل يقولون انه يفعل مايفعل سبحانه لحكمة يعلمها وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته مايطلعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمة عامة ورحمة عامة كارساله محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قالوا هو محمد صلى الله عليه وسلم

فاذا قال القائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان*أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف شرهم الذى كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجج والآيات التي زلزلت مافي قلوبهم وبالجهاد والجزية التى أخافتهم وأذلتهم حتى قل شرهم ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره فى الكفر فيعظم كفره وكان ذلك تقليلا لشره والرسل صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان*والجواب الثانى ان ماحصل من الضرر أمر مغمور في جنب ماحصل من النفع كالمطر الذى نفعه اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيراً مقصوداً ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجاب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفلسفة

وقال هؤلاء جميع مايحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال تعالي صنع الله الذى أتقن كل شئ وقال الذى أحسن كل شئ خلقه والضرر الذى يحصل به حكمة مطلوبة لايكون شراً مطلقا وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لايجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اضافة الشر وحده الى الله بل لايذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة اما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق وتضمن مااشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم واما أن يضاف الى السبب الفاعل واما ان يحذف فاعله فالاول كقوله تعالى الله خالق كل شئ ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع والضار النافع المعز المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن قرينه لان اقترانها يدل على العموم وكل ما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهو من فضله تعالى ومافي الوجود من غير ذلك فمن عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملأى لايغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مافي يمينه والقسط بيده الاخرى يخفض ويرفع فاخبر ان يده اليمنى فيها الاحسان الي الخلق و يده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع فخفضه ورفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن وانا لاندرى أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وقوله تعالي صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

واضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فاردت أن أعيبها مع قوله فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما وقوله تعالي ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وأمثال ذلك

ولهذا ليس في أسماء الله الحسني اسم يتضمن الشر وانما يذكر الشر في مفعولاته كقوله نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم وقوله ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقوله اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود فبين سبحانه ان بطشه شديد وانه هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسني الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما جاء في القرآن مقيدا كقوله تعالي انا من المجرمين منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذى في عدد الاسماء الحسنى الذى يذكر فيه المنتقم وذكر فى سياقه البر التواب المنتقم العفو الرؤف ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلي الله عليه وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

احد من أهل الكتب المشهورة الا الترمذى رواه من طريق الوليد ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف فى الاسماء وفى ترتيبها يبين انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة ثم عن الاعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل الصحيح كالبخارى ومسلم وغيرهما ولكن روي عدد الاسماء من طريق أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه واسناده ضعيف يعلم أهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وليس فى عدد الاسماء عن النبى صلى الله عليه وسلم الا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبى هريرة وهذا مبسوط في موضعه

والمقصود هنا التنبيه على أصول تقع في معرفة هذه المسئلة فان نفوس بنى آدم لاتزال يجول فيها من هذه المسئلة أمر عظيم

واذ علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً وايمانا ظهر له من حكمة الله ورحمته مايبهر عقله ويبين له تصديق ماأخبر الله به فى كتابه حيث قال سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فانه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها وفي الصحيحين عنه أنه قال ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحــدة فيها يتراحم الخلق حتى أن الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الي تلك فرحم بها عباده أو كما قال

ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين وغــيرهم كائمة المذاهب الاربعــة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة فلا ينفونها كما نفاها الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشيئة بلا رحمة ولا محبة ولا رضا وجعلوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لايفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ماوقع من الكفر والفسوق والعصيان قالوا انه يحبــه ويرضاه كما يريده واذا قالوا لايحبــه ولا يرضاه ديناً قالوا انه لايريده ديناً ومالم يقع من الايمان والتقوى فانه لايحبه ولا يرضاه عندهم كما لايريده وقد قال تعالى اذ يبيتون مالا يرضى من القول فأخبر أنه لايرضاه مع أنه قدره وقضاه ولا يوافقون المعتزلة على انكار قدر الله تعالى وعموم خلقه ومشيئته وقدرته ولا يشبهونه بخلقه فيما يجب ويحرم كما فعــل هؤلاء ولا يسلبونه ماوصف به نفسه من صفاته وأفعاله بل أثبتوا له ماأثبته لنفسه من الصفات والافعال ونزهوه عما نزه نفسه من الصفات والاعمال وقالوا ان الله خالق كل شئ ومليكه وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وهو على كل شئ قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولايرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله وقالوا مع أنه خالق كل شئ وربه ومليكه فقد فرق بين المخلوقات أعيانها

وأفعالها كما قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال وما يستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل والحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات وأمثال ذلك مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق الى شقى وسعيد كما قال تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال تعالى فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة وقال تعالى يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليماً وقال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون ونظائر هذا في القرآن كثير

وينبغي أن يعلم ان هذا المقام زل فيه طوائف من أهل الكلام والتصوف وصاروا فيه الى ماهو شر من قول المعتزلة ونحوهم من القدرية فان هؤلاء يعظمون الامر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا أنهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقاً متناولا لكل شئ لزم من ذلك القدح في عدل الرب وحكمته وغلطوا فى ذلك فقابل هؤلاء قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وآمنوا بان الله رب كل شئ ومليكه وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه خالق

كل شيء وهذا حسن وصواب لكنهم قصروا في الامر والنهي والوعد والوعيد وافرطوا حتى غلا بهم الى الالحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فاولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فاعلا لما اعتقدوه شراً غير الله سبحانه فهؤلاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وغيرهما أنهم لايقرون بالجزية وجمهور العلماء على أن مشركي العرب لايقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل

والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهي فهو شر ممن أثبت الامر والنهي ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحظور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وابليس سواء ونوح وقومه سواء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاولون والكافرون سواء وهذا

الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيئة من غير أثبات المحبة والبغض والرضا والسخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد الالهية ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن الله رب كل شئ لايكون توحيداً حتى تشهد أن لا اله الا الله كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة سألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء فى التوحيد ويقولون ان هذا نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة

وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولاحول ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون
وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع
والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
الامر فسيقولون الله قل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد
الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا
أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى
الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الي الحق أحق أن يتبع أم من
لايهدي الا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق
السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أم من
جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل
بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب
المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله
قليلا ماتذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل
الرياح بشراً بين يدى رحمته أإله مع الله تعالي الله عما يشركون أم من يبدأ
الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانو مقرين بان الله
خالق السموات والارض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء وكانوا
مقرين بالقدر

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لاشريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى

فمن كان غاية توحيده وتحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيده توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأى مقام زلت فيه أقدام وضلت فيه افهام وبدل فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة و لكلام

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعة القدرية المثبتين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمتنبئ الكاذب وأولياء الله وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الخلال في كتاب السنة في الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصى وذكر المروزى قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر العباد فقال هكذا لاتقول وأنكر ذلك وقال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء

وذكر عن المروزى ان رجلا قال ان الله لم يجبر العباد علي المعاصى فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهما جميعاً حتى قال أو أمر أن يقال يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهدى

قال أنكر سفيان الثوري جبر وقال ان الله جبل العباد

قال المروزي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس يعني قوله ان فيك لخلتين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما فقال بل خلقين جبلت عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما

وذكر عن أبي اسحاق الفزاري قال قال الاوزاعي أتاني رجلان فسألاني عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجيبهما قلت رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتاني الاوزاعي ومعه الرجلان فقال تكلما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر ونازعناهم فيه حتى بلغ بنا وبهم الى أن قلنا ان الله جبرنا على مانهانا عنه وحال بيننا وبين ماأمرنا به ورزقنا ماحرم علينا فقلت ياهؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا واني أراكم قد خرجتم من البدعة الى مثل ماخرجوا اليه فقال أصبت وأحسنت ياأبا اسحاق

وذكر عن بقية بن الوليد قال سألت الزبيدي والاوزاعي عن الجبر فقال الزبيدي أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ماأحب

وقال الاوزاعي ماأعرف للجبر أصلا من القرآن والسنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل فهذا يعرف في القرآن والحديث * وقال مطرف بن الشخير لم نوكل الى القدر واليه نصير * وقال ضمرة بن ربيعة لم نؤمر أن نتوكل على القدر واليه نصير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامنكم من أحد الاوقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يارسول الله أفلاندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لااعملوا فكل ميسر لماخلق له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الخلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لايحتجون بالقدر على المعاصي فكيف من يحتج به على المعاصي * ومعلوم انه يدخل فى ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على اسقاط الامر والنهى اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروى فى ذلك حديث مرفوع لان كلامن هاتين البدعتين تفسد الامر والنهى والوعدوالوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم والقدرى ان احتج به كان عونا للمرجئ وان كذب به كان هو والمرجئ قد تقابلا هذا يبالغ فى التشديد حتى لايجعل العبد يستعين بالله على فعل ماأمر به وترك مانهى عنه وهذا يبالغ فى الناحية الاخرى

ومن المعلوم ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت وتطاع فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالي ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهى

الذي بعث الله به رسله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لايمكن أحدهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والافليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفسد أهله أو غير ذلك فمتى لامه أو ذمه أو طلب عقوبته أبطل الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكفر الذى لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في العقل محال في الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والشراب فيحب مايشبعه ويرويه دون مالاينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحى وان كان من كان لابد أن يفرق بين ماينفعه وينعمه ويسره وبين مايضره ويشقيه ويؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم

(والناس في الشرع والقدر على أربعة أنواع فشر الخلق) من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه فى الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك * وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لا يحب كل مختال فخور * وقال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم * قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام انه لما فعل ما فعل قال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابليس انه قال فبما أغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم أجمعين فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالقدر أشبه ابليس

(والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام) لما قال له موسى أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك أسماء كل شئ لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم ربه فغوى قال بكذا وكذا سنة قال فحج آدم موسي وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقد روى باسناد جيد عن عمر رضي الله عنه فآدم انما حج موسى لان موسى لامه على ما فعل لاجل ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لاجل حق الله في الذنب فان آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن

هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لايبقى ملام على الذنب وآدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه * وقد قال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه * وقال أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته * وكان بعض أهله اذا عتبني على شيء يقول دعوه فلو قضي شيء لكان * وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه قط شيء فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله * وقد قال صلى الله عليه وسلم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها فهو في أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كالمصائب السماوية أو بفعل لاسبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لاسبيل الي لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفى مظلمته على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لاينظرون الى القدر لافي المعائب ولا فى المصائب التى هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أساؤا استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابتهم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذى مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر فى حقهم دعوه فلو قضى شئ لكان لاسيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من مثبتى القدر ونفاته هؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلاء

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد يجيبهم الاولون بقراءة مكذوبة فمن نفسك بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا أى أفمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ماأصابك فيقولون تقدير الآية فمالهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا يقولون فيحرفون لفظ القرآن ومعناه ويجعلون ماهو من قول الله قول الصدق من قول المنافقين الذين أنكر الله قولهم ويضمرون في القرآن مالا دليل على ثبوته بل سياق الكلام ينفيه من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى القرآن وبحقيقة المذهب الذي ينصره وأما القرآن فالمراد هنابالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصى وهذا كقوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون أى بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفى كل موضع مايبين المراد باللفظ فليس فى القرآن العزيز بحمد الله تعالي اشكال بل هو مبين

وذلك انه اذا قال ماأصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل

غيرك بك كما قال ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وكما قال تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم واذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لانه هو الخالق بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به وسياق الآيتين يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحض على الجهاد وذم المتخلفين عنه فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فامر سبحانه بالجهاد وذم المثبطين وذكر ما يصيب المؤمنين تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم أحد فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأييده كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم انه سبحانه قال فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال تعالى ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الى قوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذه من عند الله وان أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذى جاء به فان الكفار

كانوا يضيفون ما أصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالي ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ونظيره قوله تعالي في سورة يس قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فاخبر الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم بلاء جعلوه بسبب أهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عز وجل فقال تعالي فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله مايكون سببا للشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالي ماأصابك من حسنة فمن الله أى ماأصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمة أنعمها عليك وان كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذى هداك وأعانك ويسرك لليسرى ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وفى الصحيح سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لااله الا أنت خلقتني

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت من قالها اذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا أمسي موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ثم قال تعالي وما أصابك من سيئة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أى بذنوبك وخطاياك وان كان ذلك مكتوبا مقدرا عليك

فان القدر ليس حجة لاحد على الله ولا على خلقه ولو جاز لاحد ان يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد فى الدين والدنيا المعلوم ضرورة وافساده بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول فالقدر يؤمن به ولا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقر بالامر والقدر وطعن فى عدل الله وحكمته كان شبيها بابليس فان الله تعالي ذكر عنه انه طعن فى حكمته وعارضه برأيه وهواه وانه قال فبما اغويتني لازينن لهم فى الارض

وقد ذكر طائفة من اهل الكتاب وبعض المصنفين في المقالات كالشهرستاني انه ناظر الملائكة في ذلك معارضاً لله تعالى في خلقه وامره لكن هذه المناظرة بين ابليس والملائكة التى ذكرها الشهرستانى في اول المقالات ونقلها عن بعض اهل الكتاب ليس لها اسناد يعتمد عليه ولو وجدناها فى كتب أهل الكتاب لم يجز أن نصدقها لمجرد ذلك فان

النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه فى الصحيح انه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبونه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقونه ويشبه والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات والمصنفون في المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الاشعرى وغيره مانقله فى المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأولها تصنيفاً في هذا الباب ولهذا توجد المقالات منقولة بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان ابليس كما رأينا كثيراً منهم يضع كتابا أو قصيدة على لسان بعض اليهود أوغيرهم ومقصودهم بذلك الرد على المثبتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لاتتم لا بالتكذيب بالقدر كما وضعوا فى مثالب ابن كلاب انه كان نصرانياً لانه أثبت الصفات وعندهم من أثبت الصفات فقد أشبه النصارى وتلقى أمثال هذه الحكايات بالقبول من المنتسبين الى السنة ممن لم يعرف حقيقة أمرها

والمقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عذبهم بذنوبهم فلو كانت حجتهم مقبولة لم يعذبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين فى الدين الا وقد أنعم بمثلها على الكفار فعندهم ان على بن أبى طالب رضى الله عنه وأبا لهب مستويان في نعمة الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل وأجبر عليه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حبب الايمان الى الكفار كابى لهب وامثاله كما حببه الى المؤمنين كعلى رضي الله عنه وامثاله وزينه في قلوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان الى الطائفتين سواء لكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن توهم منهم أومن نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هـذا لم يقله أحد من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية كلاهما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بارادة خلقها فيه تختص باحدهما فاذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم وكانت الآية حجة عليهم لا لهم لانه قال تعالى قل كل من عند الله وعندهم ليس الحسنات المفعولة ولا السيئات المفعولة من عند الله بل كلاهما من العبد وقوله تعالى ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنة المفعولة من العبد لا من الله سبحانه وتعالى

وكذلك من احتج من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى قل كل من عند الله كان مخطئا فان الله ذكر هذه الآية ردا على من يقول الحسنة من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من الناس ان الحسنة المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس فعل العبد وان قال أهل الاثبات ان الله خلقه وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لاينكرون ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خلقها وأيضاً فان قوله بعد هذا ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يمتنع أن يفسر بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لايقولون ان الله خلق احداهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خالق لجميع الافعال وكل الحوادث

(ومما ينبغى أن يعلم) ان مذاهب سلف الامة مع ان قولهم الله خالق كل شيء وربه ومليكه وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه على كل شيء قدير وأنه هو الذى خلق العبد هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين وقال تعالي ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضع اضطرب فيه الخائضون فى القدر فقالت المعتزلة ونحوهم من النفاة الكفر والفسوق والعصيان أفعال قبيحة والله منزه عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا يكون فعلا له وقال من رد عليهم

من المائلين الى الجبر بل هى فعـله وليست أفعالا للعباد بل هى كسب للعبد وقالوا ان قدرة العبد لاتأثير لها في حدوث مقدورها ولا في صفة من صـفاتها وان الله أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنا لهـا فيكون الفـعل خلقا من الله وابداعا وأحداثا وكسبا من العبـد لوقوعه مقارنا لقدرته

وقالوا ان العبد ليس محدثا لافعاله ولا موجـداً لها ومع هذا فقد يقولون انا لانقول بالجبر المحض بل نثبت للعبد قدرة حادثة والجبر المحض الذى لايثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذى أثبتوه وبين الخلق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم الناس هذا لايوجب فرقا بين كون العبد كسباو بين كونه فعـلاوأوجد وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدور بالقـدرة الحادثه وهو قائم فى محل القدرة الحادثة وأيضاً فهذا فرق لاحقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أوخارجا عن محلها لايعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبنى على أصلين ان الله لايقدر على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العـقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثانى ان قدرة العبد لايكون مقدورها خارجا عن محلها وفى ذلك نزاع طويل ليس هـذا موضعه وأيضاً فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو خارجا عن المحل وأيضاً قال لهم المنازعون من المستقر في فطر الناس ان من فعل العدل فهو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم ومن فعل الكذب فهو كاذب فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله بل الله هو فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم

قالوا وهذ كما قلتم أنتم وسائر الصفاتية من المستقر في فطر الناس أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قامت به الحركة فهو متحرك ومن قام به التكلم فهو متكلم ومن قامت به الارادة فهو مريد وقلتم اذا كان الكلام مخلوقا كان كلاما للمحل الذى خلقه فيه كسائر الصفات فهذه القاعدة المطردة فيمن قامت به الصفات نظيرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بذكر اضافة هذه الافعال الى العباد كقوله تعالى جزاء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا ماشئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمثال ذلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل متفقان على أن العبد يحمد ويذم على فعله ويكون حسنة له فلولم يكن الا فعل غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها

وفي المسئلة كلام ليس هذا موضع بسطه لكن ننبه على نكت نافعة في هذا الموضع المشكل

فنقول قول القائل هذا فعل هذا وفعل هذا لفظ فيه احمال فانه تارة يراد بالفعل نفس الفعل وتارة يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت هذا أفعله فعلا وعملت هذا أعمله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل

الذى هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل هنا المعمول قال تعالى يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين مابمعنى الذى والمراد به ماتنحتونه من الاصنام كما قال تعالى أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وما تعملون أى والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق كل صانع وصنعته لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذى أحدثوه فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذى أحدثوه فيها فانها انما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهى بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقا لافعالهم

والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع أنواع وذلك كلفظ البناء والخياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلى المفعول وكذلك لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول يقع على نفس مسمى المصدر وعلى مايحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر

والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التصرفات فعل الله أوفعل

العبدفان أراد بذلك أنهافعل الله بمعنى المصدرفهذا باطل باتفاق المسلمين وبصريح العقل ولكن من قال هو فعل الله أراد به انها مفعولة مخلوقة لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل يقوم به فلا فرق عنده بين فعله ومفعوله وخلقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا يقولون هذه مخلوقة لله مفعولة ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً مفعولة له اذا أريد بالفعل المفعول فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين الفعل والمفعول اذا قال انها فعل لله تعالى وليس لمسمى فعل الله عنده معنيان فحينئذ فلا تكون فعلا للعبد ولا مفعولة له بطريق الاولى

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب وللعبدفأثبت مفعولا بين مفعولين وأكثر المعتزلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لايكون الا بمعنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا عظم النزاع وأشكلت المسئلة على الطائفتين وحاروا فيها

وأما من قال خلق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته قال ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر المفعولات ولم يقل انها نفس فعل الرب وخلقه بل قال انها نفس فعل العبد وعلى هذا تزول الشبهة فانه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من القبائح يتصف بها من كانت فعلا له كما يفعلها العبد وتقوم به ولايتصف بها من كانت مخلوقة له اذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه لايتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وغير ذلك فاذا كان قد خلق لون الانسان لم يكن هو المتلون به واذا خلق رائحة منتنة أو طعماً مراً أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً بهذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والافعال القبيحة ومعنى قبحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لالمه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لا على الخالق الذي خلقها فعلا لغيره

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الافعال القبيحة الضارة لفاعلها حكمة عظيمة كما له حكمة عظيمة فيما خلقه من الامراض والغموم ومن يقول لا تعلل أفعاله لا يعلل لا هذا ولا هذا

يوضح ذلك ان الله تعالى اذا خلق في الانسان عمى ومرضاً وجوعاً وعطشاً ووصبا ونصبا ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم تضرر هذه المخلوقات وما فيها من الاذى والكراهة عاد اليه ولا يعود الى الله تعالى شيء من ذلك فكذلك ماخلق فيه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيآت وقبائح أي انها تسوء صاحبها وتضره وقد تسوء أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه ونتن ريحه ونحو ذلك قد يسوء غيره ويضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق في العبد كفراً أو فسوقا على سبيل الجزاء كما في قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقوله فلما زاغوا

أزاغ الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد وكسبا له يجزى عليها ويستحق الذم عليها والعقاب وهي مخلوقة لله تعالى فالقول عند أهل الاثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما يخلقه جزاء من هذا الوجه وان افترقا من وجه آخر وهم لا يمكنهم أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الي كون هذا فعلا لله دون هذا وهذا فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء العبد بما يضره وهم لا يقولون لا يحسن منه أن يضر الحيوان الا بجرم سابق أوعوض لاحق وأما أهل الاثبات للقدر فمن لم يعلل منهم لا يفرق بين مخلوق ومخلوق

وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه من الحيوان حكم عظيمة كما له حكم في غير هذا ونحن لا نحصر حكمته في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في الافعال معطلة في الصفات * ومن أصولهم الفاسدة انهم يصفون الله بما يخلقه في العالم اذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه في غيره ومريد بارادة يحدثها لا في محل وقولهم ان رضاه وغضبه وحبه وبغضه هو نفس المخلوق الذي يخلقه من الثواب والعقاب وقولهم انه لو كان خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الاقوال التي اذا تدبرها العاقل علم فسادها بالضرورة

ولهذا اشتد نكير السلف والائمة عليهم لاسيا لما أظهروا القول بأن القرآن مخلوق وعلم السلف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى وانه لو كان كلامه هو مايخلقه لزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له فيكون انطاقه للجلود يوم القيامة والطاقه للجبال والحصا بالتسبيح وشهادة الايدى والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلولية والجهمية كصاحب الفصوص وأمثاله ولهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول أن الله تعالى اذا خلق صفة فى محل كانت صفة لذلك المحل فاذا خلق حركة فى محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها واذا خلق لونا أوريحا في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك واذا خلق علما أوقدرة أوحياة فى محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحى فكذلك اذا خلق ارادة وحبا وبغضا في محل كان هو المريد المحب المبغض فاذا خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذا خلق له كذبا وظلما وكفرا كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحجا كان العبد هو المصلي الصائم الحاج والله تعالى لايوصف بشيء من مخلوقاته بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس هو نفس السموات والارض بل الخلق غير المخلوق لاسيا مذهب السلف والائمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله

فان المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية القدرية نقضوا هذا الاصل على من لم يقل ان الخالق غير المخلوق كالاشعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم بالعدل والاحسان وغيرهما من أفعال الله تعالى فانه يسمي عادلا بعدل خلقه في غيره محسنا باحسان خلقه فى غيره فكذا يسمي متكلما بكلام خلقه فى غيره

والجمهور من أهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل ويقولون انما كان عادلا بالعدل الذى قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذى قام بنفسه وأما المخلوق الذى حصل للعبد فهو أثر ذلك كما انه رحمن رحيم بالرحمة التي هى صفته وأما ما يخلقه من الرحمة فهو أثر تلك الرحمة واسم الصفة يقع تارة على الصفة التى هى المصدر ويقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول كلفظ الخلق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق أخري والرحمة تقع على هذا وهذا وكذلك الامر يقع على أمره الذى هو مصدر أمر يأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وكذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع علي المقدور ونظائر هذا متعددة

وقد استدل أحمد وغيره من ائمة السنة فى جملة ما استدلوا علي ان كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات ونحو ذلك وقالوا الاستعاذة لا تحصل لمخلوق وطرد هذا قول النبى صلى الله

عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من ع وبتك وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد أهل البدع والضلال لا يستطيلون على فريق منتسبين الى السنة والهدى الا بما دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى وضلال آخر لا سيما اذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين ان استطاعوا خروج الشعرة من العجين كما فعلت القرامطة الباطنية والفلاسفة وأمثالهم بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطالوا على الاشعرية ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفي الافعال القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصلهم الذى استدلوا به عليهم من أن كلام الله غير مخلوق وان الكلام وغيره من الامور اذا خلق بمحل عاد حكمه على ذلك المحل واستطالوا عليهم بذلك في مسئلة القدر واضطروهم الى أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من القبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد ثم أثبتوا كسبا لا حقيقة له فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لا حقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعرى اضطروهم الى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرد الاقتران العادى والاقتران العادى يقع بين كل ملزوم ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة فليس جعل هذا مؤثرا في هذا الباب بأولى من العكس ويقع بين المعلول وعلته المنفصلة عنه مع أن

قدرة العباد عنده لايتجاوز محلها ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول وأبو اسحاق الاسفرايني الى قول وأبو المعالى الجويني الى قول لما رأوا في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود هنا التنبيه

ومن النكت في هذا الباب ان لفظ التأثير ولفظ الجبر ولفظ الرزق ونحو ذلك ألفاظ مجملة فاذا قال القائل هل قدرة العبد مؤثرة في مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدها القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الامر والنهي والثاني القدرة القدرية الموجبة للفعل التي هي مقارنة للمقدور لايتأخر عنها فالاولى هي المذكورة في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت الاعلى من حج فلايكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد وراحلة وهو قادر على الحج أو لم يكن وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله مااستطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم لو أراد استطاعة لاتكون الا مع الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ماتفعلون فلايكون من لم يفعل شيئا عاصيا له وهذه الاستطاعة المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون في مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لايثبت استطاعة الا ماقارن الفعل وتجد كثيراً من الفقهاء يتناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من المتكلمين

المثبتين للقدر ان الاستطاعة لاتكون الا مع الفعل وافقوهم على ذلك واذا خاضوا فى الفقه أثبتوا الاستطاعة المتقدمة التي هى مناط الامر والنهي وعلى هـذا تتفرع مسـئلة تكليف مالا يطاق فان الطاقة هى الاستطاعة وهى لفظ مجمـل فالاستطاعة الشرعية التى هى مناط الامر والنهى لم يكلف الله أحداً شيئا بدونها فلا يكلف مالا يطاق بهذا التفسير وأما الطاقة التي لاتكون الا مقارنة للفعل فجميع الامر والنهى تكليف مالايطاق بهذا الاعتبار فان هـذه ليست مشروطة في شيء من الامر والنهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف المعـلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التى هى مناط الامر والنهى كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره الله ونهاه فهو مستطيع بهـذا الاعتبار وان علم انه لايطيعه وان أريد بالقدرة القدرية التي لاتكون الا مقارنة للمفعول فمن علم انه لايفعل الفعل لم تكن هذه القدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما لا يريد أولا يأمر الا بما يريد فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الارادة الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد في السماء وقول نوح عليه السـلام ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لايريده بهذا التفسير

والمعنى كما قال تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع انه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا ان شاء الله أو ليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر ان شاء الله أو ليصومن رمضان ان شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فانه اذا لم يفعل المحلوف عليه لايحنث مع ان الله أمره به لقوله ان شاء الله فعلم ان الله لم يشأه مع أمره به وأما الارادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضا وهي ملازمة للامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شيأ لايريده الله اذا كان يفعل بعض الفواحش أى انه لايحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه

وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبرا بهذا التفسير فانه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبرا بهذا الاعتقاد ويراد بالجبر خلق مافي النفوس من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذى جبر العباد على ماأراد كما فى الدعاء المأثور عن على رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملا نهى الائمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ماأباحه الله أو ملكه فلايدخل الحرام في مسمى هذا الرزق كما في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً وأمثال ذلك وقد يراد بالرزق ماينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تمليك فيدخل فيه الحرام كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الائمة من اطلاق ذلك نفياً واثباتاً كما تقدم عن الاوزاعى وأبي اسحاق الفزارى وغيرهما وكذا لفظ التأثير فيه اجمال فان القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من أسبابه وعلة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علة للفعل وسبب ومعلوم أنه ليس فى المخلوقات شئ هو وحده علة تامة وسبب تام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لايكون الحادث به وحده بل لابد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الاثر فكل سبب فهو موقوف على وجود الشروط وانتفاء الموانع وليس فى المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شئ

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه الا واحد واعتبر ذلك بالاسباب الطبيعية كالسخن والبرد ونحو ذلك فمن هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار والثاني قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط بالجسم المقابل للشمس الذي ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذي قدروه في أنفسهم لا وجود له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلي الذي يثبته الفلاسفة كالوجود المجرد عن الصفات وكالعقول المجردة وكالكليات التي يدعون تركب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليتين وامثال ذلك لا وجود لها في الخارج بل انما توجد في الاذهان لا في الاعيان وهي أشد بعدا عن الوجود من الجوهر الفرد الذي يثبته من يثبته من أهل الكلام فان هذا الواحد لا حقيقة له في الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه

والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو بسبب يتوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك بخلق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدورها ثابت بهذا الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالاثر من غير مشارك معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده خالق كل شيء فلا شريك له ولا ندله فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده قل

ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظائر هذا في القرآن كثيرة فاذا عرف مافي لفظ التأثير من الاجمال والاشتراك ارتفعت الشبهة ورفع العدل المتوسط من الطائفتين فمن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضية للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدرة ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم تحدث له معرفة من الله وارادة لم تكن قبل الفعل فقوله معلوم الفساد وقيل لهؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات فكل مابه يعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بعد أن لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدثه ويرجح وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من متكلمة الاثبات القائلين بالقدر سلموا للمعتزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسئلة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الي جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الرجحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلامرجح أو الارادة

القديمة ترجيح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم بنفسه وان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقائلين بقدم العالم قالوا هذا الذى قلتموه معلوم الفساد بالضرورة وتجويز هذا يقتضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع

ثم ان هؤلاء المثبتين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفاة القدر وقالوا حدوث فعل العبد بعد ان لم يكن لابد له من محدث مرجح تام غير العبد فان ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذى قالوه حق وهو حجة قاطعة على القدرية لكنهم نقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى وادعوا هناك ان البديهة فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات فان كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حجتهم على المعتزلة ولم يبطل قول القدرية وان كان باطلا بطل قولهم في احداث الله وفعله للعالم وهذا هو الباطل في نفس الامر فان القول بأن الممكن لايترجح وجوده على عدمه الا بمرجح تام أمر معلوم بالفطرة الضرورية لايمكن القدح فيه وهو عام لاتخصيص فيه فالفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن خلق العالم هو العالم وانه حدث بعد ان لم يكن بغير سبب حادث ومن قال ان قدرة العبد وغيرها من الاسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابا أو ان وجودها كعدمها وليس هناك الا مجرد اقتران عادى

كاقتران الدليل بالمدلول فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما في الاجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز

قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لاينبغي للانسان أن يقول انه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويت عنده فان الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى يقول وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء وقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما الي قوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل

هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لايموتن أحد منكم الا آذنتموني حتى أصلي عليه فان الله جاعل بصلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وان الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثل هذا كثير

ولنظير هؤلاء الذين أبطلوا الاسباب المقدورة في خلق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون ان مايحصل بالدعاء والاعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات ان كان مقدراً حصل بدون ذلك وان لم يكن مقدوراً لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن انه قيل يارسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها وأرقية نسترقي بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خلق الاسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فاذا قال القائل ان كان هذا مقدوراً حصل بدون السبب والالم يحصل

جوابه انه مقدور بالسبب وليس مقدوراً بدون السبب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة خلقا خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم وبعمل أهل النار يعملون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر باربع كمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذى نفسى بيده ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين صلي الله عليه وسلم ان هدا يدخل الجنة بالعمل ألذى يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذى يعمله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم وذلك لان جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله وبالجملة فالذى عليه سلف الامه وأئمتها مابعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكونى وحكمه الدينى وارادته الكونية والدينية كما قال فى الاول فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي

ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى في الاراده الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال مايريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خالق كل شئ وربه ومليكه وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقرون بانه لااله الا هو لايستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلون عليه وينيبون اليه ويوالون أولياءه ويعادون أعداءه ويقرون بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبغضه لما نهي عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته

فهو الههم الذى يعبدونه وربهم الذى يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الي قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل مايحبونه سواه فانما يحبونه لاجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله و رسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار وفي الترمذى وغيره أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين

وكمال الحب هو الخلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلا واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الامة وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت الجهمية ومن تبعهم محبته وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط وقال يأيها الناس ضحوا تقبل الله ضحايا كم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه وهذا أصل مسئلة ابراهيم الذي جعله الله اماما للناس قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما وقال ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ومن

قال ان المراد بمحبة الله محبة التقرب اليه فقوله متناقض فان محبة التقرب اليه تبع لمحبته فمن أحب الله نفســه أحب التقرب اليه ومن كان لايحبه نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لايطيعه ولا يمتثل أمره الا لاجــل غرض آخر فهو فى الحقيقة انما يحب ذلك الغرض الذى عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيلة اليه وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقــل موازيننا ويدخلنا الجنــة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل مايتنعمون فيه ومحبة النظر اليــه تبع لمحبته فانما أحبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويجد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاته وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه أكمل كان تنعمه بهــذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أحمد وغيره حبب الىّ من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قرة عيني فى الصلاة وكان صلى الله عليه وســلم يقول أرحنا بالصــلاة يابلال وهذا مبسوط فى غــير هذا الموضع

والمقصود هنا ان عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وحبهم له بحسب فعلهم لما يحبه كما فى صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الى عبدي بمثل أداء ماافترضت عليه ولايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

فقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله ومايحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لايحصون ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفي الصحيح انه قال لاأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع اني حمدت ربي فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بسمات

الكمال التي لا يبلغها عقول الخلائق فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه قال يقبض الله الارض و يطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئا أنا الذى أعيدها وفى رواية يحمد الرب نفسه فهو يحمد نفسه ويثنى عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغنى بنفسه لايحتاج الي أحد غيره بل كل ماسواه فقير اليه يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان وهو الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فاذا فرح بتوبة التائب وحب من تقرب اليه بالنوافل ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره ولامستكمل بسواه فانه هو الذى خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى فعلوا مايحبه ويرضاه ويفرح به فهذه المحبوبات لم تحصل الا بقدرته ومشيئته وخلقه فله الملك لاشريك له وله الحمد فى الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتج به الجمهور الذين يثبتون لافعاله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لاجلها قالوا وقول القائل ان هذا يقتضى انه مستكمل بغيره فيكون ناقصا قبل ذلك

فمن أجوبة أحدها ان هذا منقوض بنفس مايفعله من المفعولات فما كان جوابا في المفعولات كان جوابا عن هذا ونحن لا نعقل في الشاهد فاعلا لا مستكملا بفعله

الثاني انهم قالوا كماله أن يكون لايزال قادرا على الفعل بحكمة فلو قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا

الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل بقدرته ومشيئته لاشريك له فى ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا الى غيره واذا قيل كمل بفعله الذي لايحتاج فيه الى غيره كان كمالو قيل كمل بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ماتجدد فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذى اقتضت الحكمة وجوده فيه يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال عدم الشئ فى الوقت الذى لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال كما ان وجوده فى وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل شئ نقصا بل عدم مايصلح وجوده هو النقص كما ان وجود مالا يصلح وجوده نقص فتبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة عدمها هو النقص لان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا بالصفات الثبوتية المتضمنة لكماله وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة لكماله أيضا فكان عدم ماينفى عنه هو من الكمال كما ان وجود مايستحق ثبوته من الكمال واذا عقل مثل هذا في الصفات فكذلك في الافعال ونحوها وليس كل زيادة يقدرها الذهن من الكمال بل كثير من الزيادات تكون نقصا فى كمال المزيد كما يعقل مثل ذلك فى كثير من الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء فى وقت نقصا وعيبا فى

حقه وفي وقت آخر كمالا ومدحا في حقه كما يكون في وقت مضرة له وفى وقت منفعة له

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث لحكمة ومن لايقدر على ذلك كان معلوما ببديهة العقل ان القادر على ذلك أكمل مع ان الحوادث لايمكن وجودها الا حوادث لاتكون قديمة واذا كانت القدرة على ذلك أكمل وهذا المقدور لايكون الا حادثا كان وجوده هو الكمال وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال وعدم الممتنع الذى هو شرط فى وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون بهذا الاصل هنا ثلاث فرق فرقة تقول ارادته وحبه ورضاه ونحو هذا قديم ، لم يزل راضياً عمن علم أنه يموت مؤمناً ولم يزل ساخطاً على من علم أنه يموت كافراً كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لايلزمهم التسلسل لاجل حلول الحوادث لكن يعارضهم الاكثرون الذين ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما ينازعونهم فى الارادة فانهم قالوا اذا كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء فاختصاص زمان دون زمان بالحدوث ومفعول دون مفعول تخصيص بلا مخصص قال أولئك ا رادة من شأنها ان تخصص قال لهم المعارضون من شأنها جنس التخصيص وأما تخصيص هذا المعين على هذا المعين فليس من لوازم الارادة بل لابد من سبب يوجب اختصاص أحدهما بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخصص بارادته ولكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا الا لسبب اقتضاء التخصيص والا فلو تساوى ما يمكن أرادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتى جوز هذا انسد باب اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمعن النظر فيه علمه حقيقة وانما ينازع فيه من يقلد قولا قاله غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول الجمهور اذا كان الله تعالى راضياً في أزله ومحباً وفرحا بما يحدثه قبل أن يحدثه فاذا أحدثه هل حصل باحداثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها أو لم يحصل الا ما كان في الازل فان قلتم لم يحصل الا ما كان فى الازل قيل ذاك كان حاصلا بدون ما أحدثه من المفعولات فامتنع أن تكون المفعولات فعلت لكي يحصل ذاك فقولكم كما تضمن أن المفعولات تحدث بلا سبب يحدثه الله تتضمن أنه يفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها قالوا فقولكم يتضمن نفي ارادته المقارنة ومحبته وحكمته التي لا يحصل الفعل الا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به تحصل بمشيئته وقدرته كما يحصل الفعل بمشيئته وقدرته كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ما أخبر به من صفاته وأفعاله بذاته والمعتزلة تنفي قيام الصفات والافعال به وتسمى الصفات أعراضاً والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به الاعراض ولا الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم انهم ينزهون الله تعالى عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص و آفة فانه القدوس السلام الصمد السيد الكامل في كل نعت من نعوت الكمال كما لايدرك الخلق حقيقته منزهاً عن كل نقص تنزيهاً لايدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالي أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمى وأبي جعفر الطبرى والبيهقى وغيرهم في تفسير على بن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الصمد قال السيد الذى كمل في سودده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذى قد كمل في عظمته والحكيم الذى قد كمل في حكمته والغنى الذى قد كمل فى غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذى قد كمل فى علمه والحليم الذى قد كمل في حلمه وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسودد وهو الله عزوجل هذه صفته لاتنبغى الاله ليس له كفؤ ولا كمثله شئ سبحانه الواحد القهار وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن على ابن أبي طلحة الوالبي لكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس ولكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الصمد الكامل فى صفاته وأفعاله وثبت عن أبى وائل شقيق بن سلمة أنه قال الصمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الاقوال وما أشبهها الاثاني ماقاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدى والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذي لاجوف له وهذا منقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه، وقوفاً أو مرفوعاً ان كلا القولين حق كما بسط الكلام عليه ولفظ الاعراض في اللغة قد يفهم منه ما يعرض للانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث والمحدثات قد يفهم منه مايحدثه الانسان من الافعال المذمومة والبدع التي ليست مشروعة أو مايحدث بالانسان من الامراض ونحو ذلك والله تعالى يجب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن هذه الامور ولكن لم يكن مقصود المعتزلة بقولهم هو منزه عن الاعراض والحوادث الا نفي صفاته وأفعاله فعندهم لايقوم به علم ولا قدرة ولا مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضا ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا عدل ولا اتيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته وأفعاله وجماهير المسلمين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من ينازعهم في الصفات دون الافعال ومنهم من ينازعهم في بعض الصفات دون بعض ومن الناس من ينازعهم في العلم القديم ويقول ان فعله قديم وان كان المفعول محدثاً كما يقول في نظير من يقوله في الارادة وبسط هذه الاقوال وذكر قائليها وأدلتهم مذكورة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على مجامع أجوبة الناس عن السؤال المذكور . وهذا الفريق الثاني اذا قال لهم الناس اذا أثبتم حكمة حدثت بعد ان لم تكن لزمكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر ماأحدثه من المفعولات ونحن نخاطب من يسلم لنا انه اذا أحدث المحدثات بعد ان لم تكن فاذا قلنا انه أحدثها بحكمة حادثة لم يكن له ان يقول

هذا يستلزم التسلسل بل يقول له القول فى حدوث الحكمة كالقول فى حدوث المفعول الذى ترتبت عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا كان جوابنا عن هذا

فلما خصم الفريق الثانى للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من أئمة الحديث والفقهاء والصوفية . أهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية ولم تشفوا الغليل بهـذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعيـة ولا العقليـة ماينفى مثل هـذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان أحدهما لتسلسل في العلل والمعلولات فهذا ممتنع وفاقا والثانى التسلسل فى الشروط والآثار فهذا في جوازه قولان معروفان للمسلمين وغيرهم وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هـذا ومن هؤلاء السلف والائمـة الذين يقولون لم يزل الله متكلماً اذا شاء وانه لم يزل يقوم به مايتعلق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء ان ما استدل به منازعوهم على نفى التسلسل فى الآثار امتناع وجود مالا يتناهي في الماضى أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجملتين مع زيادة أحدهما وكزيادة الشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التى بين هؤلاء فسادها ونقضوها عليهم بالحوادث في المستقبل وبعقود الاعداد وبمعلومات الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط في موضعه

والدور نوعان فالدور القبلى السبقي ممتنع واما الدور المعي الاقترانى وهو أن لايكون هذا الا مع هذا فهذا الدور فى الشروط وما أشبهها من المتضايفات والمتلازمات ومثل هـذا جائز فهذه مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال

الاول قول من لا يعلل لا أفعاله ولا أحكامه

والثاني قول من يعلل ذلك بأمور مباينة له منفصلة عنه من جملة مفعولاته

والثالث قول من يعلل ذلك بأمور قائمة به متعلقة بقدرته ومشيئته لكن يقول جنسها حادث

والخامس قول من يعلل ذلك بأمور متعلقة بمشيئته وقدرته فان كان الفعل المقتضي للحكمة حادث النوع كانت الحكمة كذلك وان قدر أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وانه لم يزل كذلك كانت الحكمة كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لاريب ان الله عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثة يجب أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هي غير متناهية في الانتهاء فان وجب أن يكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث بدون تسلسلها فاذا قال القائل لو فعل لعلة محدثة لكان القول في حدوث تلك العلة كالقول في حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابتداء واذا فعل الفعل لحكمة محدثة كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون للعلة المحدثة علة محدثة الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابتداء فاما اذا جاز أن لا يكون لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيـل يجوز أن تكون الحوادث غير متناهية في الابتـداء كما انها غير متناهية في الانتهاء عنـد المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك الا بعض أهل البدع الذين يقولون بفناء الجنة والنار كما يقوله الجهم بن صفوان أو بفناء حركات أهل الجنـة كما يقوله أبو الهذيل فان هذين أوجبا أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتدا خالفوهم في الانتهاء وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين

والمقصود هنا ان الجواب يحصـل على التقديرين فمن جوز أن يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل في الآثار والشروط لا تسلسل فى العلل والمؤثرات والممتنع انما هو الثانى دون الاول وقال انه لا يقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك طوائف من متقدمى أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون لها ابتداء قال في حدوث العلة مايقوله في حدوث المفعول اذ لا فرق بينهما فى هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اما أن يجوز تعليلـه أولا فان لم يجز تعليله كان هـذا هو التقدير الاول وعلى هذا التقدير فلا يسمى هذا عبثاً واذا سماه المسمى عبثاً لم تكن تسميته عبثاً قدحا فيما نحقق فانا نتكلم على تقـدير امتناع التعليل واذا كان التعليل ممتنعاً وجب القول به ولو سماه المسمي بأى شيء سماه وان جاز تعليله فلا يخلو اما ان يجوز تعليله بعلة حادثة واما أن لا يجوز فان قيـل لا يجوز

ذلك لزم كون العلة قديمة وامتنع على هذا التقدير قدم المعلول فانا نتكلم على تقدير جواز تعليل المفعول الحادث بعلة قديمة وان قيل يجوز تعليله بعلة حادثة أمكن القول بذلك ثم اما أن يقال يجوز تعليل الحوادث بعلل متناهية للفاعل لئلا يلزم أن يقوم به شيء حادث يجب أن يقوم به لحكمة وان كانت مقدورة مرادة له فان قيل بالاول لزم كون العلة الحادثة منفصلة عنه ولزم على هذا كون الفاعل يحدث الحوادث بعد ان لم تكن لعلة حادثة بغيره من غير حدوث سبب يوجب أول الحوادث ولا قيام حادث بالمحدث وان قيل بل لايجوز أن يحدث الحوادث لغير معنى يعود اليه بل يجب أن يقوم به ماهو السبب والحكمة في حدوث الحوادث فانه يجب القول بذلك ثم اما أن يقال هذا يستلزم التسلسل أولا يستلزمه فان قيل لا يستلزمه لم يكن التسلسل على هذا التقدير محذورا لان التقدير انه يجوز تعليل أفعاله بعلة حادثة وان ذلك يستلزم التسلسل ومن المعلوم ان الامر الجائز لا يستلزم ممتنعا فانه لو استلزم ممتنعا لكان ممتنعا بغيره وان كان جائزا بنفسه والتقدير انه جائز جوازا مطلقا لاامتناع فيه وما كان جائزا جوازا مطلقا لاامتناع فيه لم يلزمه مايمتنع ثبوته فيكون التسلسل على هذا التقدير غير ممتنع فهذا جواب عن السؤال من غير التزام قول بعينه بل نبين انه ليس في نفس الامر محذور ولكن السؤال مبنى على ست مقدمات لزوم العبث وانه منتف ولزوم قدم المفعول وانه منتف ولزوم التسلسل وانه منتف فصاحب القول الاول يقول لا أسلم انه يلزم العبث وصاحب القول الثانى يقول لا أسلم انه يلزم قدم المفعول

وصاحب القول الثالث يقول لاأسلم انه يلزم التسلسل أو يقول لاأسلم ان التسلسل في الآثار ممتنع فهذه أربع مقامات لابد منها ويمتنع أن تكون كلها فاسدة بل لابد من صحة واحد منها وأيها صح اندفع السؤال به وهو المقصود لان القسمة العقلية تحصر من الاقسام فيما ذكر فمن توجه عنده أحد الاقسام قال به ونحن قد بسطنا الكلام على أصول هذه المسألة ولوازمها وأقوال الناس فيها في غير هذا الموضع

والمقصود هنا الذب عن مجموع المسلمين فان هذا السؤال مما أورده على الناس القائلون بقدم العالم وقد ذكرنا عنه أجوبة متعددة فيما كتبناه في جواب شبهة القائلين بقدم العالم .

ومن جملة أجوبتهم أن يقال هذا السؤال ليس مختصا بحدوث العالم بل هو وراد في كل مايحدث في الوجود من الحوادث والحدوث مشهود محسوس متفق عليه بين العقلاء فكل مايورده المورد على حدوث خلق السموات والارض يورد عليه نظيره في الحوادث المشهودة

وقد نبهنا على جنس ماتحتج به كل طائفة من الطوائف في هذا المقام لكن استقصاء الكلام في ذلك لاتسعه هذه الاوراق ومن فهم ماكتب انفتح له الكلام في هذا الباب وأمكنه أن يحصل تمام الكلام في جنس هذه المسائل فان الكلام فيها بالتدريج مقاما بعد مقام هو الذي يحصل به المقصود والا فاذا هجم على القلب الجزم بمقالات لم يحكم أدلتها وطرقها والجواب عما يعارضها كان الى دفعها والتكذيب بها أقرب منه الى

التصديق بها فلهذا يجب أن يكون الخطاب في المسائل المشكلة بطريق
ذكر كل قول ومعارضة الآخر له حتى يتبين الحق بطريقه
لمن يريد هدايته ومن لم يجعل الله له نورا فماله
من نور والله يقول الحق وهو يهدى
السبيل والله سبحانه
وتعالى أعلم

﴿ تمت الرسالة الثامنة ﴾

﴿ ويليها الرسالة التاسعة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا * وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له اقرارا به وتوحيدا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما مزيدا

(اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالي سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلام على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي و الاثبات فلا عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ماوصف به نفسه في سورة الاخلاص التى تعدل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وماوصف به نفسه في أعظم آية من كتاب الله حيث يقول الله لااله الا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولا نوم له مافى السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولايؤده حفظهما (أي لايكرثه ولايثقله) وهو العلى العظيم فلهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل على الحي الذى لايموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وقوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ان الله نعما

يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجاءتهم البينات ولكن اختلفوا فنهم من آمن ومنهم من كفر ولوشاء الله مااقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد أحلت لكم بهيمة الانعام الامايتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم مايريد فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وكان بالمؤمنين رحيما كتب ربكم على نفسه الرحمة وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقوله كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر والى الله ترجع الامور هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك كلا اذا

دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام كل شئ هالك الا وجهه وقوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلي ورسلنا لديهم يكتبون انني معكما أسمع وأري وقوله ألم تعلم بان الله يري الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقوله شديد المحال وقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون وقوله انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقوله ولله العزة ولرسوله فبعزتك لاغوينهم أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وقوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله مافي السموات ومافي الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا وخلق كل شئ فقدره تقديرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لاتعلمون قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى ثم استوي على العرش فى ستة مواضع ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى بل رفعه الله اليه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى واني لاظنه كاذبا أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقوله هو الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوي على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم لاتحزن ان الله معنا انني معكما أسمع وأرى ان الله مع

الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قيلا واذ قال الله ياعيسى بن مريم وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا وكلم الله موسى تكليما منهم من كلم الله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وهذا كتاب أنزلناه مبارك لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي و بشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة على الارائك ينظرون للذين أحسنوا الحسنى وزيادة لهم مايشاؤن عند ربهم لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى

منه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول به ربه من الاحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم براحلته الحديث متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله الى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر اليكم أذلين قنطين يظل يضحك يعلم ان فرجكم قريب حديث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً الي النار متفق عليه وقوله في رقية المريض ربنا الله الذى في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك فى الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلي الله عليه وسلم الا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء رواه البخارى وغيره وقوله والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه رواه أبوداود والترمذى وغيرهما وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فانها مؤمنة رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت حديث حسن وقوله اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أوتحت قدمه متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذبك من شر كل دابة أنت آخذ ناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواه مسلم وقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً قريباً ان الذين تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه الي أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به

(فان الفرقة الناجية) أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين اوعيدية من القدرية وغيرهم وفى باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليّ على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لاتوجبه اللغة وهو خلاف ماأجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وانه معنا حق على حقيقته لايحتاج الى تحريف ولكن يصان عن

الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعانى فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لاينافي ماذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه ليس كمثله شئ في جميع نعوته وهو علىّ فى دنوه قريب في علوه

ومن الايمان به وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغاً مؤديا وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه وبرسله الايمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بابصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لايضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالي

ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ماأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه فأما الفتنة فان الناس يفتنون فى قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن

الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي صلى الله عليه وسلم وأما المرتاب فيقول آه آه لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيضرب بمرزبة من حديد يصيح صيحة يسمعها كل شئ الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم واما عذاب الى يوم القيامة الكبرى فتعاد الارواح الى الاجساد فتقوم القيامة التي أخبر الله تعالى بها فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهى صحائف الاعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أومن وراء ظهره كما قال سبحانه وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار فلايحاسبون حساب من توزن حسناته وسيآته فانهم لاحسنات لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصر فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلي الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم فى دخول الجنة

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من يدخل الجنة

وله فى القيامة ثلاث شفاعات اما الشفاعة الاولى فيشفع في أهل الموقف حتي يقضى بينهم بعد أن يتراجع الانبياء آدم ونوح وابراهيم وموسي وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهى اليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لايدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله له أقواما فيدخلهم الجنة وأصناف ما تتضمنه الدار الآخرة من الحساب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثارة من العلم المأثورة عن الانبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك مايشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده

وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الاولى الايمان بأن الله تعالى علم ماالخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق فأول ماخلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الاقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء فاذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث اليه ملكا فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الايمان بأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وانه مافي السموات والارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه لايكون في ملكه الا مايريد وانه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الارض ولا في السماء

الا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه وقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم وارادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وارادتهم كما قال لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين * وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه و سلم مجوس هذه الامة ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها

ومن أصول الفرقة الناجية ان الدين والايمان قول وعمل قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح * وان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية * وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الاخوة الايمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه في آية القصاص فمن عفي له من أخيه شيء وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الايمان بالكلية ويخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الايمان في مثل قوله فتحرير رقبة ولا يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليها فيها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله في قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ويقبلون ماجاء به الكتاب أو السنة أو الاجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل وهو صلح الحديبية على من أنفق بعده وقاتل ويقدمون المهاجرين على الانصار

ويؤمنون بان الله قال لاهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قد رضي عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة

ويشهدون بالجنة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من ان خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثلثون بعثمان ويربعون بعلي كما دلت عليه الآثار وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع ان بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي وان كانت هذه المسئلة مسئلة عثمان وعلي ليست من الاصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسئلة التي يضلل المخالف فيها مسئلة الخلافة وذلك بأنهم يؤمنون ان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي * ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الائمة فهو أضل من حمار أهله

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و يتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدير خم أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمه وقد شكا ليه ان بعض قريش يجفو بني هاشم فقال والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال ان الله اصطفى بني

اسماعيل واصطفى من بنى اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بني هاشم

ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين ويقرون بأنهم أزواجه فى الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلية والصديقة بنت الصديق التى قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية فى مساويهم منها ماهو كذب ومنها ما قد زيد ونقص وغير من وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون مخطؤن وهم مع ذلك لا يعتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة ولهم من السوابق والفضائل مايوجب مغفرة مايصدر منهم ان صدر حتي انه يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ماليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم ثم اذا كان صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر عنه فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالامور التى كانوا فيها مجتهدين ان أصابوا فلهم أجران وان أخطؤا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور

ثم القدر الذي ينكر من فضل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا يكون مثلهم فانهم الصفوة من قرون هذه الامة التى هى خير الامم وأكرمها على الله

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الاولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات فى العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الامم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الامة وهى موجودة فيها الى يوم القيامة

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة

ويعلمون ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد

وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والاجماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين

وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأقوال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة * ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع الامراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات * ويدينون بالنصيحة للامة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر * ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء * ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال * ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك * ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق * ويأمرون بمعالى الاخلاق وينهون عن سفسافها * وكل مايقولونه أويفعلونه من هذا أوغيره فانما هم فيه متبعون الكتاب والسنة وطريقتهم هى دين الاسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفى حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال هم من كان على مثل ماأنا عليه وأصحابي صار المتمسكون بالاسلام المحض الخالص عن الشوب أهل السنة والجماعة * وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدال وفيهم الائمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لايزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ تمت الرسالة التاسعة ﴾

﴿ ويليها الرسالة العاشرة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الابحاث التي جلاها جامعها للمعترضين

نقل الشيخ علم الدين ان الشيخ قدس سره قال في مجلس نائب السلطنة الافرم لما سأله عن اعتقاده وكان أحضر الشيخ عقيدته الواسطية قال هذه كتبتها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام فقرئت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ انه قال كان سبب كتابتها بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكى ما الناس فيه ببلادهم في دولة التتر من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال ما أحب الا عقيدة تكتبها أنت فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر فأشار الامير لكاتبه فقرأها على الحاضرين حرفا حرفا فاعترض بعضهم على قولي فيها

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده ان هذا ينفي التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما وجوبا واما جوازا فقلت أني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم جاء القرآن بذمه وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من القواعد فان معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول

والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير والسلف .

وقلت لهم ذكرت فى النفى التمثيل ولم أذكر التشبيه لان التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثله شئ وأخذوا يذكرون نفى التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس الينا من ذلك

فقلت قولى من غير تكييف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت هذين الاسمين لان التكييف مأثور نفيه عن السلف كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التى تلقاها العلماء بالقبول الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السلف على ان الكيف غير معلوم لنا فنفيت ذلك اتباعا لسلف الامة وهو أيضا منفى بالنص فان تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من التأويل الذى لا يعلمه الا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله

وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفى التكييف اذ كنه البارى غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذى نقل انه مذهب السلف وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفى الكيفية والتشبيه عنها اذ الكلام فى الصفات فرع الكلام فى الذات يحتذى حذوه ويتبع

فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين فحينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالاجسام فقلت له أنا وبعض الفضلاء انما قيل انه يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله وليس فى الكتاب والسنة ان الله جسم حتى يلزم هذا

وأول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضى وأما قولنا فهو فيهم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة

فقيل لى أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع لكونه مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام أحمد اختصاص بهذا

وقلت قد أمهلت من خالفني فى شيء منها ثلاث سنين فان جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فانا أرجع عن ذلك وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسئلة الحرف والصوت فقلت هذا الذى يحكى عن أحمد وأصحابه ان صوت القارئين ومداد المصاحف قديم أزلى كذب مفتري لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراسا وفيه ماذكره أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزى من كلام أحمد وكلام أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمى ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الي أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثرمنهم فيهم فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا يوجد فى صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية المحضة فليس فيهم من ذلك مافى غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية

وقلت له من في أصحابنا حشوى بالمعنى الذى تريده الأثرم • أبو داود • المروزى • الخلال • أبو بكر بن عبد العزيز • أبو الحسن التميمى • ابن حامد • القاضى أبو يعلي • أبو الخطاب • ابن عقيل •

ورفعت صوتي وقلت سمهم قل لى من هم

أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلى

من قال هذا وفي أى كتاب وجد منهم هذا قل لى وكما نقل عنهم ان الله لايرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسئلة القرآن وانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود نازع بعضهم فى كونه منه بدأ واليه يعود وطلبوا تفسير ذلك

فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدا واليه يعود

ومعنى منه بدا أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية انه خلق فى الهواء أو غيره وبدأ من غيره

وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا فى المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب الي الله بشئ أحب اليه مما خرج منه

وقلت وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا مؤديا فامتعض بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة ثم انه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وان أقوال

المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة ولما ذكر فيها أن الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لا الى من قاله مبلغا استحسنوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ما أجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق العرش وانه معنى حق على حقيقته لا يحتاج الي تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وليس معني قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف مافطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطئ فقال أحدهما هو متواطئ وقال آخر هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر فخر الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال ان وجود كل شئ عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك ومن قال ان وجوده قدر زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فاخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثانى مذهب الاشعرى وأهل السنة ان وجوده عين ماهيته فانكر الاول ذلك

فقلت أما متكلموا أهل السنة فعندهم ان وجود كل شئ عين ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شئ قدر

زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هـذا الموضع وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عـين ماهيته أوليس فهو من الغلط المضاف الي ابن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لايجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظى فقط كما في جميع أسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتوطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلى لكنه لايوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا فى الذهن ولا يلزم من ذلك نفى القدر المشترك بين الاعيان الموجودة فى الخارج فانه على ذلك تنتفى الاسماء المتواطئة وهى جمهور الاسماء الموجودة فى اللغات وهى أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المطلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا وسواء كان جنسا منطقيا أو فقهيا أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة هـذا آخر بعض ماعلقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم قال الحافظ الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقد سلفي جيد

﴿ تمت الرسالة العاشرة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الحادية عشر له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(ماقول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله اليهم أجمعين)

فى آيات الصفات كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى الي السماء الى غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه فى النار الى غير ذلك وما قالت العلماء فيه وليبسطوا القول في ذلك مأجورين ان شاء الله تعالي

فاجاب شيخنا شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رضى الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين * قولنا فيها ماقاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً اليه باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلى ادعو الي الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ومن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير الذى أخرج به الناس من الظلمات الى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ماتنازعوا فيه من دينهم الى مابعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الى الله والى

سبيله باذنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولامته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبها ولم يميز مايجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولا ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قدعلم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي الا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً مابعث الله من نبي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم وينهاهم عن شر مايعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت أن يترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من ايمان وحكمة أن لايكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم اذا

كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين وقائلين فى هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما ممتنع أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الي شئ أشوق منها الى معرفة هذا الامر وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضى الذى هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة فى مجموع عصورهم هذا لايكاد يقع فى أبلد الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم اكبابا على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معتقدين غير الحق أو قائليه فهذا لايعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى أو أضعافها يعرف ذلك من طلبه وتتبعه ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم فان هذا القول اذا تدبره الانسان وجده فى غاية الجهالة بل فى غاية الضلالة كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والاشارة بالخلف الي ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم حيث يقول

لعمرى قد طفت المعاهد كلها * وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعاً سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال * وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت فى الذى نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربى برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمى

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام ثم اذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولا وقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المنقوصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحياري المتهوكون أعلم بالله

وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة مابرزوا به على سائر أتباع الانبياء وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة أنقص فى العلم والحكمة لاسيا العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته من هؤلاء الاصاغر بالنسبة اليهم أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة واتباع الهند واليونان أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن و لايمان وانما قدمت هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك انما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعراضهم عما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله باقراره على نفسه وبشهادة الامة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضي واحداً معيناً وانما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الائمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر فى ان الله سبحانه وتعالي فوق كل شئ وعلى كل شئ وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه' اني متوفيك ورافعك الى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى علي العرش في ستة مواضع الرحمن علي العرش استوي ياهامان ابن لى صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد منزل من ربك الي أمثال ذلك مما لايكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحاح والحسان مالا يحصى مثل قصة معراج الرسول صلي الله عليه وسلم الى ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح في حديث الخوارج ألا تأمنونى وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذى رواه أبو داود وغيره ربنا الله الذى في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من اخوانه فليقل ربنا الله الذى في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ماأنتم عليه وقوله في حديث قبض الروح حتى يعرج به الى السماء التي فيها الله

وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده النبي صلى الله عليه وسلم وأقره عليه

شهدت بأن وعد الله حق * وان النار مثوى الكافرينا

وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى أنشده النبي صلى الله عليه وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه

مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الاعلى الذى سبق النا * س وسوى فوق السماء سريرا

شرجعا ماينا له بصر العين ترى دونه الملائك صورا (١)

الى أمثال ذلك مما لا يحصيه الا الله مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علما يقينيا من أبلغ العلوم الضرورية ان الرسول المبلغ عن الله ألقى الى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوي وانه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الامم عربهم وعجمهم في الجاهلية والاسلام الامن اجتالته الشياطين عن فطرته .

ثم عن السلف في ذلك من الاقوال مالو جمع لبلغ مئين أو الوفا * ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من سلف الامة لا من الصحابة والتابعين ولا عن الائمة الذين أدركوا زمن الاهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصا ولا ظاهرا ولم يقل أحد منهم قط ان الله ليس في السماء ولا انه ليس على العرش ولا انه في كل مكان ولا أن جميع الامكنة بالنسبة اليه سواء ولا انه لا داخل

(١) الشرجع الطويل . . والصور جمع أصور المائل العنق

العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا انه لا تجوز الاشارة الحسية اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت فى الصحيح عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول ألا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال ذلك كثيرة فلئن كان الحق مايقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه العبارات ونحوها دون مايفهم من الكتاب والسنة امانصا واما ظاهرا كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما بما هو نص أو ظاهر فى خلاف الحق ثم الحق الذى يجب اعتقاده لايبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصا ولا ظاهرا حتي يجيء انباط الفرس والروم وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التى تجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها * لئن كان مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد لواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضررا محضا فى أصل الدين فان حقيقة الامر على مايقوله هؤلاء انكم يامعشر العباد لا تطلبوا معرفة الله ولا مايستحقه من الصفات نفيا واثباتا لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الامة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات نصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أولم يكن ومالم تجدوه مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به * ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون مالم تثبته عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ومانفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافا أكثر من جميع اختلاف على وجه الارض فانفوه واليه عند التنازع فارجعوا فانه الحق الذى تعبدتكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت مالم تدركه عقولكم علي طريقة أكثرهم فاعلموا انى امتحنتكم بتنزيله لالتأخذوا الهدي منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الالفاظ وغرائب الكلام أوان تسكتوا عنه مفوضين علمه الي

هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لامحيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لايهتدى به في معرفة الله وان الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله وان الناس عند التنازع لايردون ما تنازعوا فيه الي الله والرسول بل الى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية والى مثل مايتحاكم اليه من لايؤمن بالانبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لايزيد الامر الاشدة ولا يرتفع به الخلاف اذلكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا فان هؤلاء اذا دعوا الى ما أنزل الله من الكتاب والى الرسول والدعاء اليه بعد وفاته الدعاء الى سنته أعرضوا عن ذلك وهم يقولون انا قصدنا الاحسان علماً وعملا بهذه الطريق التى ملكناها والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية

ثم عامة هذه التسليمات التى يسمونها دلائل انما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه

ولازم هذه المقالة أن لايكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا ولا شفاء لما في الصدور ولا نورا ولا مردا عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار ان مايقوله هؤلاء المتكلفون انه الحق الذى يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصا ولا ظاهرا وانما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله ولم يكن له كفوا أحد هل تعلم له سميا وبالاضطرار يعلم كل عاقل

أن من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله هل تعلم له سميا لقد أبعد النجعة وهو اما ملغز أو مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيرالهم في أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم عمى وضلالا ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا أحد من سلف الامة هذه الآيات والاحاديث لاتعتقدوا مادلت عليه ولكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه ومالا يوافقه فتوقفوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقد علم ماسيكون ثم قال اني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال فى صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ماأناعليه اليوم وأصحابي فهلا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب الاعتقاد فهو ضال وانما الهدى رجوعكم الي مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وانما استوى استولى ونحو ذلك أول ما ظهرت هذه المقالة من جعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فتنسب مقالة الجهمية اليه والجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر الذى سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمروذ الكنعانيين الذين صنف بعض المتأخرين فى سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام أحمد وغيره من السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالون هم اما من الصابئين واما من المشركين

ثم لما عربت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ماألقى الشيطان فى قلوب الضلال ابتداء من جنس ماألقاه فى قلوب أشباههم ولما كان فى حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التى كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته وكلام الائمة مثل مالك رضى الله عنه وسفيان بن عيينة وأبي يوسف

والشافعي وأحمد واسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وتضليله وهذه التأويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وان كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وابطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء فانما بينت ان عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي وعلمنا ذلك بكتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي احد الائمة المشاهير في زمن البخاري صنف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام اذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عليه السلف فيتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم

ثم اذا رأى الائمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسية وأكثرهم كفروهم أو ضللوهم وعلم ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لاتحتمل البسط فى هذا الباب وانما أشير شارة الى مبادئ الامور والعاقل يسير فينظر وكلام السلف في هذا الباب موجود فى كتب كثيرة لايمكن ان نذكر ههنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن لللالكائى والابانة لابن بطة والسنة لابي ذر الهروى والاسماء والصفات للبيهقى وقبل ذلك السنة للطبرانى ولابي الشيخ الاصبهانى وقبل ذلك السنة للخلال والتوحيد لابن خزيمة وكلام أبى العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبد العزيز المكى صاحب الحيدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية مالا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها فى الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ماذكروه من الشبه فانه يسير واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود فكيف تطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لايتجاوز القرآن والحديث

قال الامام أحمد رضي الله عنه لايوصف الله الايما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز القرآن والحديث ونعلم ان ماوصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا فى أفعاله وكل ماأوجب نقصا أو حدوثا فان الله منزه عنه حقيقة وانه سبحانه مستحق للكمال الذى لاغاية فوقه وممتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث الى محدث ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالي

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لايمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ماوصف به نفسه أو وصفه به رسوله فيعطلون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ماهو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولا وعطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما

يستحقه هو سبحانه من الاسماء والصفات اللائقة بالله سبحانه وتعالى فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا مايثبت لاي جسم كان على أى جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلايلزمه شئ من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرا أو عرضا اذ لايعقل موجود الاهذان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو الفلك اذ لايعلم الاستواء الا هكذا فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثانى باثبات استواء هو من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ماعليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز أن تثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التى لعلم المخلوقين وقدرهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا تثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها

واعلم ان ليس فى العقل الصريح ولافي النقل الصحيح مايوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لكن هذا الموضع لايتسع للجواب عن

لشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الامة من المتأولين لهذا الباب فى أمر مريج فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الي التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب مايدعي الآخر أن العقل أحاله

ياليت شعري باي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ماجاء به جبريل الى محمد صلي الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوم بمثل ماخصم به الآخر وهو من وجوه

أحدها بيان أن العقل لايحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لاتحتمل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قد علم أن الرسول جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذى يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة وسائر ماجاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون بان العقل لاسبيل له الى اليقين فى عامة المطالب الالهيـة واذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ماهو عليـه ونحن نذكر من ألفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبـم بحسب مايحتمله هـذا الموضع مايعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البيهقي فى الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي قال كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السـنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعي وهو أحد الائمة الاربعة فى عصر تابعى التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثوري امام أهل العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايمان بأن الله فوق العرش وبصـفاته السمعية وانما قال الاوزاعي هـذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته ليعرف الناس ان مذهب السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال سـئل مكحول والزهري عن تفسير الاحاديث فقالا أمروها كما جاءت

وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فقولهم رضي الله عنهم أمروها كما جاءت رد على المعطلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة والزهري ومكحول هما أعلم التابعين في زمانهم والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وأمثالهما

روى أبو القاسم الازجي باسناده عن ابن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس اذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر في شي خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع سبيل غير المؤمنين ولاه الله ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة من غير وجه

منها ماروا. أبو الشيخ الاصبهاني وأبو بكر البيهقي عن يحي بن يحي قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال ياأبا عبد الله الرحمن علي العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج

وروى أبو عبدالله بن بطة فى الابانة باسناد صحيح عن عبدالعزيز ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الثلاث وهم مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل فيما جحدته الجهمية اما بعد فقد فهمت ماسألت فيما تتابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذى فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلت الالسن عن تفسير صفته وانحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فاما الذى لايحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لايعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شئ منه حدا ومنتهي يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين لاحق أحق منه ولا شئ أبين منه الدليل علي عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لاتكاد تراه صغراً يحول ويزول ولا يري له سمع ولا بصر لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير أعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ماوصف منها اذا لم تعرف قدر ماوصف فما تكلفك

علم مالم يصف هل تستدل بذلك علي شئ من طاعته أو تنزجر به عن شئ من معصيته

وأما الذي جحد ماوصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفاً قد استهوته الشياطين في الأرض حيران فصار يستدل بزعمه علي جحد ماوصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لابد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالخفى بجحد ماسمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملي له الشيطان حتي جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لايراه أحــد يوم القيامة يجحد والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر الي وجهه ونضرته اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لايموتون فهم بالنظر ينضرون الي أن قال

وانما جحد رؤيتــه يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنــين وكان له جاحداً وقال المسلمون يارسول الله هل نري ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صــلى الله عليه وســلم لاتمتــلئ النار حتي يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط وينزوى بعضها الى بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من أزلكم (١) وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب أن ربنا ليضحك قال نعم قال لا نعدم من رب يضحك خيراً في أشباه هذا مما لم نحصه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال ولتصنع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله مادلهم على عظم ماوصف من نفسه وما تحيط به قبضته الاصغر نظرها منهم عندهم ان ذلك الذي ألقى في روعهم وخالق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ماسواه لاهذا ولا هذا لانجحد ماوصف ولا نتكلف معرفة مالم يصف

اعلم رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهي به ولا تجاوز ماقد حدلك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة وتوارث علمه الامة فلاتخافن في ذكره وصفته من ربك ماوصف من نفسه غيباً ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه مثل انكارك ماوصف منها فكما أعظمت ماجحد الجاحدون مما

(١) هكذا يروى وفي بعض طرقه من إلكم والازل الشدة والضيق

وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ماوصف الواصفون مما لم يصف منها فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر يسمعون ماوصف الله به نفسه من هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سماه من صفة ربه فهو بمنزلة ماسمي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون فى العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف به من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لاينكرون صفة ماسمى جحداً ولا يتكلفون وصفه بمالم يسم تعمقا لان الحق ترك ماترك وتسميته ماسمى فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وهب الله لنا ولكم حكما وألحقنا بالصالحين وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام

وروى أبوالقاسم اللالكائى الحافظ الطبري في كتابه المشهور فى أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيأ من ذلك فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما فى الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لاشيء محمد بن الحسن

أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكي هذا الاجماع وأخبر ان الجهمية تصفه بالامور السلبية غالبا أودائما

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال هذه الاحاديث التي تقول فيها ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وان جهنم لاتمتلئ حتي يضع ربك قدمه فيها والكرسي موضع القدمين وهذه الاحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها الثقات بعضهم عن بعض غير أنا اذا سئلنا عن تفسيرها لانفسرها وما أدركنا أحدا يفسرها

أبو عبيد أحد الائمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحاق وأبو عبيد وله من المعرفة بالفقه واللغة والتأويل ماهو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والاهواء وقد أخبر انه ما أدرك أحدا من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك أن رجلا قال له ياأبا عبدالرحمن اني أكره الصفة عني صفة الرب فقال له عبدالله بن المبارك أنا أشد الناس كراهة لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك انا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتي يجيء به الكتاب والآثار

وروي عبدالله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا

تقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وباسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شئ

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي امام أهل البصرة علما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصاري وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شئ

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقي على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة وأهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي امام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال كلمت بشر المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شئ

وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الاهواء شر من أصحاب جهم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شئ أرى والله أن لا ينا كحوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال أصحاب جهم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شئ وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا والا قتلوا

وعن الاصمعي قال قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين فقال رجل عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الاصمعي كافرة بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما قال ناظرت جهميا فتبين من كلامه الا يؤمن أن في السماء ربا

وروي الامام أحمد قال أنبأنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله ابن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله في السماء وعلمه في كل مكان لايخلو من علمه مكان

وقال الشافعي رضي الله عنه خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سمائه وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات هذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبي حنيفة مشهورة في استتابة بشر المريسي حتي هرب منه لما أن أنكر أن يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره

وكلام الائمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتوى عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ماذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في الغنية عن الكلام وأهله قال فاما ما سألت عنه من الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها واجراؤها على ظواهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم

فابطلوا ماأثبته الله وحذفها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب من التشبيه والتكييف وانما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الامرين ودين الله تعالى بين الغالى فيه والمقصر عنه والاصل في هذا ان الكلام في الصفات نوع عن الكلام في الذات ويحتذي في ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات الباري سبحانه انما هو اثبات وجود لااثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا يد وسمع وبصر وما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه ولسنا نقول ان معنى اليد القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح ولانشبهها بالايدى وبالاسماع وبالابصار التي هي جوارح وأدوات للفعل

ونقول ان القول انما وجبت باثبات الصفات لان التوقف ورد بها وورد نفي التشبيه عنها لان الله ليس كمثله شئ وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات هذا كله كلام الخطابي وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك وهذا الكلام الذى ذكره الخطابي قد نقل نحوا منه من العلماء من لايحصى مثل أبي بكر الاسماعيلي والامام يحي بن عمار السنجرى شيخ شيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصارى الهروى وأبي عثمان الصابونى شيخ الاسلام وأبي عمر بن عبد البر النمرى امام المغرب وغيرهم

وقال أبو نعيم الاصبهانى صاحب الحلية في عقيدة قال في أولها طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة واجماع الامة قال فما اعتقدوه ان الاحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه لايحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصبهانى شيخ الصوفية فى حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصى أصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ماكان عليه أهل الحديث والاثر وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف فيه مجهول وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من الخلق الواحد الغنى عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط و يضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب عليه حتى يطلع الفجر ونزول الرب الي السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وسائر الصفوة من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلى قال في كتاب الغنية له اما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتتيقن ان الله واحد الى أن قال وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط علمه بالاشياء

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال وينبغى اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف. وذكر كلاما طويلا لايحتمل هذا الموضع وذكر فى سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت ماقاله العلماء فى ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر روينا عن مالك بن أنس وسفيان الثورى وسفيان بن عيينة والاوزاعى ومعمر بن راشد فى أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بعدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة

وقال فى شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث فى صحته وهو منقول من طريق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجتهم على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر ايضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر أيضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا انهم لايكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها شبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الاشعرى وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ماجاء في اثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى وقال بل يداه مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث. في حديث الشفاعة ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ومثل قوله في

الحديث المتفق عليه أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الالواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده ومثل ما في صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيدك الامر والخير بيديك والذى نفس محمد بيده وان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوى السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك اين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وقوله يمين الله ملأى لايغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ماأنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يمينه وعرشه على الماء وبيده الاخرى القبض يخفض ويرفع وكل هذه الاحاديث في الصحاح وذكر أيضا قوله ان الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة وحديث ان الله لما خلق آدم مسح ظهره الى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الامة فانهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والاخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء على العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكى قول بعض المتأخرين

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب ابطال التأويل لايجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لاتشبه بسائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ماروى عن الامام أحمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهرى ومكحول ومالك والثورى والاوزاعى والليث وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن عيينة والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدى وا ود بن سالم واسحاق بن راهويه وأبى عبيد ومحمد بن جرير الطبرى وغيرهم في هذا الباب وفى حكاية ألفاظهم طول الى أن قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه في الكلام في كتابه الذى صنفه في اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايردون من ذلك شيئا وان الله واحد أحد فرد صمد لااله غيره لم يتخذ صاحبة ولاولدا وان محمدا

عبده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدى وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجرى بأعيننا وان له وجها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لايقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علماً كما قال أنزله بعلمه وكما قال وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا لله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم فى القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لايقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقرون ان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء الى أن قال ويقرون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار الى أن قال وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التى جاءت بها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولون كيف

ولا لم لان ذلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد الى أن قال ويرون مجانبة كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر فى الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب قال فهذه جملة مايأمرون به ويستسلمون اليه ويرونه وبكل ماذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله وهو المستعان

وقال الاشعرى أيضاً في اختلاف أهل القبلة فى العرش فقال قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى ولا نتقدم بين يدى الله في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدى وان له عينين كما قال تجرى بأعيننا وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك صفاً صفا وانه ينزل الي السماء الدنيا كما جاء فى الحديث ولم يقولوا شيئا الا ماوجدوه فى الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت المعتزلة ان الله استوى على العرش بمعني استولى وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعرى في كتابه الذي سماه الابانة في

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

(فصل) فى ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم الذى بها تدينون قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا الذى ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانرد من ذلك شيئا وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق والنار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدى وكما قال بل يداه مبسوطتان وان له عينين بلا

كيف كما قال تجرى بأعيننا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالا وذكر نحواً مما ذكر في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل اسلام ايمانا

وندين بان الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين علي أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول وعمل يزيد وينقص

ونسلم للروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهى الى رسول الله صلي الله عليه وسلم الى أن قال

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله مالم يأذن لنا به ولا نقول علي الله مالا نعلم

ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى الى أن

قال وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل على ذلك ثم تكلم على ان القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف على القرآن وقال لاأقول انه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ماتقولون فى الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وقال حكاية عن فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال أءمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أءمنتم من في السماء لانه مستو على العرش الذى هو فوق السموات وكل ماعلا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس اذا قال أءمنتم من فى السماء يعنى جميع السماء وانما أراد العرش الذى هو أعلى السموات ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نوراً فلم يرد ان القمر يملؤهن وانه فيهن جميعاً ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها اذا دعوا الى الارض ثم قال

(فصـــل) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى قوله الرحمن على العرش استوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل فى كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان هـذا كما ذكروه كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شئ والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل مافى العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادراً على الاشياء كلها ولم يجز عنـد أحـد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والاخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو عام فى الاشياء كلها ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها وذكر دلالات من القرآن والحديث والاجماع والعقل ثم قال باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات في ذلك ورد على المتأولين بكلام طويل لايتسع هـذا الموضع لحكايته مثل قوله فان سئلنا أتقولون لله يدان قيل نقول ذلك وقد دل عليه قوله يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدى

وروى عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه قال ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته وقد جاء فى الخبر المأثور عن النبي صـلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق جنـة عدن بيده وكتب

التوراة بيده وغرس شجرة طوبي بيده وليس يجوز فى لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدى و يعنى به النعمة واذا كان الله انما خاطب العرب بلغتها ومايجرى فيمفهومها في كلامها ومعقولا فيخطابها وكان لايجوز فى خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعلت بيدي ويعنى به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا فيتقرير هذا ونحوه

قال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الاشعري ليس فيهم مثله لاقبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصنيفه فانقال فما الدليل على انالله وجها ويدا قيل له ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام وقوله تعالى مامنعك أنتسجد لماخلقت بيدي فأثبت لنفسه وجها ويدا فانقال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة اذ كنتم لاتعقلون وجها ويداً الا جارحة قلنا لايجب هذا كمالايجب اذالم نعقل حياً عالما قادرا الاجسما أن نقضى نحن وأنتم بذلك علىالله سبحانه وكمالايجب فى كلشئ كان قائما بذاته أنيكون جوهرا لانا واياكم لانجد قائما بنفسه فىشاهدنا الا كذلك وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا بالوجود

قال فانقال قائل أتقولون انه فىكل مكان قيل لهمعاذ الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى

أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان فى كل مكان لكان فى بطن الانسان وفمه والحشوش والمواضع التى يرغب عن ذكرها ولوجب أن يزيد بزيادة الأمكنة اذا خلق منها مالم يكن وينقص بنقصانها اذا بطل منها ماكان ولصح أن نرغب اليه الي نحو الارض والى خلفنا والي يمننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله

وقال أيضا فى هذا الكتاب صفات ذاته التى لم يزل ولايزال موصوفا بها وهى الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال فى كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين فى هذا الباب مثل هذا كثير لمن تطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله للعبد حكمة وايمانا بحيث يكون له عقل ودين حتى يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شىء ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا للظن بهم دون غيرهم أومتوهما أنهم حققوا فى هذا الباب مالم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ماتبعها حتى يؤتى بشىء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذى يجدونه في كلام أسلافهم لرجي لهم مع الصدق فى طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الا من طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءته

به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان اليهود قالوا لا نؤمن الا بما أنزل علينا قال الله لهم قل فلم قتلتم الانبياء من قبل ان كنتم مؤمنين بما أنزل عليهم يقول سبحانه لا لما جاءتكم به أنبياؤكم تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الانبياء تتبعون ولكن انما تتبعون أهواءكم فهذا حال من لم يتبع الحق لا من طائفته ولا من غيرها مع كونه يتعصب لطائفة دون طائفة بلا برهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن وذهب أئمة السلف الى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها الى الرب قال والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف الامة والدليل السمعي القاطع في ذلك ان اجماع الامة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الاسلام والمستقلون باعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس مايحتاجون اليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة واذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذى الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله لما خلقت بيدي ويبقى وجه ربك وقوله تجري بأعيننا وماصح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ماذكرناه

(قلت وليعلم السائل) ان الغرض من هذا الجواب ذكر ألفاظ بعض الأئمة فى هذا الباب وليس كل من ذكرنا شيأ من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجميع مايقوله في غير هذا ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به

كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذى رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافرا أو قال فاجرا واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول الحق قال على الحق نور أوكلاما هذا معناه

فأما تقرير ذلك بالدليل واماطة مايعرض من الشبه وتحقيق الامر على وجه يخلص الى القلب مايبرد به من اليقين ويقف على مواقف اراء العباد فى هذه المهامه فاتتسع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيأ من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب ان شاء الله في ذلك مايحصل به المقصود

وجماع الامر فى ذلك ان الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن

تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في أسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب ان شيأ من ذلك يناقض بعضه بعضا البتة مثل أن يقول القائل مافي الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله وهو معكم أينما كنتم وقول النبي صلي الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى علي العرش يعلم مايلج في الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شئ وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلي الله عليه وسلم في حديث الاوعال والله فوق العرش وهو يعلم ماأنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أوشمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت علي المقارنة في ذلك المعنى فانه يقال مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويقال هذا المتاع معي لمجامعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معني قول السلف انه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب

وحقيقته وكذلك فى قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أ كثر الا هو معهم أينما
كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبه فى الغار لاتحزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره
ودلت الحال على ان حكم المعية هنا مع الاطلاع النصر والتأييد وكذلك
قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى
وهرون انني معكما أسمع وأري هنا المعية على ظاهرها وحكمها
فى هذا الموطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبي من يخيفه
فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لاتخف انا معك أو
أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع
المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من
معناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب
والسنة فى مواضع تقتضى في كل موضع أمورا لاتقتضيها في الموضع الآخر
فاما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع
مواردها وان امتاز كل موضع بخاصيته فعلى التقديرين ليس مقتضاها
أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها
ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فانها وان اشتركت فى
أصل الربوبية والتعبيد فلما قال رب العالمين رب موسى وهرون كانت
ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق
فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية

وتربية أكمل من غيره وكذلك قوله عينا يشرب بها عباد الله وسبحان الذى أسرى بعبده ليلا

(فان العبد) تارة يعني به المعبد فيعم الخلق كما فى قوله ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبدا وتارة يعنى به العابد فيخص ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة في حقه أكمل مع انها حقيقة فى جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ فيسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هى من قبيل الاسما المتواطئة أو من قبيل المشترك في اللفظ فقط والمحققون يعلمون انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضع اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ ومن علم ان المعية تضاف الي كل نوع من أنواع المخلوقات كاضافة الربوبية مثلا وان الاستواء على الشئ ليس الا للعرش وان الله يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط لا حقيقة ولا مجازاً علم ان القرآن على ماهو عليه من غير تحريف

ثم من توهم أن كون الله فى السماء بمعني ان السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه لبادر كل أحد منهم الي أن يقول هذا شئ لعله لم يخطر ببالنا واذا كان الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا ولا يفهمه

الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله فى العلو لا في السفل

وقد علم المسلمون ان كرسيه سبحانه وسع السموات والارض وان الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له الى قدرة الله سبحانه وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولاصلبنكم في جذوع النخل وقال فسيروا في الارض بمعني على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلى بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبي صلي الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلي كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله هذا

القمر كلكم يراه مخليا به وهو آية من آيات الله فالله أكبر أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرئى مشابها للمرئى فالمؤمنون اذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلا ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ فى العلم بالله يكون اقراره للكتاب والسنة على ماهما عليه أوكد

واعلم ان من المتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على ماجاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا لفظ مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل أن يراد بكون الله قبل وجه المصلى انه مستقر فى الحائط الذى يصلى اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلاشك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ فى اطلاق القول بان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ماقد بيناه فى غير هذا الموضع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممتنع صار يظهر لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيبا بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الامور النسبية وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو الظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر

غير مراد عندهم ان المعاني التي تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هي واجبة لله أو جائزة عليه جوازا ذهنيا أو جوازا خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فيما يمكن أحدا قط أن ينقل عن واحد من السلف مايدل لا نصا ولا ظاهراً انهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة

وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ويقول ان طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين اتفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيس الحاجة الي ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل وأولئك لا يعينون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح علي السلف أما في كثير من الصفات فقطعا مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذي لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم اني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن علي نفي الصفات الخبرية في نفس الامر بل الذي رأيته ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً واما ظاهراً على تقرير جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم اثبات كل صفة بل الذى رأيته أنهم يثبتون جنسها فى الجملة وما رأيت أحدا منهم نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفى الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى من شبه الله بخلقه فقد كفر

وليس ماوصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وكانوا اذا رأوا الرجل قد أغرق في نفى التشبيه من غير اثبات للصفات قالوا هذا جهمى معطل وهذا كثير جداً فى كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الي اليوم يسمون من أثبت شيئا من الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتي ان منهم من غلا ورمي الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتى قال ثمامة بن الاشرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسي قال تعلم مافي نفسى ومحمد حيث قال ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الائمة مثل مالك وأصحابه والثورى وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعى وأصحابه واسحاق بن راهويه وأبى عبيد وغيرهم فى قسم المشبهة

وقد صنف أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعى جزأ سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقاب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معانى هذه الالقاب وذكر ان أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بلقب افتراه يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بألقاب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية تسميهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغثاء وغثراً الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم تارة مجنونا وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة مفتريا قالوا وهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة فان السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادا واقتصاداً وقولا وعملا فكما ان المنحرفين عنه يسمونه بأسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به فى المحيا والممات باطنا وظاهراً أما الذين وافقوهم ببواطنهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الامكان لا بد للمنحرفين عن سنة أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضى من لم يبغض أبا بكر وعمر فقد أبغض علياً لانه لا ولاية لعلى الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبا بكر وعمر ناصبيا بناء على هذه الملازمة الباطلة التى اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدريّ من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهمى من قال ان الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وانه

جسم محدود وانه مشابه لخلقه وكقول الجهمية المعتزلة من قال ان لله علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات أعراض والعرض لايقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز بجسم أو جوهر فرد

ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة بناء على عقيدته التي هم مخالفون له فيها فهو وربه أعلم والله من ورائه بالمرصاد ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله

وجماع الامر ان الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة * قسمان يقولون تجرى على ظواهرها * وقسمان يقولون هي على خلاف ظاهرها * وقسمان يسكتون أما الاولون فقسمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف واليه توجه الرد بالحق والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجرى اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فان ظواهر هـذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض والوجه واليـد والعين في حقه أجسام فاذا كان الله موصوفا عند عامة أهل الاثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماومشيئة وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليـه مايجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه ليست أجساما يجوز عليها مايجوز على صفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابي وغـيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لايخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فمن قال لاأعقل علماً ويداً الا من جنس العلم واليد المعهودتين قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين

ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شيء الا مايناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه وما أحسن ماقال بعضهم اذا قال الجهمى كيف استوى أوكيف ينزل الى سماء الدنيا أو كيف يداه ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لايعلم ماهو الا هو وكنه البارى غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مسبوق بالعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن ان نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذى ينبغى لك بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالي وهذه الروح التي فى بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامساك النصوص على بيان كيفيتها أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتعرج الي السماء وانها تسيل منه وقت

النزوع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا الغالي في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته فعدم مماثلتها البدن لاينفي أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ وانى لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعني الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لاصفة له ثبوتية بل صفاته اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الاحوال دون الصفات على ماقد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم يؤولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انتهى الخلق اليه الي غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم ماأراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظاهرها اللائق بالله ويجوز أن لايكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والسنتهم عن هذه التقديرات

فهـذه الاقسام الستة لايمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها

والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثانية كالآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة لاتحتمل النقيض وفي بعضها قد يغلب على الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن فى ذلك هو بحسب مايؤتاه من العلم والايمان ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي رواية لابي داود انه كان يكبر فى صلاته ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الي الله ودعاه وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهايات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هـذا الباب وعرف غالب مايزعمونه برهانا وهو شبهة ورأي ان غالب مايعتمدونه يؤول الى دعوي لاحقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كلية لاتصح الا جزئية أودعوى اجماع لاحقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب

بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغرّ مايوهمه السراب للعطشان ازداد ايمانا وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيماً وبقدره أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل فيه هو فى عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقى يخاف من شئ آخر فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فتوهم بما تلقاه من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر مايفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه ونصف متطبب ونصف نحوى هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الغالب في قول مؤتفك يؤفك عنه من أفك يعلم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله على بصيرة وان حجته ليست بينة وانما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها * حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ماقال الشافعى رضى الله عنه حيث قال حكمى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بعين القدر والحيرة مستولية

عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء وأعطوا فهوما وما أعطوا علوما وأعطوا سمعا وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولاأفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

من كان عليما بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم وعلم أن من ابتغي الهدي فى غير الكتاب والسنة لم يزداد الا بعداً

فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً

مباركاً الى يوم الدين

﴿ تمت الرسالة الحادية عشر ﴾

(ويليها الرسالة الثانية عشر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سئل شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه﴾

ماتقول السادة العلماء أئمة الدين وفقهم الله لطاعته فيمن يقول لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم هل يحرم عليه هذا القول وهل هو كفر أم لا وان استدل بآيات من كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم هل ينفعه دليله أم لا واذا قام الدليل من الكتاب والسنة فما يجب على من يخالف ذلك أفتونا مأجورين * الجواب *

الحمد لله * قد ثبت بالسنة المستفيضة بل المتواترة واتفاق الامة ان نبينا صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وانه يشفع فى الخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم الى ربهم وانه يشفع لهم

ثم اتفق أهل السنة والجماعة انه يشفع في أهل الكبائر وانه لايخلد فى النار من أهل التوحيد أحد

وأما الخوارج والمعتزلة فانكروا شفاعته لاهل الكبائر ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين وهؤلاء مبتدعة ضلال وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل وأما من أنكر ماثبت بالتواتر والاجماع فهو كافر بعد قيام الحجة وسواء سمى هذا المعنى استغاثة أولم يسمه وأما من أقر بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبدالمطلب وقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل

اليك بهم نبينا فاسقنا فيسقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فانا نستشفع بك على الله و نستشفع بالله عليك فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره عليه فعلم جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفي تكفيره نزاع وتفصيل

وأما من أقر بما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك ولكن قال لايدعى الا الله وان الامور التي لايقدر عليها الا الله فلا تطلب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك بل هذا مما لانزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وكما قال تعالى ياأيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والمعاني المنفية بالكتاب

والسنة يجب نفيها والعبارة الدالة على المعاني نفيا واثباتا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والا رجع فيه اليه وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوموا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو ان يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخاري عن ابن عمر قال ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش له ميزاب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز

قالوا من أسمائه تعالى المغيث والغياث وجاء ذكر المغيث في حديث أبي هريرة قالوا واجتمعت الامة على ذلك

وقال أبو عبد الله الحليمي الغياث هو المغيث وأكثر مايقال غياث المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم أغثنا اللهم أغثنا يقال اغاثة اغاثة وغياثا وغوثا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا أن الاغاثة أحق بالافعال والاستجابة أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين المستغيث والداعي ان المستغيث ينادي بالغوث والداعي ينادي بالمدعو والمغيث وهذا فيه نظر فان من صيغة الاستغاثة يالله للمسلمين وقد روى عن معروف الكرخي انه كان يكثر أن يقول واغوثا ويقول اني سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور ياحي ياقيوم لااله الا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولاتكلني الى نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة كما ان الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي الحديث أعوذ بكلمات الله التامة من شر ماخلق وفيه أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

ولهذا استدل الائمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعاذة لاتصلح بالمخلوق

وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حلف بغير الله فقد أشرك رواه الترمذى وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على انه ليس من الحلف بغير الله الذى نهى عنه والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ماهو اللائق بمنصبه لاينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر ان أنكر مايكفر به واما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذى نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن أثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضاً كافر اذا قامت عليه الحجة التى يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامى استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور بالديار المصرية استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون

وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولا قوة الابك

ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الاطلاق وكان مختصاً بالله صح الطلاق نفيه عما سواه ولهذا لايعرف عن أحد من أئمة المسلمين انه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله ولا أنكر على من نفى مطلق الاستغاثة عن غير الله

وكذلك الاستغاثة أيضاً فيها مالا يصلح الا لله وهي المشار اليها بقوله اياك نعبد واياك نستعين فانه لايعين على العبادة الاعانة المطلقة الا الله

وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

ومن خالف ماثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما فاسقاً واما عاصياً الا أن يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة فان الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وأما اذا قامت عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل واما بدونه والله أعلم

﴿ تمت الرسالة الثانية عشر ﴾

وبتمامها تم ولله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي

(ويليه انشاء الله الجزء الثاني وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة)

﴿ بالاكليل في المتشابه والتأويل ﴾

الجزء الثاني

من مجموعة الرسائل الكبرى

تأليف

شيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم

ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى

سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الاولي)

رسالة الاكليل في المتشابه . . والتأويل

وهو مما صنفه أخيراً بقاعة دمشق المحروسة

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٣)

(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر)

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)



(قال شيخ الاسلام علم الاعلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فصل قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته (الى قوله) ليجعل مايلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام قاسية وذات مرض ومؤمنة مخبتة وذلك لأنها اما أن تكون يابسة جامدة لا تلين للحق اعترافا واذعانا أو لا تكون يابسة جامدة * فالاول هو القاسي وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا ينطبع ولا يكتب فيه الايمان ولا يرتسم فيه العلم لان ذلك يستدعي محلا لينا قابلا * والثاني لايخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لايزول عنه لقوته مع لينه أو يكون لينه مع ضعف وانحلال فالثاني هو الذي فيه مرض والاول هو القوي اللين وذلك ان القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا فاما أن تكون جامدة يابسة لاتلتوي ولا تبطش أو تبطش بعنف فذلك مثل القلب القاسي أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك الذي

فيه مرض أو تكون باطشة بقوة ولين فهو مثل القاب العليم الرحيم فبارحمة خرج عن القسوة وبالعلم خرج عن المرض فان المرض من الشكوك والشبهات ولهذا وصف من عدى هؤلاء بالعلم والايمان و لاخبات وفي قوله (وليعلم الذين أوتو العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) دليل على ان العلم يدل على الايمان ليس ان أهل العلم ارتفعوا عن درجة الايمان كما يتوهمه طائفة من المتكلمة بل معهم العلم والايمان كما قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) وعلى هذا فقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا نظير هذه الآية فانه أخبر هنا ان الذين أوتو العلم يعلمون انه الحق من ربهم وأخبر هناك أنهم يقولون فى المتشابه آمنا به كل من عند ربنا وكلا الموضعين موضع شبهة لغيرهم وان الكلام هناك فى المتشابه وهنا فيما يلقي الشيطان مما ينسخه الله ثم يحكم الله آياته وحمل المحكم هنا ضد الذى نسخه الله مما ألقى الشيطان ولهذا قال طائفة من ا لمفسرين المتقدمين المحكم هو الناسخ والمتشابه المنسوخ

أرادوا والله أعلم قوله ينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والنسخ هنا رفع ما ألقاه الشيطان لا رفع ما شرعه الله وقد أشرت الى وجه ذلك فيما بعد وهو ان الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة ومقابل المنسوخ أخرى والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق فان هذا متشابه لانه يحتمل معنيين ويدخل فيه المجمل فانه متشابه

واحكامه رفع مايتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد وكذلك مارفع حكمه فان في ذلك جميعه نسخا لما يلقيه الشيطان في معانى القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فاذا عرفت الناسخ عرفت المحكم وعلى هذا فيصح أن يقال المحكم والمنسوخ كما يقال المحكم والمتشابه وقوله بعد ذلك ثم يحكم الله آياته جعل جميع الآيات محكمة محكمها ومتشابهها كما قال (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وقال (تلك آيات الكتاب الحكيم) على أحد القولين وهنالك جعل الآيات قسمين محكما ومتشابها كما قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه المتشابهات مما أنزله الرحمن لامما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار المحكم في القرآن تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان

ومن الناس من يجعله مقابلا لما نسخه الله مطلقاً حتى يقول هذه الآية محكمة ليست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكما وان كان الله أنزله أولا اتباعا لظاهر من قوله فينسخ الله ويحكم الله آياته فهذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغى التفطن لها

وجماع ذلك ان الاحكام تارة تكون فى التنزيل فيكون في مقابلته مايلقيه الشيطان فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ماليس منه فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل اتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل فى الحد بالمنع جزء معناه لاجميع معناه * وتارة يكون فى ابقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذى هو رفع ماشرع وهو

اصطلاحي أويقال وهو أشبه بقول السلف كانوا يسمون كل رفع نسخا سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظاهرة والقاء الشيطان في أمنيته قد يكون في نفس لفظ المبلغ وقد يكون في مسمع المبلغ وقد يكون في فهمه كما قال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية ومعلوم ان من سمع سمع النص الذي قد رفع حكمه أودلالة له فانه يلقي الشيطان في تلك التلاوة اتباع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذي به رفع الحكم وبان المراد وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم

وتارة يكون الاحكام في التأويل والمعني وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتي لاتشتبه بغيرها وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين ولم يقل في المتشابه لايعلم تفسيره ومعناه الا الله وانما قال وما يعلم تأويله الا الله وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضع فان الله أخبر أنه لا يعلم تأويله الا هو والوقف هنا على مادل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمهور التابعين وجماهير الامة ولكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره بل قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وهذا يعم الآيات المحكمات والآيات المتشابهات ومالا يعقل له معنى لايتدبر وقال (أفلا يتدبرون القرآن) ولم يستثن شيئا منه نهى عن تدبره والله ورسوله انما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه يبين ذلك ان التأويل قد روي

أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيي ابن أخطب وغيره من طلب من حروف الهجاء التي في أوائل السور تأويل بقاء هذه الامة كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة للصابئة المنجمين وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاما لان ذلك هو عدد ما للحروف في حساب الجمل بعد اسقاط المكرر وهذا من نوع تأويل الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر

وروي ان من النصارى الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد نجران من تأويل انا ونحن على ان الالهة ثلاثة لان هذا ضمير جمع وهذا تأويل في الايمان بالله فاولئك تأولوا في اليوم الآخر وهؤلاء تأولوا في الله ومعلوم ان انا ونحن من المتشابه فانه يراد بها الواحد الذي معه غيره من جنسه و يراد بها الواحد الذي معه أعوانه وان لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار هذا متشابها لان اللفظ واحد والمعنى متنوع والاسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه وبعض المتواطئ أيضاً من المتشابه ويسميها أهل التفسير الوجوه والنظائر وصنفوا كتب الوجوه والنظائر فالوجوه في الاسماء المشتركة والنظائر في الاسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك ان الوجوه والنظائر جميعاً في الاسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى وليس الامر على مقاله بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله والذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل والهكم اله واحد اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني ما اتخذ الله من ولد

وما كان معه من اله ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة ليفتنوا به الناس اذا وضعوه على غير مواضعه وحرفوا الكلم عن مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التى أخبر عنها وذلك ان الكلام نوعان انشاء فيه الامر وأخبار فتأويل الامر هو نفس الفعل المأمور به كما قال من قال من السلف ان السنة هى تأويل الامر قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن تعنى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

وأما الاخبار فتأويله عين الامر المخبر به اذا وقع ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم التأويل في القرآن فى غير موضع وهذا معناه قال الله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتمييزه بحيث لا يشتبه

ثم قال هل ينظرون أي ينتظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله الي آخر الآية وانما ذاك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة وأشراطها كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفا وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فحينئذ يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا

لمعل وهذا القدر الذى أخبر به القرآن من هذه الامور لا يعلم وقته وقدره وصفته الا الله فان الله يقول فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة عين ويقول أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما في الجنة الا الاسماء فان الله قد أخبر ان في الجنـة خمراً ولبناً وماء وحريراً وذهباً وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعاً ان تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه بل بينهما تباين عظيم مع التشابه كما في قوله (وأتوا به متشابهاً) على أحـد القولين ان يشبه مافي الدنيا وليس مثله فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء هـذه الحقائق كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه فنحن نعلمها اذا خوطبنا بتلك الاسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لاندركها في الدنيا ولا سبيل الى ادراكنا لهـا لعدم ادراك عينها أو نظيرها من كل وجه وتلك الحقائق على ماهى عليه هى تأويل ما أخبر الله به وهذا فيه رد على اليهود والنصارى والصابئين من المتفلسفة وغيرهم فانهم ينكرون أن يكون فى الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخـبر به القرآن ومن دخـل فى الاسلام ونافق المؤمنين تأول ذلك على أن هـذه أمثال مضروبة لتفهيم النعيم الروحاني ان كان من المتفلسفة الصابئة المنكرة لحشر الاجساد وان كان من منافقة الملتـين المقرين بحشر الاجساد تأول ذلك على تفهيم النعيم الذى في الجنة من الروحانى والسماع الطيب والروائح العطرة كل ضال يحرف الكلم عن مواضعه الى ما اعتقد ثبوته وكان فى هذا أيضاً

متبعاً للمتشابه اذ الاسماء تشبه الاسماء والمسميات تشبه المسميات ولكن مخالفها أكثر مما تشابهها فهؤلاء يتبعون هذا المتشابه ابتغاء الفتنة بما يوردونه من الشبهات على امتناع أن يكون فى الجنة هذه الحقائق وابتغاء تأويله ليردوه الي المعهود الذى يعلمونه فى الدنيا قال الله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) فان تلك الحقائق قال الله فيها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين لا ملك مقرب ولا نبى مرسل

وقوله وما يعلم تأويله اما أن يكون الضمير عائداً على الكتاب أو على المتشابه فان كان عائداً على الكتاب كقوله منه ومنه فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهذا يصح فان جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التى فيها اخبار عن الغيب الذى أمرنا أن نؤمن به لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتي يقع الا الله وقد يستدل لهذا أن الله جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره أنه مفصل بقوله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدي ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله فجعل التأويل الجائى الكتاب المفصل

وقد بينا ان ذلك التأويل لا يعلمه وقتاً وقدراً ونوعا وحقيقة الا الله وانما نعلم نحن بعض صفاته بمبلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) واذا كان التأويل الكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض) الى قوله (انما علمها عند الله) وكذلك قوله (يسألك

الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) فأخبر أنه ليس علمها الا عند الله وانما هو علم وقتها المعين وحقيقتها والا فنحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به فعلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها واحوالها ما علمناه وان نفسر النصوص المبينة لاحوالها فهذا هـذا وان كان الضمير عائداً الى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس فلان المخبر به من الوعد والوعيـد متشابه بخلاف الامر والنهي ولهـذا في الآثار العمل بمحكمه والايمان بمتشابهه لان المقصود في الخبر الايمان وذلك لان المخبر به من الوعد والوعيد فيه من التشابه ماذكرناه بخلاف الامر والنهي فانه متميز غـير مشتبه بغيره فانه أمور نفعلها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لابد أن نتصورها

ومما جاء من لفظ التأويل في القرآن قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهـم تأويله) والكناية عائدة على القرآن أو على مالم يحيطوا بعلمه وهو يعود الى القرآن قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصـيل الكتاب لاريب فيـه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثـله وادعوا من اسـتطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) فأخبر سبحانه ان هـذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله

وهـذه الصيغة تدل على امتناع المنفي كقوله (ما كان ربك ليهلك القرى بظلم) لان الخلق عاجزون عن الاتيان بمثله كما تحداهم وطالبهم لما قال أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فهذا تعجيز لجميع المخلوقين قال تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه أي مصدق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب أي مفصل الكتاب فأخبر أنه مصدق الذي بين يديه ومفصل الكتاب والكتاب اسم جنس ولم تحدى القائلين افتراه ودل على أنهم هم المفترون قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه وبين اتيان تأويله فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والايمان بعلمه ولما يأتهم تأويله وان الاحاطة بعلم القرآن ليست اتيان تأويله فان الاحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع المخبر به وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير القرآن ومعرفة المخبر به هي معرفة تأويله وهذا هو الذي بيناه فيما تقدم ان الله انما أنزل القرآن ليعلم ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

ويبين ذلك ان الله يقول عن الكفار (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا) فقد أخبر ذما للمشركين انه اذا قرئ عليهم القرآن حجب بين أبصارهم وبين الرسول بحجاب مستور وجعل على

قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرافلو كان أهل العلم والايمان على قلوبهم أكنة أن يفقهوا بعضه لشاركوهم في ذلك وقوله أن يفقهوه يعود الى القرآن كله

فعلم ان الله يحب أن يفقه ولهذا قال الحسن البصري ماأنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيماذا أنزلت وماذا عنى بها وما استثنى من ذلك لا متشابها ولا غيره

وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها فهذا ابن عباس حبر الامه وهو أحد من كان يقول لا يعلم تأويله الا الله يجيب مجاهدا عن كل آية في القرآن

وهذا هو الذى حمل مجاهدا ومن وافقه كابن قتيبة على ان جعلوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل لان مجاهدا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله و بيان معانيه فظن ان هذا هو التأويل المنفي عن غير الله

وأصل ذلك ان لفظ التأويل وبه أشير الى بين ماعناه الله فى القرآن وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف و بين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور في القرآن * ومجاهد امام التفسير قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وأما التأويل فشأن آخر ويبين ذلك ان الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله وقال هذه من المتشابه الذى لا يعلم معناه ولا قال قط أحد

من سلف الامة ولا من الائمة المتبوعين ان في القرآن آيات لا تعلم معناها ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أهل العلم والايمان جميعهم وانما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لا ريب فيه

وانما وضع هذه المسئلة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات و آيات القدر وغير ذلك فلقبوها هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم معناه وما تعبدنا بتلاوة حروفه بلا فهم فجوز ذلك طوائف متمسكين بظاهر من هذه الآية وبأن الله يمتحن عباده بما شاء ومنعها طوائف ليتوصلوا بذلك الى تأويلاتهم الفاسدة التي هي تحريف الكلم عن مواضعه * والغالب على كلا الطائفتين الخطأ أولئك يقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلم عن مواضعه

ومن المتأخرين من وضع المسئلة بلقب شنيع فقال لا يجوز أن يتكلم الله بكلام ولا يعني به شيئا خلافا للحشوية وهذا لم يقله مسلم ان الله يتكلم بما لا معنى له

وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم معناه وبين نفي المعنى عند المتكلم ونفي الفهم عند المخاطب بون عظيم

ثم احتج بما لا يجري على أصله فقال هذا عبث والعبث على الله محال وعنده ان الله لا يقبح منه شيء أصلا بل يجوز أن يفعل كل شيء وليس له أن يقول العبث صفة نقص فهو منتف عنه لان النزاع في الحروف وهي عنده مخلوقة من جملة الافعال ويجوز أن يشتمل الفعل عنده علي كل

صفة فلا نقل صحيح ولا عقل صريح

وثار الفتنة بين الطائفتين وحار عقولهم ان مدعى التأويل أخطؤا فى زعمهم أن العلماء يعلمون التأويل وفى دعواهم أن التأويل هو تأويلهم الذى هو تحريف الكلم عن مواضعه فان الاولين لعلمهم بالقرآن والسنن وصحة عقولهم وعلمهم بكلام السلف وكلام العرب علموا يقيناً ان التأويل الذى يدعيه هؤلاء ليس هو معنى القرآن فانهم حرفوا الكلم عن مواضعه وصاروا مراتب ما بين قرامطة وباطنية يتأولون للاخبار والاوامر وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الاخبار عن الله وعن اليوم الآخر حتى عن أكثر أحوال الانبياء وما بين جهمية ومعتزلة يتأولون بعض ماجاء فى اليوم الآخر وفي آيات القدر ويتأولون آيات الصفات وقد وافقهم بعض متأخرى الاشعرية على ماجاء فى بعض الصفات وبعضهم في بعض ماجاء في اليوم الآخر وآخرون من أصناف الامة وان كان تغلب عليهم السنة فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم من تحريف الكلم عن مواضعه والذين ادعوا العلم بالتأويل مثل طائفة من السلف وأهل السنة وأكثر أهل الكلام والبدع رأوا أيضاً ان النصوص دلت على معرفة معانى القرآن ورأوا عجزاً وعيباً وقبيحاً أن يخاطب الله عباده بكلام يقرؤنه ويتلونه وهم لايفهمونه وهم مصيبون فيما استدلوا به من سمع وعقل لكن أخطأوا فى معنى التأويل الذى نفاه الله وفى التأويل الذى أثبتوه وتسلق بذلك مبتدعتهم الى تحريف الكلم عن مواضعه وصار الاولون أقرب الى السكوت والسلامة

بنوع من الجهل وصار الآخرون أكثر كلاما وجدالا ولكن بفريه على الله وقول عليه مالا يعلمونه والحاد فى أسمائه وآياته فهذا هذا ومنشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل

فان التأويل في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف فاذ قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول علي كذا قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج الى دليل والمتأول عليه وظيفتان بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان الدليل الموجب للصرف اليه عن المعنى الظاهر وهذا هو التأويل الذى يتنازعون فيه في مسائل الصفات اذا صنف بعضهم فى ابطال التأويل أوذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لاتؤول وقال الآخر بل يجب تأويلها وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك عند المصلحة أو يصلح للعلماء دون غيرهم الى غير ذلك من المقالات والتنازع

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أوخالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أومترادفا وهذا والله أعلم هو الذى عناه مجاهد ان العلماء يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبرى يقول فى تفسيره القول في تأويل قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل فى هذه الآية ونحو ذلك ومراده

التفسير والمعنى الثاني في لفظ السلف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام فان الكلام ان كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وان كان خبراً كان تأويله نفس الشئ المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله بون فان الذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والايضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان له الوجود الذهني واللفظي والرسمي

وأما هذا فالتأويل فيه نفس الامور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة فاذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التى نزل بها وقد قدمنا التبيين فى ذلك ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوسف (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك) وقوله (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) وقول الملا (أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر وآوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قدجعلها ربى حقاً)

فتأويل الاحاديث التى هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التى تؤول

اليه كما قال يوسف هـذا تأويل رؤياى من قبل والعالم بتأويلها الذي يخبر به كما قال يوسف لايأتيكما طعام ترزقانه أي في المنام الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما أي قبل أن يأتيكما التأويل وقال الله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) قالوا أحسن عاقبة ومصيرا فالتأويل هنا تأويل فعلهم الذى هو الرد الى الكتاب والسنة والتأويل فيسورة يوسف تأويل أحاديث الرؤيا والتأويل في الاعراف ويولس تأويل القرآن وكذلك فى سورة آل عمران وقال تعالى في قصة موسى والعالم (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) الى قوله (وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا) فالتأويل هنا تأويل الافعال التى فعلها العالم من خرق السفينة بغير اذن صاحبها ومن قتل الغلام ومن اقامة الجدار فهو تأويل عمل لاتأويل قول وانما كان كذلك لان التأويل مصدر أوله يؤوله تأويلا مثل حول تحويلا وعول تعويلا وأول يؤل تعدية آل يؤول أولا مثل حال يحول حولا وقولهم آل يؤول أى عاد الى كذا ورجع اليه ومنه المآل وهو مايؤول اليه الشئ ويشاركه فى الاشتقاق الاكبر الموئل فانه وال وهذا من أول والموئل المرجع قال تعالى (ولم يجدوا من دونه موئلا) ومما يوافقه فى اشتقاقه الاصغر الآل فان آل الشخص من يؤول اليه ولهذا لايستعمل الا في عظيم بحيث يكون المضاف اليه يصلح أن يؤول اليه الآل كآل ابراهيم وآل لوط وآل فرعون بخلاف الاهل والاول أفعل لانهم قالوا في

تأنيثه أولي كما قالوا جمادى الاولى وفي القصص (وله الحمد في الاولي والآخرة) ومن الناس من يقول فوعل ويقول أولة الا أن هذا يحتاج الى شاهد من كلام العرب بل عدم صرفه يدل على انه أفعل لافوعل فان فوعل مثل كوثر وجوهر مصروف سمي المتقدم أول والله أعلم لان مابعده يؤول اليه ويبني عليه فهو أس لما بعده وقاعدة له والصيغة صيغة تفضيل مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى لامن باب أحمر وحمراء ولهذا يقولون جئته أول من أمس وقال من أول يوم وأنا أول المسلمين ولا تكونوا أول كافر به ومثل هذا أول هؤلاء فهذا الذى فضل عليهم في الاول لان كل واحد يرجع الى ماقبله فيعتمد عليه وهذا السابق كلهم يؤول اليه فان من تقدم في فعل فاستبق به من بعده كان السابق الذى يؤل الكل اليه فالاول له وصف السودد والاتباع ولفظ الاول مشعر بالرجوع والعود والاول مشعر بالابتداء والمبتدأ خلاف العائد لانه انما كان أولا لما بعده فانه يقال أول المسلمين وأول يوم فما فيه من معنى الرجوع والعود هو للمضاف اليه لا للمضاف واذا قلنا آل فلان فالعود في المضاف لان ذلك صيغة تفضيل فى كونه مآلا ومرجعا لغيره لان كونه مفضلا دل على انه مآل ومرجع لا آيل راجع اذ لافضل فى كون الشيء راجعا الي غيره آيلا اليه وانما الفضل فى كونه هو الذى يرجع اليه ويؤال فاما كانت الصيغة صيغة تفضيل أشعرت بانه مفضل في كونه مآلا ومرجعا والتفضيل المطلق فى ذلك يقتضى أن يكون هو السابق المبتدئ والله أعلم

فتأويل الكلام ماأوله اليه المتكلم أو مايؤول اليه الكلام أوماتأوله المتكلم فان التفعيل يجرى على غير فعل كقوله وتبتل اليه تبتيلا فيجوز أن يقال تأول الكلام الى هذا المعنى تأويلا والمصدر واقع موقع الصفة اذ قد يحصل المصدر صفة بمعنى الفاعل كعدل وصوم وفطر وبمعنى المفعول كدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله فالتأويل هو ماأول اليه الكلام أو يؤول اليه أو تأول هو اليه والكلام انما يرجع ويعود ويستقر ويئول ويؤول الى حقيقته التى هى عين المقصود به كما قال بعض السلف في قوله لكل نبأ مستقر قال حقيقة فانه ان كان خبرا فالى الحقيقة الخبر بها يؤول ويرجع والا لم تكن له حقيقة ولا مآل ولا مرجع بل كان كذبا وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع والا لم يكن مقصوده موجودا ولا حاصلا ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤول كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا) قال انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد

(فصل) وأما ادخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذى استأثر الله بعلم تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم فانهم وان أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين * الاول من قال ان هذا من المتشابه وانه لا يفهم معناه فيقول أما الدليل على ذلك فاني ما أعلم عن

أحد من سلف الامة ولا من الائمة لاأحمد بن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذي لايفهم ولا قالوا ان الله ينزل كلاما لايفهم أحد معناه وانما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النصوص على مادلت عليه ونصوص أحمد والائمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على مادلت عليه من معناها ويفهمون منها بعض مادلت عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والفضائل وغيرذلك وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعد مثل قوله من غشنا فليس منا وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك ان الحديث لايحرف كلمه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الائمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية انهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الائمة قبله نهذا اتفاق من الائمة على أنهم يعلمون معني هذا المتشابه وأنه لايسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر فاتفاق الائمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد في أسماء الله وآياته

ومما يوضح لك ماوقع هنا من الاضطراب ان أهل السنة متفقون على ابطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المنحرفين الملحدين والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره الي مايخالف ظاهره فلو قيل ان هذا هو التأويل المذكور في الآية وانه لايعلمه الا الله لكان في هذا تسليم للجهمية ان للآية تأويلا يخالف دلالتها لكن ذلك لايعلمه الا الله وليس هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم نفى هذه التأويلات وردها لاالتوقف عنها وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعانى لاتحرف ولا يلحد فيها

والدليل على أن هذا ليس بمتشابه لايعلم معناه أن نقول لاريب ان الله سمى نفسه في القرآن بأسماء مثل الرحمن والودود والعزيز والجبار والعليم والقدير والرؤف ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات مثل سورة الاخلاص وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وقوله (ان الله بكل شئ عليم) وعلى كل شئ قدير • وانه يحب المتقين • والمقسطين والمحسنين • وانه يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولما آسفونا انتقمنا منهم • ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله • ولكن كره الله انبعاثهم • الرحمن على العرش استوى • ثم استوى على العرش • يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها • وهو معكم أينما كنتم • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو العلي العظيم اليه يصعد الكلم الطيب • والعمل الصالح يرفعه • انني معكما أسمع وأرى • وهو الله في السموات وفي الارض • مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى • بل

يداه مبسوطتان • ينفق كيف يشاء • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام • يريدون وجهه (ولتصنع على عينى) الى أمثال ذلك فيقال لمن ادعي في هذا نه متشابه لا يعلم معناه أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه أم في البعض فان قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا وجحدا لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل كفر صريح فانا نفهم من قوله (ان الله بكل شئ عليم) معنى ونفهم من قوله (ان الله على كل شيء قدير) معنى ليس هو الاول ونفهم من قوله (ورحمتي وسعت كل شيء) معني ونفهم من قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) معنى وصبيان المسلمين بل وكل عاقل يفهم هذا وقد رأيت بعض من ابتدع وجحد من أهل المغرب مع انتسابه الى الحديث لكن أثرت فيه الفلسفة الفاسدة من يقول انا نسمي الله الرحمن العليم القدير علماً محضاً من غير أن نفهم منه معنى يدل على شئ قط وكذلك في قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه) يطلق هذا اللفظ من غير أن نقول له علم

وهذا الغلو في الظاهر من جنس غلو القرامطة في الباطن لكن هذا أيبس وذاك أكفر

ثم يقال لهذا المعاند فهل هذه الاسماء دالة على الاله المعبود أو على حق موجود أم لا فان قال لا كان معطلا محضاً وما أعلم مسلما يقول هذا وان قال نعم قيل له فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة سواء فلا بد أن يقول لان ثبوت الصفات محال في العقل لانه يلزم منه

التركيب أو الحدوث بخلاف الذات فيخاطب حينئذ بما يخاطب به الفريق الثاني كما سنذكره وهو من أقر بفهم بعض معنى هذه الاسماء والصفات دون بعض فيقال له ما الفرق بين ما أثبته وبين ما نفيته أو سكت عن اثباته ونفيه فان الفرق اما أن يكون من جهة السمع لأن أحد النصين دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر أو من جهة العقل بأن أحد المعنيين يجوز أو يجب اثباته دون الآخر وكلا الوجهين باطل في أكثر المواضع *اما الاول فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير علي عظيم كدلالته على أنه عليم قدير ليس بينهما فرق من جهة النص وكذلك ذكره لرحمته ومحبته وعلوه مثل ذكره لمشيئته وارادته *وأما الثاني فيقال لمن أثبت شيئا ونفى آخر لم نفيت مثلا حقيقة رحمته ومحبته وأعدت ذلك الى ارادته فان قال لان المعنى المفهوم من الرحمة في حقنا هي رقة تمتنع على الله قيل له والمعنى المفهوم من الارادة في حقنا هي ميل يمتنع على الله فان قال ارادته ليست من جنس ارادة خلقه قيل له ورحمته ليست من جنس رحمة خلقه وكذلك محبته وان قال وهو حقيقة قوله لم أثبت الارادة وغيرها بالسمع وانما أثبت العلم والقدرة والارادة بالعقل وكذلك السمع والبصر والكلام على احدى الطريقتين لأن الفعل دل على القدرة والاحكام دل على العلم والتخصيص دل على الارادة قيل له الجواب من ثلاثة أوجه

أحدها ان الانعام والاحسان وكشف الضر دل أيضاً على الرحمة كدلالة التخصيص على الارادة والتقريب والادناء وأنواع التخصيص

التي لاتكون الا من المحب تدل على المحبة أو مطابق التخصيص يدل على الارادة وأما التخصيص بالانعام فتخصيص خاص والتخصيص بالتقريب والاصطفاء تقريب خاص وما سلكه في مسلك الارادة يسلك في مثل هذا

الثاني يقال له هب ان العقل لايدل على هذا فانه لاينفيه الا بمثل ماينفى به الارادة والسمع دليل مستقل بنفسه بل الطمأنينة اليه في هذه المضايق أعظم ودلالته أتم فلأى شيء نفيت مدلوله أو توقفت وأعدت هذه الصفات كلها الى الارادة مع أن النصوص تفرق فلايذكر حجة الا عورض بمثلها فى اثباته الارادة زيادة على الفعل

الثالث يقال له اذا قال لك الجهمى الارادة لا معنى لها الا عدم الاكراه أو نفس الفعل والامر به وزعم أن اثبات ارادة تقتضى محذورا ان قال بقدمها ومحذوراً ان قال بحدوثها

وهنا اضطربت المعتزلة فانهم لايقولون بارادة قديمة لامتناع صفة قديمة عندهم ولا يقولون بتجدد صفة له لامتناع حلول الحوادث عند أكثرهم مع تناقضهم

فصاروا حزبين البغداديون وهم أشد غلوا في البدعة في الصفات وفى القدر نفوا حقيقة الارادة وقال الجاحظ لامعنى لها الا عدم الاكراه وقال الكعبي لامعنى لها الا نفس الفعل اذا تعلقت بفعله ونفس الامر اذا تعلقت بطاعة عباده

والبصريون كأبى علىّ وأبى هاشم قالوا تحدث ارادة لافي محل فلا

ارادة فالزموا حدوث حادث غير مراد وقيام صفة بغير محل وكلاهما عند العقلاء معلوم الفساد بالبديهة كان جوابه ان ما ادعى احالته من ثبوت الصفات ليس بمحال والنص قد دل عليها والعقل أيضاً فاذا أخذ الخصم ينازع فى دلالة النص أو العقل جعله مسفسطاً أو مقرمطا وهذا بعينه موجود في الرحمة والمحبة فان خصومه ينازعونه في دلالة السمع والعقل عليها على الوجه القطعى

ثم يقال لخصومه بم أثبتم انه عليم قدير فما أثبتوه به من سمع وعقل فبعينه تثبت الارادة وما عارضوا به من الشبه عورضوا بمثله فى العلم والقدير واذا انتهى الامر الى ثبوت المعاني وانها تستلزم الحدوث أو التركيب والافتقار كان الجواب ماقررناه في غير هذا الموضع فان ذلك لا يستلزم حدوثا ولا تركيباً مقتضياً حاجة الى غيره

ويعارضون أيضاً بما ينفى به أهل التعطيل الذات من الشبه الفاسدة ويلزمون بوجود الرب الخالق المعلوم بالفطرة الخلقية والضرورة العقلية والقواطع العقلية واتفاق الامم وغير ذلك من الدلائل ثم يطالبون بوجود من جنس ما لعهده أو بوجود يعلمون كيفيته فلا بد أن يفروا الى اثبات مالا تشبه حقيقته الحقائق فالقول فى سائر ما سمى ووصف به نفسه كالقول فى نفسه سبحانه وتعالى ونكتة هذا الكلام ان غالب من نفى وأثبت شيئا مما دل عليه الكتاب والسنة لابد أن يثبت الشئ لقيام المقتضى وانتفاء المانع وينفى الشئ لوجود المانع أو لعدم المقتضى أو يتوقف اذا لم يكن له عنده مقتض ولا مانع فيبين له أن المقتضى فيما نفاه قائم

كما أنه فيما أثبته قائم اما من كل وجه أو من وجه يجب به الاثبات فان كان المقتضي هناك حقاً فكذلك هنا والافدرء ذاك المقتضى من جنس درء هذا

وأما المانع فيبين ان المانع الذى تخيله فيما نفاه من جنس المانع الذى يخيله فيما أثبته فاذا كان ذلك المانع المستحيل موجودا على التقديرين لم ينج من محذوره باثبات أحدهما ونفي الآخر فانه ان كان حقاً نفاهما وان كان باطلا لم ينف واحداً منهما فعليه أن يسوى بين الامرين في الاثبات والنفي ولا سبيل الى النفي فتعين الاثبات

فهذه نكتة الالزام لمن أثبت شيئا وما من أحد الا ولا بد أن يثبت شيئا أو يجب عليه اثباته فهذا يعطيك من حيث الجملة ان اللوازم التي يدعى أنها موجبة النفي خيالات غير صحيحة وان لم يعرف فسادها على التفصيل واما من حيث التفصيل فيبين فساد المانع وقيام المقتضى كما قرر هذا غير مرة

فان قال من اثبت هذه الصفات التي هى فينا اعراض كالحياة والعلم والقدرة ولم يثبت ماهو فينا أبعاض كاليد والقدم هذه أجزاء وأبعاض تستلزم التركيب والتجسيم

قيل له وتلك أعراض تستلزم التجسيم والتركيب العقلى كما استلزمت هذه عندك التركيب الحسى فان أثبت تلك علي وجه لاتكون أعراضاً أو تسميتها أعراضاً لايمنع ثبوتها قيل له وأثبت هذه على وجه لاتكون تركيباً وأبعاضاً أو تسميتها تركيباً وأبعاضاً لايمنع ثبوتها

فان قيل هـذه لا يعقل منها الا الاجزاء قيل له وتلك لا يعقل منها الا الاعراض فان قال العرض مالا يبقى وصفات الرب باقية

قيل والبعض ماجاز انفصاله عن الجملة وذلك فى حق الله محال ففارقة الصفات القديمة مستحيلة في حق الله تعالي مطلقاً والمخلوق يجوز أن تفارقه أعراضه وأبعاضه

فان قال ذلك تجسيم والتجسيم منتف قيل وهذا تجسيم والتجسيم منتف

فان قال أنا أعقل صفة ليست عرضاً بغير متحيز وان لم يكن له فى الشاهد نظير قيل له فاعقل صفة هي لنا بعض لغير متحيز وان لم يكن له في الشاهد نظير فان نفى عقل هذا نفى عقل ذاك وان كان بينهما نوع فرق لكنه فرق غير مؤثر في موضع النزاع ولهذا كانت المعطلة الجهمية تنفى الجميع لكن ذلك أيضاً مستلزم لنفي الذات ومن أثبت هذه الصفات الخبرية من نظير هؤلاء صرح بأنها صفة قائمة به كالعلم والقدرة وهذا أيضاً ليس هو معقول النص ولا مدلول العقل وانما الضرورة الجأتهم الي هذه المضايق وأصل ذلك انهم أتوا بألفاظ ليست في الكتاب ولا في السنة وهي ألفاظ مجملة مثل متحيز ومحدود وجسم ومركب ونحو ذلك ونفوا مدلولها وجعلوا ذلك مقدمة بينهم مسلمة ومدلولا عليها بنوع قياس وذلك القياس أوقعهم فيه مسلك سلكوه فى اثبات حدوث العالم بحدوث الاعراض أو اثبات امكان الجسم بالتركيب من الاجزاء فوجب طرد الدليل بالحدوث والامكان لكل ما شمله هذا الدليل اذ الدليل القطعى

لايقبل الترك لمعارض راجح فرأوا ذلك ينكر عليهم من جهة النصوص ومن جهة العقل من ناحية أخرى فصاروا أحزابا تارة يغلبون القياس الاول ويدفعون ماعارضه وهم المعتزلة وتارة يغلبون القياس الثاني ويدفعون الاول كهشام بن الحكم الرافضي فانه قد قيل أول ماتكلم في الجسم نفيا واثباتا من زمن هشام بن الحكم وأبي الهذيل العلاف فان أبا الهذيل ونحوه من قدماء المعتزلة نفوا الجسم لما سلكوا من القياس وعارضهم هشام وأثبت الجسم لما سلكوه من القياس واعتقد الاولون احالة ثبوته واعتقد هذا احالة نفيه وتارة يجمعون بين النصوص والقياس بجمع يظهر فيه الاحالة والتناقض

فما أعلم أحدا من الخارجين عن الكتاب والسنة من جميع فرسان الكلام والفلسفة الا ولابد أن يتناقض فيحيل ماأوجب نظيره ويوجب ماأحال نظيره اذ كلامهم من عند غير الله وقد قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

والصواب ماعليه أئمة الهدى وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لايتجاوز القرآن والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والايمان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لاترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ولا يعرض عنها فيكون من باب الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ولا يترك تدبر القرآن فيكون من باب الذين لايعلمون الكتاب الا أماني فهذا أحد الوجهين وهو منع أن تكون هذه من المتشابه

* الوجه الثانى انه اذا قيل هذه من المتشابه أوكان فيها ماهو من المتشابه كما نقل عن بعض الأئمة انه سمى بعض ما استدل به الجهمية متشابها فيقال الذى فى القرآن انه لا يعلم تأويله الا الله اما المتشابه واما الكتاب كله كما تقدم ونفى علم تأويله ليس نفى علم معناه كما قدمناه فى القيامة وأمور القيامة وهذا الوجه قوى ان ثبت حديث ابن اسحاق فى وفد نجران انهم احتجوا على النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انا ونحن ونحو ذلك ويؤيده أيضا أنه قد ثبت ان فى القرآن متشابها وهو مايحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ماهو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى فان نفي المتشابه بين الله وبين خلقه أعظم من نفى المتشابه بين موعود الجنة وموجود الدنيا وانما نكتة الجواب هو ما قدمناه أولا ان نفى علم التأويل ليس نفيا لعلم المعنى ونزيده تقريرا ان الله سبحانه يقول (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج) وقال تعالى (الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون) فأخبر انه أنزله ليعقلوه وانه طلب تذكرهم وقال أيضا (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فحض على تدبره وفقهه وعقله والتذكر به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيأ بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ومعلوم ان نفى الاختلاف عنه لا يكون الا بتدبره كله والا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفى مخالفة مالم يتدبر

لما تدبر

وقال علي عليه السلام لما قيل له هل ترك عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه وما في هذه الصحيفة فأخبر أن الفهم فيه مختلف فى الامة والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع وقال بلغوا عني ولو آية وأيضاً فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الامة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلالتها ورووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبدالله بن مسعود الذي كان يقول لو أعلم اعلم بكتاب الله مني تبلغه آباط الابل لاتيته وعبد الله بن عباس الذى دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وهو حبر الامة وترجمان القرآن كانا هما وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين اثباتا للصفات ورواية لها عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا وما في التابعين أجل من أصحاب هذين السيدين بل وثالثهما في علية التابعين من جنسهم أو قريب منهم جلالة أصحاب زيد بن ثابت لكن أصحابه مع جلالتهم ليسوا مختصين به بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس ولو كان معانى هذه الآيات منفيا أو مسكوتا عنه لم يكن ربانيوا الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاما فيه

ثم ان الصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط انه امتنع من تفسير آية

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل وكذلك الائمة كانوا اذا سئلوا شيئا من ذلك لم ينفوا معناه بل يثبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش) استوى كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك ربيعة قبله وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره وقد بين ان الاستواء معلوم كما ان سائر ما أخبر به معلوم ولكن الكيفية لاتعلم ولا يجوز السؤال عنها لايقال كيف استوى ولم يقل مالك الكيف معدوم وانما قال الكيف مجهول وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة غير ان أكثرهم يقولون لاتخطر كيفيته ببال ولاتجرى ماهيته فى مقال ومنهم من يقول ليس له كيفية ولا ماهية

فان قيل معنى قوله الاستواء معلوم ان ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذى استأثر الله بعلمه

قيل هذا ضعيف فان هذا من باب تحصيل الحاصل فان السائل قد علم ان هذا موجود فى القرآن وقد تلا الآية وأيضا فلم يقل ذكر الاستواء في القرآن ولا اخبار الله بالاستواء وانما قال الاستواء معلوم فأخبر عن الاسم المفرد انه معلوم لم يخبر عن الجملة وأيضاً فانه قال والكيف مجهول ولو أراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم فلم ينف الا العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله انني معكما أسمع وأرى كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول ولو قال كيف كلم موسى تكليما لقلنا التكليم معلوم والكيف غير معلوم * وأيضا فان من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقرون بأن الله فوق العرش حقيقة وان ذاته فوق ذات العرش لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذى لا يعلم معناه بالكلية

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم ارتفع على العرش علا على العرش وقال بعضهم عبارات أخرى وهذه ثابتة عن السلف قد ذكر البخارى في صحيحه بعضها في آخره في كتاب الرد على الجهمية

وأما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية وأيضا قد ثبت ان اتباع المتشابه ليس فى خصوص الصفات بل في صحيح البخارى ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لعائشة ياعائشة اذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذريهم وهذا عام وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب من اشـر القضايافانه بلغهانه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر فسأل عمر عن الدار ت ذروا فقال ماسمك قال عبدالله صبيغ فقال وأناعبدالله عمر وضربه الضرب الشديد وكان ابن عباس اذا ألح عليه رجل في مسئلة من هذا الجنس يقول مااحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بصبيغ وهذا لانهم رأوا ان غرض السائل ابتغاء الفتنة لاالاسترشاد والاستفهام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه وكماقال تعالى (فأماالذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاءالفتنة) فعاقبوهم على هذا القصد الفاسد كالذى يعارض بين آيات القرآن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لاتضربوا كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك فى قلوبهم ومع ابتغاء الفتنة ابتغاء تأويله الذي لايعلمه الا الله فكان مقصودهم مذموما ومطلوبهم متعذرا مثل اغلوطات المسائل التي نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها

ومما يبين الفرق بين المعنى والتأويل ان صبيغا سأل عمر عن الذاريات وليست من الصفات وقد تكلم الصحابة في تفسيرها مثل علي ابن أبي طالب مع ابن الكواء لما سأله عنها كره سؤاله لما رآه من قصده لكن علي كانت رعيته ملتوية عليه لم يكن مطاعا فيهم طاعة عمر حتى يؤدبه والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات فيها اشتباه لان

اللفظ يحتمل الرياح والسحاب والنجوم والملائكة ويحتمل غير ذلك اذ ليس فى اللفظ ذكر الموصوف والتأويل الذى لايعلمه الاالله هو أعيان الرياح ومقاديرها وصفاتها ومتي تهب وأعيان السحاب وماتحمله من الامطار ومتى ينزل المطر وكذلك فى الجاريات والمقسمات فهذا لايعلمه الا الله وكذلك فى قوله انا ونحن ونحوهما من أسماء الله التى فيها معنى الجمع كما أتبعته النصارى فان معناه معلوم وهو الله سبحانه لكن اسم الجمع يدل على تعدد المعانى بمنزلة الاسماء المتعددة مثل العليم والقدير والسميع والبصير فان المسمى واحد ومعانى الاسماء متعددة فهكذا الاسم الذي لفظه الجمع

وأما التأويل الذى اختص الله به فحقيقة ذاته وصفاته كما قال مالك والكيف مجهول فاذا قالوا ماحقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره قيل هذا هو التأويل الذى لايعلمه الاالله

وما أحسن مايعاد التأويل الى القرآن كله (فان قيل) فقد قال النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (قيل) أما تأويل الامر والنهى فذاك يعلمه واللام هنا للتأويل المعهود لم يقل تأويل كل القرآن فالتأويل المنفى هو تأويل الاخبار التى لايعلم حقيقة مخبرها الاالله والتأويل المعلوم هو الامر الذى يعلم العباد تأويله وهذا كقوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) وقوله (بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) فان المراد تأويل الخبر الذى فيه عن

المستقبل فانه هو الذى ينتظر ويأتى ولما يأتهم وأما تأويل
الامر والنهى فذاك في الامر وتأويل الخبر عن الله
وعمن مضى ان أدخل في التأويل
لاينتظر والله سبحانه أعلم
وبه التوفيق

﴿ تمت الرسالة الاولي ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثانية له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذه مسئلة سئل عنها الشيخ الامام العالم العامل شيخ الاسلام وقطب الائمة الاعلام ومن عمت بركاته أهل العراقين والشام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي متع الله المسلمين ببركاته وكان بالديار المصرية * في رجل نقل عن بعض السلف من الفقهاء انه قال أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان فقيل له لم ذلك فذكر ان وقعة المنصورة لم تقسم الغنائم فيها واختلطت الاموال بالمعاملات بها فقيل له أن الرجل يؤجر نفسه لعمل من الاعمال المباحة ويأخذ أجرته حلال فذكر أن الدرهم في نفسه حرام فقيل له كيف قبل الدرهم التغير أولا فصار حراما بالسبب الممنوع ولم يقبل التغير فيكون حلالا بالسبب المشروع فما الحكم في ذلك

فأجاب رضي الله عنه * الحمد لله * هذا القائل الذي قال أكل الحلال متعذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان غالط مخطئ في قوله باتفاق أئمة الاسلام فان مثل هذه المقالة كان يقولها بعض أهل البدع وبعض أهل الفقه الفاسد وبعض أهل النسك الفاسد فأنكر الائمة ذلك حتى الامام أحمد في ورعه المشهور كان ينكر مثل هذه المقالة وجاء رجل من النساك فذكر له شيئا من هذا فقال انظر الى هذا الخبيث يحرم أموال المسلمين

وقال بلغني أن بعض هؤلاء يقول من سرق لم تقطع يده لأن المال ليس بمعصوم ومثل هذا كان يقوله بعض المنتسبين الى العلم من أهل

المصر بناء على هذه الشبهة الفاسدة وهو أن الحرام قد غلب على الاموال لكثرة الغصوب والعقود الفاسدة ولم يتميز الحلال من الحرام

ووقعت هذه الشبهة عند طائفة من مصنفي الفقهاء فأفتوا بأن الانسان لايتناول الا مقدار الضرورة وطائفة لما رأت مثل هذا الحرج سدت باب الورع فصاروا نوعين المباحية لايميزون بين الحلال والحرام بل الحلال ماحل بأيديهم والحرام ماحرموه لانهم ظنوا مثل هذا الظن الفاسد وهو أن الحرام قد طبق الارض ورأوا أنه لابد للانسان من الطعام والكسوة فصاروا يتناولون ذلك من حيث أمكن فلينظر العاقل عاقبة ذلك الورع الفاسد كيف أورث الانحلال عن دين الاسلام وهؤلاء يحكون في الورع الفاسد حكايات بعضها كذب ممن نقل عنه وبعضها غلط كما يحكون عن الامام أحمد ان ابنه صالحا لما تولى القضاء لم يكن يخبز في داره وان أهله خبزوا فى تنوره فلم يأكل الخبز فألقوه في دجلة فلم يكن يأكل من صيد دجلة

وهذا من أعظم الكذب والفرية على مثل هذا الامام ولا يفعل مثل هذا الا من هو من أجهل الناس أوأعظمهم مكراً بالناس واحتيالا على أموالهم وقد نزهه الله عن هذا وهذا وكل عالم يعلم أن ابنه لم يتول القضاء في حياته وانما تولاه بعد موته

ولكن كان الخليفة المتوكل قد أجاز أولاده وأهل بيته جوائز من بيت المال فأمرهم أبو عبد الله أن لايقبلوا جوائز السلطان فاعتذروا اليه بالحاجة فقبلها من قبلها منهم فترك الاكل من أموالهم والانتفاع

بنيرانهم فى خبز أو ماء لكونهم قبلوا جوائز السلطان وسألوه عن هـذا المال احرام هو فقال لا فقالوا أنجح منه فقال نعم وبين لهم انما امتنع منه لئلا يصير ذلك سبباً الى أن يداخل الخليفة فيما يريد كما قال النبي صـلى الله عليه وسلم خذ العطاء ما كان عطاء فاذا كان عوضا عن دين أحـدكم فلا يأخـذه ولو ألقى في دجلة الدم والميتة ولحم الخنزير وكل حرام فى الوجود لم يحرم صيدها ولم تحرم

ومن الناس من آل به الافراط فى الورع الي أمر اجتهد فيه فيثاب على حسن قصده وان كان المشروع خلاف مافعـله مثل من امتنع من أكل مافي الاسواق ولم يأكل الا ماينبت في البراري ولم يأكل من أموال المسلمين وانما يأكل من أموال أهل الحرث وأمثال ذلك مما يكون فاعله حسن القصد وله فيما فعـل تأويل لكن الصواب المشروع خلاف ذلك فان الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وأمرهم بذلك وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسـلم أنه قال ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك فقد بين صلى الله عليه وسلم ان الله أمر المؤمنـين بما أمر به المرسلين من أكل الطيبات كما أمرهـم بالعمل الصالح والعمل الصالح لايمكن الا بأكل وشرب ولباس وما يحتاج اليه العبد من سكن ومركب وسلاح يقاتل به وكراع

يقاتل عليه وكتب يتعيد منها وأمثال ذلك مما لايقوم ماأمر الله به الا به وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فاذا كان القيام بالواجبات فرضاً على جميع العباد وهي لاتتم الا بهذه الاموال فكيف يقال انه قليل بل هو كثير غالب بل هو الغالب على أموال الناس ولو كان الحرام هو الاغلب والدين لايقوم في الجمهور الا به للزم أحد أمرين اما ترك الواجبات من أكثر الخلق واما اباحة الحرام لأكثر الخلق وكلاهما باطل والورع من قواعد الدين ففي الصحيح عن عثمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن ترك الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه الا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب

وفي الحديث الآخر دع مايريبك الى مالا يريبك ورأي تمرة ساقطة فقال لولا أخاف أن تكون من الصدقة لاكلتها وهذا مبسوط في غير هذا الموضع وهذا يتبين بذكر أصول

أحدها انه ليس كل مااعتقد فقيه معين أنه حرام كان حراما انما الحرام ماثبت تحريمه بالكتاب أو السنة أو الاجماع أو قياس مرجح لذلك وما تنازع فيه العلماء رد الى هذه الاصول ومن الناس من يكون نشأ على مذهب امام معين أو استفتى فقيهاً معيناً أو سمع حكاية عن بعض الشيوخ فيريد أن يحمل المسلمين كلهم على ذلك وهذا غلط ولهذا نظائر

منها مسئلة المغانم فان السنة أن تجمع وتخمس وتقسم بين الغانمين بالعدل وهل يجوز للامام أن ينفل من أربعة أخماسها في قولان فمذهب فقهاء الثغور وأبي حنيفة وأحمد وأهل الحديث ان ذلك يجوز لما في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم نفل في بدأته الربع بعد الخمس ونفل في رجعته الثلث بعد الخمس

وقال سعيد بن المسيب ومالك والشافعي لا يجوز ذلك بل يجوز عند مالك التنفيل من الخمس ولا يجوز عند الشافعي الا من خمس الخمس وكان أحمد يعجب من سعيد بن المسيب ومالك كيف لم تبلغهما هذه السنة مع وفور علمهما

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قبل نجد فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ومعلوم ان السهم اذا كان اثنى عشر بعيراً لم يحتمل خمس الخمس أن يخرج منه لكل واحد بعير فان ذلك لا يكون الا اذا كان السهم أربعة وعشرين بعيراً وكذلك اذا فضل الامام بعض الغانمين على بعض لمصلحة راجحة كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع في غزوة ذي قرد سهم راجل وفارس فان ذلك يجوز في أصح قولي العلماء ومنهم من لا يجيزه كما تقدم

وكذلك اذا قال الامام من أخذ شيئا فهو له ولم تقسم الغنائم فهذا جائز في أحد قولي العلماء وهو ظاهر مذهب أحمد ولا يجوز في القول الآخر وهو المشهور من مذهب الشافعي وفي كل من المذهبين خلاف

وعلى مثل هذا الاصل تنبني الغنائم في الازمان المتأخرة مثل الغنائم التى كان يغنمها السلاجقة الاتراك والغنائم التي غنمها المسلمون من النصاري من ثغور الشام ومصر فان هذه أفتى بعض الفقهاء كأبى محمد الجوينى والنواوى أنه لايحل لمسلم ان يشترى منها شيئا ولا يطأ منها فرجا ولا يملك منها مالا ولزم من هذا القول من الفساد ماالله به عليم فعارضهم أبو محمد بن سباع الشافعى فأفتي ان الامام لايجب عليه قسمة المغانم بحال ولاتخميسها وان له أن يفضل الراجل وان يحرم بعض الغانمين ويخص بعضهم وزعم أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تقتضى ذلك وهذا القول خلاف الاجماع والذي قبله باطل ومنكر أيضاً فكلاهما انحراف

والصواب في مثل هذه ان الامام اذا قال من أخذ شيئا فهوله فان قيل بجواز ذلك فمن أخذ شيئا ملكه وعليه تخميسه وان كان الامام لم يقل ذلك ولم يبهم المغانم لمن أراد منها مالا يسوغ بالاتفاق أو قيل انه يجب عليه أن يقسم بالعدل ولا يجوز له الاذن بالانتهاب فهنا المغانم مال مشترك بين الغانمين ليس لغيرهم فيها حق فمن أخذ منها مقدار حقه جاز له ذلك واذا شك في ذلك فاما أن يحتاط ويأخذ بالورع المستحب أو يبنى على غالب ظنه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وكذلك المزارعة على أن يكون البذر من العامل التى يسميها بعض الناس المخابرة وقد تنازع فيها الفقهاء لكن ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة جوازها فانه عامل أهل خيبر بشطر مايخرج منها من ثمروزرع على أن يعمروها من أموالهم واما نهيه عن المخابرة فقد جاء مفسراً فى الصحيح

فان المراد به أن يشترط للمالك زرع بقعة بعينها وكذلك كراء الارض بجزء من الخارج منها فجوزه أبو حنيفة والشافعى وأحمد في المشهور عنه ونهى عنه مالك وأحمد في رواية ولنظائر ذلك كثيرة فهذا يبين

الاصل الثاني ان المسلم اذا عامل معاملة يعتقد هو جوازها وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله فى مثل ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة فانه قد ثبت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع اليه ان بعض عماله يأخذ خمراً من أهل الذمة عن الجزية فقال قاتل الله فلانا أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها ثم قال عمر ولوهم بيعها وخذوا منهم أثمانها فامر عمر أن يأخذوا من أهل الذمة الدراهم التى باعوا بها الخمر لانهم يعتقدون جواز ذلك في دينهم ولهذا قال العلماء ان الكفار اذا تعاملوا بينهم بمعاملات يعتقدون جوازها وتقابضوا الاموال ثم أسلموا كانت تلك الاموال لهم حلالا وان تحاكموا الينا أقررناها في أيديهم سواء تحاكموا قبل الاسلام أو بعده وقد قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) فامرهم بترك مابقي في الذمم من الربا ولم يأمرهم برد ماقبضوه لانهم كانوا يستحلون ذلك والمسلم اذا عامل معاملات يعتقد جوازها كالحيل الربوية لتي يفتى بها من يفتي من أصحاب أبى حنيفة وأخذ ثمنه أو زارع علي ان البذر من العامل أو أكرى الارض بجزء

من الخارج منها ونحو ذلك وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة بطريق الاولى والاخرى ولو انه تبين له فيما بعد رجحان التحريم لم يكن عليه اخراج المال الذى كسبه بتأويل سائغ فان هذا أولى بالعفو والعذر من الكافر المتأول ولما ضيق بعض الفقهاء هذا على بعض أهل الورع ألجأه الى أن يعامل الكفار ويترك معاملة المسلمين ومعلوم ان الله ورسوله لايأمر المسلم ان يأكل من أموال الكفار ويدع أموال المسلمين بل المسلمون أولى بكل خير والكفار أولى بكل شر

الاصل الثالث ان الحرام نوعان * حرام لوصفه كالميتة والدم ولحم الخنزير فهذا اذا اختلط بالماء والمائع وغيره من الاطعمة وغير طعمه أو لونه أو ريحه حرمه وان لم يغيره ففيه نزاع ليس هذا موضعه * والثانى الحرام لكسبه كالمأخوذ غصبا أو بعقد فاسد فهذا اذا اختلط بالحلال لم يحرمه فلو غصب الرجل دراهم أو دنانير أودقيقا أو حنطة أوخبزا وخلط ذلك بماله لم يحرم الجميع لاعلى هذا ولا على هذا بل ان كانا متماثلين أمكن أن يقسموه ويأخذ هذا قدر حقه وهذا قدر حقه وان كان قد وصل الى كل منهما غير مال الآخر الذى أخذ الآخر نظيره وهل يكون الخلط كالاتلاف فيه وجهان في مذهب الشافعى وأحمد وغيرهما * أحدهما انه كالاتلاف فيعطيه مثل حقه من أين أحب * والثانى ان حقه باق فيه فللمالك أن يطلب حقه من المختلط فهذا أصل نافع فان كثيراً من الناس يتوهم ان الدراهم المحرمة اذا اختلطت

بالدراهم الحلال حرم الجميع فهذا خطأ وانما تورع بعض العلماء فيما اذا كانت قليلة وأما مع الكثرة فما أعلم فيه نزاعا

الاصل الرابع المال اذا تعذر معرفة مالكه صرف فى مصالح المسلمين عند جماهير العلماء كمالك وأحمد وغيرهما فاذا كان بيد الانسان غصوب أو عوارى أو ودائع أو رهون قد يئس من معرفة أصحابها فانه يتصدق بها عنهم أو يصرفها في مصالح المسلمين أو يسلمها الى قاسم عادل يصرفها فى مصالح المسلمين المصالح الشرعية ومن الفقهاء من يقول يوقف أبدا حتى يتبين أصحابها و لصواب الاول فان حبس المال دائما لمن لايرجى لافائدة فيه بل هو تعرض لهلاك المال واستيلاء الظلمة عليه وكان عبد الله بن مسعود قد اشترى جارية فدخل بيته ليأتى بالثمن فخرج فلم يجد البائع فجعل يطوف على المساكين ويتصدق عليهم بالثمن ويقول اللهم عن رب الجارية فان قبل فذاك وان لم يقبل فهو لي وعلي له مثله يوم القيامة وكذلك أفتى بعض التابعين من غل من الغنيمة وتاب بعد تفرقهم أن يتصدق بذلك عنهم ورضى بهذه الفتيا الصحابة والتابعون الذين بلغتهم كمعاوية وغيره من أهل الشام وهذا بين

الاصل الخامس وهو الذى يكشف سر المسئلة وهو ان المجهول فى الشريعة كالمعدوم والمعجوز عنه فان الله سبحانه وتعالى قال (لايكلف الله نفسا الا وسعها) وقال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم فالله اذا أمرنا بامر كان

ذلك مشروطا بالقدرة عليه والتمكن من العمل به فما عجزنا عن معرفته أو عن العمل به سقط عنا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في اللقطة فان جاء صاحبها فأدها اليه والا فهي مال الله يؤتيه من يشاء فهذه اللقطة كانت ملكا للمالك ووقعت منه فلما تعذر معرفة مالكها قال النبي صلى الله عليه وسلم هي مال الله يؤتيه من يشاء فدل ذلك على ان الله شاء أن يزيل عنها ملك ذلك المالك ويعطيها لهذا الملتقط الذي عرفها سنة ولا نزاع بين الائمة انه بعد تعريف السنة يجوز للملتقط أن يتصدق بها وكذلك له أن يتملكها ان كان فقيرا وهل له التملك مع الغنى ففيه قولان مشهوران ومذهب الشافعي وأحمد أنه يجوز ذلك وأبو حنيفة لايجوزه ولو مات رجل ولم يعرف له وارث صرف ماله في مصالح المسلمين وان كان في نفس الامر له وارث غير معروف حتى لو تبين الوارث يسلم اليه ماله وان كان قبل تبينه يكون صرفه الي من يصرفه جائزا وأخذه له غير حرام مع كثرة من يموت وله عصبة بعد لم تعرف واذا تبين هذا فيقال مافي الوجود من الاموال المغصوبة والمقبوضة بعقود لاتباح بالقبض ان عرفه المسلم اجتنبه فمن علمت أنه سرق مالا أو خانه في أمانته أوغصبه فاخذه من المغصوب فهذا بغير حق لم يجز لي أن آخذه منه لا بطريق الهبة ولا بطريق المعاوضة ولاوفاء عن أجرة ولاثمن بيع ولا وفاء عن قرض فان هذا عين مال ذلك المظلوم وأما ان كان ذلك المال قبضه بتأويل سائغ في مذهب بعض الائمة جاز لي أن أستوفيه من ثمن المبيع والاجرة والقرض وغير ذلك من الديون وان كان مجهول الحال

فالمجهول كالمعدوم والاصل فيما بيد المسلم ان يكون ملكاله ان ادعى انه ملكه أو يكون وليا عليه كناظر الوقف وولي اليتيم وولي بيت المال أو يكون وكيلا فيه وما تصرف فيه المسلم أو الذمي بطريق الملك أو الولاية جاز تصرفه فاذا لم أعلم حال ذلك المال الذي بيده بنيت الامر على الاصل ثم ان كان ذلك الدرهم في نفس الامر قد غصبه هو ولم أعلم أنا كنت جاهلا بذلك والمجهول كالمعدوم فليس أخذي الثمن المبيع وأجرة العمل وبدل القرض بدون أخذي اللقطة فان اللقطة أخذتها بغير عوض ثم لم أعلم مالكها وهذا المال لا أعلم له مالكا غير هذا وقد أخذته عوضا عن حق فكيف يحرم هذا علي لكن ان كان ذلك الرجل معروفا بأن في ماله حراما ترك معاملته ورعا وان كان أكثر ماله حراما ففيه نزاع بين العلماء. وأما المسلم المستور فلا شبهة في معاملته أصلا ومن ترك معاملته ورعا كان قد ابتدع في الدين بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وبهذا يتبين الحكم في سائر الاموال فان هذا الغالط يقول ان هذه الالحام والالبان التي تؤكل قد تكون في الاصل قد نهبت أو غصبت فيقال المجهول كالمعدوم فاذا لم نعلم ان ذلك في حقنا كأنه لم يكن وهذا لان الله انما حرمه من المعاملات الفاسدة لما فيها من الظلم فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) والغصب وأنواعه والسرقة والخيانة داخل في الظلم واذا كان كذلك فهذا

المظلوم الذي أخذ ماله بغير حق لم ببيع(١) أجرة وأخذ منه والمشترى لا يعلم بذلك ثم ينقل من المشترى الى غيره ثم الى غيره ويعلم أن أولئك لم يظلموه وانما ظالمه من اعتدى عليه ولكن لو علم بهم فهل له مطالبتهم بما لم يلتزموا ضمانه على قولين للعلماء أصحهما انه ليس له ذلك

مثال ذلك ان الظالم اذا أودع ماله عند من لا يعلم أنه غاصب فتلفت الوديعة فهل للمالك أن يطالب المودع على قولين أصحهما أنه ليس له ذلك ولو أطعم المال لضيف لم يعلم بالظلم ثم علم المالك فهل له مطالبة الضيف على قولين أحدهما ليس له مطالبته ومن قال ان له مطالبته لا يقول انه أكله حرام بل يقول لا إثم عليه في أكله وانما عليه أداء ثمنه بمنزلة ما اشتراه وصاحب القول الصحيح يقول لا اثم عليه في أكله ولا غرم عليه لصاحبه بحال وانما الغرم على الغاصب الظالم الذي أخذه منه بغير حق فاذا نظرنا الى مال معين بيد انسان لا يعلم أنه مغصوب ولا مقبوض قبضاً لا يفيد معاملة المالك واستوفيناه منه أو استهبناه منه أو استوفيناه عن أجرة أو بدل قرض لا اثم علينا في ذلك بالاتفاق وان كان في نفس الامر قد سرقه أو غصبه ثم اذا علمنا فيما بعد انه مسروق فعلى أصح القولين لا يجب علينا الا ما التزمناه بالعقد أي لا يستقر علينا الا ضمان ما التزمناه بالعقد فلا يستقر علينا ضمان ما أهدي أو وهب ولا ضمان أكثر من اليمين وكذلك الاجرة وبدل القرض اذا كنا قد تصرفنا فيها لم يستقر علينا ضمان بدله لكن تنازع الفقهاء هنا في مسئلة وهي انه هل للمالك تضمين هذا المغرور الذي تلف المال تحت

يده ثم يرجع الى الغارم بما غرمه بغروره أم ليس له مطالبة المغرور الا بما يستقر عليه ضمانه على قولين هما روايتان عن أحمد ومثل هـذا لو غصب رجل جارية فاشتراها منه انسان واستولدها أو وهبه اياها فقد اتفق الصحابة والائمة على ان ولدها من المغرور يكونون أحرارا لان الواطئ لا يعلم انها مملوكة لغيره بل اعتقد انها مملوكة مع اتفاقهم ان الولد يتبع أمه في الحرية والرق و يتبع أباه فى النسب والولاء ومع هـذا فجعلوا ابنه حرا لكون الوالد لم يعلم والمجهول كالمعدوم وأوجبوا السيد الجارية بدل الولد لانه كان يستحقه لولا الغرور فاذا خرجوا عن ملكه بغير حق كان له بدلهـم وأوجبوا له مهر أمة وقالوا فى أصح القولين ان هـذا يلزم الغارم الظالم الذى غصب الجارية وباعها لا يلزم المغرور المشترى الا ماالتزمه بالعقد وهو بالثمن فقط ثم هل لصاحبها أن يطالب المغرور بفداء الولد والمهر ثم يرجع به المغرور على الغار الظالم أم ليس له الا مطالبة الغار الظالم على قولين هما روايتان عن أحـمـد ولا نزاع بين الامة ان وطئه ليس بحرام وان ولده ولد رشـده لا ولد غيه فهو ولد حلال لا ولد زنا وكذلك فى سائر هذه الصور لم يتنازعوا انه لا اثم على الآكل ولا على اللابس ولا على الواطئ الذى لم يعلم وانما تنازعوا في الضمان لان الضمان من باب العـدل الواجب فى حقوق الآدميين وهو يجب في العـمد والخطأ (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا) فقاتل النفس خطأ لا يأثم ولا يفسق بذلك ولكن عليـه

الدية وكذلك من أتلف مالا مغصوبا خطأ فعليه بدله ولا اثم عليه

فقد تبين ان الاثم منتف مع عدم العلم

وحينئذ فجميع الاموال التى بايدى المسلمين واليهود والنصارى التى لا يعلم بدلالة ولا أمارة أنها مغصوبة أو مقبوضة قبضا لا يجوز معه معاملة القابض فانه يجوز معاملتهم فيها بلا ريب ولا تنازع فى ذلك بين الائمة أعلمه

ومعلوم ان غالب أموال الناس كذلك والقبض الذى لا يفيد الملك هو الظلم المحض فاما المقبوض بعقد فاسد كالربا والميسر ونحوهما فهل يفيد الملك على ثلاثة أقوال للفقهاء أحدها أنه يفيد الملك وهو مذهب أبى حنيفة والثانى لا يفيده وهو مذهب الشافعى وأحمد فى المعروف من مذهبه والثالث انه من باب أفاد الملك وان أمكن رده الى مالكه ولم يتغير فى وصف ولا سعر لم يفد الملك وهو المحكى عن مذهب مالك وهذه الامور والقواعد قد بسطناها فى غير هذا الجواب ولكن نبهنا على قواعد شريفة تفتح باب الاشتباه فى هذا الاصل الذى هو أحد أصول الاسلام كما قال الامام أحمد وغيره ان أصول الاسلام تدور على ثلاثة أحاديث قوله الحلال بين والحرام بين وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد فان الاعمال اما مأمورات واما محظورات والاول فيه ذكر المحظورات والمأمورات اما قصد القلب وهو النية وأما العمل الظاهر وهو المشروع الموافق للسنة كما قال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى (ليبلوكم أيكم

أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صوابا لم يقبل وان كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة

فتبين ان ماذكره هذا القائل الذى قال أكل الحلال متعذر ولا يمكن وجوده في هذا الزمان قوله خطأ مخالفا للاجماع بل الحلال هو الغالب على أموال الناس وهو أكثر من الحرام وهذا القول قد يقوله طائفة من المتفقهة المتصوفة وأعرف من قاله من كبار المشايخ بالعراق ولعله من أولئك انتقل الى بعض شيوخ مصر ثم الذى قال ذلك لم يرد أن يسد باب الاكل بل قال الورع حينئذ لا سبيل اليه ثم ذكر ما يأتى فيما يفعل ويترك لم يحضرني الآن

فليتدبر العاقل وليعلم انه من خرج عن القانون النبوي الشرعى المحمدى الذى دل عليه الكتاب والسنة وأجمع سلف الامة وأئمتها احتاج الى أن يضع قانونا آخر متناقضاً يرده العقل والدين لكن من كان مجتهداً امتحن بطاعة الله ورسوله فان الله يثيبه على اجتهاده ويغفر له خطأه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم).

وما ذكره من ان وقعة المنصورة لما لم تقسم فيها المغانم واختلطت فيها المغانم دخلت الشبهة

الجواب عنه من وجهين * أحدهما ان يقال الذى اختلط باموال

الناس من الحرام المحض كالغصب الذى يغصبه القادرون من الولاة والقطاع أو أهل الفتن وما يدخل في ذلك من الخيانة فى المعاملات أكثر من ذلك بكثير لاسيما في هذه البلاد المصرية فانها أكثر من الشام والمغرب ظلما كظلم بعضهم بعضاً فى المعاملات بالخيانة والغش وجحد الحق ولكثرة مافيها من ظلم قطاع الطريق والفلاحين والاعراب ولكثرة مافيها من الظلم الموضوع من المتولين بغير حق فاحالة التحريم على هذا الامر أولى من احالته على المغانم

الثانى ان تلك المغانم قد ذكرنامذهب الفقهاء فيهاوبينا انالصحيح ان الامام اذا أذن فى الاخذ من غير قسم جاز وانه اذا لم يجز فمن أخذ مقدار حقه جاز وان أخذ من أحد أكثر من حقه وفقد رده على أصحابه لعدم العلم بهم فانه يتصدق به عنهم وانه لولم يتصدق به عنهم ولصرف فيه فتى وصل اليه منه شئ لم يعلم بحاله لم يكن محرما عليه ولا عليه فيه اثم وهذا الحكم جار في سائر الغصوب المذكورة وتبين بما ذكرناه ان من آجر نفسه أو دوابه أو عقاره أو مايتملقه وأخذ الثمن والاجرة لم يحرم عليه سواء علم ذلك الثمن والاجرة حلالا للمالك أولم يعلم حاله بان كان مستورا وان علم انه غصب تلك الدراهم أو سرقها أو قبضها بوجه لايبيح أخذها به لم يجز أخذها عن ثمنه وأجرته مع ان هذا فيه نزاع بين الفقهاء تضيق هذه الورقة عن بسطه

وأما قول القائل الدرهم كيف قبل التغير وصار حراما بالسبب

الممنوع ولم يقبل التغير فيصير حلالا بالسبب المشروع

فيقال له بل قبل التغير فيما حرم لوصفه لا بما حرم لكسبه فالاول مثل الخمر فانها لما كانت عصيراً لم تصر حلالا طاهرا فلما تخمر كان حراما نجساً فاذا تخللت بفعل الله من غير قصد لتخليلها كانت خل خمر حلالا طاهراً باتفاق العلماء وانما تنازعوا فيما اذا قصد تخميرها وتنازعوا في سائر النجاسات كالخنزير اذا صار ملحاً والنجاسة اذا صارت رماداً فقيل لا يطهر كقول الشافعي واحد القولين في مذهب مالك وأحمد والثانى مثل المال المغصوب هو حرام لانه قبض بالظلم فاذا قبض بحق أبيح مثل أن يأذن فيه المالك للغاصب أو يهبه اياه أو يبيعه منه أو يقبضه المالك أو وليه أو وكيله ثم الغاصب اذا أعطاه لمن لا يعلم انه مغصوب كان قبضه بحق لان الله لم يكلفه مالا يعلم وكذلك بين قبضه من القابض بحق وقد تقدم الكلام في الضمان والله أعلم

﴿ تمت الرسالة الثانية ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثالثة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

(فصل) فى زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال الا الي ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدى هذا وفي الصحيحين من حديث أبى سعيد وأبى هريرة وقد روي من طرق أخرى وهو حديث مستفيض متلقى بالقبول أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق واتفق علماء المسلمين على استحباب السفر الى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وقد روي من حديث رواه الحاكم فى صحيحه أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثا ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وسأله حكما يوافق حكمه وسأله أنه لا يؤم أحد هذا البيت لا يريد الا الصلاة فيه الا غفر له ولهذا كان ابن عمر رضى الله عنه يأتى اليه فيصلى فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد الا الصلاة فيه فان هذا يقتضى اخلاص النية في السفر اليه ولا يأتيه لغرض دنيوى ولا بدعة

وتنازع العلماء فيمن نذر السفر اليه في الصلاة فيه أو الاعتكاف فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على قولين مشهورين وهما قولان للشافعى

أحدهما يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الاكثرين مثل مالك وأحمد ابن حنبل وغيرهما والثاني لايجب وهو قول أبي حنيفة فان من أصله أنه لايجب بالنذر الا ماكان من جنسه واجب بالشرع فلهذا يوجب نذر الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة فان من جنسها واجب بالشرع وواجب نذر الاعتكاف فان الاعتكاف لايصح عنده الا بصوم وهو مذهب مالك وأحمد في أحد الروايتين عنه واما الاكثرون فيحتجون بما رواه البخارى في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نذر أنه يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر لكل من نذر أن يطيع الله ولم يشترط أن تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع وهذا القول أصح وهكذا النزاع لو نذر السفر الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم مع أنه أفضل من المسجد الاقصى واما لو نذر اتيان المسجد الحرام لحج أو عمرة وجب عليه الوفاء بنذره باتفاق العلماء

والمسجد الحرام أفضل المساجد ويليه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويليه المسجد الاقصى وقد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام

والذي عليه جمهور العلماء أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي أحمد والنسائى وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف

صلاة وأما في المسجد الاقصى فقد روى أنها بخمسين صلاة وقيل بخمسمائة صلاة وهو أشبه

(ولو نذر السفر الي قبر الخليل عليه السلام) أوقبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الى الطور الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام أو الى جبل حراء الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه وجاءه الوحى فيه أو الغار المذكور في القرآن أوغير ذلك من المقابر والمقامات والمشاهد المضافة الى بعض الانبياء والمشايخ أوالى بعض المغارات أو الجبال لم يجب الوفاء بهذا النذر باتفاق الائمة الاربعة فان السفر الي هذه المواضع منهى عنه لنهى النبي صلي الله عليه وسلم لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فاذا كانت المساجد التى هى من بيوت الله التى أمر فيها بالصلوات الخمس قد نهى عن السفر اليها حتي مسجد قباء الذى يستحب لمن كان بالمدينة أن يذهب اليه لما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتى قباء كل سبت راكباً وماشياً وروى الترمذى وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر فى بيته فأحسن الطهور ثم أتي مسجد قباء لايريد الا الصلاة فيه كان له كعمرة قال الترمذى حديث حسن صحيح

فاذا كان مثل هذا ينهى عن السفر اليه وينهى عن السفر الى الطور المذكور في القرآن وكما ذكر مالك بالمواضع التى لم تبن للصلوات الخمس بل ينهى عن اتخاذها مساجد فقد ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا آثار

أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك ولهذا لم تكن الصحابة يسافرون الي شيء من مشاهد الانبياء لا مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ولا غيره والنبي صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره وأما ما يرويه بعض الناس من حديث المعراج أنه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى عليه السلام وصلى عند قبر الخليل فكل هذه الاحاديث مكذوبة موضوعة

وقد رخص بعض المتأخرين في السفر الى المشاهد ولم ينقلوا ذلك عن أحد من الائمة ولا احتجوا بحجة شرعية

(فصل والعبادات المشروعة في المسجد الاقصى) هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر المساجد الا المسجد الحرام فانه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد بالطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الاسود واما مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف فيه ولا فيها ما يتمسح به ولا ما يقبل فلا يجوز لاحد أن يطوف بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغير هؤلاء كالقبة التى فوق جبل عرفات وأمثالها بل ليس في الارض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة

(ومن اعتقد ان الطواف بغيرها) مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة الى غير الكعبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس فكانت قبلة المسلمين هذه المدة ثم ان الله حول القبلة الي الكعبة وأنزل الله فى ذلك القرآن كما ذكر فى سورة البقرة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى الكعبة وصارت هي القبلة وهى قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلى اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب والا قتل مع أنها كانت قبلة لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها مكاناً يطاف به كما يطاف بالكعبة والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله وكذلك من قصد أن يسوق اليها غنماً أو بقراً ليذبحها هناك ويعتقد ان الاضحية فيها أفضل وان يحلق فيها شعره في العيد أو ان يسافر اليها ليعرف بها عشية عرفه فهذه الامور التى يشبه بها بيت المقدس فى الوقوف والطواف والذبح والحلق من لبدع والضلالات ومن فعل شيئا من ذلك معتقداً ان هذا قربة الى الله فانه يستتاب فان تاب والا قتل كما لو صلى الي الصخرة معتقداً ان استقبالها فى الصلاة قربة كاستقبال الكعبة ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسلمين فى مقدم المسجد الاقصى

(فان المسجد الاقصي) اسم لجميع المسجد الذى بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمى الاقصى المصلى الذى بناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى مقدمه والصلاة فى هذا المصلى الذى

بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد فان عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة لان النصارى كانوا يقصدون اهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون اليها فأمر عمر رضى الله عنه بازالة النجاسة عنها وقال لكعب الاحبار أين ترى أن نبني مصلى لمسلمين فقال خلف الصخرة فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية بل ابنيه امامها فان لنا صدور المساجد ولهذا كان ائمة الامة اذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة في المصلى الذى بناه عمر وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه صلى فى محراب داود وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضى الله عنه ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت مكشوفة فى خلافة عمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد ومروان ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب الناس فى زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان فلم يكونوا يعظمون الصخرة فانها قبلة منسوخة كما ان يوم السبت كان عيداً فى شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الاحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى وكذلك الصخرة انما يعظمها اليهود وبعض النصارى (وما يذكره بعض الجهال فيها) من ان هناك أثر قدم النبي صلى

الله عليه وسلم وأثر عمامته وغير ذلك فكله كذب وأكذب منه من
يظن أنه موضع قدم الرب وكذلك المكان الذى يذكر أنه مهد عيسى
عليه السلام كذب وانما كان موضع معمودية النصارى وكذا من زعم
ان هناك الصراط والميزان أو ان السور الذى يضرب به بين الجنة والنار
هو ذلك الحائط المبنى شرقى المسجد وكذلك تعظيم السلسلة أو موضعها
ليس مشروعا

(فصل) وليس ببيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوي المسجد
الاقصى لكن اذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه فحسن فان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار
من المؤمنين والمؤمنات وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين
منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لاتحرمنا أجرهم
ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

(فصل) واما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة
أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فنهي عنها فمن
زار مكاناً من هذه الامكنة معتقداً ان زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل
من العبادة فى بيته فهو ضال خارج عن شريعة الاسلام يستتاب فان
تاب والا قتل وأما اذا أدخلها الانسان لحاجة وعرضت له الصلاة فيها
فللعلماء فيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره قيل تكره الصلاة فيها
مطلقا واختاره ابن عقيل وهو منقول عن مالك وقيل تباح مطلقاً وقيل

ان كان فيها صور تنهي عن الصلاة والا فلا وهذا منصوص عن أحمد وغيره وهو مروي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتدخل ملائكة بيت فيه صورة ولما فتح النبي صلي الله عليه وسلم مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور والله أعلم

(فصل)وليس بيت المقدس مكانا يسمي حرما ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع الا ثلاثة أماكن أحدها هو حرم باتفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى. والثانى حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي صلى الله عليه وسلم من عير الى ثور بريد في بريد فان هذا حرم عند جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وفيه أحاديث صحيحة مستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والثالث وج وهو واد بالطائف فان هذا روى فيه أحاديث رواه أحمد في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرما عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروى فيه فلم يأخذ به وأما ماسوى هذه الاماكن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين فان الحرم ماحرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيد مكان ونباته خارجا عن هذه الاماكن الثلاثة

(فصل) وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لاينبغي أن يولى في الاوقات التى تقصدها الضلال مثل وقت عيد النحر فان كثيرا من الضلال يسافرون اليه ليقفوا هناك والسفر

اليه لاجل التعريف به معتقدا ان هذا قربة محرم بلا ريب وينبغي أن لا يتشبه بهم ولا يكثر سوادهم وليس السفر اليه مع الحج قربة وقول القائل قدس الله حجتك قول باطل لا أصل له كما يروى من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له الجنة فان هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث بل وكذلك كل حديث يروى في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه ضعيف بل موضوع ولم يروأهل الصحاح والسنن والمسانيد كمسند أحمد وغيره من ذلك شيئا ولكن الذي في السنن مارواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن رجل يسلم على الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ سلام من سلم عليه من البعيد كما في النسائي عنه انه قال ان الله وكل بقبري ملائكة يبلغون عن أمتي السلام وفي السنن عنه أنه قال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على قالوا كيف صلاتنا تعرض عليك وقد أرمت فقال ان الله قد حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء فبين صلى الله عليه وسلم ان الصلاة والسلام توصل اليه من البعيد والله قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم وثبت في الصحيح انه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

(فصل) وأما السفر الى عسقلان في هذه الاوقات فليس مشروعا لا واجبا ولا مستحبا ولكن عسقلان كان لسكناها وقصدها فضيلة لما كانت ثغرا للمسلمين يقيم بها المرابطون في سبيل الله فانه قد

ثبت في صحيح مسلم عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً مات مجاهدا وأجرى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتان وقال أبو هريرة لان أرابط فى سبيل الله أحب الي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الاسود وكان أهل الخير والذين يقصدون ثغور المسلمين للرباط فيها ثغور الشام كعسقلان وعكة وطرسوس وجبل لبنان وغيرها وثغور مصر كالاسكندرية وغيرها وثغور العراق كعبدان وغيرها فاخرب من هذه البقاع ولم يبق بيوتا كعسقلان لم يكن ثغوراولا في السفر اليه فضيلة وليس فيه أحد من الصالحين المتبعين لشريعة الاسلام ولكن فيه كثير من الجن وهم رجال الغيب الذين يرون أحيانا في هذه البقاع قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وكذلك الذين يرون الخضر أحيانا هو جني رآه وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقال انى الخضر وكان ذلك جنيا لبس على المسلمين الذين رأوه والا فالخضر الذى كان مع موسى عليه السلام مات ولو كان حيا علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجب عليه أن يأتى الى النبي صلي الله عليه وسلم ويؤمن به ويجاهد معه فان الله فرض علي كل نبي أدرك محمدا ولو كان من الانبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه كما قال الله تعالي (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أ أقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى

قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق ان بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ولم يذكر أحد من الصحابة انه رأى الخضر ولا انه أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فان الصحابة كانوا أعلم وأجل قدرا من أن يلتبس الشيطان عليهم ولكن لبس على كثير من بعدهم فصار يتمثل لاحدهم في صورة النبي ويقول أنا الخضر وانما هو شيطان كما ان كثيراً من الناس يرى ميته خرج وجاء اليه وكلمه في أمور وقضاء حوائج فيظنه الميت نفسه وانما هو شيطان تصور بصورته وكثير من الناس يستغيث بمخلوق اما نصراني كجرجس أو غير نصراني فيراه قد جاءه وربما يكلمه وانما هو شيطان تصور بصورة ذلك المستغاث به لما أشرك به المستغيث تصور له كما كانت الشياطين تدخل في الاصنام وتكلم الناس ومثل هذا موجود كثير في هذه الازمان في كثير من البلاد ومن هؤلاء من تحمله الشياطين فتطير به في الهواء الى مكان بعيد ومنهم من تحمله الى عرفة فلا يحج حجا شرعياً ولا يحرم ولا يلبي ولا يطوف ولا يسعى ولكن يقف بثيابه مع الناس ثم يحملونه الي بلده وهذا من تلعب الشياطين بكثير من الناس كما قد بسط الكلام في غير هذا الموضع والله أعلم بالصواب وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تمت الرسالة الثالثة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الرابعة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ماتقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين فى قوله تعالى (انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فان كان المخاطب موجود فتحصيل الحاصل محال وان كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم

وقوله تعالي (ماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) فان كانت اللام لصيرورة فى عاقبة الامر فما صار ذلك وان كانت اللام للغرض فلزم أن لايتخلف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس كذلك فكيف التخلص من هذا المضيق

وفيما ورد من الاخبار والآيات بالرضا بقضاء الله تعالى فكراهتها وبغضها كراهة وبغض لقضاء الله تعالى

وفي قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هوكائن فى معنى قوله تعالى ادعونى أستجب لكم فان كان الدعاء أيضا بما هو كائن فمافائدة الامر به ولابد من وقوعه

وفي قوله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلاف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأي فكيف النجاة وان لم يكن بالرأي فكيف وقع الاختلاف والحق لايكون فى طرفي نقيض افتونا مأجورين أثابكم الجنة

قال شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

الحمد لله رب العالمين * أما المسئلة الاولى فهى مبنية على أصلين

أحدهما الفرق بين خطاب التكوين الذى لا يطلب به سبحانه فعلا من المخاطب بل هو الذي يكون المخاطب به ويخلقه بدون فعل من المخاطب أو قدرة أو ارادة أو وجود له وبين خطاب التكليف الذى يطلب به من المأمور فعلا أو تركا يفعله بقدرة وارادة وان كان ذلك جميعه بحول الله وقوته اذ لا حول ولا قوة الا بالله وهذا الخطاب قد تنازع فيه الناس هل يصح أن يخاطب به المعدوم بشرط وجوده أم لا يصح أن يخاطب به الا بعد وجوده لا نزاع بينهم أنه لا يتعلق به حكم الخطاب الا بعد وجوده وكذلك تنازعوا في الاول هل هو خطاب حقيقي أم هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة والاول هو المشهور عند المنتسبين الى السنة

والاصل الثانى ان المعدوم في حال عدمه هل هو شئ أم لا فانه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة الى انه شئ في الخارج وذات وعين وزعموا أن الماهيات غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجودها زائد على حقيقتها وكذلك ذهب الى هذا طوائف من المتفلسفة والاتحادية وغيرهم من الملاحدة والذى عليه جماهير الناس وهو قول متكلمة أهل الاثبات والمنتسبين الى السنة والجماعة انه فى الخارج عن الذهن قبل وجوده ليس بشئ أصلا ولا ذات ولا عين وانه ليس في الخارج شيئان أحدهما حقيقة والآخر وجوده الزائد على حقيقته فان الله أبدع الذوات التى هى الماهيات فكل ماسواه سبحانه فهو مخلوق ومجعول ومبدع ومبدوله سبحانه وتعالى لكن في هؤلاء من يقول المعدوم ليس بشئ أصلا وانما سمى شيئا باعتبار ثبوته فى العلم كان مجازا

ومنهم من يقول لاريب ان له ثبوتا في العلم ووجودا فيه فهو باعتبار هذا الثبوت والوجود هو شيء وذات وهؤلاء لايفرقون بين الوجود والثبوت كما فرق من قال المعدوم شيء ولا يفرقون في كون المعدوم ليس بشيء بين الممكن والممتنع كما فرق أولئك اذ قد اتفقوا على أن الممتنع ليس بشيء وانما النزاع في الممكن وعمدة من جعله شيئا انما هو لانه ثابت في العلم وباعتبار ذلك صح ان يخص بالقصد والخلق والخبر عنه والامر به والنهي عنه وغير ذلك قالوا وهذه التخصيصات تمتنع أن تتعلق بالعدم المحض فان خص الفرق بين الوجود الذي هو الثبوت العيني وبين الوجود الذي هو الثبوت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب

وقوله تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وذلك الشيء هو معلوم قبل ابداعه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه وبذلك كان مقدرا مقضيا فان الله سبحانه وتعالى يقول ويكتب من ما يعلمه ماشاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب فقال ماأكتب قال ماهو كائن الى يوم القيامة الى أمثال ذلك من النصوص

التي تبين ان المخلوق قبل أن يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهي شيء باعتبار وجوده العلمي الكلامي الكتابي وان كانت حقيقته التي هي وجوده العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفي صرف وهذه المراتب الاربعة المشهورة موجودات وقد ذكرها الله سبحانه في أول سورة أنزلها على نبيه في قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع واذا كان كذلك كان الخطاب موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة وخلق وكون كما قال (انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فالذي يقال له كن هو الذي يراد وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا يحصل الجواب عن التقسيم * فان قول السائل ان كان المخاطب موجودا فتحصيل الحاصل محال * يقال له هذا اذا كان موجود في الخارج وجوده الذي هو وجوده ولا ريب ان المعدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه ثابت واما ما علم وأريد وكان شيئا في العلم والارادة والتقدير فليس وجوده في الخارج محالا بل جميع المخلوقات لاتوجد الا بعد وجودها في العلم والارادة وهو قول السائل لن كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم ويقال له اما اذا قصد أن يخاطب المعدوم في الخطاب بخطاب يفهمه ويمتثله فهذا محال اذ من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم والفعل والمعدوم لايتصور أن يفهم ويفعل فيمتنع خطاب التكليف

له حال عدمه بمعنى انه يطلب منه حين عدمه أن يفهم ويفعل وكذلك أيضا يمتنع أن يخاطب المعدوم في الخارج خطاب تكوين بمعنى أن يعتقد أنه شيء ثابت في الخارج وانه يخاطب بان يكون وأما الشيء المعلوم المذكور المكتوب اذا كان توجيه خطاب التكوين اليه مثل توجيه الارادة اليه فليس ذلك محالا بل هو امر ممكن بل مثل ذلك يجده الانسان في نفسه فيقدر أمرا في نفسه يريد أن يفعله ويوجه ارادته وطلبه الى ذلك المراد المطلوب الذى قدره في نفسه ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فان كان قادرا على حصوله حصل مع الارادة والطلب الجازم وان كان عاجزا لم يحصل وقد يقول الانسان ليكن كذا ونحو ذلك من صيغ الطلب فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه والله سبحانه على كل شيء قدير وما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فان أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

﴿ فصل ﴾ وأما المسئلة الثانية فقول السائل قوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) ان كانت هذه اللام للصيرورة في عاقبة الامر فما صار ذلك وان كانت اللام للغرض لزم أن لايتخلف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس الامر كذلك فما التلخص من هذا المضيق

فيقال هذه اللام ليست هي اللام التي يسميها النحاة لام العاقبة والصيرورة ولم يقل ذلك أحد هنا كما ذكره السائل من أن ذلك لم يصر الا على قول من يفسره ويعبدون بمعنى يعرفون يعنى المعرفة التي أمر بها المؤمن والكافر لكن هذا قول ضعيف وانما زعم بعض الناس

ذلك كله قوله (ولذلك خلقهم) التي في آخر سورة هود فان بعض القدرية زعم ان تلك اللام لام العاقبة والصيرورة أي صارت عاقبتهم الي الرحمة والى الاختلاف وان لم يقصد ذلك الخالق وجعلوا ذلك كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقول الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب

وهذا أيضا ضعيف هذا لان لام العاقبة انما تجيء في حق من لا يكون عالما بعواقب الامور ومصايرها فيفعل الفعل الذي له عاقبة لا يعلمها كآل فرعون فاما من يكون عالما بعواقب الافعال ومصايرها فلا يتصور منه أن يفعل فعلا له عاقبة لا يعلم عاقبته واذا علم أن فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون فان ذلك تمني وليس بارادة

وأما اللام فهي اللام المعروفة وهي لام كي ولام التعليل التي اذا حذفت انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية وهي متقدمة في العلم والارادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي أن يعرف ان الارادة في كتاب الله على نوعين

أحدهما الارادة الكونية وهي الارادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وهذه الارادة في مثل قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) وقال تعالى (ولو شاء

الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله) وأمثال ذلك وهذه الارادة في مدلول اللام فى قوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) قال السلف خلق فريقا للاختلاف وفريقا للرحمة ولما كانت الرحمة هنا بالارادة وهناك كونية وقع المراد بها فقوم اختلفوا وقوم رحموا

وأما النوع الثانى فهو الارادة الدينية الشرعية وهى محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفى قوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) فهذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد الا أن يتعلق به النوع الاول من الارادة ولهذا كانت الاقسام أربعة

أحدها ما تعلقت به الارادتان وهو ما وقع فى الوجود من الاعمال الصالحة فان الله أراده ارادة دين وشرع فامر به وأحبه ورضيه وأراده ارادة كون فوقع ولولا ذلك لما كان

والثاني ما تعلقت به الارادة الدينية فقط وهو ما أمر الله به من الاعمال الصالحة فعصى ذلك الامر الكفار والفجار فتلك كلها ارادة

دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع

والثالث ماتعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ماقدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فانه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها اذ هو لايأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لما كانت ولما وجدت فانه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

والرابع مالم تتعلق به هذه الارادة ولا هـذه فهذا مالم يكن من أنواع المباحات والمعاصي واذا كان كذلك فمقتضى اللام في قوله (وما خلقت الجن والانس الاليعبدون) هذه الارادة الدينية الشرعية وهـذه قد يقع مرادها وقد لايقع والمعنى ان الغاية التي تحب لهم وترضى لهـم والتي أمروا بفعلها هي العبادة فهو العـمل الذى خلق العباد له أى هو الذى يحصل كمالهم وصلاحهم الذى به يكونون مرضيين محبوبين فمن لم تحصل منه هذه الغاية كان عادما لما يحب ويرضى ويراد له الارادة الدينية التي فيها سعادته ونجاته وعادما لكماله وصلاحه العدم المستلزم فساده وعـذابه وقول من قال العبادة هي العزيمة الفطرية فقولان ضـعيفان فاسدان يظهر فسادهما من وجوه متعددة

(فصل) وأما المسئلة الثالثة فقوله فيما ورد من الاخبار والآيات في الرضا بقضاء الله فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وقدح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها وبغضها كراهة وبغض لقضاء الله تعالى

فيقال ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آية ولا حـديث يأمر

العباد أن يرضوا بكل مقضى مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها فهذا أصل يجب أن يعتنى ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به فليس لاحد أن يسخط ما أمر الله به قال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الي الله راغبون) وذكر الرسول هنا يبين ان الايتاء هو الايتاء الديني الشرعي لاالكوني القدرى وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وينبغى للانسان أن يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبا مثل أن يبتليه بفقر أومرض أوذل وأذى الخلق له فان الصبر على المصائب واجب وأما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب أومستحب على قولين لاصحاب أحمد وغيرهم أصحهما انه مستحب ليس بواجب ومن المعلوم ان أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقد أمرنا الله ان نأمر بالمعروف ونحبه ونرضاه ونحب أهله وننهي عن المنكر ونبغضه ونسخطه ونبغض أهله ونجاهدهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا فكيف نتوهم انه ليس في المخلوقات ما نبغضه ونكرهه وقد قال تعالى لما ذكر ما ذكر من المنهيات كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فاذا كان الله يكرهها وهو المقدر لها فكيف لا يكرهها من أمر الله أن يكرهها ويبغضها وهو القائل وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان

أولئك هم الراشدون وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقد قال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال تعالى (وغضب الله عليهم ولعنهم) وقال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول) فأخبر أن القول الواقع مالا يرضاه وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وقال (ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال (وان تشكروا يرضه لكم) فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به فلو كان يرضى كل شيء لما كان له خصيصة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته وقال ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه ولابد من الغيرة من كراهة ما يغار منه وبغضه وهذا باب واسع

(فصل) وأما المسئلة الرابعة فقوله اذا جف القلم بما هو كائن فما معنى قوله ادعوني أستجب لكم وان كان الدعاء أيضا مما هو كائن فما فائدة الامر به ولابد من وقوعه

فيقال الدعاء في اقتضائه الاجابة كسائر الاعمال الصالحة فى اقتضائها الاثابة وكسائر الاسباب فى اقتضائها المسببات ومن قال ان الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسؤل ليس بسبب أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فان الله علق الاجابة به تعليق المسبب

بالسبب فقوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه بها احدى خصال ثلاث اما أن يعجل له دعوته واما أن يدخر له من الخير مثلها واما أن يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يارسول الله اذا نكثر قال الله أكثر فعلق العطايا بالدعاء تعليق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به وقال عمر بن الخطاب انى لا أحمل هم الاجابة وانما أحمل هم الدعاء فاذا ألهمت الدعاء فان الاجابة معه وأمثال ذلك كثير وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك ويبينه كما يدل على ذلك مثله في سائر الاسباب وقد أخبر سبحانه من ذلك ما أخبر به في مثل قوله (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) وقوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجي المؤمنين) وقوله (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض) وقوله تعالى عن زكريا (رب لاتذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيي وأصلحنا له زوجه) وقال تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون) وقال تعالى (ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص) فأخبر أنه ان شاء أوبقهن فاجتمع أخذهم بذنوبهم

وعفوه عن كثير منها مع علم المجادلين فى آياته انه مالهم من محيص لانه في مثل هذا الحال يطم المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب وقدرته ومشيئته ورحمته انه لامخاص له مما وقع فيه كقوله في الآية الاخرى (وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال) فان المعارف التي تحصل فى النفس بالاسباب الاضطرارية أثبت وأرسخ من المعارف التي ينتجها مجرد النظر القياسى يزاح عن النفوس في مثل هذه الحال هل الرب موجب في ذاته فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ولايمكنه أن يحدث شيئا ولايغير العالم حتى يدعى ويسأل وهل هو عالم بالتفصيل والاجمال وقادر على تصريف الاحوال حتى يسأل التحويل من حال الي حال ليس كذلك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة وغيرهم من الضلال فيجتمع مع العقوبة والعفو من ذى الجلال علم أهل المراء والجدال أنه لامحيص لهم عما أوقع بينهم من جادلوا في آياته وهو شديد المحال وقد تكلمنا على هذا وأشباهه وما يتعلق به من المقالات والديانات في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن يعلم أن الدعاء والسؤال هو سبب لنيل المطلوب المسؤل ليس وجوده كعدمه فى ذلك ولا هو علامة محضة كما دل عليه الكتاب والسنة وان كان قد نازع في ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم مع أن ذلك يقربه جماهير بنى آدم من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين لكن طوائف من المشركين والصابئين من المتفلسفة المشائين اتباع ارسطو ومن تبعه من متفلسفة أهل الملل

كالفارابي وابن سينا ومن سلك سبيلهما ممن خلط ذلك بالكلام والتصوف والفقه ونحو هؤلاء يزعمون ان تأثير الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمونه في تأثير سائر الممكنات المخلوقات من القوى الفلكية والطبيعية والقوى النفسانيـة والعقلية فيجعلون مايترتب على الدعاء هو من تأثير النفوس البشرية من غير أن يثبتوا للخالق سبحانه بذلك علماً مفصـلا أوقدرة على تغيير العالم أو ان يثبتوا أنه لو شاء أن يفعـل غير مافعل لامكنه ذلك فليس هو عندهم قادراً على أن يجمع عظام الانسان ويسوي بنانه وهو سبحانه هو الخالق لها ولقواها فلا حول ولا قوة الا بالله

وأما قوله وان كان الدعاء مما هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه فيقال الدعاء المأمور به لايجب كونا بل اذا أمر الله العباد بالدعاء فمنهم من يطيعـه فيستجاب له دعاؤه وينال طلبته ويدل ذلك على أن المعلـوم المقدور هو الدعاء والاجابة ومنهـم من يعصـيه فلا يدعو فلا يحصل ماعلق بالدعاء فيـدل ذلك على أنه ليس في المعـلوم المقدور الدعاء ولا الاجابة فالدعاء الكائن هو الذى تقدم العلم بأنه كائن لايكون فان قيل فما فائدة الامر فيما علم أنه يكون من الدعاء قيـل الامر هو سبب أيضاً في امتثال المأمور به كسائر الاسـباب فالدعاء سبب يدفع البـلاء فاذا كان أقوى منـه دفعه وان كان سبب البـلاء أقوى لم يدفعـه لكن يخففه ويضعفه ولهـذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة والعتق

(فصل) وأما المسئلة الخامسة في قوله صلى الله عليه وسلم من

فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلاف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأى فكيف النجاة وان لم يكن بالرأى فكيف وقع الاختلاف والحق لايكون في طرفي نقيض

فيقال ينبغي أن يعلم ان الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن أن يكون كل منهما حقا وانما هو اختلاف تنوع أو اختلاف فى الصفات أو العبادات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسرى السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر فى القرآن اسما مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فكل من المفسرين يعبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة مايسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ويقول الآخر الصراط المستقيم هو الاسلام أودين الاسلام ويقول الآخر الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ويقول الآخر الصراط المستقيم طريق العبودية أو طريق الخوف والرضاء والحب وامتثال المأمور واجتناب المحظور أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الاسماء والعبارات ومعلوم ان المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتعددت أسماؤه وعباراته كما اذا قيل محمد وأحمد وهو الحاشر وهو الماحى وهو العاقب وهو خاتم المرسلين وهو نبى الرحمة وهو نبى الملحمة وكذلك اذا قيل القرآن هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذي

أحكمت آياته ثم فصلت وكذلك أسماء الله الحسنى هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وهو الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى وهو الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر هو الله الخالق البارئ المصور وأمثال ذلك فهو سبحانه واحد صمد وأسماؤه الحسنى تدل كلها على ذاته ويدل هذا من صفاته على مالا يدل عليه الآخر فهى متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في الدلالة على الصفات فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة ويدل على أحدهما بطريق التضمن وكل اسم يدل على الصفة التى دل عليها بالالتزام لانه يدل على الذات المتكفى به جميع الصفات فكثير من التفسير والترجمة تكون من هذا الوجه

ومنه قسم آخر وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى اللفظ على سبيل التعيين والتمثيل لا على سبيل الحد والحصر مثل أن يقول قائل من العجم مامعنى الخبز فيشار له الى رغيف وليس المقصود مجرد عينه وانما الاشارة الى تعيين هذا الشخص وهذا كما اذا سئلوا عن قوله (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) أو عن قوله (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أو عن الصالحين أو الظالمين ونحو ذلك من الاسماء العامة الجامعة التي قد يتعسر أو يتعذر علي المستمع أو المتكلم ضبط مجموع معناه اذ لايكون محتاجا الي ذلك فيذكر

له من أنواعه وأشخاصه ميحصل به غرضه وقد يستدل به على نظائره فان الظالم لنفسه هو تارك المأمور فاعل المحظور والمقتصد هو فاعل الواجب وتارك المحرم والسابق هو فاعل الواجب والمستحب وتارك المحرم والمكروه فيقول المجيب بحسب حاجة السائل الظالم الذي يفوت الصلاة أو الذي لايسبغ الوضوء أو الذي لايتم الاركان ونحو ذلك والمقتصد الذي يصلي في الوقت كما أمر ولسابق بالخيرات الذي يصلي الصلاة بواجباتها ومستحباتها ويأتي بالنوافل المستحبة معها وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لايعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لايعلمه الا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة وان كان من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معاني القرآن اذ لم يتمكن من تغيير لفظه وأيضا فقد يخفى على بعض العلماء بعض معاني القرآن كما خفي عليه بعض السنة فيقع خطأ المجتهدين من هذا الباب والله أعلم

تمت الرسالة الرابعة

ويليها الرسالة الخامسة له أيضا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سئل شيخ الاسلام حسنة الايام أوحد المجتهدين قامع المبتدعين تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن تيمة الحراني ثم الدمشقي رضي الله عنه * عن قوم يحتجون بالقدر ويقولون قد قضي الامر من القدر فالسعيد سعيد والشقي شقي من القدر ويحتجون بقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ويقولون مالنافي جميع الأعمال قدرة وانما القدرة لله تعالى قدر الخير والشر وكتبه علينا والمراد بيان خطأ هؤلاء بالادلة القاطعة ويقولون من قال لااله الا الله دخل الجنة ويحتجون بالحديث الذي فيه قوله صلى الله عليه وسلم وان زنا وان سرق وبغير ذلك فما الجواب عن هذا جميعه أفتونا مأجورين

فاجاب نفعنا الله بعلومه * الحمد لله رب العالمين * هؤلاء القوم اذا صبروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى فان النصاري واليهود يؤمنون بالامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما) فاذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا فكيف بمن كفر بالجميع ومن لم يقر بامر الله ونهيه ووعده ووعيده

بل ترك ذلك محتجاً بالقدر فهو أكفر ممن آمن ببعض وكفر ببعض وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه

أحدها ان الواحد من هؤلاء اما ان يرى القدر حجة للعبد واما أن لايراه حجة للعبد فان كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس فانهم كلهم مشتركون فى القدر وحينئذ يلزمه أن لاينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون فان أحدهم لايزال يذم هذا ويبغض هذا ويخالف هذا حتى ان الذى ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه وينكرون عليه فاذا كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم أن لايذموا أحداً ولا يبغضوا أحداً ولا يقولوا عن أحد انه ظالم ولو فعل مافعل ومعلوم ان هذا لايمكن أحدا فعله ولو فعل الناس هذا لهلك العالم فتبين ان قولهم فاسد في العقل كما انه كفر فى الشرع وانهم كذابون مفترون فى قولهم ان القدر حجة للعبد

الوجه الثانى ان هذا يلزم منه أن يكون ابليس وفرعون وقوم نوح وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورين وهذا من الكفر الذى اتفق عليه أرباب الملل

الوجه الثالث ان هذا يلزم منه أن لايفرق بين أولياء الله وأعداء الله ولا بين المؤمنين والكفار ولا أهل الجنة وأهل النار وقد قال تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات) وقال تعالى (أم نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) وذلك ان هؤلاء جميعهم سبقت لهم من الله تعالى السوابق وكتب الله تعالى مقاديرهم قبل أن يخلقهم وهم مع هذا قد انقسموا الي سعيد بالايمان والعمل الصالح والي شقي بالكفر والفسوق والعصيان فعلم بذلك ان القضاء والقدر ليس بحجة لاحد على معاصى الله تعالى

الوجه الرابع ان القدر نؤمن به ولا نحتج به فمن احتج بالقدر فحجته داحضة ومن اعتذر بالقدر فعذره غير مقبول ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبول لقبل من ابليس وغيره من العصاة ولو كان القدر حجة للعباد لم يعذب الله أحدا من الخلق لا فى الدنيا ولا في الآخرة ولو كان القدر حجة لم يقطع سارق ولا قتل قاتل ولا أقيم حد على ذى جريمة ولا جوهد فى سبيل الله ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر

الوجه الخامس ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا فانه قال مامنكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقيل يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له رواه البخارى ومسلم وفي حديث آخر في الصحيح انه قيل له يارسول الله أرأيت مايعمل الناس فيه ويكدحون أفيما جفت به الاقلام وطويت به الصحف فقيل ففيم العمل (١) فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له

(١) هذه الرواية لم نعلم فالتحرر

الوجه السادس أن يقال ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ماهي عليه فهو سبحانه قد كتب ان فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة وفلانا يفسق ويعصى فيدخل النار كما علم وكتب أن فلانا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد وان فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروي وان فلانا يبذر البذر فينبت الزرع فمن قال ان كنت من أهل الجنة فانا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولا باطلا مناقضا لما علمه الله وقدره ومثال من يقول أنا لاأطأ امرأة فان كان الله قضى لى بولد فهو يولد فهذا جاهل فان الله تعالى اذا قضى بالولد قضى ان أباه يطأ امرأة فتحبل وتلد فاما الولد بلا حبل ولا وطء فان الله لم يقدره ولم يكتبه كذلك الجنة انما أعدها الله تعالى للمؤمنين فمن ظن انه يدخل الجنة بلا ايمان كان ظنه باطلا واذا اعتقد أن الاعمال التي أمر الله بها لايحتاج اليها ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافرا والله قد حرم الجنة الاعلى أصحابها

(فصل) وأما قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الآية فمن سبقت له من الله الحسنى فلا بد أن يصير مؤمنا تقيا فمن لم يكن من المؤمنين لم تسبق له من الله الحسنى لكن الله اذا سبقت للعبد منه سابقة استعمله بالعمل الذى يصل به الى تلك السابقة كمن سبق له من الله تعالى أن يولد له ولد فلا بد أن يطأ امرأة يحبلها فان الله سبحانه وتعالى قدر الاسباب والمسببات فسبق منه هذا وهذا فمن ظن ان أحدا سبق له من الله الحسني بلا سبب فقد ضل بل هو سبحانه ميسر

الاسباب والمسببات وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا

(فصـل) ومن قال ان آدم عليه الصلاة والسلام ماعصى فهو مكذب للقرآن يستتاب فان تاب و لا قتل فان الله تعالى (قال وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) والمعصية هي مخالفة الامر الشرعي فمن خالف أمر الله الذى أرسل فيـه رسله وأنزل به كتبه فقد عصاه وان كان داخلا فيما قدره الله وقضاه وهؤلاء ظنوا ان المعصية هي الخروج عن قدر الله فان لم تكن المعصية الا هـذا فلا يكون ابليس وفرعون وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضاً لانهم داخلون في قدر الله تعالى ثم قائل هذا يضرب ويهان فاذا تظلم ممن فعل ذلك به قيل له هذا الذى فعل هذا ليس هو بعاص لله تعالى فانه داخل في قدر الله عز وجل كسائر الخلق وقائل هذا القول متناقض لايثبت على حال

(فصل) وأما قول القائل مالنا في جميع أفعالنا قدرة فقد كذب فان الله تعالى فرق بين المستطيع القادر وغـير المسـتطيع وقال (فاتقوا الله مااستطعتم) وقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)وقال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) والله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة وفعـلا كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (جزاء بما كنتم تعملون) لكن الله سبحانه خالقه وخالق كل مافيه من قدرة ومشيئة وعمل فانه لارب غيره ولااله سواه وهو خالق كل شئ وربه ومليكه

(فصل) وأما قول القائل الزنا من المعاصي مكتوب فهو كلام صحيح لكن هذا لاينفعه الاحتجاج به فان الله تعالى كتب أفعال العباد خيرها وشرها وكتب مايصيرون اليه من السعادة والشقاوة وجعل الاعمال سبباً للثواب والعقاب وكتب ذلك كما كتب الامراض وجعلها سبباً للمرض والموت فمن أكل السم فانه يمرض أويموت والله تعالى قدر وكتب هذا وهذا كذلك من فعل مانهي عنه من الكفر والفسوق والعصيان فانه فعل ما كتب عليه وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك وحجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله تعالي عنهم (وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم) وقال تعالى (سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)

(فصل) وأما قول القائل من قال لا اله الا الله دخل الجنة واحتجاجه بالحديث المذكور فيقال لاريب ان الكتاب والسنة فيهما وعد ووعيد وقد قال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) ومثل هذا كثير في

الكتاب والسنة والمبدعليه أن يصدق بهذا وهذا لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض فهؤلاء المشركية أرادوا أن يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعيد والحرورية والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد وكلاهما اخطأ والذي عليه أهل السنة والجماعة الايمان بالوعد والوعيد وكما ان ماتوعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه انه مشروط بأن لايتوب فان تاب تاب الله عليه وبأن لايكون له حسنات تمحو ذنوبه فان الحسنات يذهبن السيآت وبأن لايشاء الله أن يغفر له فان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فهكذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال بلسانه لا اله الا الله وكذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر باتفاق المسلمين وكذلك ان جحد شيئا مما أنزل الله تعالى فلا بد من الايمان بكل ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ان كان من أهل الكتاب فأمره الى الله تعالى ان شاء غفر له وان شاء عذبه وان ارتد عن الاسلام ومات مرتداً كان فى النار فالسيآت تحبطها التوبة والحسنات تحبطها الردة ومن كان له حسنات وسيآت فان الله تعالى لايظلمه بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والله تعالى يتفضل عليه ويحسن اليه بمغفرته ورحمته ومن مات على الايمان فانه لايخلد في النار فالزانى والسارق لايخلد فى النار بل لابد أن يدخل الجنة فالنار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهؤلاء المسؤل عنهم يسمون القدرية المباحية المشركية وقد جاء في ذمهم من الآثار مايضيق عنه هذا الجواب

تمت الرسالة الخامسة ويليها السادسة له أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل) فى قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى لما احتج عليه بالقدر وبيان ذلك فى المصائب لافي الذنوب وان الله أمر بالصبر والتقوى فهذا في الصبر لافى التقوى وقال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) فأمر بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب وذلك ان بني آدم اضطربوا في هذا المقام مقام تعارض الامر والقدر وقد بسطنا الكلام على ذلك فى مواضع

والمقصود هنا انه قد ثبت في الصحيحين حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت ابو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم أنت موسى الذى كلمك الله تكليما وكتب لك التوراة فبكم تجد فيها مكتوبا وعصى آدم ربه فغوى قبل أن أخلق قال بأربعين سنة قال فحج آدم موسى وهو مروى أيضاً من طريق عمر بن الخطاب بأسناد حسن

وقد ظن كثير من الناس أن آدم احتج بالقدر السابق على نفي

الملام على الذنب ثم صاروا لاجل هذا الظن ثلاثة أحزاب

فريق كذبوا بهذا الحديث كأبي علي الجبائي وغيره لانه من المعلوم بالاضطرار ان هــذا خلاف ماجاءت به الرسل ولا ريب أنه يمتنع أن يكون هــذا مراد الحديث ويجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسـلم بل وجميع الانبياء وأتباع الانبياء أن يجعلوا القدر حجة لمن عصى الله ورسوله

وفريق تأولوه بتأويلات معلومة الفساد كقول بعضهم انما حجه لانه كان أباه والابن لايلوم أباه وقول بعضهم لان الذنب كان في شريعة والملام في أخرى وقول بعضهم لان الملام كان بعد التوبة وقول بعضهم لان هذا تختلف فيه دار الدنيا ودار الآخرة

وفريق ثالث جعلوه عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لامر الله ورسوله ثم لم يمكنهم طرد ذلك فلابد فى نفس معاشهم فى الدنيا ان يلام من فعل مايضر نفسه وغيره لكن منهم من صار يحتج بهذا عند أهوائه وأغراضه لاعند أهواء غيره كما قيل في مثل هؤلاء أنت عنــد الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به فالواحد من هؤلاء اذا أذنب أخــذ يحتج بالقدر ولو أذنب غــيره أو ظلمه لم يعذره وهؤلاء الظالمون معتدون

ومنهم من يقول هذا فى حق أهل الحقيقة الذين شهدوا توحيد الربوبية وفنوا عماسواه فيرون انلافاعل الا الله فهؤلاء لايستحسنون حسنة ولا يستقبحون سيئة فانهم لايرون لمخلوق فعلا بل لايرون فاعلا الا الله بخلاف من شهد لنفسه فعلا فانه يذم ويعاقب وهذا قول كثير

من متأخرى الصوفية المدعين للحقيقة وقد يجعلون هذا نهاية التحقيق وغاية العرفان والتوحيد وهذا قول طائفة من أهل العلم قال ابن المظفر السمعانى وأما الكلام فيما جرى بين آدم وموسى من المحاجة في هذا الشان فانما ساغ لهما الحجاج فى ذلك لانهما نبيان جليلان خصا بعلم الحقائق وأذن لهما فى استكشاف السرائر وليس سبيل الخلق الذين أمروا بالوقوف عند ماحد لهم والسكوت عما طوى عنهم سبيلهما وليس قوله فحج آدم موسى ابطال حكم الطاعة ولا اسقاط العمل الواجب ولكن معناه ترجيح أحد الامرين وتقديم رتبة العلة على السبب فقد تقع الحكمة بترجيح معنى أحد الامرين فسبيل قوله فحج آدم موسى هذا السبيل وقد ظهر هذا في قضية آدم قال الله تعالى (انى جاعل في الارض خليفة) الى أن قال فجاء من هذا ان آدم لم تهيأ له أن يستديم سكنى الجنة بأن لايقرب الشجرة لسابق القضاء المكتوب عليه في الخروج منها وبهذا صال على موسى عند المحاجة وبهذا المعنى قضى له على موسى فقال فحج آدم موسى قلت ولهذا يقول الشيخ عبد القادر قدس الله روحه كثير من الرجال اذا وصلوا الى القضاء والقدر امسكوا وأنا انفتحت لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق و لرجل من يكون منازعا للقدر لا موافقا له وهو رضى الله عنه كان يعظم الامر والنهى ويوصى باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر وكذلك شيخه حماد الدباس وذلك لما رأوه فى كثير من السالكين من الوقوف عند القدر المعارض للامر والنهى والعبد مأمور بأن يجاهد في سبيل الله ويدفع

ماقدر من المعاصي بما قدر من الطاعة فهو منازع للمقدور والمحظور بالمقدور المأمور لله تعالى وهذا هو دين الله الذي بعث به الاولين والآخرين من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

وممن يشبه هؤلاء كثير من الفلاسفة كقول ابن سينا بأنه يشهد سر القدر والرازي يقرر ذلك لانه كان جبريا محضا

وفي الجملة فهذا المعنى دائر في نفوس كثير من الخاصة من أهل العلم والعبادة فضلا عن العامة وهو مناقض لدين الاسلام

ومن هؤلاء من يقول الخضر انما سقط عنه الملام لانه كان مشاهدا لحقيقة القدر ومن شيوخ هؤلاء من كان يقول لو قتلت سبعين نبيا لما كنت مخطئا

ومنهم من يقول بطرد قوله بحسب الامكان فيقول كل من قدر على فعل شئ وفعله فلا ملام عليه فان قدر أنه خالف غرض غيره فذاك ينازعه والاقوى منهما يقهر الآخر وأيهما أعانه القدر فهو المصيب باعتبار انه غالب والافهام خطأ

ومن هؤلاء الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد ثم يقولون بعضه أفضل من بعض والافضل يستحق أن يكون ربا للمفضول ويقولون ان فرعون كان صادقا في قوله أنا ربكم الاعلى وهذا قول طائفة من ملاحدة المتصوفة المتفلسفة الاتحادية كالتلمساني والقول بالاتحاد العام المسمى وحدة الوجود وهو قول ابن عربي الطائي وصاحبه القونوي وابن سبعين وابن الفارض وأمثالهم لكن لهم في المعاد والجزاء

نزاع كما أن لهم نزاعا في ان الوجود هل هو شئ غير الذوات أم لا

وهؤلاء ضلوا من وجوه من جهة عدم الفرق بين الوجود الخالق والمخلوق وأما شهود القدر فيقال لا ريب ان الله تعالى خالق كل شئ ومليكه

والقدر هو قدرة الله كما قال الامام أحمد وهو المقدر لكل ما هو كائن لكن حقيقة الامر والنهي والوعد والوعيد أى من الافعال ما ينفع صاحبه فيحصل له به نعيم ومنها ما يضر صاحبه فيحصل له به عذاب فنحن لا ننكر اشتراك الجميع من جهة المشيئة والربوبية وابتداء الامور لكن نثبت فرقا آخر من جهة الحكمة والاوامر الالهية ونهاية الامور فان العاقبة للتقوى لا لغير المتقين وقد قال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) واذا كان كذلك فحقيقة الفرق أن من الامور ما هو ملائم للانسان نافع له فيحصل له به اللذة ومنها ما هو مضاد له ضار له يحصل له به الالم فرجع الفرق الي الفرق بين اللذة والالم وأسباب هذا وهذا وهذا الفرق معلوم بالحس والعقل والشرع مجمع عليه بين الاولين والآخرين بل هو معلوم عند البهائم بل هذا موجود فى جميع المخلوقات واذا أثبتنا الفرق بين الحسنات والسيئات وهو الفرق بين الحسن والقبيح فالفرق يرجع الى هذا والعقلاء متفقون على ان كون بعض الافعال ملائما للانسان و بعضها منافيا له اذا قيل هذا حسن وهذا قبيح فهذا الحسن والقبح مما يعلم بالعقل

باتفاق العقلاء وتنازعوا في الحسن والقبح بمعنى كون الفعل سببا للذم والعقاب هل يعلم بالعقل أم لا يعلم الا بالشرع وكان من أسباب النزاع أنهم ظنوا ان هذا القسم مغاير للاول وليس هذا خارجا عنه فليس في الوجود حسن الا بمعنى الملائم ولا قبيح الا بمعنى المنافي والمدح والثواب ملائم والذم والعقاب مناف فهذا نوع من الملائم والمنافي

يبقى الكلام في بعض أنواع الحسن والقبيح لافي جميعه ولاريب من أنواعه ما لا يعلم الا بالشرع ولكن النزاع فيما قبحه معلوم لعموم الخلق كالظلم والكذب ونحو ذلك

والنزاع في أمور منها هل للفعل صفة صار بها حسنا وقبيحا وان الحسن العقلي هو كونه موافقا لمصلحة العالم والقبح العقلي بخلافه فهل في الشرع زيادة على ذلك وفي أن العقاب في الدنيا والآخرة هل يعلم بمجرد العقل وبسط هذا له موضع آخر

ومن الناس من أثبت قسما ثالثا للحسن والقبح وادعى الاتفاق عليه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسئلة ولكن ذكره بعض المتأخرين كالرازي وأخذه عن الفلاسفة

والتحقيق ان هذا القسم لايخالف الاول فان الكمال الذي يحصل للانسان ببعض الافعال هو يعود الى الموافقة والمخالفة وهو اللذة والالم فالنفس تلتذ بما هو كمال لها وتتألم بالنقص فيعود الكمال والنقص الى الملائم والمنافي وهذا مبسوط في موضع آخر

والمقصود هنا ان الفرق بين الافعال الحسنة التي يحصل لصاحبها بها لذة وبين السيئة التي يحصل له بها ألم أمر حسي يعرفه جميع الحيوان فمن قال من المدعين للحقيقة القدرية والفناء في توحيد الربوبية والاصطلام انه يبقى في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلم وما يلذ كان هذا مما يعلم كذبه فيه ان كان يفهم ما يقول والا كان ضالا يتكلم بما لا يعرف حقيقته وهو الغالب على من يتكلم في هذا فان القوم قد يحصل لاحدهم هذا المشهد مشهد الفناء في توحيد الربوبية فلا يشهد فرقا مادام في هذا المشهد وقد يغيب عنه الاحساس بما يوجب الفرق مدة من الزمان فيظن هذا الفناء مقاما محمودا ويجعله غاية ولما لازما للسالكين وهذا غلط فان عدم الفرق بين ما ينعم ويعذب أحيانا هو مثل عدم الفرق للنوم والنسيان والغفلة والاشتغال بشيء عن آخر وهو لا يزيد الفرق الثابت في نفس الامر ولا يزيل الاحساس به اذا وجد سببه والواحد من هؤلاء لابد أن يجوع أو يعطش فلا يسوى بين الخبز والشراب وبين الملح الاجاج والعذب الفرات بل لابد أن يفرق بينهما ويقول هذا طيب وهذا ليس بطيب وهذا هو الفرق بين كل ما أمر الله ورسوله به ونهى عنه فانه أمر بالطيب من القول والعمل ونهى عن الخبيث واذا عرف أن المراد بالفرق هو أن من الامور ما ينفع ويوجب اللذة والنعيم ومنها ما يضر ويوجب الالم والعذاب فبعض هذه الامور تدرك بالحس وبعضها يدركه الناس بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضرة

وهذا من العقل الذى يميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال مالا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن مايجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة والله تعالى بعث الرسل بتكميل الفطرة فدلوهم على ماينالون به النعيم فى الآخرة وينجون من عذاب الآخرة فالفرق بين المأمور والمحظور هو كالفرق بين الجنة والنار واللذة والالم والنعيم والعذاب ومن لم يدرك هذا الفرق فان كان لسبب أزال عقله هو به معذور والا كان مطالبا بما فعله من الشر وتركه من الخير ولا ريب ان في الناس من قد يزول عقله في بعض الاحوال ومن الناس من يتعاطى مايزيل العقل كالخمر وكسماع الاصوات المطربة فان ذلك قد يقوي حتى يسكر أصحابها ويقترن بهم شياطين فيقتل بعضهم بعضا في السماع المسكر كما يقتل شراب الخمر بعضهم بعضا اذا سكروا وهذا مما يعرفه كثير من أهل الاحوال لكن منهم من يقول المقتول شهيد

والتحقيق أن المقتول يشبه المقتول فى شرب الخمر فانهم سكروا سكرا غير مشروع لكن غالبهم يظن ان هذا من حال أولياء الله المتقين فيبقى القتيل فيهم كالقتيل في الفتنة وليس هو كالذى تعمد قتله ولا هو كالمقتول ظلما من كل وجه فان قيل فهل هذا الفناء يزول به التكليف

قبل ان حصل للانسان سبب يعذر فيه زال به عقله الذى يميز به كان بمنزلة النائم والمغمى عليه والسكران سكرا لا يأثم به كمن سكر قبل التحريم أو أوجر الخمر أو أكره على شربها عند الجمهور وأما ان

كان السكر لسبب محرم فهذا فيه نزاع معروف بين العلماء والذين يذكرون عن أبي يزيد وغيره كلمات من الاتحاد الخاص ونفي الفرق ويعذرونه في ذلك يقولون انه غاب عقله حتى قال أنا الحق وسبحاني ومافي الجبة الاالله ويقولون انه اذا قوي على صاحبه وكان قلبه ضعيفاً يغيب بمحبوبه عن حبه وبموجوده عن وجده وبمذكوره عن ذكره حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل

ويحكون ان شخصاً ألقى نفسه في الماء فالقى محبه نفسه خلفه فقال أنا وقعت فلم وقعت أنت فقال غبت بك عني فظننت أنك اني فمثل هذه الحال التى يزول فيها تمييزه بين الرب والعبد وبين المأمور والمحظور ليست علما ولا حقا بل غايته انه نقص عقله الذى يفرق بين هذا وهذا وغايته أن يعذر لاان يكون قوله تحقيقا وتوحيدا كما فعله صاحب منازل السائرين وابن العريف وغيرهما كما ان الاتحاد العام جعله طائفة تحقيقا وتوحيدا كابن عربي الطائى وطائفة من الصوفية المدعين للتحقيق يجعلون هذا تحقيقا

وقد ظن طائفة ان الحلاج كان من هؤلاء ثم صاروا حزبين حزب يقول وقع فى ذلك الفناء فكان معذورا فى الباطن ولكن قتله وجب فى الظاهر ويقولون القاتل مجاهد والمقتول شهيد

ويحكون عن بعض الشيوخ انه قال عثر عثرة لو كنت في زمنه لاخذت بيده ويجعلون حاله من جنس حال أهل الاصطلام والفناء

وحزب ثان وهم الذين يصوبون حال أهل الفناء في توحيد

الربوبية ويقولون هو الغاية يقولون بل الحلاج كان في غاية التحقيق والتوحيد

ثم هؤلاء في قتله فرقتان فريق يقول قتل مظلوما وما كان يجوز قتله ويعادون الشرع وأهل الشرع لقتلهم الحلاج ومنهم من يعادى جنس الفقهاء وأهل العلم ويقولون هم قتلوا الحلاج وهؤلاء من جنس الذين يقولون لنا شريعة ولنا حقيقة تخالف الشريعة والذين يتكلمون بهذا الكلام لايميزون ما المراد بلفظ الشريعة فى كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس ولا المراد بلفظ الحقيقة أو الحق أو الذوق أو الوجد أو التوحيد فى كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس بل فيهم من يظن الشرع عبارة عما يحكم به القاضى ومن هؤلاء من لايميز بين القاضى العالم العادل والقاضى الجاهل والقاضى الظالم بل ماحكم به حاكم سماه شريعة ولا ريب انه قد تكون الحقيقة فى نفس الامر التى يحبها الله ورسوله خلاف ماحكم به الحاكم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فالحاكم يحكم بما يسمعه من البينة والاقرار وقد يكون الآخر حجة لم يبينها ومثل هذا فالشريعة في نفس الامر هو الامر الباطن وما قضى به القاضى ينفذ ظاهراً وكثير من الامور قد يكون باطنها بخلاف مايظهر لبعض الناس ومن هذا قصة موسى والخضر فانه كان الذى فعله مصلحة وهو شريعة أمره الله بها ولم يكن ذلك مخالفة

لشرع الله لكن لما لم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده ان هذا لايجوز فلما بين له الخضر الامور وافقه فلم يكن ذلك مخالفا للشرع وهذا الباب يقال فيه قد يكون الامر في الباطن بخلاف مايظهر فهذا صحيح لكن تسمية الباطن حقيقة والظاهر شريعة أمر اصطلاحي

ومن الناس من يجعل الحقيقة هي الامر الباطن مطلقا والشريعة في الامور الظاهرة وهذا كما ان لفظ الاسلام اذا قرن بالايمان أريد به الاعمال الظاهرة ولفظ الايمان يراد به الايمان الذي في القلب كما في حديث جبرائيل فاذا جمع بينهما فقيل شرائع الاسلام وحقائق الايمان كان هذا كلاما صحيحا لكن متى أفرد أحدهما فكل شريعة ليس لها حقيقة باطنة فليس صاحبها من المؤمنين حقاً وكل حقيقة لاتوافق الشريعة التي بعث الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم فصاحبها ليس بمسلم فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين وقد يراد بلفظ الشريعة مايقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم وبالحقيقة مايذوقه ويجده الصوفية بقلوبهم ولا ريب ان كلا من هؤلاء مجتهدون تارة مصيبون وتارة مخطؤن وليس لواحد منهما تعمد مخالفة الرسول ثم ان اتفق اجتهاد الطائفتين والا فليس على واحدة أن تقلد الاخرى الا أن تأتي بحجة شرعية توجب موافقتها

فمن الناس من يظن ان الحلاج قتل باجتهاد فقهي يخالف الحقيقة الذوقية التي عليها هؤلاء وهذا ظن كثير من الناس وليس كذلك بل الذي قتل عليه انما هو الكفر وقتل باتفاق الطائفتين مثل دعواه

انه يقدر أن يعارض القرآن بخير منه ودعواه أن من فاته الحج انه يبني بيتا يطوف به ويتصدق بشيء قدره وذلك يسقط الحج عنه الي أمور أخرى توجب الكفر باتفاق المسلمين الذين يشهدون أن محمداً رسول الله وكذا علماؤهم وعبادهم وفقهاؤهم وفقراؤهم وصوفيتهم

وفريق يقولون قتل لانه باح بسر التوحيد والتحقيق الذى ماكان ينبغى أن يبوح به فان هذا من الاسرار التى لايتكلم بها الامع خواص الناس وهي مما تطوى ولا تروى وينشدون

من باح بالسر كان القتل شيمته * بين الرجال ولم يؤخذ له ثار

وأيضا

باحوا بالسر تباح دماؤهم (١) * وكذا دماء البائحين تباح

وحقيقة قول هؤلاء يشبه قول قائل ان ماقاله النصارى في المسيح حق وهو موجود لغيره من الانبياء والاولياء لكن مايمكن التصريح به لان صاحب الشرع لم يأذن في ذلك وكلام صاحب منازل السائرين وأمثاله يشير الى هذا وتوحيده الذى قال فيه

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد
توحيد من يخبر عن نعته * عارية أبطلها الواحد
توحيده اياه توحيده * ونعت من ينعته لاحد

فان حقيقة قول هؤلاء أن الموحد هو الموحد وان الناطق بالتوحيد على لسان العبد هو الحق وانه لايوحده الا نفسه فلا يكون الموحد الا الموحد ويفرقون بين قول فرعون أنا ربكم الاعلى وبين قول الحلاج

(١) هكذا بالاصل وليحرر

٤

أنا الحق أوسبحاني فان فرعون قال ذلك وهو يشهد نفسه فقال عن نفسه
وأما أهل الفناء فغابوا عن نفوسهم وكان الناطق على لسانهم غيرهم
وهذا مما وقع فيه كثير من المتصوفة المتأخرين ولهذا رد الجنيد رحمه
الله على هؤلاء لما سئل عن التوحيد فقال هو الفرق بين القديم والمحدث
فبين الجنيد سيد الطائفة ان التوحيد لايتم الا بأن يفرق بين الرب
القديم والعبد المحدث لا كما يقوله هؤلاء الذين يجعلون هذا هو هذا
وهؤلاء أهل الاتحاد والحلول الخاص والمقيد

وأما القائلون بالحلول والاتحاد العام المطلق فاولئك هم الذين يقولون
انه بذاته في كل مكان أو انه وجود المخلوقات وقد بسط الكلام على
هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان الحلاج لم يكن مقيداً بصنف من هذه الاصناف
بل كان قد قال من الاقوال التي توجب الكفر والقتل باتفاق طوائف
المسلمين ماقد ذكر في غير هذا الموضع

وكذلك أنكره أكثر المشايخ وذموه كالجنيد وعمر بن عثمان المكي
وأبي يعقوب النهرجوري ومن التبس عليه حاله منهم فلم يعرف حقيقة
مقاله الا من كان يقول بالحلول والاتحاد مطلقاً أومعيناً فانه يظن ان هذا
كان قول الحلاج وينصر ذلك ولهذا كانت خرقة ابن سبعين فيها من
رجال العلم جماعة منهم الحلاج وجماهير المشايخ الصوفية وأهل العلم
الحلاج عندهم لم يكن من المشايخ الصالحين بل كان زنديقاً لاسباب متعددة
يطول عندهم وصفها ولم يكن من أهل الفناء في توحيد الربوبية بل

كان قد تعلم السحر وكان له شياطين تخدمه الى أمور أخرى مبسوطة في غير هذا الموضع وبكل حال آدم لما أكل هو وحواء من الشجرة لم يكن زائل العقل ولا فانيا فى شهود القدر العام ولا احتج على موسى بذلك بل قال لم تلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن أخلق فاحتج بالقدر السابق لا بعدم تمييزه بين المأمور والمحظور

(فصل) اذا عرف هذا فنقول الصواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم الا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل لا لاجل ان تارك الامر مذنب عاص ولهذا قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة لم يقل لماذا خالفت الامر ولماذا عصيت والناس مأمورون عند المصائب التى تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال ابن مسعود وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أحرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فامره بالحرص على ماينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس للعباد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره اذا أصابه مصيبة مقدرة أن ينظر الى القدر ولا يتحسر بتقدير لايفيد ويقول قدر الله وما شاء الله فعل ولا يقول لو انى فعلت كذا لكان كذا فيقدر مالم يقع يتمنى ان لو كان وقع فان ذلك انما يورث حسرة وحزنا لايفيد والتسليم

بالقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الامور أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وما زال أئمة الهدي من الشيوخ وغيرهم يوصون الانسان بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور وان كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو كان رجل أنفق ماله في المعاصي حتى مات ولم يخلف لولده مالا أو ظلم الناس بظلم صاروا لاجله يبغضون أولاده ويحرمونهم مايعطونه لامثالهم لكان هذا مصيبة في حق الاولاد حصلت بسبب فعل الاب فاذا قال أحدهم لابيه أنت فعلت بنا هذا قيل للابن هذا كان مقدوراً عليكم وأنتم مأمورون بالصبر على مايصيبكم والاب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير ملوم على ذلك لايرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق فان كان الاب قد تاب توبة نصوحا وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومه بحال لامن جهة حق الله فان الله قد غفر له ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره بفعله اذا لم يكن هو ظالماً لاولئك فان تلك كانت مقدرة عليهم وهذا مثل قصة آدم فان آدم لم يظلم أولاده بل انما ولدوا بعد هبوطه من الجنة وانما هبط آدم وحواء ولم يكن معهما ولد حتى يقال ان ذنبهما تعدي الى ولدهما ثم بعد هبوطهما الى الارض جاءت الاولاد فلم يكن آدم قد ظلم أولاده ظلماً يستحقون به ملامة وكونهم صاروا في الدنيا دون الجنة أمر كان مقدراً عليهم لايستحقون به لوم آدم وذنب آدم كان قد تاب منه قال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي) وقال (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فلم يبق

مستحقاً لذم ولا عقاب وموسى كان أعلم من أن يلومه بحق الله على ذنب قد علم أنه تاب منه فموسى أيضاً قد تاب من ذنب عمله وقد قال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وآدم اعلم من أن يحتج بالقدر على أن المذنب لاملام عليه فكيف وقد علم أن ابليس لعنه الله بسبب ذنبه وهو أيضاً كان مقدراً عليه وآدم قد تاب من الذنب واستغفر فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعا له عند ربه لاحتج به ولم يتب ويستغفر

وقد روى في الاسرائيليات انه احتج به وهذا مما لا يصدق به لو كان محتملا فكيف اذا خالف أصول الاسلام بل أصول الشرع والعقل نعم ان كان ذكر القدر مع التوبة فهذا ممكن لكن ليس فيما أخبر الله به عن آدم شيء من هذا ولا يجوز الاحتجاج في الدين بالاسرائيليات الا ما ثبت نقله بكتاب الله أو سنة رسوله فان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وأيضاً فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعا له فلماذا أخرج من الجنة وأهبط الى الارض

فان قيل وهو قد تاب فلماذا بعد التوبة أهبط الى الارض

قيل التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله فيبتلى بعد التوبة لينظر دوام طاعته لله قال تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) في التائب من الردة وقال في كاتم العلم (الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) وقال (انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم) وقال

في القذف (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) وقال (الا من تاب و آمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متابا) وقال (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)

ولما تاب كعب بن مالك وصاحباه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بهجرهم حتى نسائهم ثمانين ليلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الغامدية لما رجمها لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله

وقد أخبر الله عن توبته على بني اسرائيل حيث قال لهم موسى (ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم)

واذا كان الله تعالى قد يبتلي العبد من الحسنات والسيآت والسراء والضراء بما يحصل معه شكره وصبره أم كفره وجزعه وطاعته أم معصيته فالتائب أحق بالابتلاء فآدم اهبط الى الارض ابتلاء له ووفقه الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوط خيراً من حاله قبل الهبوط وهذا بخلاف مالو كان الاحتجاج بالقدر نافعاً له فانه لايكون عليه ملام البتة ولا هناك توبة تقتضي أن يبتلي صاحبها ببلاء

وأيضاً فان الله قد أخبر في كتابه بعقوبات الكفار مثل قوم نوح وهود وصالح وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون وقومه مايعرف بكل واحدة من هذه الوقائع أن لاحجة لاحد في القدر

وأيضا فقد شرع الله من عقوبة المحاربين من الكفار وأهل القبلة وقتل المرتد وعقوبة الزاني والسارق والشارب ما بين ذلك

(فصل) قد تبين أن آدم حج موسى لما قصد موسى أن يلوم من كان سببا في مصيبتهم وبهذا جاء الكتاب والسنة قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وقال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) وسواء في ذلك المصائب السماوية والمصائب التي تحصل بأفعال الآدميين قال تعالى (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) وقال (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) وقال في سورة الطور بعد قوله فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) الى قوله (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون) الى قوله (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) وقال تعالى في سورة نون (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) وقال تعالى في سورة ن (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم)

وقد قيل في معناه اصبر لما يحكم به عليك وقيل اصبر على أذاهم لقضاء ربك الذي هو آت والاول أصح

وحكم الله نوعان خلق وأمر فالأول مايقدره من المصائب والثاني مايأمر به وينهى عنه والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا أن يصبر لما أمر به ولما نهى عنه فيفعل المأمور ويترك المحظور وعليه أن يصبر لما قدره الله عليه وبعض المفسرين يقول هذه الآية منسوخة بآية السيف وهذا يتوجه اذا كان في الآية النهي عن القتال فيكون هذا النهي منسوخا ليس جميع أنواع الصبر منسوخة كيف والآية لم تتعرض لذلك هنا لا بنفي ولا اثبات بل الصبر واجب لحكم الله ومازال واجبا واذا أمر بالجهاد فعليه أيضاً أن يصبر لحكم الله فانه يبتلى من قتالهم بما هو أعظم من كلامهم كما ابتلى به يوم أحد والخندق وعليه حينئذ أن يصبر ويفعل ماأمر به من الجهاد

والمقصود هنا قوله واصبر لحكم ربك فان مافعلوه من الاذى هو مما حكم به عليك قدرا فاصبر لحكمه وان كانوا ظالمين في ذلك وهذا الصبر أعظم من الصبر على ماجرى وفعل بالانبيا. وقوله (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) وقال (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات) وسواء كان مغاضبا لقومه أو لربه فكانت مغاضبته من أمر قدر عليه وصبره صبر لحكم ربه الذي قدره وقضاه وان كان انما تأذى من تكذيب الناس له وقالت الرسل لقومهم ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال موسى لقومه لما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) فهؤلاء ظلموا فصبروا على ظلم الظالم لهم وسبب نزولها المهاجرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عامة في كل من اتصف بهذه الصفة

وأصل المهاجر من هجر ما نهى الله عنه كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فكل من هجر السوء فظلمه الناس على ترك الكفر والفسوق والعصيان حتى أخرجوه الى هجر بعض أموره في الدنيا فصبر على ظلمهم فان الله يبوؤه في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة أكبر كيوسف الصديق فانه هجر الفاحشة حتى ألجأه ذلك الى هجر منزله واللبث في السجن بعد ما ظلم فمكنه الله حتى تبوأ من الارض حيث يشاء وقال الذين اتقوا الكفار (ربنا أفرغ علينا صبرا) وقال (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وقال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)

فهذا كله صبر على ما قدر من أفعال الخلق والله سبحانه مدح في كتابه الصبار الشكور كما قال (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) في

غير موضع فالصبر والشكر على مايقدره الرب بعبده من السراء والضراء من النعم والمصائب من الحسنات التى يبلوه بها والسيآت فعليه أن يتلقى المصائب بالصبر والنعم بالشكر ومن النعم ما ييسره له من أفعال الخير ومنها ماهى خارجة عن أفعاله فيشهد القدر عند فعله للطاعات وعند إنعام الله عليه فيشكره ويشهده عند المصائب فيصبر واما عند ذنوبه فيكون مستغفراً تائباً كما قال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) واما من عكس هذا فشهد القدر عند ذنوبه وشهد فعله عند الحسنات فهو من أعظم المجرمين ومن شهد فعلهما فيهما فهو قدرى ومن شهد القدر فيهما ولم يعترف بالذنب ويستغفر فهو من جنس المشركين

وأما المؤمن فيقول أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي فاغفر لى كما في الحديث الصحيح الالهى ياعبادى انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم متبعاً ماأمر به من الصبر على أذى الخلق ففى الصحيحين عن عائشة قالت ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له ولا دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه شئ قط فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شئ حتى ينتقم لله وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لا فعلته وكان بعض أهله اذا عتبنى على شئ يقول دعوه دعوه

خلو قضى شيء لكان

وفي السنن عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قول بعض من آذاه فقال دعنا منك فقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر فكان يصبر على أذى الناس له من الكفار والمنافقين وأذى بعض المؤمنين كما قال (ان ذلك كان يؤذي النبي فيستحيي منكم) وكان يذكر ان هذا مقدر والمؤمن مأمور بأن يصبر على المقدور وكذلك قال (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فالتقوى فعل المأمور وترك المحظور والصبر الصبر على أذاهم

ثم انه حيث أباح المعاقبة قال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) فاخبر ان صبره بالله فالله هو الذي يعينه عليه فان الصبر على المكاره بترك الانتقام من الظالم ثقيل على الانفس لكن صبره بالله كما أمره أن يكون لله في قوله (ولربك فاصبر) لكن هناك ذكره في الجملة الطلبية الامرية لانه مأمور أن يصبر لله لا لغيره وهنا ذكره في الخبرية فقال وما صبرك الا بالله فان الصبر وسائر الحوادث لا تقع الا بالله ثم قد يكون ذلك وقد لا يكون فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفع ولا يدوم ولا يقال واصبر بالله فان الصبر لا يكون الا بالله لكن يقال استعينوا بالله واصبروا فنستعين بالله على الصبر وكما ان الانسان مأمور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب فهو مأمور بذلك عند ما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها

حاجته وفقره الى اعانة الله له وتحقق قوله اياك نعبد واياك نستعين ويدعو بالادعية التي فيها طلب اعانة الله له على فعل الطاعات كقوله أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقوله يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ويامصرف القلوب اصرف قلبي الى طاعتك وطاعة رسولك وقوله (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) وقوله (وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا) ومثل قوله اللهم الهمني رشدي واكفني شر نفسي ورأس هذه الادعية وأفضلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

فهذا الدعاء أفضل الادعية وأوجبها على الخلق فانه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة وكذلك الدعاء بالتوبة فانه يتضمن الدعاء بان يلهم العبد التوبة وكذلك دعاء الاستخارة فانه طلب تعليم العبد مالم يعلمه وتيسيره له

وكذلك الدعاء الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به اذا قام من الليل وهو في الصحيح اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم

وكذلك الدعاء الذى فيه أقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به الى جنتك ومن اليقين ماتهون به علينا

مصائب الدنيا وكذلك الدعاء باليقين والعافية كما في حديث أبي بكر وكذلك قوله اللهم أصلح لي قلبي ونيتي ومثل قول الخليل واسماعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذه أدعية كثيرة تتضمن افتقار العبد الى الله في أن يعطيه الايمان والعمل الصالح فهذا افتقار واستعانة بالله قبل حصول المطلوب فاذا حصل بالدعاء أو بغير الدعاء شهد انعام الله فيه وكان في مقام الشكر والعبودية لله وان هذا حصل بفضله واحسانه لا بحول العبد وقوته

فشهود القدر في الطاعات من أنفع الامور للعبد وغيبته عن ذلك من أضر الامور به فانه يكون قدريا منكرا لنعمة الله عليه بالايمان والعمل الصالح وان لم يكن قدرى الاعتقاد كان قدرى الحال وذلك يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها لامع الاحتجاج بالقدر عليها خيرا من هذا الذى يشهد الطاعة منه لامن احسان الله اليه ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الايمان أفضل من طاعة بدون هذا الايمان وأما من أذنب وشهد أن لاذنب له أصلا لكون الله هو الفاعل وعند الطاعة يشهد أنه الفاعل فهذا شر الخلق وأما الذى يشهد نفسه فاعلا للامرين والذى يشهد ربه فاعلا للامرين ولا يرى له ذنباً فهذا أسوأ عاقبة من القدرى والقدرى أسوأ بداية منه كما هو مبسوط في موضع آخر

والناس فى هذا المقام أربعة أقسام من يغضب لربه لا لنفسه وعكسه

ومن يغضب لهما ومن لا يغضب لهما كما أنهم في شهود القدر أربعة أقسام من يشهد الحسنة من فعل الله والسيئة من فعل نفسه وعكسه ومن يشهد الاثنين من فعل ربه ومن يشهد الاثنين من فعل نفسه فهذه الاقسام الاربعة فى شهود الربوبية نظير تلك الاقسام الاربعة في شهود الالهية فهذا تقسيم العباد فيما لله ولهم وذاك تقسيمهم فيما هو بالله وبهم والقسم المحض أن يعمل لله بالله فلا يعمل لنفسه ولا بنفسه

والمقصود هنا تقسيمهم فيما لله فاعلاهم حال النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه وهو أن يصبروا على أذى الناس لهم باليد واللسان ويجاهدون فى سبيل الله فيعاقبون ويغضبون وينتقمون لله لا لنفوسهم يعاقبون لان الله يأمر بعقوبة ذلك الشخص ويحب الانتقام منه كما في جهاد الكفار واقامة الحدود وأدناهم عكس هؤلاء يبغضون وينتقمون ويعاقبون لنفوسهم لا لربهم فاذا أوذي أحدهم أو خولف هواه غضب وانتقم وعاقب ولو انتهكت محارم الله أو ضيعت حقوقه لم يعمه ذلك وهذا حال الكفار والمنافقين و بين هذين وهذين قسمان قسم يغضبون لربهم ولنفوسهم وقسم يميلون الى العفو فى حق الله وحقوقهم فموسى في غضبه على قومه لما عبدوا العجل كان غضبه لله وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم فى حقوق الله أبا بكر وعمر بابراهيم وعيسى ونوح وموسى فقال ان الله يلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجر ومثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم وعيسى ومثلك يا عمر كمثل نوح وموسى وأما عفو الانسان

عن حقوقه فهذا أفضل وان كان الاقتصاص جائزا وكذلك غضبه لنفسه تركه أفضل وان كان الاقتصاص جائزاً وأما ما كان من باب المصائب الحاصلة بقدر الله ولم يبق فيها مذنب يعاقب فليس فيها الا الصبر والتسليم القدر

وقصة آدم وموسى كانت من هذا الباب فان موسى لامه لاجل ماأصابه والذرية وآدم كان قد تاب من الذنب وغفر له والمصيبة كانت مقدرة فحج آدم موسى وهكذا قد يصيب الناس مصائب بفعل اقوام مذنبين وتابوا مثل كافر يقتل مسلما ثم يسلم ويتوب الله عليه أويكون متأولا لبدعة ثم يتوب من البدعة أو يكون مجتهداً أو مقلداً مخطئاً فهؤلاء اذا أصاب العبد أذى بفعلهم فهو من جنس المصائب السماوية التي لايطلب فيها قصاص من آدمي

ومن هذا الباب القتال فى الفتنة قال الزهرى وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فاجمعوا ان كل دم أو مال أوجرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر وكذلك قتال البغاة المتأولين حيث أمر الله بقتالهم اذا قاتلهم أهل العدل فاصابوا من أهل العدل نفوساً وأموالا لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء كابى حنيفة ومالك والشافعى في أحد قوليه وهذا ظاهر مذهب أحمد

وكذلك المرتدون اذا صار لهم شوكة فقاتلوا المسلمين وأصابوا من دمائهم وأموالهم كما اتفق الصحابة في قتال أهل الردة انهم لا يضمنون بعد اسلامهم ماأتلفوه من النفوس والاموال فانهم كانوا متأولين وان

كان تأويلهم باطلا

كما أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه مضت بان الكفار اذا قتلوا بعض المسلمين وأتلفوا أموالهم ثم أسلموا لم يضمنوا ما أصابوه من النفوس والاموال وأصحاب تلك النفوس والاموال كانوا مجاهدون قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فعوض ماأخذ منهم على الله لاعلى أولئك الظالمين الذين قاتلهم المؤمنون واذا كان هذا في الدماء والاموال فهو أولى

فمن كان مجاهداً في سبيل الله باللسان بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الدين وتبليغ مافي الكتاب والسنة من الامر والنهي والخبر وبيان الاقوال المخالفة لذلك والرد على من خالف الكتاب والسنة أو باليد كقتال الكفار فاذا أوذي على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لايطلب من هذا الظالم عوض مظلمته بل هذا الظالم ان تاب وقبل الحق الذي جوهد عليه فالتوبة تجب ماقبلها (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) وان لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة فهو مخالف لله ورسوله والحق في ذنوبه لله ولرسوله وان كان أيضاً للمؤمنين حق تبعاً لحق الله وهذا اذا عوقب عوقب لحق الله ولتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لالاجل القصاص فقط

والكفار اذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يمثلوا بهم فللمسلمين أن يمثلوا بهم كما مثلوا والصبر أفضل واذا مثلوا كان ذلك من تمام الجهاد

والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به وشرع القنوت والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين وأما الدعاء على معينين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يلعن فلانا وفلانا فهذا قد روى انه منسوخ بقوله ليس لك من الامر شيء كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع فيما كتبته بقامة مصر

وذلك لان المعين لا يعلم ان رضا الله منه أن يهلكه بل قد يكون ممن يتوب الله عليه بخلاف الجنس فانه اذا دعا عليهم بما فيه عز الدين وذل عدوه وقمعهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ورضاه فان الله يحب الايمان وأهل الايمان وعلو أهل الايمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحب الله وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم ان الله يرضاه فغير مأمور به وقد كان يفعل ثم نهى عنه لان الله قد يتوب عليه أو يعذبه ودعاء نوح على أهل الارض بالهلاك كان بعد ان أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومع هذا فقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول انى دعوت على أهل الارض دعوة لم أومر بها فانه وان لم ينه عنها فلم يؤمر بها فكان الاولى انه لا يدعو الا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب فان الدعاء من العبادات فلا يعبد الله الا بمأمور به واجب أو مستحب وهذا لو كان مأمورا به لكان شرعا لنوح ثم ننظر فى شرعنا هل نسخه أم لا

وكذلك دعاء موسى بقوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) اذا كان دعاء مأمورا به بقى

النظر في موافقة شرعنا له

والقاعدة الكلية فى شرعنا ان الدعاء ان كان واجبا أو مستحباً فهو حسن يثاب عليه الداعي وان كان محرما كالعدوان في الدعاء فهو ذنب ومعصية وان كان مكروها فهو ينقص مرتبة صاحبه وان كان مباحا مستوى الطرفين فلا له ولا عليه فهذا هذا والله سبحانه أعلم

(فصل) وكلا الطائفتين الذين يسلكون الى الله محض الارادة والمحبة والدنو أو القرب منه من غير اعتبار بالامر والنهى المنزلين من عند الله وهم الذين ينتهون الي الفناء في توحيد الربوبية وهم يقولون بالجمع والاصطلام فى توحيد الربوبية ولا يصلون الي الفرق الثانى ويقولون ان صاحب الفناء لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ويجعلون هذا غاية لسلوك والذين يفرقون بين مايستحسنونه ويستقبحونه ويحبونه ويكرهون ويأمرون به وينهون عنه لكن بارادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله كلا الطائفتين متبع لهواهم بغير هدى من الله وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لااله الا الله وشهادة أن محمداً رسول الله فان تحقق الشهادة بالتوحيد يقتضى أن لايحب الا لله ولا يبغض الا لله ولا يوالى الا لله ولا يعادى الا لله وان يحب ماأحبه الله ويبغض ماأبغضه الله ويأمر بما أمر الله به وينهي عما نهي الله عنه وانك لاترجو الا الله ولا تخاف الا الله ولا تسأل الا الله وهذا ملة ابراهيم وهذا الاسلام الذى بعث الله به جميع المرسلين

(والفناء فى هذا هو الفناء المأمور به) الذى جاءت به الرسل وهو

أن يغنى بعبادة الله عن عبادة ماسواه وبطاعته عن طاعة ماسواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ماسواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ماسواه وخوفه فيكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس وتحقيق الشهادة بأن محمداً رسول الله يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وارضاؤه ارضاء الله ودين الله ما أمر به فالحلال والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وضمن لمن اتبعه ان الله يحبه بقوله يحببكم الله وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريداً الا لما أحبه الله ورسوله ولا كارهاً الا لما كرهه الله ورسوله وهذا هو الذى يحبه الحق كما قال ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبي يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبي يمشى ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه فهذا محبوب الحق ومن اتبع الرسول فهو محبوب الحق وهو المتقرب الي الله بما دعا اليه الرسول من فرض ونفل ومعلوم أن من كان هكذا فهو يحب طاعة الله ورسوله ويبغض معصية الله ورسوله فان الفرائض والنوافل كلها من العبادات التى يحبها الله ورسوله ليس فيها كفر ولا فسوق ولا عصيان والرب تعالى أحبه لما قام بمحبوب الحق فان الجزاء من جنس العمل

فلما لم يزل متقربا الى الحق بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الحق فانه استفرغ وسعه في محبوب الحق فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل اليها من هو دونه في التقرب الى الحق بمحبوباته حتى صار يعلم بالحق ويعمل بالحق فصار به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي

وأما الذي لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة فهذا لم تبق عنده الامور نوعان محبوب للحق ومكروه له بل كل مخلوق فهو عنده محبوب للحق كما انه مراد فان هؤلاء أصل قولهم هو قول جهم بن صفوان من القدرية فهم من غلاة الجهمية الجبرية فى القدر وان كانوا في الصفات يكفرون الجهمية نفاة الصفات كقول أبي اسماعيل الانصاري صاحب منازل السائرين وذم الكلام والفاروق وتكفير الجهمية وغير ذلك فانه في باب اثبات الصفات في غاية المقابلة للجهمية والنفاة وفي باب الافعال والقدر قوله يوافق الجهم ومن اتبعه من غلاة الجبرية وهو قول الاشعري وأتباعه وكثير من الفقهاء اتباع الائمة الاربعة ومن أهل الحديث والصوفية فان هؤلاء أقروا بالقدر موافقة للسلف وجمهور الائمة وهم مصيبون في ذلك وخالفوا القدرية من المعتزلة وغيرهم في نفي القدر

ولكن سلكوا في ذلك مسلك الجهم بن صفوان وأتباعه فزعموا ان الامور كلها لم تصدر الا عن ارادة تخصيص أحد المتماثلين بلا سبب وقالوا الارادة والمحبة والرضاء سواء وافقوا في ذلك القدرية

فان الجهمية والمعتزلة كلاهما يقول ان القادر المختار يرجح أحد

المتماثلين بلا مرجح وكلاهما يقول لافرق بين الارادة والمحبة والرضا

ثم قالت القدرية وقد علم بالكتاب والسنة واجماع السلف ان الله يحب الايمان والعمل الصالح ولايحب الفساد ولايرضى لعباده الكفر بل يكره الكفر والفسوق والعصيان قالوا فيلزم من ذلك أن يكون كل مافي الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته وارادته كما هو واقع على خلاف أمره وخلاف محبته ورضاه وقالوا ان محبته ورضاه لاعمال عباده هو بمعنى أمره لها فكذلك ارادته لها هو بمعني أمره لها فلا يكون قط عندهم مريدا لغير ماأمر به وأخذ هؤلاء يتأولون مافي القرآن من ارادته لكل مايحدث ومن خالقه لافعال العباد بتأويلات محرفة

وقالت الجهمية ومن اتبعهامن الاشعرية وأمثالهم قدعلم بالكتاب والسنة والاجماع ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه ولا يكون خالقا الا بقدرته ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن وكل مافي الوجود فهو بمشيئته وقدرته وهو خالقه سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها

ثم قالوا واذا كان مريدا لكل حادث والارادة هي المحبة والرضافهو محب راض بكل حادث وقالوا كل مافى الوجود من كفر وفسوق وعصيان فان الله راض به محب له كما هو مريدله

فقيل لهم فقد قال تعالى لايحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر فقالوا هذا بمنزلة ان يقال لايريد الفساد ولا يريد لعباده الكفر وهذا يصح على وجهين اما أن يكون خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفسادولا ريب ان الله لايريد ولا يحب مالم يقع عندهم فقالوا معناه لايحب الفساد

العباده المؤمنين ولا يرضاه لهم

وحقيقة قولهم ان الله لا يحب الايمان ولا يرضاه من الكفار فالمحبة والرضا عندهم كالارادة عندهم متعلقة بما وقع دون مالم يقع سواء كان مأمورا به أو منهيا عنه وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو شقاوتهم وعندهم ان الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان ولا يحب مالم يوجد من الايمان والطاعة كما أراد هذا دون هذا

والوجه الثانى قالوا لا يحب الفساد دينا ولا يرضاه دينا وحقيقة هذا القول انه لا يريده دينا فانه اذا أراد وقوع الشئ على صفة لم يكن مريدا له على خلاف تلك الصفة وهو اذا أراد وقوع شئ مع شئ لم يرد وقوعه وحده فاذا أراد أن يخلق زيدا من عمرو ولم يرد أن يخلقه من غيره واذا أراد أن ينزل مطرا فتنبت الارض به فانه أراد انزاله على تلك الصفة واذا أراد أن يركب البحر قوم فيغرق بعضهم ويسلم بعضهم ويربح بعضهم فانما أراده على تلك الصفة فكذلك الايمان والكفر قرن بالايمان نعيم لاصحابه وبالكفر عذاب لاصحابه وان لم يكن عندهم جعل شئ لشئ سببا ولا خلق شيئا لحكمة لكن جعل هذا مع هذا

وعندهم جعل السعادة مع الايمان لا به كما يقولون انه خلق الشبع عند الاكل لا به فالدين الذى أمر به هو مقرن به سعادة صاحبه فى الآخرة والكفر والفسوق والعصيان عندهم أحبه ورضيه كما أراده لكن لم يحبه مع سعادة صاحبه فلم يحبه دينا كما انه لم يرده مع سعادة صاحبه

فلم يحبه دينا كما انه لم يرده مع سعادة صاحبه فلم يرده دينا وهذا المشهد الذي شهده أهل الفناء في توحيد الربوبية فانهم رأوا الرب تعالى خالق كل شيء بارادته وعلم أن سيكون ما أراد ولا سبب عندهم لشيء ولا حكمة بل كل الحوادث تحدث بالارادة

ثم الجهم بن صفوان ونفاة الصفات من المعتزلة ونحوهم لا يثبتون ارادة قائمة بذاته بل اما أن ينفوها واما أن يجعلوها بمعنى الخلق والامر أن يقولوا أحدث ارادة لافي محل واما مثبتة الصفات كابن كلاب والاشعرى وغيرهما ممن يثبت الصفات ولا يثبت الاواحدا معينا فلا يثبت الاارادة واحدة تتعلق بكل حادث وسمعا واحدا معينا متعلقا بكل مسموع وبصرا واحدا معينا متعلقا بكل مرئى وكلاما واحدا بالعين يجمع جميع أنواع الكلام كما قد عرف من مذهب هؤلاء

فهؤلاء يقولون جميع الحادثات صادرة عن تلك الارادة الواحدة العين المفردة التي ترجح أحد المتماثلين لا بمرجح وهي المحبة والرضا وغير ذلك وهؤلاء اذا شهدوا هذا لم يبق عندهم فرق بين جميع الحوادث في الحسن والقبح الا من حيث موافقتها للانسان ومخالفة بعضها له فما وافق مراده ومحبوبه كان حسنا عنده وما خالف ذلك كان قبيحاً عنده فلا يكون في نفس الامر حسنة يحبها الله ولا سيئة يكرهها الا بمعنى ان الحسنة هي ماقرن بها لذة صاحبها والسيئة ماقرن بها ألم صاحبها من غير فرق يعود اليه ولا الى الافعال أصلا ولهذا كان هؤلاء لا يثبتون حسناً ولا قبيحاً لا بمعنى الملائم للطبع والمنافي له والحسن والقبح الشرعى هو مادل صاحبه على أنه

قد يحصل لمن فعله لذة أو حصول ألم له ولهذا يجوز عندهم ان يأمر الله بكل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان وينهى عن كل شيء حتى عن الايمان والتوحيد ويجوز نسخ كل ماأمر به بكل مانهى عنه ولم يبق عندهم فى الوجود خير ولا شر ولا حسن ولا قبيح الا بهذا الاعتبار فما فى الوجود ضر ولا نفع والنفع والضر أمران اضافيان فربما نفع هذا ماضر هذا كما يقال * مصائب قوم عند قوم فوائد *

فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يعتقدونه ويشهدونه صاروا حزبين حزبا من أهل الكلام والرأى أقروا بالفرق الطبعى وقالوا ماثم فرق الا الفرق الطبعي ليس هنا فرق يرجع الي الله بأنه يحب هذا ويبغض هذا

ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد اما لقوله بالارجاء واما لظنه ان ذلك لمصالح الناس في الدنيا اقامة للعدل كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة فلا يبقي عنده فرق بين فعل وفعل الا مايحبه هو ويبغضه فما أحبه هو كان الحسن الذى ينبغى فعله وما أبغضه كان القبيح الذى ينبغي تركه

وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأي الذين يرون رأى جهم والاشعرى ونحوهما في القدر تجدهم لاينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمعاداة الا الى محض أهوائهم وارادتهم وهو الفرق الطبيعي ومن كان منهم مؤمناً بالوعد فانه قد يفعل الواجبات ويترك المحرمات لكن لاجل ماقرن بهما من الامور الطبيعية فى الآخرة من أكل وشرب ونكاح

وهؤلاء ينكرون محبة الله و لتلذذ بالنظر اليه وعندهم اذا قيل ان العباد يتلذذون بالنظر اليه فمعناه انهم عند النظر يخلق لهم من اللذات بالمخلوقات ما يتلذذون به لا ان نفس النظر الي الله يوجب لذة

وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية وجعل هذا من أسرار التوحيد وهو من اسرار التوحيد الذي يسميه هؤلاء النفات توحيداً ليس من أسرار التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب فان المحبة لا تكون الا لمعنى في المحبوب يحبه المحب وليس عندهم في الموجودات شيء يحبه الرب الا بمعنى يريده وهو مريد لكل الحوادث ولا في الرب عندهم معنى يحبه العبد وانما يحب العبد مايشتهيه وانما يشتهي الامور الطبيعية الموافقة لطبعه ولا يوافق طبعه عندهم الا اللذات البدنية كالاكل الشرب والنكاح

والحزب الثاني من الصوفية الذي كان هذا المشهد منتهى سلوكهم عرفوا الفرق الطبيعي وهم قد سلكوا على ترك هذا الفرق الطبيعي وانهم يزهدون في حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئا لأنفسهم وعندهم ان من طلب شيئا للاكل والشرب في الجنة فانما طلب هواه وحظه وهذا كله نقص عندهم ينافى حقيقة الفناء في توحيد الربوبية وهو بقاء مع النفس وحظوظها والمقامات كلها عندهم التوكل والمحبة وغير ذلك انما هي منازل أهل الشرع السائرين الى عين الحقيقة فاذا شهدوا توحيد الربوبية كان ذلك عندهم عللا في الحقيقة اما لنقص المعرفة والشهود واما لأنه ذنب عن النفس وطلب حظوظها فانه من شهد أن كل مافي

الوجود فالرب يحبه ويرضاه ويريده لافرق عنده بين شئ وشئ الا أن من الامور ماهمه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها ومنها ماهمه ألم لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فانه قطعاً يرى أن كل من فرق بين شئ وشئ لم يفرق الا لنقص معرفته وشهوده ان الله رب كل شئ ومريد لكل شئ ومحب على قولهم لكل شئ؛

واما لفرق يرجع الى حظه وهواه فيكون طالبا لحظه ذاهبا عن نفسه وهذا علة وعيب عندهم فصار عندهم كل من فرق اما ناقص المعرفة والشهادة واما ناقص القصد والارادة وكلاهما علة بخلاف صاحب الفناء في مشهد الربوبية فانه يشهد كل مافي الوجود بارادته ومحبته ورضاه عندهم لافرق بين شئ وشئ فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة كما قاله صاحب منازل السائرين

ولهذا في الكلام المنقول عن الشبلي وأبي يزيد انه قال اذا رأيت أهل الجنة يتنعمون في الجنة وأهل النار يعذبون في النار وقع في قلبك فرق خرجت عن حقيقة التوكل أو قال التوحيد الذى هو أصل التوكل ومعلوم ان هذا الفرق لايعدم من الحيوان دائما بل لابد له منه يميل الي مالا بد له منه من أكل وشرب لكنه في حال الفناء قد يكون مستغرقا في ذلك المشهد ولكن لابد أن يميل الى أمور يحتاج اليها فيريدها وأمور تضره فيكرهها وهذا فرق طبعى لايخلو منه بشر لكن قد يقولون الفرق في الامور الضرورية التى لايقوم الانسان الا بها من طعام ولباس ونحو ذلك فيكتفون في الدنيا والآخرة؛ لابد

منه من طعام ولباس ويرون هذا الزهد هو الغاية فيزهدون في كل شيء بمعنى انهم لا يريدونه ولا يكرهونه ولا يحبونه ولا يبغضونه ويكون زهدهم في المساجد كزهدهم في الحانات ولهذا اذا قدم الشيخ الكبير منهم بلداً يبدؤ بالبغايا في الحانات ويقول كيف أنتم في قدر الله فانه لا فرق عنده في هذا المشهد بين المساجد والكنائس والحانات وبين أهل الصلاة والاحرام وقراءة القرآن وأهل الكفر وقطاع الطريق والمشركين بالرحمن ولا ريب ان فناءهم وغيبتهم عن شهود الالهية والنبوة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله وما تضمنه من الفرق يرجع الى نقص العلم والشهود والايمان والتوحيد فشهدوا امتناعن نعوت الرب وغابوا عن آخر وهذا نقص وقد يرون أن شهود الذات مجردة عن الصفات أكمل ويقولون بشهود الافعال ثم شهود الصفات ثم شهود الذات المجردة

وربما جعلوا الاول للنفس والثاني للقلب والثالث للروح ويجعلون هذا النقص من ايمانهم ومعرفتهم وشهودهم هو الغاية فيكونون مضاهين للجهمية نفاة الصفات حيث أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات وقالوا هذا هو الكمال لكن أولئك يقولون بانتفائها في الخارج فيقولون انهم يشهدون انها منتفية بانتفائها في الخارج فيقولون انهم يشهدون أنها منتفية وهؤلاء يثبتونها في الخارج علما واعتقاداً ولكن يقولون الكمال في أن يغيب عن شهودها ولا يشهدون نفيها لكي لا يشهدوا ثبوتها وهذا نقص عظيم وجهل عظيم اما أولا فلانهم شهدوا الامر على خلاف ما هو

عليه فذات مجردة عن الصفات لا حقيقة لها في الخارج وأما الثاني فهو مطلوب الشيطان من التجهم ونفي الصفات فان عدم العلم والشهود لثبوتها يوافق فيه الجهمي المعتقد لانتفائها

ومن قال أعتقد أن محمداً ليس برسول وقال الآخر وان كنت أعلم رسالته فأنا أفني عنها فلا أذكرها ولا أشهدها فهذا كافر كالاول فالكفر عدم تصديق الرسول سواء كان معه اعتقاد تكذيب أم لا بل وعدم الاقرار بما جاء به والمحبة فمن ألزم قلبه أن يغيب عن صفات الله كما يعرف ذاته وألزم قلبه أن يشهد ذاتا مجردة عن الصفات فقد ألزم قلبه أن لا يحصل له مقصود الايمان بالصفات وهذا من أعظم الضلال

وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم انه اذا لم يشهد الا فعل الرب فيه فلا اثم عليه وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم القاتلة وقال أنا أشهد أن الله هو الذي أطعمني فلا يضرني وهذا جهل عظيم فان الذنوب والسيئات تضر الانسان أعظم مما تضره السموم. وشهوده ان الله فاعل ذلك لا يدفع ضررها ولو كان هذا دافعا لضررها لكان أنبياء الله وأولياؤه المتقون أقدر على هذا الشهود الذي يدفعون به عن أنفسهم ضرر الذنوب

ومن هؤلاء من يظن ان الحق اذا وهبه حالا يتصرف به وكشفا لم يحاسبه على تصرفه به وهذا بمنزلة من يظن اذا أعطاه ملكا لم يحاسبه على تصرفه به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت. ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فبين انه مع انه

المعطي المانع فلا ينفع المجدود جده انما ينفعه الايمان والعمل الصالح فهذا أصل عظيم ضل بالخطأ فيه خلق كثير حتى آل الامر بكثير من هؤلاء الى أن جعلوا أولياء الله المتقين يقاتلون أنبياءه ويعاونون أعداءه وانهم مأمورون بذلك وهو أمر شيطاني قدري

ولهذا يقول من يقول منهم ان الكفار لهم خفراء من أولياء الله ويظن كثير منهم ان أهل الصفاء قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المغازى فقال ياأصحابي تخذلوني وتذهبون عني فقالوا نحن مع الله من كان مع الله كنا معه

ويجوزون قتال الانبياء وقتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان بالشلم لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا فانه ليس في مشهدهم لله محبوب مرضى مراد الا مايقع فما وقع فالله يحبه ويرضاه ومالم يقع فالله لايحبه ولا يرضاه والواقع هو تبع القدر لمشيئة الله وقدرته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن فهم من غلب كانوا معه لان من غلب كان القدر معه والمقدور عندهم هو محبوب الحق فاذا غلب الكفار كانوا معهم واذا غلب المسلمون كانوا معهم واذا كان الرسول منصورا كانوا معه واذا غلب أصحابه كانوا مع الكفار الذين غلبوهم وهؤلاء الذين يصلون الى هذا الحد غالبهم لايعرف وعيد الآخرة فان من أقر بوعيد الآخرة وانه للكفار لم يمكنه أن يكون معاونا للكفار مواليا لهم على مايوجب وعيد الآخرة

لكن قد يقولون بسقوطه مطلقا وقد يقولون بسقوطه عمن شهد

توحيد الربوبية وكان في هذه الحقيقة القدرية وهذا يقوله طائفة من شيوخهم كالشيخ المذكور وغيره فلهذا يوجد هؤلاء الذين يشهدون القدر المحض وليس عندهم غيره الا ماهو قدر أيضا من نعيم أهل الطاعة وعقوبة أهل المعصية لايأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار بل اذا رأى أحدهم من يدعو قال الفقير والمحقق أو العارف ماله ولهذا يفعل الله مايشاء وينصر من يريد فان عنده ان الجميع واحد بالنسبة الى الله وبالنسبة اليه أيضا فانه ليس له غرض في نصر احدى الطائفتين لامن جهة ربه فانه لافرق على رأيه عند الله تعالي بينهما ولا من جهة نفسه فان حظوظه لاتنقص باستيلاء الكفار بل كثير منهم تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين والظلمة أعظم وعامة من معهم من الخفراء هم من هذا الضرب فان لهم حظوظا ينالونها باستيلائهم لاتحصل لهم باستيلاء المؤمنين وشياطينهم تحب تلك الحظوظ المذمومة وتغريهم بطلبها وتخاطبهم الشياطين بامر ونهي وكشف يظنونه من جهة الله وان الله هو أمرهم ونهاهم وانه حصل لهم من المكاشفة ماحصل لاولياء الله المتقين ويكون ذلك كله من الشياطين وهم لايفرقون بين الاحوال الرحمانية والشيطانية لان الفرق مبني على شهود الفرق من جهة الرب تعالى وعندهم لافرق بين الامور الحادثة كلها من جهة الله تعالى انما هو مشيئة محضة تناولت الاشياء تناولا واحداً فلا يحب شيئا ولا يبغض شيئا ولهذا يشترك هؤلاء في جنس

السماع الذي يثير ما في النفوس من الحب والوجد والذوق فيثير من قلب كل أحد حبه وهواه وأهواؤهم متفرقة فانهم لم يجتمعوا على محبة مايحبه الله ورسوله اذ كان محبوب الحق على أصل قولهم هو ماقدره فوقع واذا اختلفت أهواؤهم في الوجد اختلفت أهواء شياطينهم فقد يقتل بعضهم بعضاً بشياطينه لانها أقوى من شياطين ذاك

وقد يسلبه ما معه من الحال الذى هو التصرف والمكاشفة الحاصلة له بسبب شياطينهم فتكون شياطينه هربت من شياطين ذاك فيضعف أمره ويسلب حاله كمن كان ملكا له أعوان فاخذت أعوانه فيبقى ذليلا لا ملك له

فكثير من هؤلاء كالملوك الظالمة الذين يعادى بعضهم بعضا اما مقتول واما مأسور واما مهزوم فان منهم من يأسر غيره فيبقى تحت تصرفه

ومنهم من يسلبه غيره فيبقى لا حال له كالملك المهزوم فهذا كله من تفريع أصل الجهمية الغلاة في الجبر في القدر

فانما يخلص من هذا كله من أثبت لله محبة لبعض الامور وبغضة لبعضها ورضا لبعضها وغضبا من بعضها وفرحا ببعضها وسخطاً لبعضها كما أخبرت به الرسل ونطقت به الكتب وهذا هو الذى يشهد أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله ويعلم ان التوحيد الذى بعث به الرسل أن يعبد الله وحده لاشريك له فيعبد الله دون ماسواه

وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) فينيب قلبه الى الله ويسلم له ويتبع ملة ابراهيم حنيفا

ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) وعلم ان ماأمر الله ورسوله به فان الله يحبه ويرضاه وما نهى عنه فانه يبغضه وينهى عنه ويمقت عليه ويسخط على فاعله فصار يشهد الفرق من جهة الحق تعالى ويعلم ان الله تعالى يحب أن يعبد وحده لاشريك له ويبغض من يجعل له أندادا يحبونهم كحب الله وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كمشركي العرب وغيرهم وان هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية أهل الفناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) فان هؤلاء المشركين لما أنكروا مابعثت به الرسل من الامر والنهي وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لاشريك له وهم يقرون بتوحيد الربوبية وان الله خالق كل شيء مابقي عندهم من فرق من جهة الله تعالى بين مأمور ومحظور

فقالوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء وهذا حق فان الله لو شاء أن لايكون هذا لم يكن لكن أي فائدة لهم في هذا هذا غايته ان هذا الشرك والتحريم بقدر ولا يلزم اذا كان مقدرا أن يكون محبوبا مرضيا لله ولا علم عندهم بان الله أمر به ولا أحبه ولارضيه بل ليسوا فى ذلك الا على ظن وخرص

فان احتجوا بالقدر فالقدر عام لايختص بحالهم وان قالوا نحن نحب هذا ونسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبعي لانتفاء الفرق من جهة الحق تعالى ولا علم عندكم بانتفاء الفرق من جهة الله تعالى

والجهمية المثبتة للشرع تقول بان الفرق الثابت هو أن التوحيد قرن به النعيم والشرك قرن به العذاب وهو الفرق الذى جاء به الرسول وهو عندهم يرجع الى علم الله بما سيكون واخباره

بل هؤلاء لايرجع الفرق عندهم الى محبة منه لهذا وبغض لهذا وهؤلاء يوافقون المشركين في بعض قولهم لافى كله كما ان القدرية من الامة الذين هم مجوس الامة يوافقون المجوس المحضة في بعض قولهم لافى كله والا فالرسول قد دعاهم الى عبادة الله وحده لاشريك له والى محبة الله دون ماسواه والى أن يكون الله و رسوله أحب اليه مما سواهما والمحبة تتبع الحقيقة فان لم يكن المحبوب في نفسه مستحقا لان يحب لم يجز الامر بمحبته فضلا عن ان يكون أحب الينا من كل ماسواه واذا قيل محبته محبة عبادته وطاعته قيل محبته لعباده والطاعة فرع علي محبة المعبود المطاع وكل من لم يحب فى نفسه لم تحب عبادته وطاعته

ولهذا كان الناس يبغضون طاعة الشخص الذى يبغضونه ولا يمكنهم مع بغضه محبة طاعته الا لغرض آخر محبوب مثل عوض يعطيهم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض فلا يكون الله ورسوله أحب اليهم مما سواهما الا بمعنى أن العوض الذى يحصل على

ذلك من المخلوقات أحب اليهم من كل شئ ومحبة ذلك العوض مشروط بالشعور به فما لا يشعر به يمتنع محبته

واذا قيل هم قد وعدوا على محبة الله ورسوله بأن يعطوا أفضل محبوباتهم المخلوقة

قيل لامعنى لمحبة الله ورسوله عندكم الا محبة ذلك العوض والعوض غير مشعور به حتى يحب واذا قيل بل اذا قال من لاتحب ذاته لغيره المحبى فانك اذا أطعتنى أعطيتك أعظم ماتحبــه صار محباً لذلك الآمر له قيل ليس الامر كذلك بل يكون قلبه فارغا من محبة ذلك الامر وانمــا هو متعلق بما وعده من العوض على عمله كالفعلة الذين يعملون من البناء والخياطة والنساجة وغير ذلك مايطلبون به أجورهم فهم قد لايعرفون صاحب العمل أولا يحبونه ولا لهم غرض فيــه انما غرضهم فى العوض الذى يحبونه

وهذا أصل قول الجهمية القدرية والمعتزلة الذين ينكرون محبــة الله تعالى ولهذا قالت المعتزلة ومن أتبعها من الشيعة ان معرفة الله وجبت لكونها لطفاً فى أداء الواجبات العقلية فجعلوا أعظم المعارف تبعاً لما ظنوه واجباً بالعــقل وهم ينكرون محبة الله والنظر اليــه فضلا عن لذة النظر

وابن عقيل لما كان في كثير من كلامه طائفة من كلام المعتزلة سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك لذة النظر الى وجهك فقال ياهذا هب أن له وجهاً فتتلذذ بالنظر اليه وهذا اللفظ مأثور عن النبي صلى الله عليــه

وسلم فى الحديث الذى رواه النسائي وغيره عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الدعاء اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لى اللهم انى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغني وأسألك نعيما لاينفد وأسألك قرة عين لاتنقطع واسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

وقد روي هذا اللفظ من وجه آخر عن النبي صلي الله عليه وسلم أظنه من رواية زيد بن ثابت ومعناه في الصحيح من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ماهو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنــة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهى الزيادة يعنى قوله للذين أحسنوا الحسني وزيادة فقد أخبر أنه ليس فيما أعطوه من النعيم أحب اليهم من النظر اليه واذا كان النظر اليه أحب الاشياء اليهم علم أنه نفسه أحب الاشــياء اليهم والا لم يكن النظر أحب انواع النعيم اليهم فان محبة الرؤية تتبع محبة المرئى ومالا يحب ولا يبغض فى نفسه لاتكون رؤيته أحب الى الانسان من جميع أنواع النعيم

وفى الجملة فانكار الرؤية والمحبة والكلام أيضاً معروف من كلام

الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم والأشعرية ومن تابعهم يوافقونهم على نفي المحبة ويخالفونهم في أثبات الرؤية ولكن الرؤية التي يثبتونها لا حقيقة لها

وأول من عرف عنه في الاسلام انه أنكر ان الله يتكلم وان الله يحب عباده الجعد بن درهم ولهذا أنكر ان يكون اتخذ الله ابراهيم خليلا أو كلم موسى تكليما فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيراً ثم نزل فذبحه

وأما الصوفية فهم يثبتون المحبة بل هذا أظهر عندهم من جميع الامور وأصل طريقهم انما هي الارادة والمحبة واثبات محبة الله مشهور في كلام أولاهم وأخراهم كما هو ثابت بالكتاب والسنة واتفاق السلف

والمحبة جنس تحته أنواع كثيرة فكل عابد فهو محب للمعبود فالمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) وفيه قولان أحدهما يحبونهم كحب المؤمنين الله والثاني يحبونهم كما يحبون الله لانه قد قال (والذين آمنوا أشد حباً لله) فلم يمكن أن يقال ان المشركين يعبدون آلهتهم كما يعبد الموحدون لله بل كما يحبونهم لله فانهم يعدلون آلهتهم برب العالمين كما قال (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) وقد قال بعض من نصر القول الاول في الجواب عن حجة القول الثاني قال المفسرون قوله (والذين آمنوا

أشد حباً لله) أي أشد حباً لله من المشركين لآلهتهم فيقال له ماقاله هؤلاء المفسرون مناقض لقولك فانك تقول انهم يحبون الانداد كحب المؤمنين لله وهذا يناقض أن يكون المؤمنون أشد حباً لله من المشركين لاربابهم فتبين ضعف هذا القول وثبت ان المؤمنين يحبونهم أكثر من محبة المشركين لله ولآلهتهم لان أولئك أشركوا في المحبة والمؤمنون أخلصوها كلها لله وأيضاً فقوله كحب الله أضيف فيه المصدر الى المحبوب المفعول وحذف فاعل الحب فاما أن يراد كما يحب الله من غير تعيين فاعل فيبقى عاما في حق الطائفتين وهذا يناقض قوله (والذين آمنوا أشد حباً لله واما أن يراد كحبهم لله ولا يجوز أن يراد كما يحب غيرهم لله اذ ليس في الكلام مايدل على هذا بخلاف حبهم فانه قد دل عليه قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله فأضاف الحب المشبه اليهم فكذلك الحب المشبه بهم اذ كان سياق الكلام يدل عليه اذا قال يحب زيداً كحب عمرو أو يحب علياً كحب أبي بكر أو يحب الصالحين من غير أهله كحب الصالحين من أهله أو قيل يحب الباطل كحب الحق أو يحب سماع المكاء والتصدية كحب سماع القرآن وأمثال ذلك لم يكن المفهوم الا أنه هو المحب للمشبه والمشبه به فانه يحب هذا كما يحب هذا لايفهم منه انه يحب هذا كما يحب غيره هذا اذ ليس في الكلام مايدل على محبة غيره أصلاً

والمقصود ان المحبة تكون لما يتخذ إلهاً من دون الله وقد قال تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) فمن كان يعبد

مايهواه فقد اتخذ الهه هواه فاهو يه الهه فهو لايتأله من يعلم أن يستحق التأله بل يتأله مايهواه وهذا المتخذ الهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم ومحبة عباد العجل له وهذه محبة مع الله لامحبة لله وهذه محبة أهل الشرك والنفوس قد تدعى محبة الله ويكون فى نفس الامر محبة شرك تحب ماتهواه وقد أشركته في الحب مع الله وقد يخفى الهوى على النفس فان حبك الشئ يعمى ويصم

وهكذا الاعمال التى يظن الانسان انه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفى عليه وهو يعمله اما لحب رياسة واما لحب مال واما لحب صورة ولهذا قالوا يارسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء فأي ذلك فى سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون المحبة ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك واتباع الاهواء والله تعالى قد جعل محبته موجبة لاتباع رسوله فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذا لان الرسول هو الذى يدعو الى مايحبه الله وليس شئ يحبه الله الاوالرسول يدعو اليه وليس شئ يدعو اليه الرسول الا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته وان تنوعت الصفات فكل من ادعى انه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله وحده بل ان كان يحبه فهى محبة شرك فانما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فانهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا الا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول

فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين وهكذا أهل البدع فمن قال انه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة فان البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا اليه الرسول لا يحبها الله فان الرسول دعى الى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر .

وأيضا فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله والجهاد في سبيله لقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى أيضا (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

فأمر المؤمنين أن يتأسوا بابراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة والبغضاء لمن اشرك حتى يؤمنوا بالله وحده فأين هذا من حال من لا يحسن حسنة ولا يستقبح سيئة وهؤلاء سلكوا طريق الارادة والمحبة مجملا من

غير اعتصام بالكتاب والسنة كما سلك أهل الكلام والرأى طريق النظر والبحث من غير اعتصام بالكتاب والسنة فوقع هؤلاء فى ضلالات وهؤلاء فى ضلالات كما قال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم) وقال (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) ومثل هذا كثير في القرآن وقد بسط الكلام على هذا الاصل في غير هذا الموضع

فان قيل صاحب الفناء في توحيد الربوبية قد شهد أن الرب خالق كل شئ وقد يكون ممن يثبت الحكمة فيقول انما خلق المخلوقات لحكمة وهو يحب تلك الحكمة ويرضاها وانما خلق مايكرهه لما يحبه والذين فرقوا بين المحبة والارادة قالوا ان المريض يريد الدواء ولا يحبه وانما يحب ما يحصل به وهو العافية وزوال المرض فالرب تعالى خالق الاشياء كلها بمشيئته فهو مريد لكل ماخلق ولما أحبه من الحكمة وان كان لايحب بعض المخلوقات من الاعيان والافعال لكنه يحب الحكمة التى خلق لاجلها فالعارف اذا شهد هذا أحب أيضاً أن يخلق لتلك الحكمة وتكون الاشياء مرادة محبوبة له كما هي للحق فهو وان كره الكفر والفسوق والعصيان لكن ماخلقه الله منه خلقه لحكمة وارادة فهو

مراد محبوب باعتبار غايته لاباعتباره في نفسه

قيل من شهد هذاالمشهد فهو يستحسن ماحسنه الله وأحبه ورضيه ويستقبح ما كرهه الله وسخطه ولكن اذا كان الله خلق هذا المكروه لحكمة يحبها فالعارف هو أيضاً يكرهه ويبغضه كما كرهه الله ولكن يحب الحكمة التى خلق لاجلها فيكون حبه وعلمه موافقاً لعلم الله وحبه لامخالفا والله عليم حكيم

فهو يعلم الاشياء على ماهى عليه وهو حكيم فيما يحبه ويريده ويتكلم به وما يأمر به ويفعله فاذا كان يعلم أن الفعل الفلانى والشيء الفلانى متصف بما هو مذموم لاجله مستحق للبغض والكراهة كان من حكمته أن يبغضه ويكرهه واذا كان يعلم ان فى وجوده حصول حكمة محبوبة محمودة كان من حكمته أنه يخلقه ويريده لاجل تلك الحكمة المحبوبة التي هي وسيلة الى حصوله واذا قيل ان هذا الوسط يحب باعتبار ما اتصف به من الصفات المذمومة كان هذا حسنا كما تقول ان الانسان قد يبغض الدواء من وجه ويحبه من وجه وكذلك أمور كثيرة تحب من وجه وتبغض من وجه

وأيضاً يجب الفرق بين أن يكون مضرا بالشخص مكروهاً له بكل اعتبار وبين أن يكون الله خلقه لحكمة فى ذلك واذا كان الله خالق كل شئ لحكمة له فى ذلك فاذا شهد العبد أن له حكمة ورأى هذا مع الجمع الذى يشترك فيه المخلوقات فلا يمنعه ذلك أن يشهد مابينهما من الفرق الذى فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار بل لابد من شهود

الفرق في ذلك الجمع وهذا الشهود مطابق لعلم الله وحكمته والله أعلم

وقد قال الله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين)

فاخبر أن من كان محبوباته أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله فهو من أهل الوعيد وقال في الذين يحبهم ويحبونه (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فلا بد لمحب الله من متابعة الرسول والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) فهذا حب المؤمن لله

وأما المحبة الشركية فليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه ومجاهدة له كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله ولا يتابعون الرسول ولا يجاهدون عدوه

وكذلك أهل البدع المدعون للمحبة فهم من الاعراض من اتباع الرسول بحسب بدعتهم وهذا من حبهم لغير الله وتجدهم من أبعد الناس عن موالاة أولياء الرسول ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم من البدع التي هي شعبة من الشرك والذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة هم في آخر الامر

لا يشهدون للرب محبوبا الا ماوقع وقدر وكل ماوقع من كفر وفسوق وعصيان فهو محبوبه عندهم فلا يبقى فى هذا الشهود فرق بين موسى وفرعون ولا بين محمد وأبى جهل ولا بين أولياء الله وأعدائه ولا بين عبادة الله وحده وعبادة الاوثان بل هذا كله عند الفانى في توحيد الربوبية سواء ولا يفرق بين حادث وحادث الا من جهة مايهواه هو فانما يأله ويحب مايهواه وهو وان كان عنده محبة الله فقد اتخذ من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله وهم من يهواه هذا مادام فيه محبة الله وقد ينسلخ منها حتى يصير الى التعطيل كفرعون وأمثاله الذى هو أسوأ حالا من مشركى العرب

ولهذا هؤلاء يحبون بلا علم ويبغضون بلا علم والعلم ماجاء به الرسول كما قال (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم) وهو الشرع المنزل

ولهذا كان الشيوخ العارفون كثيراً مايوصون المريدين باتباع العلم والشرع كما قد ذكرنا قطعة من كلامهم في غير هذا الموضع لان الارادة والمحبة اذا كانت بغير علم وشرع كانت من جنس محبة الكفار وارادتهم فهؤلاء السالكون المريدون الصوفية والفقراء الزاهدون العابدون الذين سلكوا طريق المحبة والارادة ان لم يتبعوا الشرع المنزل والعلم الموروث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيحبون ماأحبه الله ورسوله ويبغضون ماأبغض الله ورسوله والا أفضى بهم الامر الى شعب من شعب الكفر والنفاق

ولا يتم الايمان والمحبة لله الا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته فيما أمر ومن الايمان بما أخبر الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فمن نفى الصفات فقد كذب خبره

ومن الايمان بما أمر فعل ماأمر وترك ماحظر ومحبة الحسنات وبغض السيئات ولزوم هذا الفرق الى الممات

فمن لم يستحسن الحسن المأمور ولم يستقبح الشيء المنهى عنه لم يكن معه من الايمان شيء كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان

وكما قال فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال مامن نبي بعثه الله في أمته قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم

فأضعف الايمان انكار مايبغضه الله ورسوله بالقلب فمن لم يكن فى قلبه بغض المنكر الذى يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الايمان شيء

ولهذا يوجد المبتدعون الذين يدعون المحبة المجملة المشتركة التي تضاهى محبة المشركين يكرهون من ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم

ويقولون فلان ينكر وفلان ينكر

وقد يبتلون كثيرا بمن ينكر مامعهم من حق وباطل فيصير هذا يشبه النصرانى الذى يصدق بالحق والباطل ويحب الحق والباطل كالمشرك الذى يحب الله ويحب الانداد وهذا كاليهودى الذى يكذب بالحق والباطل ويبغض الحق والباطل فلا يحب الله ولا يحب الانداد بل يستكبر عن عبادة الله كما استكبر فرعون وأمثاله وهذا موجود كثيرا فى أهل البدع من أهل الارادة والبدع من أهل الكلام هؤلاء يقرون بالحق والباطل مضاهاة للنصارى وهؤلاء يكذبون بالحق والباطل مضاهاة لليهود وانما دين الاسلام وطريق أهل القرآن والايمان انكار مايبغضه الله ورسوله ومحبة مايحبه الله ورسوله والتصديق بالحق والتكذيب بالباطل فهم فى تصديقهم وحبهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل ويحبون الحق ويبغضون الباطل يصدقون بالحق الموجود ويكذبون بالباطل المفقود ويحبون الحق الذى يحبه الله ورسوله وهو المعروف الذى أمر الله ورسوله به ويبغضون المنكر الذى نهى الله ورسوله عنه وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لاطريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق فلا يصدقون به ولا يحبونه ولا الضالين الذين يعتقدون ويحبون مالم ينزل الله به سلطانا

والمقصود هنا ان المحبة الشركية البدعية هى التى أوقعت هؤلاء في ان آل أمرهم الى أن لايستحسنوا حسنة ولا يستقبحوا سيئة لظنهم

ان الله لايحب مأموراولا يبغض محظورا فصاروا فى هـذا من جنس من أنكر ان الله يحب شيئا ويبغض شيئا كما هو قول الجهمية نفاة الصفات وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتا لمحبة الله ورضاه في أصل اعتقاده أثبات الصفات لكن اذا جاء الي القدر لم يثبت شيئا غير الارادة الشاملة وهذا وقع فيه طوائف من مثبتة الصفات تكلموا فى القدر بما يوافق رأى جهم والاشعرى فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات كحال صاحب منازل السائرين وغيره

وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه ومثل الشيخ عبد القادر وأمثاله فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للامر والنهي وتوصية باتباع ذلك وتحذيرا من المشى مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك وهذا هو الفرق الثانى الذى تكلم فيه الجنيد مع أصحابه والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لاهو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الامر أو النهى كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية وغابوا عن الفرق الالهي الدينى الشرعى المحمدي الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه ويثبت أنه لا اله الا هو وهذا من أعظم ما تجب رعايته على أهل الارادة والسلوك فانه كثير من المتأخرين من زاغ عن فضل سواء السبيل وانما يعرف هذا من توجه بقلبه وانكشفت له حقائق الامور وصار يشهد الربوبية

العامة والقيومية الشاملة فان لم يكن معه نور الايمان والقرآن الذي يحصل به الفرقان حتى يشهد الالهية التى تميز بين أهل التوحيد والشرك وبين مايحبه الله و بين مايبغضه وبين ماأمر به الرسول وبين مانهي عنه والا خرج عن دين الاسلام بحسب خروجه عن هذافان الربوبية العامة قد أقر بها المشركون الذين قال فيهم(وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وانما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً اذا شهد أن لااله الا الله فعبد الله وحده بحيث لايشرك معه أحداً في تألهه ومحبته له وعبوديته وانابته اليه واسلامه له ودعائه له وتوكله عليه وموالاته فيه ومعاداته فيه ومحبته مايحب وبغضه مايبغض ويننى بحق التوحيد عين باطل الشرك

وهذا فناء يقارنه البقاء فيفنى عن تأله ماسوى الله بتأله الله تحقيقاً لقوله لا اله لا الله فينفى ويفني من قلبه تأله ماسواه ويثبت ويبقى فى قلبه تأله الله وحده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من مات وهو يعلم أن لااله الا الله دخل الجنة

وفى الحديث الآخر من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة

وقال فى الصحيح لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها حقيقة دين الاسلام فمن مت عليها مات مسلماً والله تعالى قد أمرنا ان لانموت الا على الاسلام في غير موضع كقوله تعالى(اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال ابراهيم ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال الصديق توفنى مسلماً

وألحقني بالصالحين

والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت ولم يتمنه وانما سأل أنه اذامات يموت على الاسلام فسأل الصفة لا الموصوف كما أمر الله بذلك وأمر به خليله ابراهيم واسرائيل وهكذا قال غير واحد من العلماء منهم ابن عقيل وغيره والله أعلم بالصواب

﴿ تمت الرسالة السادسة ﴾

﴿ ويليها الرسالة السابعة له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سئل شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

في قوله تعالي حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين فما معنى كل مقام منها وأى مقام أعلى (الجواب)

* الحمد لله رب العالمين * للناس في هذه الاسماء مقالات معروفة منها ان يقال علم اليقين ماعلمه بالسماع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ماشاهده وعاينه بالبصر وحق اليقين ماباشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار * فالاول مثل من أخبر ان هناك عسلا وصدق المخبر أورأى آثار العسل فاستدل على وجوده * والثانى مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين * والثالث مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم ان هذا أعلى مما قبله ولهذا يشير أهل المعرفة الى ماعندهم من الذوق والوجد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لايحبه الا لله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلي الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا

فالناس فيما يجده أهل الايمان ويذوقونه من حلاوة الايمان وطعمه على ثلاث درجات

الاولى من علم ذلك مثل من يخبره به شيخ له يصدقه أو يبلغه

ماأخبر به لعارفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم مايدل على ذلك

والثانيــة من شاهد ذلك وعاينه مثل أن يعاين من أحوال أهل المعرفة والصدق واليقين مايعرف به مواجيدهم وأذواقهــم وان كان هذا في الحقيقة لم يشاهد ماذاقوه ووجدوه ولكن شاهد مادل عليــه لكن هو أبلغ من المخبر والمستدل بآثارهم

والثالثة ان يحصل له من الذوق والوجد في نفسه ماكان سمعه كما قال بعض الشيوخ لقد كنت فى حال أقول فيها ان كان أهل الجنــة في الجنة فى مثل هذا الحال انهــم لفى عيش طيب وقال آخر انه ليمر على القلب أوقات يرقص منها طربا وقال الآخر لأهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم

والناس فيما أخبروا به من أمر الآخرة على ثلاث درجات

إحــداها العلم بذلك لما أخبرتهــم الرسل وما قام من الادلة على وجود ذلك

الثانية اذا عاينوا ماوعدوا به من الثواب والعقاب والجنــة والنار

والثالثة اذا باشروا ذلك فدخل أهل الجنة الجنــة وذاقوا ما كانوا يوعدون ودخل أهل النار النار وذاقوا ما كانوا يوعدون فالناس فيما يوجد فى القلوب وفيما يوجد خارج القلوب على هذه الدرجات الثلاث وكذلك في أمور الدنيا فان من أخبر بالعشق أو النكاح ولم يره ولم يذقه له علم به فان شاهده ولم يذقه كان له معاينة له فان ذاقه بنفسه كان له ذوق وخبرة به ومن لم يذق الشئ لم يعرف حقيقته فان العبارة إنما تفيد لتمثل

والتقريب وأما معرفة الحقيقة فلا تحصل بمجرد العبارة الا لمن يكون قد ذاق ذلك الشيء المعبر عنه وعرفه وخبره ولهذا يسمون أهل المعرفة لانهم عرفوا بالخبرة والذوق مايعلمه غيرهم بالخبر والنظر

وفي الحديث الصحيح أن هرقل ملك الروم سأل أبا سفيان بن حرب فيما سأله عنه من أمور النبي صلى الله عليه وسلم قال فهل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه قال لا قال وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلب لا يسخطه أحد

فالايمان اذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب بل يحبه ويرضاه فان له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة مالا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه

والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من البشاشة والبر ماهو بحسبه واذا خالطت القلب لم يسخطه قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وقال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه) وقال تعالى (واذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن والاستبشار هو الفرح والسرور وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله واللذة أبداً تتبع المحبة فمن أحب شيئا ونال ماأحبه وجد اللذة به

فالذوق هو ادراك المحبوب فاللذة الظاهرة كالاكل مثلا حال الانسان

فيها أنه يشتهي الطعام ويحبه ثم يذوقه ويتناوله فيجد حينئذ لذته وحلاوته وكذلك النكاح وأمثال ذلك

وليس للخالق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه الا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبته تبع لحبه فان الرسول عليه الصلاة والسلام انما يحب لاجل الله و يطاع لاجل الله ويتبع لاجل الله كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وفي الحديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم) الى قوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين

وفي حديث الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فالذين آمنوا أشد حباً لله ومن كل محب لمحبوبه وقد بسطنا الكلام على هذا في مواضع متعددة

والمقصود هنا أن أهل الايمان يجدون بسبب محبتهم لله ولرسوله من حلاوة الايمان ما يناسب هذه المحبة ولهذه علق النبي صلى الله عليه

وسلم مايجدونه بالمحبة فقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه الا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار

ومن ذلك مايجدونه من ثمرة التوحيد والاخلاص والتوكل والدعاء لله وحده فان الناس في هذا الباب علي ثلاث درجات منهم من علم ذلك سماعا واستدلالا ومنهم من شاهد وعاين مايحصل لهم ومنهم من وجد حقيقة الاخلاص والتوكل على الله والالتجاء اليه والاستعانة به وقطع التعلق بما سواه وجرب نفسه انه اذا تعلق بالمخلوقين ورجاهم وطمع منهم أن يجلبوا له منفعة أو يدفعوا عنه مضرة فانه يخذل من جهتهم ولم يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والاموال وغير ذلك مايرجو أن ينفعوه وقت حاجته اليهم فلا ينفعونه اما لعجزهم واما لانصراف قلوبهم عنه واذا توجه الي الله بصدق الافتقار اليه واستغاث به مخلصا له الدين أجاب دعاءه وأزال ضرره وفتح له أبواب الرحمة فمثل هذا قد ذاق حقيقة التوكل والدعاء لله مالم يذق غيره

وكذلك من ذاق طعم اخلاص الدين لله وارادة وجهه دون ماسواه يجد من الاحوال والنتائج والفوائد مالايجده من لم يكن كذلك بل من اتبع هواه فى مثل طلب الرياسة والعلو وتعلقه بالصور الجميلة أوجمعه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والاحزان والآلام وضيق الصدر مالايعبر عنه وربما يطاوعه قلبه على ترك الهوى ولايحصل

له مايسره بل هو في خوف وحزن دائماً إن كان طالبا لما يهواه فهو قبل ادراكه حزين متألم حيث لم يحصل فاذا أدركه كان خائفاً من زواله وفراقه

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الاخلاص لله والعبادة له وحلاوة ذكره ومناجاته وفهم كتابه وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحا ويكون لوجه الله خالصا فانه يجد من السرور واللذة والفرح ماهو أعظم من الداعي المتوكل الذي نال بدعائه وتوكله ماينفعه من الدنيا أو اندفع عنه مايضره فان حلاوة ذلك هي بحسب ماحصل له من المنفعة أو اندفع عنه من المضرة ولا أنفع للقلب من التوحيد واخلاص الدين لله ولا أضر عليه من الاشراك فاذا وجد حقيقة الاخلاص التي هي حقيقة إياك نستعين كان هذا فوق مايجده كل أحد لم يجد مثل هذا والله أعلم

﴿ تمت الرسالة السابعة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثامنة له أيضا ﴾

(كتاب بيان الهدى من الضلال فى أمر الهلال)

(للشيخ الامام العامل العالم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب * وجعله تبيانا لكل شئ وذكرى لاولى الالباب * وأمرنا بالاعتصام به إذ هو حبله الذي هو أثبت الاسباب * وهدانا به الى سبل الهدى ومناهج الصواب * وأخبر فيه أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارباب * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم والحكمة وفصل الخطاب * صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة باقية بدوام الماب

(وبعد) فان الله قد أكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الاسلام دينا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية خاتمة وصاياه العشر التى هي جوامع الشرائع التى تضاهي الكلمات العشر التى أنزلها على موسى في التوراة وان كانت الكلمات التي أنزلت علينا أكمل وأبلغ ولهذا قال الربيع ابن خثيم من سره أن يقرأ كتاب محمد الذى لم يفض خاتمه بعده فليقرأ آخر سورة الانعام (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات وأمرنا أن لا نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر رسوله أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وذكر أنه جعله على شريعة من الامر أمره أن يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فأمره أن لا يتبع أهواءهم عما جاء به من الحق وان كان ذلك شرعا أو طريقا لغيره من الانبياء فانه قد جعل لكل سنة وسبيلا وحذره أن يصرفوه عن بعض ما أنزل الله اليه فاذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره فكيف بما لا يعلم أنها جاءت به شريعة غيره بل هو طريقة من لا كتاب له وأمره وايانا في غير موضع أن نتبع ما أنزل الينا دون ماخالفه فقال (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وبين حال الذين ورثوا الكتاب فخالفوه والذين استمسكوا به فقال (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) الى قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) الآيات وقال (يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعا) وحبل الله كتابه كما فسره النبي

صلى الله عليه وسلم وقال (واتبع مايوحي اليك واصبر حتى يحكم الله) الى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التى أجمع المسلمون على اتباعها وهذا مما لم يختلف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع التنازع فى تفصيله فتارة يكون بين العلماء المعتبرين في مسائل الاجتهاد وتارة يتنازع فى قوم جهال بالدين أومنافقون أوسماعون للمنافقين فقد أخبر الله سبحانه أن فينا قوما سماعين للمنافين يقبلون منهم كما قال (لوخرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) وانما عداه باللام لانه متضمن معنى القبول والطاعة كما قال الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده أي استجاب لمن حمده وكذلك سماعون لهم أي مطيعون لهم فاذا كان في الصحابة قوم مطيعون للمنافقين فكيف بغيرهم وكذلك أخبر عمن يظهر الانقياد لحكم الرسول حيث يقول (لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) الي قوله (سماعون للكذب أكالون للسحت) فان الصواب أن هذه اللام لام التعدية كما فى قوله أكالون للسحت أى قائلون للكذب مريدون له وسامعون مطيعون لقوم آخرين غيرك فليسوا مفردين للطاعة لله ورسوله ومن قال ان اللام لام كي أى يسمعون فيكذبوا لاجل أولئك فلم يصب فان السياق يدل على ان الاول هو المراد. وكثيرا مايضيع الحق بين الجهال الأميين وبين المحرفين للكلم الذين فيهم شعبة نفاق كما أخبر سبحانه عن أهل الكتاب حيث قال (أفتطمعون أن

يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون) الى قوله (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أماني) الآية ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر ان هذه الامة تتبع سنن من قبلها حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وجب أن يكون فيهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به وفيهم أميون لايفقهون معاني الكتاب والسنة بل ربما يظنون ان ماهم عليه من الاماني الذى هو مجرد التلاوة ومعرفة ظاهر من القول هو غاية الدين ثم قد يناظرون المحرفين وغيرهم من المنافقين أو الكفار مع علم أولئك بما لم يعلمه الاميون فاما أن يضل الطائفتان و يصير كلام هؤلاء فتنة على أولئك حيث يعتقدون ان مايقوله الأميون هو غاية علم الدين ويصيروا في طرفى النقيض واما أن يتبع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم وهذا من بعض أسباب تغيير الملل الا أن هذا الدين محفوظ كما قال تعالى(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)ولايزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق فلم ينله مانال غيره من الاديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقا لما ينطق الله به القائمين بحجة الله و بيناته الذين يحيون بكتاب الله الموتى وتنوره أهل العمى فان الارض ان تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته كان مقتضى تقدم هذه المقدمة اني رأيت الناس في شهر صومهم وفي غيره أيضاً منهم من يصغى الى مايقوله بعض جهال أهل الحساب.

من ان الهلال يرى أو لايرى و يبني على ذلك اما فى باطنه واما فى باطنه وظاهره حتى بلغنى ان من القضاة من كان يرد شهادة العدد من العدول لقول الحاسب الجاهل الكاذب انه يرى أو لايرى فيكون ممن كذب بالحق لما جاءه وربما أجاز شهادة غير المرضى لقوله فيكون هذا الحاكم من السماعين للكذب فان الآية تتناول حكام السوء كما يدل عليه السياق حيث يقول سماعون للكذب أكلون للسحت وحكام السوء يقبلون الكذب ممن لايجوز قبول قوله من مخبر أوشاهد ويأكلون السحت من الرشا وغيرها وما أكثر مايقترن هذان وفيهم من لايقبل قوله فى المنجم لافى الباطن ولا في الظاهر لكن فى قلبه حسيكة من ذلك وشبهة قوية لثقته به من جهة ان الشريعة لم تلتفت الي ذلك لاسيما ان كان قد عرف شيئا من حساب النيرين واجتماع القرصين ومفارقة أحدهما الآخر بعدة درجات وسبب الاهلال والابدار والاستتار والكسوف والخسوف فاجرى حكم الحاسب الكاذب الجاهل بالرؤية هذا المجرى ثم هؤلاء الذين يجيزون من الحساب وصورة الافلاك وحركاتها أمرا صحيحا قد يعارضهم بعض الجهال من الأميين المنتسبين الى الايمان أو الي العلم أيضا فيراهم قد خالفوا الدين فى العمل بالحساب في الرؤية أو فى اتباع أحكام النجوم في تأثيراتها المحمودة والمذمومة فيراهم لما تعاطوا هذا وهو من المحرمات في الدين صار كل مايقولونه من هذا الضرب حق ولا يميز بين الحق الذي دل عليه السمع والعقل والباطل المخالف للسمع والعقل مع ان هذا أحسن

حالا فى الدين من القسم الاول لان هذا كذب بشئ من الحق متأولا جاهلا من غير تبديل لبعض أصول الاسلام والضرب الاول قد يدخلون في تبديل الاسلام فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الايلاء أو غير ذلك من الاحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب انه يرى أو لا يرى لايجوز والنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون عليه ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلا ولا خلاف حديث الا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم انه اذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل فى حق نفسه بالحساب فان كان الحساب دل على الرؤية صام والا فلا وهذا القول وان كان مقيدا بالاغمام ومختصا بالحاسب فهو شاذ مسبوق بالاجماع على خلافه فاما اتباع ذلك في الصحو أو تعليق عموم الحكم العام به فما قاله مسلم وقد يقارب هذا قول من يقول من الاسماعيلية بالعدد دون الهلال وبعضهم يروى عن جعفر الصادق جدولا يعمل عليه وهو الذى افتراه عليه عبد الله ابن معاوية وهذه الاقوال خارجة عن دين الاسلام وقد برأ الله منها جعفرا وغيره ولا ريب أن أحدا ما يمكنه مع ظهور دين الاسلام أن يظهر الاستناد الى ذلك الا انه قد يكون له عمدة فى الباطن في قبول الشهادة وردها وقد يكون عنده شبهة فى كون الشريعة تعلم الحكم به وانا ان شاء الله أبين ذلك وأوضح ماجاءت به الشريعة دليلا وتعليلا شرعا وعقلا قال الله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس

والحج) فاخبر انها مواقيت للناس وهذا عام في جميع أمورهم وخص الحج بالذكر تمييزا له ولان الحج تشهده الملائكة وغيرهم ولانه يكون في آخر شهور الحول فيكون علما على الحول كما أن الهلال علم على الشهر ولهذا يسمون الحول حجة فيقولون له سبعون حجة وأقمنا خمس حجج فجعل الله الاهلة مواقيت للناس في الاحكام الثابتة بالشرع إبتداء أو سببا من العباد وللاحكام التى تثبت بشروط العبد فما ثبت من المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له وهذا يدخل فيه الصيام والحج ومدة الايلاء والعدة وصوم الكفارة وهذه الخمسة في القرآن قال الله تعالى (شهر رمضان) وقال تعالى (الحج أشهر معلومات) وقال تعالي (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر) وقال تعالى (فصيام شهرين متتابعين) وكذلك قوله (فسيحوا في الارض أربعة أشهر) وكذلك صوم النذر وغيره وكذلك الشروط من الاعمال المتعلقة بالثمن ودين السلم والزكاة والجزية والعقل والخيار والايمان وأجل الصداق ونجوم الكتابة والصلح عن القصاص وسائر ما يؤجل من دين وعقد وغيرهما وقال تعالي (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال تعالي (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق) فقوله لتعلموا متعلق والله أعلم بقوله وقدره لابجعل لان كون هذا ضياء وهذا نورا لاتأثير له فى معرفة عدد السنين والحساب وانما يؤثر في ذلك انتقالهما من برج الي برج ولان الشمس

لم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة وانما علق ذلك بالهلال كما دلت عليه تلك الآية ولانه قد قال (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) فاخبر ان الشهور معدودة أثنا عشر والشهر هلالي بالاضطرار فعلم ان كل واحد منها معروف بالهلال وقد بلغني ان الشرائع قبلنا أيضا انما علقت الاحكام بالاهلة وانما بدل من اتباعهم كما يفعله اليهود في اجتماع القرصين وفي جعل بعض أعيادها بحساب السنة الشمسية وكما تفعله النصارى في صومها حيث يراعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التي كانت للمسيح وكما يفعله الصابئة والمجوس وغيرهم من المشركين في اصطلاحات لهم فان منهم من يعتبر بالسنة الشمسية فقط ولهم اصطلاحات في عدد شهورها لانها وان كانت طبيعية فشهورها عددي وضعي ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين وما جاءت به الشريعة هو أكمل الامور وأحسنها وابينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب وذلك ان الهلال أمر مشهود مرئي بالابصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالابصار وهذا سموه هلالا لان هذه المادة تدل على الظهور والبيان اما سمعا واما بصرا كما يقال أهل بالعمرة وأهل بالذبيحة لغير الله اذا رفع صوته ويقال تهلل وجهه اذا استنار وأضاء وقيل ان أصله رفع الصوت ثم لما كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته سموه هلالا ومنه قوله

يهل بالفرقد ركبانها * كما يهل الراكب المعتمر

وتهالل الوجه مأخوذ من استنارة الهلال

فالمقصود ان المواقيت حددت بأمر ظاهر بين يشترك فيه الناس ولا يشترك الهلال في ذلك شيء فان اجتماع الشمس والقمر الذى هو تحاذيهما الكائن قبل الاهلال أمر خفي لايعرف الا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير واشتغال عما يعني الناس وما لابدله منه وربما وقع فيه الغلط والاختلاف

وكذلك كون الشمس حاذت البرج الفلاني أو الفلانى هذا أمر لايدرك بالابصار وانما يدرك بالحساب الخفي الخاص المشكل الذى قد يغلط وانما يعلم ذلك بالاحساس تقريبا فانه اذا انصرم الشتاء ودخل الفصل الذى تسميه العرب الصيف وتسميه الناس الربيع كان وقت حصول الشمس في نقطة الاعتدال الذى هو أول الحمل وكذلك مثله في الخريف فالذي يدرك بالاحساس الشتاء والصيف وما بينهما من الاعتدالين تقريبا فأما حصولها في برج بعد برج فلا يحسب الابحساب فيه كلفة وشغل عن غيره مع قلة جدواه

فظهر أنه ليس للمواقيت حد ظاهر عام المعرفة الا الهلال

وقد انقسمت عادات الامم في شهرهم وسنتهم القسمة العقلية وذلك أن كل واحد من الشهر والسنة اما أن يكونا عدديين أو طبيعيين أو الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكس فالذين يعدونهما مثل من يجعل الشهر ثلاثين يوما والسنة اثنى عشر شهرا والذين يجعلونهما طبيعيين مثل من يجعل الشهر قمريا والسنة شمسية ويلحق فى آخر الشهور

الايام المتفاوتة بين السنتين فان السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وبعض يوم خمس وسدس وانما يقال فيها ثلاثمائة وستون يوماً جبرا للكسر في العادة عادة العرب في تكميل ماينقص من التاريخ في اليوم والشهر والحول وأما الشمسية فثلاثمائة وخمسة وستون يوما وبعض يوم ربع يوم ولهذا كان التفاوت بينهما احد عشر يوما الا قليلا تكون سنة في كل ثلاثة وثلاثين سنة وثلث سنة ولهذا قال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) قيل معناه ثلاثمائة سنة شمسية وازدادوا تسعا بحساب السنة القمرية ومراعاة هذين عادة كثير من الامم من أهل الكتابين بسبب تحريفهم وأظنه كان عادة المجوس أيضاً وأما من يجعل السنة طبيعية والشهر عدديا فهذا حساب الروم والسريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين ممن يعد شهر كانون ونحوه عدداً ويعتبر السنة بسير الشمس فاما القسم الرابع فبأن يكون الشهر طبيعياً والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم ثم الذين يجعلون السنة طبيعية لايعتمدون على أمر ظاهر كما تقدم بل لابد من الحساب والعدد وكذلك الذين يجعلون الشهر طبيعياً ويعتمدون على الاجتماع لابد من العدد والحساب ثم مايحسبونه أمر خفي ينفرد به القليل من الناس مع كلفة ومشقة وتعرض للخطأ

فالذى جاءت به شريعتنا أكمل كل الامور لأنه وقت الشهر بأمر طبيعي ظاهر عام يدرك بالابصار فلايضل أحد عن دينه ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه ولايدخل بسببه فيمالايعنيه ولا يكون لاحد طريق

الى التلبيس في دين الله كما يفعل بعض علماء أهل الملل بملهم

وأما الحول فلم يكن له حد ظاهر فى السماء فكان لابد فيه من الحساب والعدد فكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأعم من ان يحسب سير الشمس وتكون السنة مطابقة للشهر ولأن السنين اذا اجتمعت فلا بد من عددها فى عادة جميع الامم إذ ليس للسنين اذا تعددت حد سماوي يعرف به عددها فكان عدد الشهور موافقاً لعدد الشهور ثم جعلت السنة إثى عشر شهراً بعدد البروج التى تكمل بدور الشمس فيها شمسية فاذا دار القمر فيها كمل دورته السنوية وبهذا كله يتبين معنى قوله (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فان عدد شهور السنة وعدد السنة بعد السنة انما أصله تقدير القمر منازل وكذلك معرفة الحساب فان حساب بعض الشهر لما يقع فيه من الآجال ونحوها انما يكون بالهلال وكذلك قوله تعالى (قل هى مواقيت للناس والحج)

ظهر بما ذكرنا أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة وانه ليس شئ يقوم مقام الهلال البتة لظهوره وظهور العدد المبنى عليه وتيسر ذلك وعمومه وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد

ومن عرف مادخل على أهل الكتابين والصابئين والمجوس وغيرهم فى أعيادهم وعباداتهم وتواريخهم وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب والحرج وغير ذلك من المفاسد ازداد شكره على نعمة الاسلام مع اتفاقهم أن الانبياء لم يشرعوا شيئا من ذلك وانما دخل عليهم ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة الذين دخلوا في ملتهم وشرعوا لهم من الدين مالم

يأذن به الله فلهذا ذكرنا ماذكرنا حفظاً لهذا الدين عن ادخال المفسدين فان هذا مما يخاف تغييره فانه قدكانت العرب في جاهليتها قد غيرت ملة ابراهيم بالنسيء الذى ابتدعته فزادت به فى السنة شهراً جعلتها كبيساً لاغراض لهم وغيروا به ميقات الحج والاشهر الحرم حتى كانوا يحجون تارة فى المحرم وتارة في صفر حتى يعود الحج الى ذى الحجة حتى بعث الله المقيم لملة ابراهيم فوافي حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد استدار الزمان كما كان ووقعت حجته في ذى الحجة فقال في خطبته المشهورة في الصحيحين وغيرهما ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان وكان قبل ذلك الحج لايقع في ذى الحجة حتى حجة أبي بكر سنة تسع كانت في ذى القعدة وهذا من أسباب تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الحج وأنزل الله تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم) فأخبر الله أن هذا هو الدين القيم ليبين أن ماسواه من أمر النسيء وغيره من عادات الامم ليس قيما لما يدخله من الانحراف والاضطراب ونظير الشهر والسنة اليوم والاسبوع فان اليوم طبعى من طلوع الشمس وغروبها وأما الاسبوع فهو عددى من أجل الايام الستة التى خلق الله فيها السموات والارض ثم استوى على العرش فوقع التعديل بين الشمس والقمر باليوم والاسبوع بسبب الشمس والشهر والسنة بسبب القمر وبهما يتم

الحساب وبهذا قد توجه قوله لتعلموا الى جعل فيكون جعل الشمس والقمر لهذا كله فاما قوله تعالى (وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا) فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحسبان الرحا وهو دوران الفلك فان هذا مما لا خلاف فيه نقد دل الكتاب والسنة واجمع علماء الامة على مثل ما عليه أهل المعرفة من أهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة

(فصل) لما ظهر بما ذكرناه عود المواقيت الى الأهلة وجب أن تكون المواقيت كلها معلقة بها فلا خلاف بين المسلمين انه اذا كان مبدأ الحكم في الهلال حسبت الشهور كلها هلالية مثل أن يصوم للكفارة فى هلال المحرم أو يتوفى زوج المرأة في هلال المحرم أو يولى من امرأته فى هلال المحرم أو يبيعه فى الهلال الى شهرين أو ثلاثة فان جميع الشهور تحسب بالاهلة وان كان بعضها أو جميعها ناقصا فاما ان وقع مبدأ الحكم فى أثناء الشهر فقد قيل الشهور كلها بالعدد بحيث لو باعه الى سنة فى أثناء المحرم عدد ثلاثمائة وستين يوما وان كان الى ستة أشهر عدد مائة وثمانين يوما فاذا كان المبدأ منتصف المحرم كان المنتهى العشرين من المحرم وقيل بل يكمل الشهر بالعدد والباقى بالاهلة وهذان القولان روايتان عن أحمد وغيره وبعض الفقهاء يفرق في بعض الاحكام ثم لهذا القول تفسيران أحدهما أنه يجعل الشهر الاول ثلاثين يوما وباقى الشهور هلالية فاذا كان الايلاء فى منتصف المحرم حسب باقيه فان كان الشهر ناقصاً أخذ منه أربعة عشر يوما وكمله بستة عشر يوما من جمادى الاولى وهذا يقوله

طائفة من أصحابنا وغيرهم والتفسير الثانى وهو الصواب الذى عليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً أن الشهر الاول ان كان كاملا كمل ثلاثين يوما وان كان ناقصاً جعـل تسعة وعشرين يوما فتى كان الايلاء في منتصف المحرم كملت الاشهر الاربعـة فى منتصف جمادى الاولى وهكذا سائر الحساب وعلى هذا القول فالجميع بالهلال ولا حاجة الى أن يقول بالعدد بل ينظر اليوم الذى هو المبدأ من الشهر الاول فيكون النهاية مثله من الشهر الآخر فان كان فى أول ليـلة من الشهر الاول كانت النهاية فى مثل تلك الساعة بعد كمال الشهور وهو أول ليلة بعد انسلاخ الشهور وان كان في اليوم العاشر من المحرم أو غيره على قدر الشهور المحسوبة وهذا هو الحق الذي لامحيد عنه ودل عليه قوله قل هى مواقيت للناس فجعلها مواقيت لجميع الناس مع علمه سبحانه ان الذى يقع فى أثناء الشهور أضعاف أضعاف مايقع فى أوائلها فلو لم يكن ميقاتا الا لما يقع فى أولها لما كانت ميقاتا الا لاقل من ثلث عشر أمور الناس ولأن الشهر اذا كان مابين الهلالين فما بين الهلالين مثل مابين هذا وبين هذا سواء والتسوية معلومة بالاضطرار والفرق تحكم محض وأيضاً فمن الذي جعل الشهر العددى ثلاثين والنبى صلى الله عليه وسلم قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا وخنس ابهامه في الثالثة ونحن نعلم أن نصف شهور السنة يكون ثلاثين ونصفها تسعة وعشرين وأيضاً فعامة المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم اذا أجل الحق الى سنة فان كان مبدؤه هلال المحرم كان منتهاه هلال المحرم سلخ ذى الحجة عنـدهم وان كان مبدؤه عاشر المحرم أيضاً لايعرف

المسلمون غير ذلك ولا يبنون الا عليه ومن أخذ ليزيد يوما لنقصان الشهر الاول كان قد غير عليهم ما فطروا عليه من المعروف وأتاهم بمنكر لا يعرفونه فعلم أن هذا غلط ممن توهمه من الفقهاء ونبهنا عليه ليحذر الوقوع فيه وليعلم به حقيقة قوله (قل هي مواقيت للناس) وان هذا العموم محفوظ عظيم القدر لا يستثنى عنه شئ وكذلك قوله (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)

وكذلك قوله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل

وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عدد السنين

والحساب) يبين بذلك ان جميع عدد السنين

والحساب تابع لتقديره منازل

والله أعلم وأحكم

﴿ تمت الرسالة الثامنة ﴾

﴿ ويليها الرسالة التاسعة له أيضا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن الصلاة بعد الاذان الاول يوم الجمعة هل فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة أو التابعين أو الائمة أم لا وهل هو منصوص في مذهب من مذاهب الائمة المتفق عليهم وقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة هل هو مخصوص بيوم الجمعة أم هو عام فى جميع الاوقات

أجاب رضى الله عنه* أما النبي صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن يصلى قبل الجمعة بعد الاذان شيئا ولانقل هذا عنه أحد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايؤذن على عهده الا اذا قعد على المنبر ويؤذن بلال ثم يخطب النبي صلى الله عليه وسلم الخطبتين ثم يقم بلال فيصلى بالناس فما كان يمكن أن يصلى بعد الاذان لاهو ولا أحد من المسلمين الذين يصلون معه صلى الله عليه وسلم ولانقل عنه أحد انه صلى في بيته قبل الخروج يوم الجمعة ولاوقت بقوله صلاة مقدرة قبل الجمعة بل ألفاظه صلى الله عليه وسلم فيها الترغيب فى الصلاة اذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيت كقوله من بكر وابتكر ومشى ولم يركب وصلى ما كتب له وهذا هو المأثور عن الصحابة كانوا اذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ماتيسر فمنهم من يصلى عشر ركعات ومنهم من يصلى ثنتى عشرة ركعة ومنهم من يصلى ثمانى ركعات ومنهم من يصلى أقل من ذلك ولهذا كان جماهير الائمة متفقين على انه ليس قبل الجمعة سنة موقتة بوقت مقدرة بعدد لأن ذلك انما يثبت بقول النبي صلى الله

عليه وسلم أو فعله وهو لم يبين في ذلك شيئا لا بقوله ولا فعله وهذا مذهب مالك ومذهب الشافعي وأكثر أصحابه وهو المشهور من مذهب أحمد وذهب طائفة من العلماء الى أن قبلها سنة فمنهم من جعلها ركعتين كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ومنهم من جعلها أربعاً كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد وقد نقل عن الامام أحمد ما استدل به على ذلك وهؤلاء منهم من يحتج بحديث ضعيف ومنهم من يقول هي ظهر مقصورة وتكون سنة الظهر سنتها وهذا خطأ من وجهين * أحدهما أن الجمعة مخصوصة بأحكام تفارق بها ظهر كل يوم باتفاق المسلمين وان سميت ظهرا مقصورة فان الجمعة يشترط لها الوقت فلا تقضى والظهر تقضى والجمعة يشترط لها العدد والاستيطان والامام وغير ذلك والظهر لا يشترط لها شئ من ذلك فلا يجوز أن تتلقى أحكام الجمعة من أحكام الظهر مع اختصاص الجمعة بأحكام تفارق بها الظهر فانه اذا كانت الظهر تشارك الجمعة في حكم وتفارقها في حكم لم يمكن الحاق مورد النزاع بأحدهما الا بدليل فليس جعل السنة من موارد الاشتراك بأولى من جعلها من موارد الافتراق * الوجه الثاني أن يقال هب أنها ظهر مقصورة فالنبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في سفره سنة للظهر المقصورة لا قبلها ولا بعدها وانما كان يصليها اذا أتم الظهر فصلى أربعا فاذا كانت سنته التي قبلها في الظهر المقصورة خلاف التامة كان ما ذكروه حجة عليهم لا لهم وكان السبب المقتضي لحذف بعض الفريضة أولى بحذف السنة الراتبة كما قال بعض الصحابة لو كنت متطوعا لأتممت

الفريضة فانه لو استحب للمسافر أن يصلى أربعا لكان صلاته للظهر أربعا أولى من أن يصلى ركعتين فرضا وركعتين سنة وهذا لانه قد ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة انه كان لا يصلى فى السفر الا ركعتين الظهر والعصر والعشاء وكذلك لما حج بالناس عام حجة الوداع لم يصل بهم فى منى وغيرها الا ركعتين وكذلك أبو بكر بعده لم يصل الا ركعتين وكذلك عمر بعده لم يصل الا ركعتين ومن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الظهر أو العصر أو العشاء أربعا فقد أخطأ والحديث المروى فى ذلك عن عائشة حديث ضعيف فى الاصل مع ما وقع فيه من التحريف فان لفظ الحديث أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال أصبت ياعائشة فهذا مع ضعفه وقيام الادلة على انه باطل روى ان عائشة روت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفطر ويصوم ويقصر ويتم فظن بعض الائمة أن الحديث فيه أنها روت الامرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبسوط فى موضعه

والمقصود هنا أن السنة للمسافر أن يصلى ركعتين والائمة متفقون على ان هذا هو الافضل الاقولا مرجوحا للشافعي وأكثر الائمة يكرهون التربيع للمسافر كما هو مذهب أبى حنيفة ومالك وأحمد فى أصح الروايتين عنه

ثم من هؤلاء من يقول لا يجوز التربيع كقول أبى حنيفة ومنهم من يقول بجوازه مع الكراهة كقول مالك وأحمد فيقال لو كان الله

يجب للمصلي في السفر أن يصلي ركعتين ثم ركعتين لكان يستحب له أن يصلي الفرض أربعا فان التقرب اليه ببعض الظهر أفضل من التقرب اليه بالتطوع مع الظهر ولهذا وجب فلو أراد المقيم أن يصلي ركعتين فرضاً وركعتين تطوعاً لم يجز له ذلك والله تعالى لا يوجب عليه وينهاه عن شئ الا والذي أمره به خير من الذي نهاه عنه فعلم أن صلاة الظهر أربعا خير عند الله من أن يصليها ركعتين وركعتين تطوعا فلما كان سبحانه لم يستحب للمسافر التربيع بخير الأمرين عنده فلأن لا يستحب التربيع بالأمر المرجوح عنده أولى

فثبت بهذا الاعتبار الصحيح أن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أكمل الامور وان هديه خير الهدى وان المسافر اذا اقتصر على ركعتي الفرض كان أفضل له من أن يقرن بهما ركعتي السنة

وبهذا يظهر أن الجمعة اذا كانت ظهرا مقصورة لم يكن من السنة أن يقرن بها سنة ظهر المقيم بل يجعل كظهر المسافر المقصورة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فى السفر ركعتي الفجر والوتر ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت به ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة هذا لأن الفجر لم تقصر في السفر فبقيت سنتها على حالها بخلاف المقصورات في السفر والوتر مستقل بنفسه كسائر قيام الليل وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة وسنة الفجر تدخل في صلاة الليل من بعض الوجوه فلهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليه في السفر لاستقلاله وقيام المقتضى له

والصواب أن لايقال ان قبل الجمعة سنة راتبة مقدرة ولو كان الاذان على عهده فانه قدثبت عنه في الصحيح انه قال بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء كراهة أن يتخذها الناس سنة فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الصلاة مشروعة قبل العصر وقبل العشاء الآخرة وقبل المغرب وان ذلك ليس بسنة راتبة وكذلك قدثبت ان أصحابه كانوا يصلون بين أذاني المغرب وهو يراهم فلا ينهاهم ولا يأمرهم ولا يفعل هو ذلك فدل على ان ذلك فعل جائز وقد احتج بعض الناس على الصلاة قبل الجمعة بقوله بين كل أذانين صلاة وعارضه غيره فقال الاذان الذى على المنائر لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عثمان أمر به لما كثر الناس على عهده ولم يكن يبلغهم الاذان حين خروج الامام وقعوده على المنبر ويتوجه عليه أن يقال هذا الاذان الثالث لماسنه عثمان واتفق عليه المسلمون صار أذانا شرعيا وحينئذ فتكون الصلاة بينه وبين الأذان الثانى جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب وحينئذ فمن فعل ذلك لم ينكر عليه ومن ترك ذلك لم ينكر عليه وهذا أعدل الاقوال وكلام الامام أحمد يدل عليه وحينئذ فقد يكون تركها أفضل اذا كان الجهال يعتقدون أن هذه سنة راتبة ولا واجبة لاسيا اذا داوم الناس عليها فينبغى تركها أحيانا حتى لاتشبه الفرض كما استحب أكثر العلماء أن لايداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع أنه قد ثبت فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها فاذا كان يكره المداومة

على ذلك فترك المداومة على مالم يسنه النبي صلى الله عليه وسلم أولى وان صلاها الرجل بين الاذانين أحيانا لانها تطوع مطلق أو صلاة بين أذانين كما يصلى قبل العصر والعشاء لا لأنها سنة راتبة فهذا جائز واما اذا كان رجل مع قوم يصلونها فان كان مطاعا اذا تركها وبين لهم السنة لم ينكروا عليه بل عرفوا السنة فتركها حسن وان لم يكن مطاعا ورأى ان في صلاتها تأليفا لقلوبهم الى ماهو أنفع أو دفعا للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبولهم له ونحو ذلك فهذا أيضاً حسن فالعمل الواحد يكون مستحبا فعله تارة وتركه تارة باعتبار مايترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الادلة الشرعية والمسلم قد يترك المستحب اذا كان فى فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد ابراهيم وقال لعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولالصقتها بالارض ولجعلت لها بابين بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه والحديث فى الصحيحين فترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الامر الذى كان عنده أفضل الامرين للمعارض الراجح وهو حدثان عهد قريش بالاسلام لما فى ذلك من التنفير لهم فكانت المفسدة راجحة على المصلحة ولذلك استحب الائمة أحمد وغيره أن يدع الامام ماهو عنده أفضل اذا كان فيه تأليف المأمومين مثل أن يكون عنده فصل القنوت أفضل بان يسلم فى الشفع ثم يصلي ركعة الوتر وهو يؤم قوما لايرون الا وصل الوتر فاذا لم يمكنه أن ينقلهم الى الافضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقته لهم بوصل

الوتر أرجح من مصلحة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه وكذلك لوكان ممن يرى المخافتة بالبسملة أفضل أو الجهر بها وكان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التى هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان هذا جائزا حسنا وكذلك لو فعل خلاف الافضل لاجل بيان السنة وتعليمها لمن لم يعلمها كان حسنا مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعوذ أو البسملة ليعرف الناس أن فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة كما ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح فكان يكبر ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك قال الاسود بن يزيد صليت خلف عمر أكثر من سبعين صلاة فكان يكبر ثم يقول ذلك رواه مسلم فى صحيحه ولهذا شاع هذا الاستفتاح حتى عمل به أكثر الناس وكذلك كان ابن عمروابن عباس رضى الله عنهم يجهروا بالاستعاذة وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة وهذا عند الائمة الجمهور الذين لايرون الجهر بها سنة راتبة كان لتعليم الناس ان قراءتها في الصلاة سنة كما ثبت فى الصحيح ان ابن عباس صلى على جنازة فقرأ بام القرآن جهرا وذكر أنه فعل ذلك ليعلم الناس أنها سنة وذلك أن الناس فى صلاة الجنازة على قولين منهم من لايرى فيها قراءة بحال كما قاله كثير من السلف وهو مذهب أبى حنيفة ومالك ومنهم من يرى القراءة فيها سنة كقول الشافعى وأحمد لحديث ابن عباس هذا وغيره ثم من هؤلاء من يقول القراءة فيها واجبة كالصلاة ومنهم من يقول بل هى سنة

مستحبة ليست واجبة وهـذا أعدل الاقوال الثلاثة فان السلف فعلوا هذا وهذا وكان كلا الفعلين مشهورا بينهم كانوا يصلون على الجنازة بقراءة وبغير قراءة كما كانوا يصلون تارة بالجهر بالبسملة وتارة بغير جهر وتارة باستفتاح وتارة بغير استفتاح وتارة برفع اليدين في المواطن الثلاثة وتارة بغير رفع وتارة يسلمون تسليمتين وتارة تسليمة واحدة وتارة يقرؤن خلف الامام بالسر وتارة لايقرؤن وتارة يكبرون على الجنازة سبعا وتارة خمسا وتارة أربعا كان فيهم من يفعل هذاوفيهم من يفعل هذا كل هذا ثابت عن الصحابة كما ثبت عنهم أن فيهم من كان يرجع في الاذان وفيهم من لم يرجع فيه وفيهم من يوتر الاقامة وفيهم من كان يشفعها وكلاهما ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم

فهذه الامور وان كان أحدها أرجح من الآخر فمن فعل المرجوح فقد فعل جائزا وقد يكون فعل المرجوح أرجح للمصلحة الراجحة كما يكون ترك الراجح أرجح أحيانا لمصلحة راجحة

وهذا واقع فى عامة الاعمال فان العمل الذى هو فى جنسه أفضل قد يكون فى مواطن غيره أفضل منه كما ان جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر وجنس الذكر أفضل من جنس الدعاء ثم الصلاة بعد الفجر والعصر منهي عنها والقراءة والدعاء والذكر أفضل منها في تلك الاوقات وكذلك القراءة فيالركوع والسجود منهي عنها والذكر هناك أفضل منها والدعاء فى آخر الصلاة بعد التشهد أفضل من الذكر

وقد يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال الشخص المعين لكونه عاجزا عن الافضل أو لكون محبته ورغبته واهتمامه وانتفاعه بالمفضول أكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترن به من مزيد علمه وحبه وارادته وانتفاعه كما ان المريض ينتفع بالدواء الذى يشتهيه مالا ينتفع بما لا يشتهيه وان كان جنس ذلك أفضل ومن هذا الباب صار الذكر لبعض الناس فى بعض الاوقات خيرا من القراءة والقراءة لبعضهم في بعض الأوقات خيرا من الصلاة وأمثال ذلك لكمال انتفاعه به لالأنه في جنسه أفضل

وهذا الباب باب تفضيل بعض الاعمال على بعض ان لم يعرف فيه التفضيل وان ذلك يتنوع بتنوع الاحوال فى كثير من الاعمال والا وقع فيه اضطراب كثير فان من الناس من اذا اعتقد استحباب فعل ورجحانه يحافظ عليه مالا يحافظ على الواجبات حتى يخرج به الامر الى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يختار بعض هذه الامور فيراها شعار لمذهبه ومنهم من اذا رأى ترك ذلك هو الافضل يحافظ أيضا على هذا الترك أعظم من محافظته على ترك المحرمات حتى يخرج به الأمر الى اتباع الهوى والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يري الترك شعار المذهب وأمثال ذلك وهذا كله خطأ

والواجب أن يعطى كل ذى حق حقه ويوسع ماوسع الله ورسوله ويؤلف ماألف الله بينه ورسوله ويراعى فى ذلك مايحبه الله ورسوله من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ويعلم أن خير الكلام كلام الله

وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وان الله بعثه رحمة للعالمين بعثه بسعادة الدنيا والآخرة في كل أمر من الامور وان يكون مع الانسان مايحفظ به هذا الاجمال والا فكثير من الناس يعتقد هذا مجملا ويدعه عند التفصيل اما جهلا واما ظلما واما ظنا واما اتباعا للهوى فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

(فصل) وأما السنة بعد الجمعة فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين كما ثبت عنه فى الصحيحين أنه كان يصلي قبل الفجر ركعتين وبعد الظهر ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وأما الظهر ففى حديث ابن عمر أنه كان يصلي قبلها ركعتين وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يصلي قبلها أربعا وفي الصحيح عن أم حبيبة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من صلى فى يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة بني الله له بيتا في الجنة وجاء مفسرا في السنن أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر فهذه هي السنن الراتبة التي ثبتت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله مدارها على هذه الاحاديث الثلاثة حديث ابن عمر وحديث عائشة وأم حبيبة

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يقوم الليل اما احدى عشرة وأما

ثلاث عشرة ركعة فكان مجموع صلاته بالليل والنهار فرضه ونفله نحوا من أربعين ركعة

والناس في هذه السنن الرواتب على ثلاثة أقوال منهم من لا يؤقت في ذلك شيئا كقول مالك فانه لا يرى سنة الا الوتر وركعتي الفجر وكان يقول انما توقت أهل العراق ومنهم من يقدر في ذلك أشياء باحاديث ضعيفة بل باطلة كما يوجد في مذاهب أهل العراق وبعض من وافقهم من أصحاب الشافعي وأحمد فان هؤلاء يوجد في كتبهم من الصلوات المقدرة والاحاديث في ذلك مايعلم أهل المعرفة بالسنة انه مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم كمن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى قبل العصر أربعا أو انه قضى سنة العصر أو انه صلى قبل الظهر ستا أو بعدها أربعا أو انه كان يحافظ على الضحى وأمثال ذلك من الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأشد من ذلك مايذكره طائفة من المصنفين في الرقائق والفضائل في الصلوات الاسبوعية والحولية كصلاة يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة المذكورة في كتاب أبي طالب وأبي حامد وعبد القادر وغيرهم وكصلاة الالفية التي في أول رجب ونصف شعبان والصلاة الاثنى عشرية التي في أول ليلة جمعة من رجب والصلاة التي في أول ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الاشهر الثلاثة وصلاة ليلتي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من الصلوات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاق أهل المعرفة

بحديثه على ان ذلك كذب عليه لكن بلغ ذلك أقواما من أهل العلم والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم واجتهادهم لا على مخالفة السنة

وأما من تبينت له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال بل كافر

والقول الوسط العدل هو ما وافق سنته الصحيحة الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عنه انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وفي صحيح مسلم عنه انه قال من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعاً

وقد روى الست عن طائفة من الصحابة جمعاً بين هذا وهذا

والسنة أن يفصل بين الفرض والنفل في الجمعة وغيرها كما ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن توصل صلاة حتى يفصل بينهما بقيام أو كلام فلا تفعل ما يفعله كثير من الناس يصل السلام بركعتي السنة فان في هذا ارتكابا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا من الحكمة التمييز بين الفرض وغير الفرض كما يميز بين العبادة وغير العبادة ولهذا استحب تعجيل الفطور وتأخير السحور والاكل يوم الفطر قبل الصلاة ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو يومين فهذا كله للفصل بين المأمور به من الصيام وغير المأمور به والفصل بين العبادة وغيرها وهكذا تمييز الجمعة التي أوجبها الله من غيرها وأيضاً كثيراً من أهل البدع كالرافضة وغيرهم لا ينوون الجمعة بل ينوون الظهر و يظهرون أنهم سلموا وما سلموا فيصلون ظهرا

ويظن الظان أنهم يصلون السنة فاذا حصل
تمييز بين الفرض والنفل كان في هذا
منعا لهذه البدعة وهذا له
نظائر كثيرة والله
سبحانه أعلم

﴿ تمت الرسالة التاسعة ﴾

﴿ ويليها الرسالة العاشرة له أيضا ﴾

تفسير المعوذتين لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال شيخ الاسلام ناصر السنة قامع البدعة تقي الدين أحمد بن تيمية نفعنا المولى بعلومه وهو مما كتبه في القلعة

(فصل) في قل أعوذ برب الفلق قال تعالى فالق الحب والنوى وقال تعالى فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والفلق فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض فكل ما فلقه الرب فهو فلق قال الحسن الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى قال الزجاج واذا تأملت الخلق بان لك ان أكثره عن انفلاق كالارض بالنبات والسحاب بالمطر * وقد قال كثير من المفسرين الفلق الصبح فانه يقال هذا أبين من فلق الصبح وفرق الصبح * وقال بعضهم الفلق الخلق كله وأما من قال انه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو انه اسم من أسماء جهنم فهذا أمر لا نعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف ما اذا قال رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذي يظهره على العباد بالنهار فان في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب المستعاذ به واذا قيل الفلق يعم ويخص فبعمومه للخلق أستعيذ من شر ما خلق وبخصوصه للنور النهاري أستعيذ من شر غاسق اذا وقب

فان الغاسق قد فسر بالليل كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الي غسق الليل وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة * قالوا ومعنى

وقب دخل في كل شئ قال الزجاج الغاسق البارد وقيل الليل غاسق لانه أبرد من النهار وقد روى الترمذى والنسائي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال ياعائشة تعوذى بالله من شره فانه الغاسق اذا وقب و روى من حديث أبي هريرة مرفوعا أن الغاسق النجم وقال ابن زيد هو الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته لمن فسره بالليل فجعلوه قولا آخر ثم فسروا وقوبه بسكونه قال ابن قتيبة ويقال الغاسق القمر اذا كسف واسود ومعنى وقب دخل في الكسوف وهذا ضعيف فان ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعارض بقول غيره وهو لايقول الا الحق وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة منه عند كسوفه بل مع ظهوره وقد قال الله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالقمر آية الليل وكذلك النجوم انما تطلع فترى بالليل فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل مستلزم للمدلول فاذا كان شر القمر موجوداً فشر الليل موجود وللقمر من التأثير ماليس لغيره فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى ويكون هذا كقوله عن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجدى هذا مع ان الآية تتناول مسجد قباء قطعاً وكذلك قوله عن أهل الكساء هؤلاء أهل بيتي مع ان القرآن يتناول نساءه فالتخصيص لكون المخصوص أولى بالوصف فالقمر حق مايكون بالليل بالاستعاذة والليل مظلم منتشر فيه شياطين الانس

والجن مالا تنتشر بالنهار ويجرى فيه من أنواع الشر مالا يجرى بالنهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والخيانة والفواحش وغير ذلك فالشر دائماً مقرون بالظلمة ولهذا انما جعله الله لسكون الآدميين وراحتهم لكن شياطين الانس والجن تفعل فيه من الشر مالا يمكنها فعله بالنهار ويتوسلون بالقمر وبدعوته والقمر وعبادته وأبو معشر البلخى له مصحف القمر يذكر فيه من الكفريات والسحريات ماينا سب الاستعاذة منه

فذكر سبحانه الاستعاذة من شر الخلق عموما ثم خص الامر بالاستعاذة من شر الغاسق اذا وقب وهو الزمان الذى يعم شره ثم خص بالذكر السحر والحسد * فالسحر يكون من الانفس الخبيثة لكن بالاستعانة بالاشياء كالنفث فى العقد * والحسد يكون من الانفس الخبيثة أيضاً اما بالعين واما بالظلم باللسان واليد وخص من السحر النفاثات في العقد ومن النساء والحاسد الرجال في العادة ويكون من الرجال ومن النساء للنساء والشر الذى يكون من الانفس الخبيثة من الرجال والنساء وهو شر منفصل عن الانسان ليس هو في قلبه كالوسواس الخناس (١) وفي سورة الناس ذكر الوسواس الخناس فانه مبدأ الافعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان ففيها الاستعاذة من شر مايدخل الانسان من الافعال التى تضره من الكفر والفسوق والعصيان وقد تضمن ذلك الاستعاذة من شر نفسه وسورة الفلق فيها الاستعاذة من شر المخلوقات

(١) من قوله ومن النساء الى قوله الخناس تشويش فى العبارة وقد أثبتناه كاصله فليحرر

عموما وخصوصاً ولهذا قيل فيها برب الفلق وقيل في هذه برب الناس فان فالق الاصباح بالنور يزيل بما فى نوره من الخير مافى لظلمة من الشر وفالق الحب والنوى بعد انعقادهما يزيل مافي عقد النفاثات فان فلق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفاثات وكذلك الحسد هو من ضيق الانسان وشحه لاينشرح صدره لانعام الله عليه فرب الفلق يزيل مايحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لايفلق شيئا الا بخير فهو فالق الاصباح بالنور الهادى والسراج الوهاج الذى به صلاح العباد وفالق الحب والنوى بأنواع الفواكه والاقوات التى هي رزق الناس ودوابهم والانسان محتاج الى جلب المنفعة من الهدى والرزق وهذا حاصل بالفلق والرب الذى فلق للناس مايحصل به منافعهم يستعاذ به مما يضر الناس فيطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأ بانعامه عليه وفلق الشئ عن الشئ هو دليل على تمام القدرة واخراج الشئ من ضده كما يخرج الحى من الميت والميت من الحى وهذا من نوع الفلق فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذى بالضد النافع

(فصل) فى قل أعوذ برب الناس الى آخرها قوله من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس فيها أقوال ولم يذكر ابن الجوزي الاقولين ولم يذكر الثالث وهو الصحيح وهو أن قوله من الجنة والناس لبيان الوسواس أى الذى يوسوس من الجنة ومن الناس فى صدور الناس فان الله تعالى قد أخبر انه جعل لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وايحاؤهم هو وسوستهم وليس من شرط الموسوس أن يكون

مستتراً عن البصر بل قد يشاهد قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) وهذا كلام من اعرف قائله ليس شيئا يأتى فى القلب لايدرى ممن هو وابليس قد أمر بالسجود لآدم فابى واستكبر فلم يكن ممن لا يعرفه آدم وهو ونسله يرون بنى آدم من حيث لايرونهم وأما آدم فقدرآه

وقد يرى الشياطين والجن كثير من الانس لكن لهم من الاجتنان والاستتار ماليس للانس وقد قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وقال (لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم) وفى التفسير والسيرة ان الشيطان جاءهم في صورة بعض الناس وكذلك قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك اني أخاف الله رب العالمين)

وفي حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذ بالله من شياطين الانس والجن قلت أو للانس شياطين قال نعم شر من شياطين الجن

وأيضا فالنفس لها وسوسة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) فهذا توسوس به نفسه لنفسه كما يقال حديث النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها مالم

تتكلم به أو تعمل به أخرجاه في الصحيحين

فالذي يوسوس في صدور الناس نفسه وشياطين الجن وشياطين الانس

والوسواس الخناس يتناول وسوسة الجنة ووسوسة الانس والا أي معنى للاستعاذة من وسوسة الجن فقط مع أن وسوسة نفسه وشياطين الانس هي مما تضره وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن

وأما قول الفراء ان المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس الطائفتين من الجن والانس وانه سمى الجن ناسا كما سماهم رجالا وسماهم نفرا فهذا ضعيف فان لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من أن يحتاج الي تنويعه الى الجن والانس وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس في غير موضع وأيضا فكونه يوسوس في صدور الطائفتين صفة توضيح وبيان وليس وسوسة للجن معروفة عند الناس وانما يعرف هذا بخبر ولا خبر هنا ثم قد قال من الجنة والناس فكيف يكون لفظ الناس عاما للجنة والناس وكيف يكون قسيم الشيء قسما منه فهو يجعل الناس قسيم الجن ويجعل الجن نوعا من الناس وهذا كما يقول أكرم العرب من العجم والعرب فهل يقول هذا أحد واذا سماهم الله تعالى رجالا لم يكن في هذا دليل على أنهم يسمون ناسا وان قدر أنه يقال جاء ناس من الجن فذاك مع التقييد كما يقال انسان من طين وماء دافق ولا يلزم من هذا أن يدخلوا في لفظ الناس وقد قال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) فالناس كلهم مخلوقون من

آدم وحواء مع أنه سبحانه يخاطب الجن والانس

والرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجنسين لكن لفظ الناس. لم يتناول الجن ولكن يقول يامعشر الجن والانس

وكذلك قول الزجاج ان المعنى من شر الوسواس الذى هو الجنة ومن شر الناس فيه ضعف وان كان أرجح من الاول لان شر الجن أعظم من شر الانس فكيف يطلق الاستعاذة من جميع الناس ولا يستعيذ الا من بعض الجن وأيضا فالوسواس الخناس ان لم يكن الا من الجنة فلا حاجة الى قوله من الجنة ومن الناس فلماذا يخص الاستعاذة من وسواس الجنة دون وسواس الناس

وأيضا فانه اذا تقدم المعطوف اسما كان عطفه على القريب أولى كما ان عود الضمير الي الاقرب أولى الا اذا كان هناك دليل يقتضى العطف على البعيد فعطف الناس هنا على الجنة المقرون به أولى من عطفه على الوسواس

ويكفى ان المسلمين كلهم يقرؤن هذه السورة من زمن نبيهم ولم ينقل هذان القولان الا عن بعض النحاة والاقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ليس فيها شئ من هذا بل انما فيها القول الذى نصرناه كما فى تفسير معمر عن قتادة من الجنة والناس قال ان فى الجن شياطينا وان في الانس شياطينا نعوذ بالله من شياطين الانس والجن فبين قتادة ان المعنى الاستعاذة من شياطين الانس والجن

وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله

الوسواس الخناس قال الخناس الذى يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والانس فبين ابن زيد ان الوسواس الخناس من الصنفين وكان يقال شياطين الانس أشد على الناس من شياطين الجن شيطان الجن يوسوس ولا تراه وهذا يعاينك معاينة

وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة فهو الخناس ووسواس من نفس الانسان فهو قوله والناس وهذا القول الثالث وان كان يشبه قول الزجاج فهذا أحسن منه فانه جعل من الناس من الوسواس الذى نفس الانسان فمناه أحسن ذكر الثلاثة ابن أبي حاتم في تفسيره

وأيضا فانه ذكر في الآية رب الناس ملك الناس اله الناس فان كان المقصود أن يستعيذ الناس بربهم وملكهم والههم من شر مايوسوس في صدورهم فانه هو الذى يطلب منه الخير الذى ينفعهم ويطلب منه دفع الشر الذى يضرهم والوسواس أصل كل شر يضرهم لانه مبدء الكفر والفسوق والعصيان وعقوبات الرب انما تكون على ذنوبهم واذا لم يكن لاحدهم ذنب فكل مايصيبه نعمة في حقه واذا ابتلى بما يؤلمه فان الله يرفع درجته ويأجره اذا قدر عدم الذنوب مطلقاً لكن هذا ليس بواقع منهم فان كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وقد قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) نغاية المؤمنين الانبياء

فمن دونهم هي التوبة قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وقال (نوح رب انى أعوذ بك ان أسألك ماليس لى به علم والا تغفر لى وترحمني أكن من الخاسرين) وقال ابراهيم واسمعيل (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) وقال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) ودعاء نبينا بمثل ذلك كثير معروف فكان الوسواس مبدء كل شر فان كانوا قد استعاذوا بربهم وملكهم والههم من شره فقد دخل فى ذلك وسواس الجن والانس وسائر شر الانس انما يقع بذنوبهم فهو جزاء على أعمالهم كالشر الذى يقع من الجن بغير الوسواس وكما يحصل من العقوبات السماوية وهم لم يستعيذوا هنا من شر المخلوقات مطلقاً كما استعاذوا في سورة الفلق بل من الشر الذي يكون مبدؤه فى نفوسهم وان كان ذكر رب الناس ملك الناس اله الناس يستعيذوا به ليعيذهم وليعيذ منهم وهذا أعم المعنيين فذلك يحصل باعاذته من شر الوسواس الموسوس في صدور الناس فانه هو الذى يوسوس بظلم الناس بعضهم بعضاً وباغواء بعضهم بعضاً وباعانة بعضهم بعضاً على الاثم والعدوان

فما حصل لانسي شر من انسي الا كان مبدؤه من الوسواس الخناس والا فما يحصل من أذى بعضهم لبعض اذا لم يكن من الوسواس بل كان من الوحي الذى بعث الله به ملائكته كان عدلا كاقامة الحدود وجهاد الكفار والاقتصاص من الظالمين فهذه الامور فيها ضرر وأذى

للظالمين من الانس لكن هي بوحي الله لا من الوسواس وهي نعمة من الله في حق عباده حتى في حق المعاقب فانه اذا عوقب كان ذلك كفارة له ان كان مؤمناً والا كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة الى عذاب من لم يعاقب في الدنيا

ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة في حق العالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة وباعتبار أنه في نفسه رحمة لمن قبلها والا كان هو الظالم لنفسه وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم وعجزوا عما كانوا يفعلونه بدونه وقتل من قتل منهم فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له وللناس فكان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بكل اعتبار فلا يستعاذ منه ومن أمثاله من الانبياء وأتباعهم المؤمنين وهم من الناس وان كانوا يفعلون باعدائهم ماهو أذى وعقوبة وألم لهم فلم تبق الاستعاذة من الناس الا مما يأتي به الوسواس اليهم فيستعاذ برب الناس ملك الناس اله الناس على هذا التقدير من شر الوسواس الذي يوسوس للمستعيذ ومن شر الوسواس الذي يوسوس لسائر الناس حتى لا يحصل منهم شر للمستعيذ فاذا لم يكن للناس شر الا من الوسواس كان الاستعاذة من شر الذي يوسوس لهم تحصيلا للمقصود وكان حسماً للمادة وأقرب الى العدل وكان مخرجاً لانبياء الله وأوليائه أن يستعاذ من شرهم وأن يقرنوا بالوسواس الخناس ويكون ذلك تفضيلا للجن على الانس وهذا لا يقوله عاقل

فان قيل فان كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس فانه تابع لوسواس الجن

قيل بل الوسوسة نوعان نوع من الجن ونوع من نفوس الانس كما قال (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) فالشر من الجهتين جميعاً والانس لهم شياطين كما للجن شياطين والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة يقال فلان يوسوس فلانا وقد وشوشه اذا حدثه سراً فى أذنه وكذلك الوسوسة ومنه وسوسة الحلى لكن هو بالسين المهملة أخص

ورب الناس الذى يربيهم بقدرته ومشيئته وتدبيره وهو رب العالمين كلهم فهو الخالق للجميع ولاعمالهم.

وملك الناس الذى يأمرهم وينهاهم فان الملك يتصرف بالكلام والجماد لاملك له فانه لايعقل الخطاب لكن له مالك وانما يكون الملك لمن يفهم عنه والحيوان يفهم بعضه عن بعض كما قال علمنا منطق الطير وقالت نملة ياأيها النمل فلهذا كان له ملك من جنسه ومن غير جنسه كما كان سليمان ملكهم والاله هو المعبود الذى هو المقصود بالارادات والاعمال كلها كما قد بسط الكلام على ذلك.

وقد قيل انما خص الناس بالذكر لانهم مستعيذون أو لانهم المستعاذ من شرهم ذكرهما أبو الفرج وليس لهما وجه فان وسواس الجن أعظم ولم يذكره بل ذكر الناس لانهم المستعيذون فيستعيذون بربهم الذى يصونهم وبملكهم الذى أمرهم ونهاهم وبالههم الذى يعبدونه من شر الذى يحول

بينهم وبين عبادته ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذى يحصل في نفوس الناس منهم ومن الجنة فانه أصل الشر الذى يصدر منهم والذي يرد عليهم

(فصل) وبهذا يتبين بعض هذه الاستعاذة والتى قبلها كما جاءت بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يتعذ المستعيذون بمثلهما فان الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان فهو أصل الشر كله فتى وقي الانسان شره وقى عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال فان جميع هذه انما تحصل بطريق الوسواس ووقي عذاب الله فى الدنيا والآخرة فانه انما يعذب على الذنوب وأصلها من الوسواس ثم ان دخل في الآية وسواس غيره بحيث يكون قوله من شر الوسواس استعاذة من الوسواس الذى يعرض له والذى يعرض للناس بسببه فقد وقى ظلمهم وان كان انما يريد وسواسه فهم انما يسلطون عليه بذنوبه وهى من وسواسه قال تعالى (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (فما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

والوسواس من جنس الحديث والكلام ولهذا قال المفسرون في قوله ماتوسوس به نفسه قالوا ماتحدث به نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى ماحدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل به

وهو نوعان خبر وانشاء فالخبر اما عن ماض واما عن مستقبل

فالماضي يذكره به والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أموراً أوان أموراً ستكون بقدر الله أو فعل غيره فهذه الاماني والمواعيد الكاذبة والانشاء أمر ونهي واباحة

والشيطان تارة يحدث وسواس الشر وتارة ينشئ الخير وكان ذلك بما يشغله به من حديث النفس قال تعالى في النسيان (واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وقال فتى موسى (فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان) وقال تعالى (فأنساه الشيطان ذكر ربه)

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فاذا قضي التأذين أقبل فاذا ثوب بالصلاة أدبر فاذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه فيقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يذكر حتى يظل الرجل لم يدركم صلى فالشيطان اذكره بأمور ماضية حدث بها نفسه مما كانت في نفسه من أفعاله ومن غير أفعاله فبتلك الامور نسي المصلي كم صلى ولم يدركم صلى فان النسيان أزال مافي النفس من الذكر وشغلها بأمر آخر حتى نسي الاول واما اخباره بما يكون في المستقبل من المواعيد والاماني فكقوله وقال الشيطان لما قضي الامر (ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) وفي هذه الآية أمره ووعده وقال تعالى (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون

عنها محيصاً وقال تعالى (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) ففي هذه أيضاً أمره ووعده وقال موسى لما قتل القبطي (هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين) وقد قال غير واحد من الصحابة كابي بكر وابن مسعود فيما يقولونه باجتهادهم ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان فجعلوا مايلقى في النفس من الاعتقادات التي ليست مطابقة من الشيطان وان لم يكن صاحبها آثماً لانه استفرغ وسعه كما لايأثم بالوسواس الذي يكون في الصلاة من الشيطان ولا بما يحدث به نفسه وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد قال الله قد فعلت

والنسيان للحق من الشيطان والخطأ من الشيطان قال تعالى (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها ولما نام هو وأصحابه عن الصلاة في غزوة خيبر قال لاصحابه ارتحلوا فان هذا مكان حضرنا فيه شيطان وقال ان الشيطان أتى بلالا فجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام وكان النبي صلى الله عليه وسلم وكل بلالا أن يوقظهم عند الفجر والنوم الذي يشغل عما أمر به والنعاس من الشيطان وان كان معفوا عنه ولهذا قيل النعاس في مجلس الذكر من الشيطان وكذلك الاحتلام في المنام من الشيطان والنائم لاقلم عليه

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الرؤيا

ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا مايحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم وقد قيل ان هذا من كلام ابن سيرين لكن تقسيم الرؤيا الى نوعين نوع من الله ونوع من الشيطان صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب فهذان النوعان من وسواس النفس ومن وسواس الشيطان وكلاهما معفو عنه فان النائم قد رفع القلم عنه ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال فينسيه ما كان معه من الايمان حتى يعمى عن الحق فيقع في الباطل فاذا كان من المتقين كما قال الله (ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون) فان الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب وقد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً الا أنه غشاوة على القلب تمنعه ابصار الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب هذا جزاء على الذنب والغين ألطف من ذلك كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فالشيطان يلقى فى النفس الشر والملك يلقى الخير وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامنكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قالوا واياك يارسول الله قال واياى الا أن الله أعانني عليه فأسلم وفى رواية فلا يأمرنى الا بخير أى استسلم وانقاد

وكان ابن عيينة يرويه فاسلم بالضم ويقول ان الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية الاخرى فلا يأمرني الا بخير دل على انه لم يبق يأمره بالشر وهذا اسلامه وان كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن ايمانه بالله كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره وقد عرف العدو المقهور ان ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله بل يعاقبه على ذلك فيحتاج لانقهاره معه الى انه لا يشير عليه الا بخير لذلته وعجزه لا لاصلاحه ودينه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا ان الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير وقال ابن مسعود ان للملك لمة وان للشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وقد قال تعالى (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أي يخوفكم أولياءه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة كشيطان الانس الذي يخوف من العدو فيرجف ويخذل وعكس هذا قوله تعالى (اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وقال تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) وقال تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا) والتثبيت جعل الانسان ثابتا لا مرتابا وذلك بالقاء ما يثبته من التصديق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود لمة الملك وعد بالخير وتصديق بالحق فمتى علم القلب ان ما أخبر به الرسول حق صدقه واذا علم ان الله قد وعده بالتصديق وثق بوعد الله فثبت فهذا يثبت بالكلام كما يثبت الانسان الانسان في أمر قد اضطرب فيه بان يخبره

بصدقه ويخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت وقد يكون التثبت بالفعل بان يمسك القلب حتى يثبت كما يمسك الانسان الانسان حتى يثبت

وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقى في قلبه من التصديق بالحق والوعد بالخير وقد قال تعالى (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) فدل ذلك على أن هذه الصلاة سبب لخروجهم من الظلمات الى النور وقد ذكر اخراجه للمؤمنين من الظلمات الي النور في غير آية كقوله (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات) وقال (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الي النور) وقال (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على معلمى الناس الخير وذلك ان هذا بتعليمه الخير يخرج الناس من الظلمات الى النور والجزاء من جنس العمل ولهذا كان الرسول أحق الناس بكمال هذه الصلاة كما قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبى) والصلاة هى الدعاء اما بخبر يتضمن الدعاء واما بصيغة الدعاء فالملائكة يدعون المؤمنين كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والملائكة تصلى على أحدكم مادام في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث فبين ان صلاتهم قولهم

أللهم اغفر له اللهم ارحمه

وفي الأثر ان الرب يصلي فيقول سبقت أو غلبت رحمتي غضبي وهذا كلامه سبحانه هو خبر وانشاء يتضمن ان الرحمة تسبق الغضب وتغلبه وهو سبحانه لايدعو غيره ان يفعل كما يدعوه الملائكة وغيرهم من الخلق بل طلبه بامره وقوله وقسمه كقوله لافعلن كذا وقوله كن فيكون وقوله لافعلن كذا قسم منه كقوله (لأملأن جهنم منك وممن تبعك) وقوله (ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقوله (وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (كتب الله لاغلبن أنا ورسلي ان الله قوى عزيز) وهذا وعد مؤكد بالقسم بخلاف قوله (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) فان هذا وعد وخبر ليس فيه قسم لكنه مؤكد باللام التي يمكن أن تكون جواب قسم وقوله (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) ونحو ذلك وعد مجرد

وقد قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء) فاخبر انه يوحي الى البشر تارة وحيا منه وتارة يرسل رسولا فيوحي الى الرسول باذنه مايشاء

والملائكة رسل الله ولفظ الملك يتضمن معنى الرسالة فان أصل

الكلمة ملاك على وزن مفعل لكن لكثرة الاستعمال خففت بأن ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت الهمزة وملاك مأخوذ من المألك والملاك بتقديم الهمزة على اللام واللام على الهمزة وهو الرسالة وكذلك الالوكة بتقديم الهمزة على اللام قال الشاعر

أبلغ النعمان عني مألكا * انه قد طال حبسى وانتظارى

وهذا بتقديم الهمزة لكن الملك هو بتقديم اللام على الهمزة وهذا أجود فان لظيره في الاشتقاق الاكبر لاك يلوك اذا لاك الكلام واللجام والهمز أقوى من الواو ويليه فى الاشتقاق الاوسط أكل يأكل فان الآكل يلوك مايدخله في جوفه من الغذاء والكلام والعلم مايدخل في الباطن ويتغذى به صاحبه قال عبد الله بن مسعود ان كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته وان مأدبة الله القرآن والآدب المضيف والمأدبة الضيافة وهو مايجعل من الطعام المضيف فبين ان الله ضيف عباده بالكلام الذى أنزله اليهم فهو غذاء قلوبهم وقوتها وهو أشد انتفاعا به واحتياجا اليه من الجسد بغذائه

وقال على رضى الله عنه الربانيون هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها وقد قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقد أخبر الله تعالى ان القرآن شفاء لما فى الصدور والناس الى الغذاء أحوج منهم الى الشفاء فى القلوب والابدان وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة أمسكت الماء فانبتت الكلا

والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة انما هى قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه مابعثنى الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به

فأخبر ان مابعث به للقلوب كالماء للارض تارة تشربه فتنبت وتارة تحفظه وتارة لاهذا ولا هذا والارض تشرب الماء وتغتذى به حتى يعمل الخير وقد أخبر الله تعالى انه روح تحيا به القلوب فقال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) واذا كان مايوحيه الى عباده تارة يكون بوساطة ملك وتارة بغير وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطلقا لايختص به الانبياء قال تعالى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه) وقال تعالى (واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) واذا كان قد قال وأوحى ربك الى النحل الآية فذكر أنه يوحى اليهم فالى الانسان أولى وقال تعالى (وأوحى فى كل سماء أمرها) وقد قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) فهو سبحانه يلهم لفجور والتقوى للنفس والفجور يكون بواسطة الشيطان وهو الها وسواس والتقوى بواسطة ملك وهو الهام وحى هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى والامر لابد أن يقترن به خبر

وقد صار فى العرف لفظ الالهام اذا أطلق لايراد به الوسوسة

وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين الهام الوحي وبين الوسوسة فالمأمور به ان كان تقوى الله فهو من الهام الوحى وان كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان

فيكون الفرق بين الالهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة فان كان مما ألقي فى النفس مما دل الكتاب والسنة على انه تقوى لله فهو من الالهام المحمود وان كان مما دل على انه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا الفرق مطرد لا ينتقض وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنه

وقد تكلم النظار في العلم الحاصل فى القلب عقب النظر والاستدلال فذكروا فيه ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو حامد في مستصفاه وغيره قول الجهمية وقول القدرية وقول الفلاسفة وكثير من أهل الكلام لا يذكر الا القولين قول الجهمية وقول القدرية

وذلك أنهم يذكرون في كتبهم مايعرفونه من أقوال من يعرفونه تكلم فى هذا وهم لا يعرفون الا هؤلاء والمسئلة هي من فروع القدر فان الحاصل في نفس حادث فيها فالقول فيه كالاقوال في أمثاله

ومذهب جهم ومن وافقه كأبى الحسن الاشعرى وكثير من المتأخرين المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة ان الله خالق كل شئ وان الله خالق أفعال العباد لكنه لا يثبت سببا ولا قدرة مؤثرة ولا حكمة

لفعل الرب فانكر الطبائع والقوى التي في الاعيان وأنكر الاسباب والحكم فلهذا لم يجعل لشيء سببا بل يقول هذا حاصل بخلق الله وقدرته ولم يذكروا له سبباً وهم صادقون في اضافته الى قدره وانه خالقه خلافا للقدرية لكن من تمام المعرفة اثبات الاسباب ومعرفتها * وأما القدرية من المعتزلة وغيرهم فبنوه على أصلهم وهو ان كل ماتولد عن فعل العبد فهو فعله لا يضاف الى غيره كالشبع والري وزهوق الروح ونحو ذلك فقالوا هذا العلم متولد عن نظر العبد أو تذكر النظر

والمتفلسفة بنوه على أصلهم في أن ميحدث من الصور هو من فيض العقل الفعال عند استعداد المواد القابلة فقالوا يحصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند استعداد النفس باستحضار المقدمتين وهذا القول خطأ والذى قبله أقرب منه والاول أقرب وليس في شيء منها تحقيق الامر في ذلك

وحقيقته ان الله وكل بالانس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر فالعلم الصادق من الخير والعقائد الباطلة من الشر كما قال ابن مسعود لمة الملك تصديق بالحق ولمة الشيطان تكذيب بالحق وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم في القاضى أنزل الله عليه ملكا يسدده وكما أخبر الله ان الملائكة توحي الى البشر ماتوحيه وان كان البشر لا يشعر بانه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس لكن الله أخبر انه يكلم البشر وحيا ويكلمه بملك يوحي باذنه مايشاء والثالث التكليم من وراء حجاب وقد قال بعض المفسرين المراد بالوحى هنا الوحى في المنام ولم

يذكر أبو الفرج غيره وليس الامر كذلك فان المنام تارة يكون من الله وتارة يكون من النفس وتارة يكون من الشيطان وهكذا مايلقى في اليقظة. والانبياء معصومون في اليقظة والمنام ولهذا كانت رؤيا الانبياء وحيا كما قال ذلك ابن عباس وعبيد بن عمير وقرأ قوله اني أرى في المنام أني أذبحك وليس كل من رأى رؤيا كانت وحيا فكذلك ليس كل من ألقي في قلبه شيء يكون وحيا والانسان قد تكون نفسه في يقظته أكمل منها في نومه كالمصلي الذي يناجي ربه فاذا جاز أن يوحي اليه في حال النوم فلماذا لايوحى اليه في حال اليقظة كما أوحي الى أم موسى والحواريين والى النحل لكن ليس لاحد أن يطلق القول على مايقع في نفسه انه وحي لافي يقظة ولافي المنام الا بدليل يدل على ذلك فان الوسواس غالب على الناس والله أعلم

﴿ تمت الرسالة العاشرة ﴾

﴿ ويليها الرسالة الحادية عشر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال شيخ الاسلام علامة الانام أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية رضي الله عنه

﴿ فصل فيمن أوقع العقود المحرمة ثم تاب قال الله تعالى في الربا (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون) وقد بسط الكلام على هـذا في موضعه وقد قال تعالى لما ذكر الخلع والطلاق فقال في الخلع (ولايحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا أن لايقيما حدود الله فان خفتم أن لايقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) الى قوله (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) وقال تعالى (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهـن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عـدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)

فالطلاق المحرم كالطلاق في الحيض وفي طهر قد أصابها فيه حرام

بالنص وبالاجماع وكالطلاق الثلاث عند الجمهور وهو تعد لحدود الله وفاعله ظالم لنفسه كما ذكر الله تعالى انه من يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والظالم لنفسه اذا تاب تاب الله عليه لقوله (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) فهو اذا استغفره غفر له ورحمه وحينئذ يكون من المتقين فيدخل فى قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب)

والذين ألزمهم عمر ومن وافقه بالطلاق المحرم كانوا عالمين بالتحريم وقد نهوا عنه فلم ينتهوا فلم يكونوا من المتقين فهم ظالمون لتعديهم مستحقون للعقوبة وكذلك قال ابن عباس لبعض المستفتين ان عمك لم يتق الله فلم يجعل له فرجا ومخرجا ولو اتقى الله لجعل له فرجا ومخرجا وهذا انما يقال لمن علم ان ذلك محرم وفعله فمن لم يعلم بالتحريم لايستحق العقوبة ولا يكون متعديا اذا عرف أن ذلك محرم وتاب من عوده اليه والتزم أن لايفعله والذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل ثلاثتهم واحدة في حياته كانوا يتوبون فيصيرون متقين ومن لم يتب فهو الظالم كما قال (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) فحصر الظلم فيمن لم يتب فمن تاب فليس بظالم فلا يجعل متعديا لحدود الله بل وجود قوله كعدمه ومن لم يتب فهو محل اجتهاد فعمر عاقبهم بالالزام ولم يكن هناك تحليل فكانوا لاعتقادهم ان النساء يحرمن عليهم لايقعون في الطلاق المحرم فانكفوا بذلك عن تعدى حدود الله فاذا صاروا يوقعون الطلاق المحرم ثم يردون النساء بالتحليل المحرم صاروا يفعلون

المحرم مرتين ويتعدون حدود الله مرتين بل ثلاثا بل أربعاً لان الطلاق الاول كان تعديا لحدود الله وكذلك نكاح المحلل لها ووطؤه لها قد صار بذلك ملعونا هو والزوج الاول فقد تعديا حدود الله هذا مرة أخرى وذاك مرة والمرأة ووليها لما علموا بذلك وفعلوه كانوا متعدين لحدود الله فلم يحصل بالالزام فى هذه الحال انكفاف عن تعدى حدود الله بل زاد التعدى لحدود الله فترك التزامهم بذلك وان كانوا ظالمين غير تائبين خير من الزامهم فذلك الزنا يعود الى تعدى حدود الله مرة بعد مرة واذا قيل فالذى استفتى ابن عباس ونحوه لو قيل له تب لتاب ولهذا كان ابن عباس يفتى احيانا بترك اللزوم كما نقله عنه عكرمة وغيره

وعمر ما كان يجعل الخلية والبرية الا واحدة رجعية ولما قال عمر (ولو أنهم فعلوا مايوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً) واذا كان الالزام عاما ظاهراً كان تخصيص البعض بالاعانة نقضا لذلك ولم يوثق بتوبة

فالمراتب أربعة أما اذا كانوا يتقون الله ويتوبون فلا ريب ان ترك الالزام كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر خير وان كانوا لاينتهون الا بالالزام فينتهون حينئذ ولا يوقعون المحرم ولا يحتاجون الى تحليل فهذا هو الدرجة الثانية التى فعلها فيهم عمر والثالثة ان يحتاجوا الى التحليل المحرم فهنا ترك الالزام خير والرابعة انهم لاينتهون بل يوقعون المحرم ويلزمونه بلا تحليل فهنا ليس فى الزامهم به فائدة الا اصر واغلال لم يوجب لهم تقوى الله وحفظ حدوده بل حرمت عليهم نساؤهم وخربت ديارهم فقط والشارع لم يشرع مايوجب حرمة.

النساء وتخريب الديار بل ترك الزامهم بذلك أقل فساداً وان كانوا اذنبوا فهم مذنبون على التقديرين لكن تخريب الديار أكثر فساداً والله لا يحب الفساد واما ترك الالزام فليس فيه الا أنه أذنب ذنباً بقوله فلم يتب منه .وهذا أقل فساداً من الفساد الذى قصد الشارع دفعه ومنعه بكل طريق

وأصل المسألة أن النهى يدل على أن المنهي عنه فساده راجح على صلاحه فلا يشرع التزام الفساد من يشرع دفعه ومنعه

وأصل هذا ان كل مانهى الله عنه وحرمه فى بعض الاحوال وأباحه فى حال أخرى فان الحرام لايكون صحيحاً نافذاً كالحلال يترتب عليه الحكم كما يترتب على الحلال ويحصل به المقصود كما يحصل وهذا معنى قولهم النهى يقتضى الفساد وهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين وجمهورهم *وكثير من المتكلمين من المعتزلة والاشعرية يخالف في هذا لما ظن ان بعض مانهى عنه ليس بفاسد كالطلاق المحرم والصلاة فى الدار المغصوبة ونحو ذلك

قالوا لو كان النهي موجباً للفساد لزم انتقاض هذه العلة فدل على أن الفساد حصل بسبب آخر غير مطلق النهي

وهؤلاء لم يكونوا من أئمة الفقه العارفين بتفصيل أدلة الشرع فقيل لهم باى شئ يعرف أن العبادة فاسدة والعقد فاسد قالوا بأن يقول الشارع هذا صحيح وهذا فاسد وأما هذا فشرط فى صحته كذا وكذا فاذا وجد المانع انتفت الصحة

وهؤلاء وأمثالهم لا يتكلمون في الادلة الشرعية الواقعة وهي الادلة التى

جعلها الله ورسوله أدلة على الاحكام الشرعيــة بل يتكلمون في أمور يقدرونها في أذهانهم انها اذا وقعت هل يستدل بها أم لا يستدل والكلام في ذلك لا فائدة فيه

ولهذا لايمكنهم أن ينتفعوا بمـا يقدرونه من أصول الفـقه فى الاستدلال بالادلة المفصلة على الاحكام فانهم لم يعرفوا نفس أدلة الشرع الواقعــة بل قدروا أشــياء قد لا تقع وأشياء ظنوا انها من جنس كلام الشارع وهذا من هذا الباب

فان الشارع لم يدل الناس قط بهذه الالفاظ التي ذكروها ولا يوجد في كلامه شروط البيع أو النكاح كذا وكذا ولا هــذه العبادة أو العقد صحيح أو ليس بصحيــح ونحو ذلك مما جعلوه دليلا على الصحة والفساد بل هذه كلها عبارات أحدثها من أحدثها من أهل الرأى والكلام

وانما الشارع دل الناس بالامر والنهي والتحليل والتحريم وبقوله في عقود هذا لا يصلح فيقال الصــلاح المضاد للفساد فاذا قال لا يصلح علم انه فاسد كما قال في بيع مدين بمد تمرا لا يصلح والصحابة والتابعون وسائر أئمــة المسلمين كانوا يحتجون على فساد العقود بمجرد النهي كما احتجوا على فساد نكاح ذوات المحارم بالنهي المذكور في القرآن وكذلك على فساد عقد الجمع بين الاختين ومنهم من توهــم ان التحريم فيها تعارض فيها نصان فتوقف وقيل ان بعضهم أباح الجمع

وكذا نكاح المطلقة ثلاثا استدلوا على فساده بقوله (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)

وكذلك الصحابة استدلوا على فساد نكاح الشغار بالنهي عنه وكذلك عقود الربا وغيرها

وانهم قد علموا ان مانهى الله عنه فهو من الفساد ليس من الصلاح فان الله لايحب الفساد ويحب الصلاح فلا ينهي عما يحبه وانما ينهي عما لايحبه

فعلموا ان المنهى عنه فاسد ليس بصلاح وان كانت فيه مصلحة فمصلحته مرجوحة بمفسدته

وقد علموا ان مقصود شرع رفع الفساد ومنعه لا ايقاعه والالزام به فلو ألزموا بموجب العقود المحرمة لكانوا مفسدين غير مصلحين والله لا يصلح عمل المفسدين وقوله (واذ قيل لهم لاتفسدوا فى الارض) أى لاتعملوا بمعصية الله فكل من عمل بمعصية الله فهو مفسد والمحرمات معصية الله فالشارع ينهى عنها ليمنع الفساد ويدفعه

ولايوجد قط في شيء من صور النهى صورة ثبتت فيها الصحة بنص ولا اجماع فالطلاق المحرم والصلاة في الدار المغصوبة فيها نزاع وليس على الصحة نص يجب اتباعه فلم يبق مع المحتج بهما حجة لكن من البيوع مانهى عنها لما فيها من ظلم احدهما للآخر كبيع المصرا والمعيب وتلقى السلع والنجش ونحو ذلك ولكن هذه البيوع لم يجعلها الشارع لازمة كالبيوع الحلال بل جعلها غير لازمة والخيرة فيها الى المظلوم ان شاء أبطلها وان شاء أجازها فان الحق فى ذلك له والشارع لم ينه عنها لحق مختص بالله كما نهى عن الفواحش بل هذه اذا علم المظلوم

بالحال في ابتداء العقد مثل أن يعلم بالعيب والتدليس والتصرية ويعلم السعر اذا كان قادما بالسلعة و يرضى بان يبتاعه المتلقي جاز ذلك فكذلك اذا علم بعد العقد ان رضى أجاز وان لم يرض كان له الفسخ وهذا يدل على أن العقد يقع غير لازم بل موقوفا على الاجازة ان شاء أجازه صاحب الحق وان شاء رده وهذا متفق عليه في مثل بيع المعيب مما فيه الرضا بشرط السلامة من العيب فاذا فقد الشرط بقي موقوفا على الاجازة فهو لازم ان كان على صفة وغير لازم ان كان على صفة وأما اذا كان غير لازم مطلقا بل هو موقوف على رضا المجيز فهذا فيه نزاع وأكثر العلماء يقولون بوقف العقود وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وغيرهما وعليه أكثر نصوص أحمد وهو اختيار القدماء من أصحابه كالخرقي وغيره كما هو مبسوط في موضعه

اذ المقصود هنا ان هذا النوع يحسب طائفة من الناس انه من جملة ما نهى عنه ثم تقول طائفة وليس بفاسد فالنهي لا يجب أن يقتضي الفساد وتقول طائفة بل هذا فاسد فمنهم من أفسد بيع النجش اذا نجش البائع أو واطأ ومنهم من أفسد نكاح الخاطب على خطبة أخيه وبيعه على بيع أخيه ومنهم من أفسد بيع المعيب المدلس فلما عورض بالمصراة توقف ومنهم من صحح نكاح الخاطب على خطبة أخيه مطلقا وبيع النجش بلا خيار

والتحقيق ان هذا النوع لم يكن النهي فيه لحق الله كنكاح المحرمات والمطلقة ثلاثا وبيع الربا بل لحق الانسان بحيث لو علم المشتري ان

صاحب السلعة يخبش ورضى بذلك جاز وكذلك اذا علم ان غيره يخبش وكذلك المخطوبة متى أذن الخاطب الاول فيها جاز ولما كان النهى هنا لحق الآدمى لم يجعله الشارع صحيحا لازما كالحلال بل أثبت حق المظلوم وسلطه على الخيار فان شاء أمضى وان شاء فسخ فالمشترى مع النجش ان شاء رد المبيع فحصل بهذا مقصوده وان شاء رضى به اذا علم بالنجش فاما كونه فاسدا مردودا وان رضى به فهذا لا وجه له وكذلك الرد بالعيب والمدلس والمصراة وغير ذلك وكذلك المخطوبة ان شاء الخاطب أن يفسخ نكاح هذا المتعدى عليه ويتزوجها برضاها فله ذلك وان شاء أن يمضى نكاحه فله ذلك وهو اذا اختار فسخ نكاحه عاد الامر الى ما كان فان شاءت نكحته وان شاءت لم تنكحه اذ مقصوده حصل بفسخ نكاح الخاطب واذا قيل هو غير قلب المرأة علىّ قيل ان شئت عاقبناه على هذا بان نمنعه من نكاحها فيكون هذا قصاصاً لظلمه اياك وان شئت عفوت عنه فانفذنا نكاحه

وكذلك الصلاة في الدار المغصوبة والذبح بآلة مغصوبة وطبخ الطعام بحطب مغصوب وتسخين الماء بحطب مغصوب كل هذا انما حرم لما فيه من ظلم الانسان وذلك يزول باعطاء المظلوم حقه فاذا أعطاه بدل ماأخذه من منفعة ماله أو من أعيان ماله فاعطاه كراء الدار وثمن الحطب وتاب هو الى الله من فعل مانهاه عنه فقد برئ من حق الله وحق العبد وصارت صلاته كالصلاة في مكان مباح والطعام كالطعام بوقود مباح والذبح بسكين مباحة وان لم يفعل ذلك كان لصاحب السكين

أجرة ذبحه لاتحرم الشاه كلها وكان لصاحب الدار أجرة داره لاتحبط صلاته كلها لاجل هذه الشبهة وهذا اذا أكل الطعام ولم يوفه ثمنه كان بمنزلة من أخذ طعاما لغيره فيه شركة ليس فعله حراما ولا هو حلالا محضا فان نضج الطعام لصاحب الوقود فيه شركة وكذلك الصلاة يبقى عليه اثم الظلم ينقص من صلاته بقدره فلا تبرأ ذمته كبراءة من صلى صلاة تامة ولا يعاقب كعقوبة من لم يصل بل يعاقب على قدر ذنبه

وكذلك آكل الطعام يعاقب على قدر ذنبه والله تعالى يقول (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وانما قيل في الصلاة في الثوب النجس وبالمكان البعيد بخلاف هذا لانه هناك لاسبيل له الى براءة ذمته الا بالاعادة وهنا يمكنه ذاك بارضائه المظلوم ولكن الصلاة فى الثوب الحرير هي من ذلك القسم الحق فيها لله لكن نهى عن ذلك في الصلاة وغير الصلاة لم ينه عنه في الصلاة فقط

فقد تنازع الفقهاء فى مثل هذا فنهم من يقول النهى هنا لمعنى في غير المنهى عنه وكذلك يقولون فى الصلاة فى الدار المغصوبة والثوب المغصوب والطلاق فى الحيض والبيع وقت النداء ونحو ذلك وهذا الذى قالوه لاحقيقة له فانه ان عني بذلك أن نفس الفعل المنهى عنه ليس فيه معنى يوجب النهى فهذا باطل فان نفس البيع اشتمل على تعطيل الصلاة ونفس الصلاة اشتملت على الظلم والفخر والخيلاء ونحو ذلك مما أوجب النهى كما اشتملت الصلاة فى الثوب النجس على ملابسة الخبيث

وان أرادوا بذلك ان ذلك المعنى لايختص بالصلاة بل هو مشترك

بين الصلاة وغيرها فهذا صحيح فان البيع وقت النداء لم ينه عنه الا لكونه شاغلا عن الصلاة وهذا موجود فى غير البيع لايختص بالبيع لكن هذا الفرق لايجيء فى طلاق الحائض فانه ليس هناك معنى مشترك وهم يقولون انما نهى عنه لاطالة العدة وذلك خارج عن الطلاق فيقال وغير ذلك من المحرمات كذلك انما نهى عنها لافضائه الي فساد خارج عنها فالجمع بين الاختين نهى عنه لافضائه الى قطيعة الرحم والقطيعة أمر خارج عن النكاح والخمر والميسر حرما وجعلا رجسا من عمل الشيطان لان ذلك يفضى الى الصد عن الصلاة وايقاع العداوة والبغضاء وهو أمر خارج عن الخمر والربا والميسر حرما لان ذلك يفضى الى أكل المال بالباطل وذلك خارج عن نفس عقد الربا والميسر

فكل مانهي الله عنه لابد أن يشتمل على معنى فيه يوجب النهي ولا يجوز أن ينهى عن شئ لا لمعنى فيه أصلا بل لمعنى أجنبي عنه فان هذا من جنس عقوبة الانسان بذنب غيره والشرع منزه عن ذلك فكما لاتزر وازرة وزر أخرى فى العمال فكذلك في الاعمال لكن في الاشياء مانهي عنه لسد الذريعة فهو مجرد عن الذريعة لم يكن فيه مفسدة كالنهى عن الصلاة فى أوقات النهى قبل طلوع الشمس وغروبها ونحو ذلك وذلك لان هذا الفعل اشتمل على مفسدة الافضاء الى التشبه بالمشركين وهذا معنى فيه

ثم من هؤلاء الذين قالوا ان النهى قد يكون لمعنى في المنهى عنه وقد يكون لمعنى فى غيره من قال انه قد يكون لوصف في الفعل لافى أصله

فيدل على صحته كالنهي عن صوم يومي العيدين قالوا هو منهي عنه لوصف العيدين لا لجنس الصوم فاذا صام صح لانه سماه صوما فيقال لهم وكذلك الصوم في أيام الحيض وكذلك الصلاة بلا طهارة والى غير القبلة جنسه مشروع وانما النهي لوصف خاص وهو الحيض والحدث واستقبال غير القبلة ولا يعرف بين هذا وهذا فرق معقول له تأثير في الشرع * فانه اذا قيل الحيض والحدث صفة في الحائض والمحدث وذلك صفة في الزمان * قيل والصفة في محل الفعل زمانه ومكانه كالصفة في فاعله فانه لو وقف في عرفة في غير وقتها أو في غير عرفة لم يصح وهو صفة في الزمان والمكان وكذلك لو رمي الجمار في غير أيام منى أو في غير منى وهو صفة في الزمان والمكان واستقبال غير القبلة هو الصفة في الجهة لا فيه ولا يجوز ولو صام بالليل لم يصح وان كان هذا زمانا * فاذا قيل الليل ليس بمحل الصوم شرعا * قيل ويوم العيد ليس بمحل للصوم شرعا كما ان زمان الحيض ليس بمحل للصوم شرعا

فالفرق بين فعلين لابد أن يكون فرقا شرعيا فيكون معقولا ويكون الشارع قد جعله مؤثرا في الحكم بحيث علق به الحل أو الحرمة الذي يختص بأحد الفعلين

وكثير من الناس يتكلم بفروق لا حقيقة لها ولا تأثير له في الشرع ولهذا يقولون في القياس انه قد يمنع في الوصف لا في الاصل أو الشرع أو يمنع تأثيره في الاصل وذلك انه قد يذكر وصفا يجمع به بين الاصل والفرع ولا يكون ذلك الوصف مشتركا بينهما بل قد يكون منفيا عنهما

أو عن أحدهما وكذلك الفرق قد يفرق بوصف يدعى انتفاءه باحدى الصورتين ليس هو مختصا بها بل هو مشترك بينهما وبين الاخرى كقولهم النهى لمعنى في المنهي عنه وذلك لمعنى في غيره أو ذاك لمعنى في وصفه دون أصله ولكن قد يكون النهى لمعنى يختص بالعبادة والعقد وقد يكون لمعنى مشترك بينها وبين غيرها كما ينهي المحرم عما يختص بالاحرام مثل حلق الرأس ولبس العمامة وغير ذلك من الثياب المنهى عنها وينهى عن نكاح امرأته وينهى عن صيد البر وينهى مع ذلك عن الربا وعن ظلم الناس فيما ملكوه من الصيد وحينئذ فالنهي لمعنى مشترك أعظم ولهذا لو قتل المحرم صيدا مملوكا وجب عليه الجزاء لحق الله ووجب عليه بدله لحق المالك ولو زنا لافسد احرامه كما يفسده بنكاح امرأته ولا يستحق حد الزنا مع ذلك وعلى هذا فمن لبس في الصلاة مايحرم فيها وفي غيرها كالثياب التي فيها خيلاء وفخر كالمسبلة والحرير كان أحق ببطلان الصلاة من الثوب النجس وفي الحديث الذي في السنن ان الله لايقبل صلاة مسبل

والثوب النجس فيه نزاع وفي قدر النجاسة نزاع والصلاة في الحرير للرجال من غير حاجة حرام بالنص والاجماع وكذلك البيع بعد النداء اذا كان قد نهي عنه وغيره يشغل عن الجمعة كان ذلك أوكد في النهي وكل ما شغل عنها فهو شر وفساد لاخير فيه والملك الحاصل بذلك كالملك الذي لم يحصل الا بمعصية الله وغضبه ومخالفته كالذي لايحصل الا بغير ذلك من المعاصي مثل الكفر والسحر والكهانة والفاحشة وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم حلوان الكاهن خبيث ومهر البغي خبيث فاذا كنت لا أملك السلعة ان لم أترك الصلاة المفروضة كان حصول الملك بسبب ترك الصلاة كما ان حصول الحلوان والمهر بالكهانة والبغاء وكما لو قيل له ان تركت الصلاة اليوم أعطيناك عشرة دراهم فان ما يأخذه على ترك الصلاة خبيث كذلك ما يملكه بالمعاوضة على ترك الصلاة خبيث ولو استأجر أجيرا بشرط أن لا يصلي كان هذا الشرط باطلا وكان ما يأخذه عن العمل الذى يعمله بمقدار الصلاة خبيث مع ان جنس العمل بالاجرة جائز كذلك جنس المعاوضة جائز لكن بشرط أن لا يتعدى عن فرائض الله واذا حصل البيع في هذا الوقت وتعذر الرد فله نظير ثمنه الذي أداه ويتصدق بالربح والبائع له نظير سلعته ويتصدق بربح ان كان ربح ولو تراضيا بذلك بعد الصلاة لم ينفع فان النهي هنا لحق الله فهو كما لو تراضيا بمهر البغي وهناك يتصدق به على أصح القولين لا يعطي للزاني وكذلك في الخمر ونحو ذلك مما أخذ صاحبه منفعة محرمة فلا يجمع له العوض والمعوض فان ذلك أعظم اثما من بيعه فاذا كان لا يحل أن يباع الخمر بالثمن فكيف اذا أعطى الخمر وأعطي الثمن واذا كان لا يحل للزاني أن يزنى وان أعطى فكيف اذا أعطى المال والزنا جميعا بل يجب اخراج هذا المال كسائر أموال المصالح المشتركة فكذلك هنا اذا كان قد باع السلعة وقت النداء بربح واحد وأخذ سلعته فان فاتت تصدق بالربح ولم يعطه للمشترى فيكون اعانة له على الشراء والمشترى يأخذ الثمن ويعيد السلعة فان باعها بربح تصدق به ولم يعطه

للبائع فيكون قد جمع له بين ربحين وقد تنازع الفقهاء
في المقبوض بالعقد الفاسد هل يملك أو لا يملك أو
يفرق بين أن يفوت أو لا يفوت كما هو
مبسوط في غير هذا الموضع

﴿ تمت الرسالة الحادية عشر ﴾

﴿ ويليها الرسالة الثانية عشر له أيضا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه عما يقع فى كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بعضهم وربما كان حكما مجمعاً عليه

فمن ذلك قولهم تطهير الماء اذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس بل وتطهير النجاسة على خلاف القياس والتوضؤ من لحوم الابل على خلاف القياس والفطر بالحجامة على خلاف القياس والسلم على خلاف القياس والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المفطر ناسياً والمضي في الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الاحكام فهل هذا القول صواب أم لا وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا

فاجاب الحمد لله رب العالمين * أصل هذا ان تعلم أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين الاول قياس الطرد والثانى قياس العكس وهو من العدل الذي بعث الله به رسوله

(فالقياس الصحيح) مثل ان تكون العلة التي علق بها الحكم فى الاصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها ومثل هذا القياس لاتاتى الشريعة بخلافه قط وكذلك القياس بالغاء الفارق وهو أن لايكون بين الصورتين فرق مؤثر فى الشرع فمثل هذا القياس

لاتأتى الشريعة بخلافه وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الانواع بحكم يفارق به نظائره فلابدأن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم و يمنع مساواته لغيره لكن الوصف الذى اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لايظهر وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد فمن رأى شيئا من الشريعة مخالفا للقياس فانما هو مخالف للقياس الذى انعقد في نفسه ليس مخالفا للقياس الصحيح الثابت فى نفس الامر

وحيث علمنا ان النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعاً انه قياس فاسد بمعنى ان صورة النص امتازت عن تلك الصور التى يظن انها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس فى الشريعة مايخالف قياساً صحيحاً لكن فيها مايخالف القياس الفاسد وان كان من الناس من لايعلم فساده

ونحن نبين أمثلة ذلك مما ذكر في السؤال فالذين قالوا المضاربة والمساقاة والمزارعة على خلاف القياس ظنوا أن هذه العقود من جنس الاجارة لانها عمل بعوض والاجارة يشترط فيها العلم بالعوض والمعوض فلما رأوا العمل فى هذه العقود غير معلوم والربح فيها غير معلوم قالوا تخالف القياس وهذا من غلطهم فان هذه العقود من جنس المشاركات لامن جنس المعاوضات الخاصة التي يشترط فيها العلم بالعوضين والمشاركات جنس غير جنس المعاوضة وان قيل ان فيها شوب المعاوضة وكذلك المقاسمة جنس غير جنس المعاوضة الخاصة وان كان فيها شوب معاوضة

حتى ظن بعض الفقهاء انها بيع يشترط فيها شروط البيع الخاص ﴿وايضاح هذا﴾ ان العمل الذي يقصد به المال ثلاثة أنواع * أحدها أن يكون العمل مقصودا معلوما مقدورا على تسليمه فهذه الاجارة اللازمة * والثاني أن يكون العمل مقصودا لكنه مجهول أو غرر فهذه الجعالة وهي عقد جائز ليس بلازم فاذا قال من رد عبدي الآبق فله مائة فقد يقدر على رده وقد لا يقدر وقد يرده من مكان قريب وقد يرده من مكان بعيد فلهذا لم تكن لازمة لكن هي جائزة فان عمل هذا العمل استحق الجعل والا فلا ويجوز أن يكون الجعل فيها اذا حصل بالعمل جزأ شائعا ومجهولا جهالة لا تمنع التسليم مثل أن يقول أمير الغزو من دل على حصن فله ثلث ما فيه ويقول للسرية التي يسريها لك خمس ما تغنمين أو ربعه وقد تنازع العلماء في سلب القاتل هل هو مستحق بالشرع كقول الشافعي أو بالشرط كقول أبي حنيفة ومالك على قولين هما روايتان عن أحمد فمن جعله مستحقا بالشرط جعله من هذا الباب ومن هذا الباب اذا جعل للطبيب جعلا على شفاء المريض جاز كما أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين جعل لهم قطيع على شفاء سيد الحي فرقاه بعضهم حتى برئ فاخذوا القطيع فان الجعل كان على الشفاء لا على القراءة ولو استأجر طبيبا اجارة لازمة على الشفاء لم يجز لان الشفاء غير مقدور له فقد يشفيه الله وقد لا يشفيه فهذا ونحوه مما تجوز فيه الجعالة دون الاجارة اللازمة ﴿وأما النوع الثالث﴾ فهو ما لا يقصد فيه العمل بل المقصود المال وهو المضاربة فان رب المال ليس له

قصد في نفس عمل العامل كما للجاعل والمستأجر قصد في عمل العامل ولهذا لو عمل ماعمل ولم يربح شيئا لم يكن له شئ وان سمي هذا جعالة بجزء مما يحصل بالعمل كان نزاعا لفظيا بل هذه مشاركة هذا بنفع بدنه وهذا بنفع ماله وما قسم الله من الربح كان بينهما على الاشاعة ولهذا لايجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر لان هذا يخرجهما عن العدل الواجب فى الشركة وهذا هو الذى نهى عنه صلى الله عليه وسلم من المزارعة

فانهم كانوا يشرطون لرب المال زرع بقعة بعينها وهو ماينبت على الميازيب واقبال الجداول ونحو ذلك فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولهذا قال الليث بن سعد وغيره ان الذى نهي عنه صلى الله عليه وسلم هو أمر اذا نظر فيه ذو البصر بالحلال والحرام علم أنه لايجوز أو كما قال فبين ان النهي عن ذلك موجب القياس فان مثل هذا لو شرط في المضاربة لم يجز لان مبنى المشاركات على العدل بين الشريكين فاذا خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن هذا عدلا بخلاف ما اذا كان لكل منهما جزء شائع فانهما يشتركان فى المغنم وفي المغرم فان حصل ربح اشتركا فى المغنم وان لم يحصل ربح اشتركا فى الحرمان وذهب نفع بدن هذا كما ذهب نفع مال هذا ولهذا كانت الوضيعة على المال لان ذلك فى مقابلة ذهاب نفع العامل ولهذا كان الصواب انه يجب فى المضاربة الفاسدة ربح المثل لاأجرة المثل فيعطي العامل ماجرت به العادة أن يعطاه مثله من الربح اما نصفه واما ثلثه واما ثلثاه فاما أن يعطي شيئا مقدرا

مضمونا في ذمة المالك كما يعطي في الاجارة والجعالة فهذا غلط ممن
قاله وسبب الغلط ظنه أن هذا اجارة فاعطاه في فاسدها عوض المثل
كما يعطيه في المسمى الصحيح * ومما يبين غلط هذا اقول ان العامل قد
يعمل عشر سنين فلو أعطى أجرة المثل لاعطي أضعاف رأس المال
وهو في الصحيحة لايستحق الاجزأ من الربح ان كان هناك ربح فكيف
يستحق في الفاسدة أضعاف مايستحقه في الصحيحة
وكذلك الذين أبطلوا المزارعة والمساقاة ظنوا انها اجارة بعوض
مجهول فابطلوها وبعضهم صحح منها ماتدعو اليه الحاجة كالمساقاة على
الشجر لعدم امكان اجارتها بخلاف الارض فانه تمكن اجارتها وجوزوا
من المزارعة مايكون تبعا للمساقاة اما مطلقا واما اذا كان البياض الثلث
وهذا كله بناء على ان مقتضى الدليل بطلان المزارعة وانما جوزت
للحاجة ومن أعطى النظر حقه علم ان المزارعة أبعد من الظلم والقمار
من الاجارة باجرة مسماة مضمونة في الذمة فان المستأجر انما يقصد
الانتفاع بالزرع النابت في الارض فاذا وجب عليه الاجرة ومقصوده
من الزرع قد يحصل وقد لايحصل كان في هذا حصول أحد
المتعاوضين على مقصوده دون الآخر وأما المزارعة فان حصل الزرع
اشتركا فيه وان لم يحصل شيء شتركا في الحرمان فلا يختص أحدهما
بحصول مقصوده دون الآخر فهذا أقرب الى العدل وأبعد من الظلم
من الاجارة * والاصل في العقود جميعها هو العدل فانه بعثت به الرسل
وأنزلت الكتب قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والشارع نهي عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم والقرآن جاء بتحريم هذا وهذا وكلاهما أكل المال بالباطل وما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات كبيع الغرر و بيع الثمر قبل بدو صلاحه و بيع السنين و بيع حبل الحبلة و بيع المزابنة والمحاقلة ونحو ذلك هي داخلة اما في الربا واما في الميسر .فالاجارة بالإجرة المجهولة مثل أن يكريه الدار بما يكسبه المكترى في حانوته من المال هو من الميسر فهذا لايجوز وأما المضاربة والمساقاة والمزارعة فليس فيها شيء من الميسر بل هو من أقوم العدل وهذا مما يبين لك ان المزارعة التي يكون فيها البذر من العامل أحق بالجواز من المزارعة التي يكون فيها من رب الارض ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزارعون على هذا الوجه وكذلك عامل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر بشطر مايخرج منها من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم والذين اشترطوا أن يكون البذر من رب الارض قاسوا ذلك على المضاربة فقالوا في المضاربة المال من واحد والعمل من آخر وكذلك ينبغى أن يكون في المزارعة وجعلوا البذر من رب المال كالارض وهذا القياس مع أنه مخالف للسنة ولاقوال الصحابة فهو من أفسد القياس وذلك ان المال في المضاربة يرجع الي صاحبه ويقتسمان الربح فهو نظير الارض في المزارعة وأما البذر الذى لايعود نظيره الى صاحبه بل يذهب كما يذهب نفع الارض فالحاقه بالنفع الذاهب أولى من الحاقه بالاصل الباقى فالعاقد اذا أخرج البذر ذهب عمله وبذره

ورب الارض ذهب نفع أرضه وبذر هذا كارض هذا في جعل البذر كالمال كان ينبغي له أن يعيد مثل البذر الى صاحبه كما قال مثل ذلك في المضاربة فكيف ولو اشترط رب البذر نظير عود بذره ليه لم يجوزوا ذلك وليس هذا موضع بسط هذه المسائل وانما الغرض التنبيه على جنس قول القائل هذا يخالف القياس

(فصل) وأما الحوالة فمن قال تخالف القياس قال انها بيع دين بدين وذلك لايجوز وهذا غلط من وجهين أحدهما أن بيع الدين بالدين ليس فيه نص عام ولا اجماع وانما ورد النهى عن بيع الكالىء بالكالىء والكالىء هو المؤخر الذي لم يقبض بالمؤخر الذى لم يقبض وهذا كما لو أسلم شيئا في شيء في الذمة وكلاهما مؤخر فهذا لايجوز بالاتفاق وهو بيع كالىء بكالىء وأما بيع الدين بالدين فينقسم الى بيع واجب بواجب كما ذكرناه وينقسم الى بيع ساقط بساقط وساقط بواجب وهذا فيه نزاع * الوجه الثانى ان الحوالة من جنس ايفاء الحق لا من جنس البيع فان صاحب الحق اذا استوفى من المدين ماله كان هذا استيفاء فاذا أحاله على غيره كان قد استوفي ذلك الدين عن الدين الذى له فى ذمة المحيل ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحوالة فى معرض الوفاء فقال في الحديث الصحيح مطل الغنى ظلم واذا اتبع أحدكم على ملىء فليتبع فأمر المدين بالوفاء ونهاه عن المطل وبين انه ظالم اذا مطل وأمر الغريم بقبول الوفاء اذا أحيل على ملىء وهذا كقوله تعالى فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان أمر المستحق أن يطالب بالمعروف وأمر

المدين أن يؤ ى باحسان ووفاء الدين ليس هو البيع الخاص وان كان فيه شوب المعاوضة وقد ظن بعض الفقهاء ان الوفاء انما يحصل باستيفاء الدين بسبب أن الغريم اذا قبض الوفاء صار في ذمته للمدين مثله يتقاص ماعليه بماله وهـذا تكلف أنكره جمهور الفقهاء وقالوا بل نفس المال الذى قبضه يحصل به الوفاء ولا حاجة أن نقدر فى ذمة المستوفي دينا وأولئك قصدوا أن يكون وفاء الدين بدين وهذا لاحاجة اليه بل الدين من جنس المطلق الكلى والمعين من جنس المعـين فمن ثبت في ذمته دين مطلق كلى فالمقصود منه هو الاعيان الموجودة وأى معين استوفاه حصل به المقصود من ذلك الدين المطلق

(فصـل ومن قال القرض خـلاف القياس) قال لانه بيع ربوي بجنسه من غير قبض وهذا غلط فان القرض من جنس التبرع بالمنافع كالعارية ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسـلم منيحة فقال أو منيحة ذهب أو منيحة ورق وباب العارية أصـله أن يعطيه أصل المال لينتفع بما يستخلف منه ثم يعيده اليه فتارة ينتفع بالمنافع كما فى عارية العقار وتارة يمنحه ماشـية ليشرب لبنها ثم يعيدها وتارة يعـيره شجرة ليأكل ثمرها ثم يعيدها فان اللبن والثمر يستخلف شيئا بعـد شئ بمنزلة المنافع ولهذا كان في الوقف يجرى مجرى المنافع والمقرض يقرضه مايقرضه لينتفع به ثم يعيـد له بمثله فان اعادة المثل تقوم مقام اعادة العين ولهذا نهى أن يشترط زيادة على المثل كما لو شرط في العارية أن يرد مع الاصـل غيره وليس هذا من باب البيع فان عاقلا لايبيع درهما بمثله من كل وجه الى

أجل ولا يباع الشيء بجنسه الى أجل الا مع اختلاف الصفة أو القدر كما يباع نقد بنقد آخر وصحيح بمكسور ونحو ذلك ولكن قد يكون القرض منفعة للمقرض كما في مسئلة السفتجة ولهذا كرهها من كرهها والصحيح أنها لا تكره لان المقترض ينتفع بها أيضاً ففيها منفعة لهما جميعا اذا أقرضه

(فصل) وأما قول من يقول ازالة النجاسة على خلاف القياس والنكاح على خلاف القياس . نحو ذلك فهو من أفسد الاقوال وشبهتهم أنهم يقولون الانسان شريف والنكاح فيه ابتذال المرأة وشرف الانسان ينافي الابتذال وهذا غلط فان النكاح من مصلحة شخص المرأة ونوع الانسان والقدر الذي فيه من كون الذكر يقوم على الانثى هو من الحكمة التي بها تتم مصلحة جنس الحيوان فضلا عن نوع الانسان ومثل هذا الابتذال لا ينافي الانسانية كما لا ينافيها ان يتغوط الانسان اذا احتاج الى ذلك وان يأكل ويشرب وان كان الاستغناء عن ذلك أكمل بل ما احتاج اليه الانسان وحصلت له به مصلحته فانه لا يجوز ان يمنع منه والمرأة محتاجة الى النكاح وهو من تمام مصلحتها فكيف يقال القياس يقتضي منعها أن تتزوج

وكذلك ازالة النجاسة فان شبهة من قال انها تخالف القياس ان الماء اذا لاقاها نجس الماء ثم اذا صب ماء آخر لاقى الاول وهلم جرا قالوا فكان القياس انه تنجس المياه المتلاحقة والنجس لا يزيل النجس وهذا غلط فانه يقال لم قلتم القياس يقتضي ان الماء اذا لاقى النجاسة نجس * فان قلتم لانه في بعض الصور كذلك * قيل الحكم في الاصل ممنوع عند

من يقول الماء لاينجس الا بالتغير ومن سلم الاصل قال ليس جعل الازالة مخالفة للقياس بأولى من جعل تنجس الماء مخالفا للقياس بان يقال القياس يقتضى ان الماء اذا لاقى نجاسة لاينجس كما انه اذا لاقاها حال الازالة لاينجس فهذا القياس أصح من ذلك لان النجاسة تزول بالماء بالنص والاجماع واما تنجس الماء بالملاقاة فمورد نزاع فكيف يجعل مواقع النزاع حجة على مواقع الاجماع والقياس أن يقاس موارد النزاع على مواقع الاجماع ثم يقال الذي يقتضيه المعقول ان الماء اذا لم تغيره النجاسة لاينجس فانه باق على أصل خلقه وهو طيب داخل فى قوله تعالى (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وهذا هو القياس فى المائعات جميعها اذا وقعت فيها نجاسة فاستحالت حتى لم يظهر طعمها ولا لونها ولا ريحها أن لاتنجس فقد تنازع الفقهاء هل القياس يقتضى نجاسة الماء بملاقاة النجاسة الا ما استثناه الدليل أو القياس يقتضى أنه لاينجس اذا لم تتغير على قولين والاول قول أهل العراق والثانى قول أهل الحجاز وفقهاء الحديث منهم من يختار هذا ومنهم من يختار هذا وهم أهل الحجاز وهو الصواب الذى تدل عليه الاصول والنصوص والمعقول فان الله أباح الطيبات وحرم الخبائث والطيب والخبث باعتبار صفات قائمة بالشئ فما دام على حاله فهو طيب فلا وجه لتحريمه ولهذا لو وقعت قطرة خمر فى جب لم يجلد شاربه والذين يسلمون أن القياس نجاسة الماء بالملاقاة فرقوا بين ملاقاته في الازالة وبين غيرها بفروق منهم من قال الماء ههنا وارد على النجاسة وهناك وردت النجاسة عليه وهذا ضعيف فانه لو صب ماء فى جب نجس ينجس عندهم ومنهم

من قال الماء اذا كان في مورد التطهير لازالة الخبث أو الحدث لم يثبت له حكم النجاسة ولا الاستعمال الا اذا انفصل واما قبل الانفصال فلا يكون مستعملا ولا نجساً وهذا حكاية مذهب ليس فيه حجة ومنهم من قال الماء في حال الازالة جار والماء الجاري لاينجس الا بالتغير وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهو أنص الروايتين عن أحمد وهو القول القديم للشافعي ولكن ازالة النجاسة تارة تكون بالجريان وتارة تكون بدونه كما لو صب الماء على الثوب فى الطست

فالصواب ان مقتضى القياس أن الماء لاينجس الا بالتغير والنجاسة لاتزول به حتى يكون غير متغير واما في حال تغيره فهو نجس لكن تخفف به النجاسة واما الازالة فانما تحصل بالماء الذى ليس بمتغير وهذا القياس في الماء هو القياس فى المائعات كلها انها لاتنجس اذا استحالت النجاسة فيها ولم يبق لها فيها أثر فانها حينئذ من الطيبات لامن الخبائث وهذا القياس هو القياس فى قليل الماء وكثيره وقليل المائع وكثيره فان قام دليل شرعى على نجاسة شئ من ذلك فلا نقول انه خلاف القياس بل نقول دل ذلك على أن النجاسة ما استحالت

ولهذا كان أظهر الاقوال في المياه مذهب أهل المدينة والبصرة أنه لاينجس الا بالتغير وهو احدى الروايات عن الامام أحمد نصرها طائفة من أصحابه كالامام أبي الوفاء بن عقيل وأبى محمد بن المني وكذلك الماء المستعمل فى طهارة الحدث باق على طهوريته وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الماء لاينجس فلا يصير الماء جنباً ولايتعدى

اليه حكم الجنابة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن البول فى الماء الدائم أوعن الاغتسال فيه لايدل على أنه يصير نجساً بذلك بل قد نهى عنه لما يفضى اليه البول بعد البول من افساده أو لما يؤدى الى الوسواس كما نهى عن بول الرجل فى مستحمه وقال عامة الوسواس منه ونهيه عن الاغتسال قد جاء فيه أنه نهى عن الاغتسال فيه بعد البول وهذا يشبه نهيه عن بول الانسان في مستحمه

(وقد) ثبت فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن فأرة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم والتفريق المروى فيه ان كان جامداً فألقوها وما حولها وان كان مائماً فلا تقربوه غلط كما بينه البخارى والترمذى وغيرهما وهو من غلط معمر فيه وابن عباس راويه أفتى فيما اذا ماتت أن تلقى وما حولها وتؤكل فقيل لهما انها قد دارت فيه فقال انما ذاك لما كانت حية فلما ماتت استقرت رواه أحمد فى مسائل ابنه صالح وكذلك الزهرى راوى الحديث أفتى في الجامد والمائع القليل والكثير سمنا كان أو زيتاً أو غير ذلك بأن تلقى وما قرب منها ويؤكل الباقى واحتج بالحديث فكيف قد يكون روى فيه الفرق

وحديث القلتين ان صح عن النبى صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك أيضاً فان قوله اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث وفي اللفظ الآخر لم ينجسه شئ يدل على أن الموجب لتنجاسته كون الخبث فيه محمولا فمتى كان مستهلكا فيه لم يكن محمولا فمنطوق الحديث وتعليله لم يدل على ذلك

واما تخصيص القلتين بالذكر فانهم سألوه عن الماء يكون بأرض الفلاة وما ينوبه من السباع والدواب وذلك الماء الكثير فى العادة فبين صلى الله عليه وسلم ان مثل ذلك لايكون فيه خبث فى العادة بخلاف القليل فانه قد يحمل الخبث وقد لايحمله فان الكثرة تعين على احالة الخبث الى طيبه والمفهوم لايجب فيه العموم فليس اذا كان القلتان لاتحمل الخبث يلزم أن مادونها يلزمه مطلقا على أن التخصيص وقع جوابا لأناس سألوه عن مياه معينة فقد يكون التخصيص لان هذه كثيرة لاتحمل الخبث والقلتان كثير ولا يلزم أن لايكون الكثير الا قلتين والا فلوكان هذا حداً فاصلا بين الحلال والحرام لذكره ابتداء ولان الحدود الشرعية تكون معروفة كنصاب الذهب والمعشرات ونحو ذلك والماء الذى تقع فيه النجاسة لايعلم كيله الا خرصاً ولا يمكن كيله فى العادة فكيف يفصل بين الحلال والحرام بما يتعذر معرفته على غالب الناس في غالب الاوقات وقد أطلق في غير حديث قوله الماء طهور لاينجسه شئ والماء لايجنب ولم يقدره مع ان تأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز ومنطوق هذا الحديث يوافق تلك ومفهومه انما يدل عند من يقول بدلالة المفهوم اذا لم يكن هناك سبب يوجب التخصيص بالذكر لا الاختصاص بالحكم وهذا لايعلم هنا

وحديث الامر باراقة الاناء من ولوغ الكلب لان الآنية التى يلغ فيها الكلب في العادة صغيرة ولعابه لزج يبقى في الماء ويتصل بالاناء فيراق الماء ويغسل الاناء من ريقه الذى لم يستحل بعد بخلاف ما اذا ولغ فى

أناء كبير وقد نقل حرب عن أحمد فى كلب ولغ في جب كبير فيه زيت فأمره بأكله وبسط هذه المسائل له موضع آخر وانما المقصود التنبيه على مخالفة القياس وموافقته

(فصل) وقول القائل ان تطهير الماء على خلاف القياس هو بناء على هذا الاصل الفاسد والا فمن كان من أصله ان القياس ان الماء لاينجس الا بالتغير فالقياس عنده تطهيره فان الحكم اذا ثبت بعلة زال بزوالها واذا كانت العلة التغير فاذا زال التغير زالت النجاسة كما ان العلة لما كانت في الخمر الشدة المطربة فاذا زالت طهرت كيف والنجاسة في الماء واردة عليه كنجاسة الارض ولكن قد يقال هذا مبني على مسئلة الاستحالة وفيها نزاع مشهور ففي مذهب مالك وأحمد قولان ومذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر أنها تطهر بالاستحالة ومذهب الشافعي لاتطهر بالاستحالة وقول القائل انها تطهر بالاستحالة أصح فان النجاسة اذا صارت ملحاً أو رماداً فقد تبدلت الحقيقة وتبدل الاسم والصفة فالنصوص المتناولة لتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير لاتتناول الملح والرماد والتراب لالفظا ولا معنى والمعنى الذى لاجله كانت تلك الاعيان خبيثة معدوم فى هذه الاعيان فلا وجه للقول بأنها خبيثة نجسة والذين فرقوا بين ذلك وبين الخمر قالوا الخمر نجست بالاستحالة فطهرت بالاستحالة فيقال لهم وكذلك البول والدم والعذرة انما نجست بالاستحالة فينبغى أن تطهر بالاستحالة

(فصل) وأما قول القائل التوضؤ من لحوم الابل على خلاف

القياس فهذا انما قاله لانها لحم واللحم لايتوضأ منـه وصاحب الشرع قد فرق بين لحم الغنم ولحم الابل كما فرق بين معاطن هـذه ومبارك هذه فأمر بالصلاة في هذا ونهى عن الصلاة في هـذا فدعوى المدعى أن القياس التسوية بينهما من جنس قول الذين قالوا انما البيع مثـل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا والفرق بينهما ثابت في نفس الامر كما فرق بين أصحاب الابـل وأصحاب الغنم فقال الفخر والخيـلاء في الفدادين أصحاب الابل والسكينة فى أهل الغنم وروى فى الابل انها جن خلقت من جن وروى على ذروة كل بعـير شـيطان فالابل فيها قوة شيطانية والغاذى شبيه بالمغتذى ولهـذا حرم كل ذى ناب من السـباع وكل ذى مخلب من الطير لانها دواب عادية بالاغتذاء بها تجعل فى خلق الانسان من العدوان مايضره في دينه فنهى الله عن ذلك لأن المقصود أن يقوم الناس بالقسط والابل اذا أكل منها تبقى فيه قوة شيطانية وفى الحديث الذى فى السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفئ النار بالماء قال النبي صلى الله عليه وسـلم فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فاذا توضأ العبد من لحوم الابل كان فى ذلك من اطفاء القوة الشيطانية مايزيل المفسدة بخلاف من لم يتوضأ منها فان الفساد حاصـل معه ولهـذا يقال ان الاعراب بأكلهم لحوم الابل مع عـدم الوضوء منها صار فيهم من الحقد ماصار ولهذا أمر بالوضوء مما مست النار وهو حـديث صحيح وقد ثبت في أحاديث صحيحة أنه أكل ممـا مست النار ولم يتوضأ فقيـل ان الاول

منسوخ لكن لم يثبت ان ذلك، متقدم على هـذا بل رواه أبو هريرة واسلامه متأخر عن تاريخ بعض تلك الاحاديث كحديث السويق الذى كان بخيبر فانه كان قبل اسلام أبى هريرة وقيل بل الامر بالتوضؤ مما مست النار استحباب كالامر بالتوضؤ من الغضب وهذا أظهر القولين وهما وجهان في مذهب أحمد فان النسخ لا يصار اليه الا عند التنافي والتاريخ وكلاهما منتف بخلاف حمل الامر على الاستحباب فان له نظائر كثيرة

وكذلك التوضؤ من مس الذكر ومس النساء هو من هذا الباب لما فيه من تحريك الشهوة فالتوضؤ مما يحرك الشهوة كالتوضؤ من الغضب وما مسته النار هو من هذا الباب فان الغضب من الشيطان والشيطان من النار وأما لحم الابل فقد قيل التوضؤ منه مستحب لكن تفريق النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين لحم الغنم مع ان ذلك مسته النار والوضوء منه مستحب دليل على الاختصاص وما فوق الاستحباب إلا الايجاب ولان الشيطنة في الابل لازمة وفيما مسته النار عارضة ولهذا نهى عن الصلاة في أعطانها للزوم الشيطان لها بخلاف الصلاة في مباركها في السفر فانه جائز لانه عارض والحشوش محتضرة فهي أولى بالنهي من أعطان الابل وكذلك الحمام بيت الشيطان وفى الوضوء من اللحوم الخبيثة عن أحمد روايتان على أن الحكم مما عقل معناه فيعدى أو ليس كذلك والخبائث التى أبيحت للضرورة كلحوم السباع أبلغ فى الشيطنة من لحوم الابل فالوضوء منها أولى

وقد تنازع العلماء في الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين كالفصاد والحجامة والجرح والقيء والوضوء من مس النساء لشهوة وغير شهوة والتوضىء من مس الذكر والتوضىء من القهقهة فبعض الصحابة كان يتوضأ من مس الذكر كسعد وابن عمر وكثير منهم لم يكن يتوضأ منه والوضوء منه هل هو واجب أو مستحب فيه عن مالك وأحمد روايتان وايجابه قول الشافعي وعدم الايجاب مذهب أبي حنيفة وكذلك مس النساء لشهوة اذا قيل باستحبابه فهذا يتوجه وأما وجوب ذلك فلا يقوم لدليل الا على خلافه ولا يقدر أحد قط أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر أصحابه من مس النساء ولا من النجاسات الخارجة لعموم البلوى بذلك وقوله تعالى (أو لامستم النساء) المراد به الجماع كما فسره بذلك ابن عباس وغيره لوجوه متعددة وقوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة انما ذلك عرق وليس بالحيضة تعليل لعدم وجوب الغسل لا لوجوب الوضوء فان وجوب الوضوء لايختص بدم العروق بل كانت قد ظنت أن ذلك الدم هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فبين لها النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا ليس هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فان ذلك يرشح من الرحم كالعرق وانما هذا دم عرق انفجر في الرحم ودماء العروق لاتوجب الغسل وهذه مسائل مبسوطة في مواضع أخر .

والمقصود هنا التنبيه على فساد من يدعي التناقض في معاني الشريعة أو ألفاظها ويزعم ان الشارع يفرق بين المتماثلين بل نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم بعث بالهدى ودين الحق بالحكمة والعدل والرحمة فلا يفرق بين شيئين في الحكم الا لافتراق صفاتهما المناسبة للفرق ولا يسوي بين شيئين الا لتماثلهما في الصفات المناسبة للتسوية

والاظهر انه لايجب الوضوء من مس الذكر ولا النساء ولا خروج النجاسات من غير السبيلين ولا القهقهة ولا غسل الميت فانه ليس مع الموجبين دليل صحيح بل الادلة الراجحة تدل على عدم الوجوب لكن الاستحباب متوجه ظاهر فيستحب أن يتوضأ من مس النساء لشهوة ويستحب أن يتوضأ من الحجامة والقيء ونحوهما كما في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ والفعل انما يدل على الاستحباب ولم يثبت عنه انه أمر بالوضوء من الحجامة ولا أمر أصحابه بالوضوء اذا جرحوا مع كثرة الجراحات والصحابة نقل عنهم فعل الوضوء لا ايجابه وكذلك القهقهة في الصلاة ذنب ويشرع لكل من أذنب أن يتوضأ وفي استحباب الوضوء من القهقهة وجهان في مذهب أحمد وغيره وأما الوضوء من الحدث الدائم لكل صلاة ففيه أحاديث متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صحح بعضها غير واحد من العلماء فقول الجمهور الذين يوجبون الوضوء لكل صلاة أظهر وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد والله أعلم

(فصل) وأما الحجامة فانا اعتقد أن الفطر منها مخالف للقياس من اعتقد ان الفطر مما خرج لا مما دخل وهؤلاء أشكل عليهم القيء والاحتلام ودم الحيض والنفاس وأما من تدبر أصول الشرع ومقاصده

فانه رأى الشارع لما أمر بالصوم أمر فيه بالاعتدال حتى كره الوصال وأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور وجعل أعدل الصيام وأفضله صيام داود وكان من العدل أن لايخرج من الانسان ماهو قيام قوته فالقيء يخرج الغذاء والاستمناء يخرج المني والحيض يخرج الدم وبهذه الامور قوام البدن لكن فرق بين مايمكن الاحتراز منه ومالا يمكن فالاحتلام لايمكن الاحتراز منه وكذلك من ذرعه القيء وكذا دم الاستحاضة فانه ليس له وقت معين بخلاف دم الحيض فان له وقتا معينا فالمحتجم أخرج دمه وكذلك المفتصد بخلاف من خرج دمه بغير اختياره كالمجروح فان هذا لايمكن الاحتراز منه فكانت الحجامة من جنس القيء والاستمناء والحيض وكان خروج دم الجرح من جنس الاستحاضة والاحتلام وذرع القيء فقد تناسبت الشريعة وتشابهت ولم تخرج عن القياس والاظهر انه لايفطر بالكحل ولا بالتقطير في الاحليل ولا بابتلاع مالا يغذى كالحصاة ولكن يفطر بالسعوط لقوله وبالغ في الاستنشاق الا أن تكون صائما

(فصل) وأما قولهم السلم على خلاف القياس فقولهم هذا من جنس مارووا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتبع ماليس عندك وأرخص في السلم وهذا لم يرو في الحديث وانما هو من كلام بعض الفقهاء وذلك انهم قالوا السلم بيع الانسان ماليس عنده فيكون مخالفاً للقياس ونهى النبي صلى الله عليه وسلم حكيم بن حزام عن بيع ماليس عنده اما ان يراد به بيع عين معينة فيكون قد باع مال الغير قبل أن يشتريه

وفيه نظر واما ان يراد به بيع ملا يقدر على تسليمه وان كان في الذمة وهذا أشبه فيكون قد ضمن له شيئا لايدرى هل يحصل أولا يحصل وهذا فى السلم الحال اذا لم يكن عنده مايوفيه والمناسبة فيه ظاهرة فاما السلم المؤجل فانه دين من الديون وهو كالابتياع بثمن مؤجل فاي فرق بين كون أحد العوضين مؤجلا فى الذمة وكون العوض الآخر مؤجلا في الذمة وقد قال تعالى (اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) وقال ابن عباس أشهد أن السلف المضمون في الذمة حلال فى كتاب الله وقرأ هذه الآية فاباحة هذا على وفق القياس لاعلى خلافه

﴿ فصل ﴾ وأما الكتابة فمن قال هى خلاف القياس لكونه بيع ماله بماله وليس كذلك بل باعه نفسه بمال فى الذمة والسيد لاحق له فى ذمة العبد وانما حقه في بدنه فان السيد حقه مالية العبد في انسانيته فهو من حيث يؤمر وينهى انسان مكلف فيلزمه الايمان والصلاة والصيام لانه انسان والذمة العهد وانما يطالب العبد بما في ذمته بعد عتقه وحينئذ لاملك للسيد عليه فالكتابة بيعه نفسه بمال في ذمته ثم اذا اشترى نفسه كان كسبه له ونفعه له وهو حادث على ملكه الذى استحقه بعقد الكتابة لكن لا يعتق فيها الا بالأداء لان السيد لم يرض بخروجه من ملكه الا بان يسلم له العوض فمتى لم يحصل له العوض وعجز العبد عنه كان له الرجوع في المبيع وهذا هو القياس في المعاوضات ولهذا يقول اذا عجز المشترى عن الثمن لافلاسه كان للبائع الرجوع في

المبيع فالعبد المكاتب مشتر لنفسه فعجزه عن أداء العوض لعجز المشتري وهذا القياس في جميع المعاوضات اذا عجز المعاوض عما عليه من العوض كان للآخر الرجوع في عوضه ويدخل في ذلك عجز الرجل عن الصداق وعجز الزوج عن الوطء وطرده عجز الرجل عن العوض في الخلع والصلح عن القصاص

﴿ فصل ﴾ وأما الاجارة والذين قالوا هي على خلاف القياس قالوا أنها بيع معدوم لان المنافع معدومة حين العقد وبيع المعدوم لا يجوز ثم ان القرآن جاء باجارة الظئر للرضاع في قوله تعالى (فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) فقال كثير من الفقهاء ان اجارة الظئر للرضاع على خلاف قياس الاجارة فان الاجارة عقد على منفع واجارة الظئر عقد على اللبن واللبن من باب الاعيان لا من باب المنافع ومن العجز انه ليس في القرآن ذكر اجارة جائزة الا هذه وقالوا هذه خلاف القياس والشيء انما يكون خلاف القياس اذا كان النص قد جاء في موضع بحكم وجاء في موضع يشابه ذلك بنقيضه فيقال هذا خلاف القياس ذلك النص وليس في القرآن ذكر الاجارة الباطلة حتى يقال القياس يقتضي بطلان هذه الاجارة بل فيه ذكر جواز هذه الاجارة وليس فيه ذكر فساد اجارة يشبهها بل ولا في السنة بيان اجارة فاسدة تشبه هذه وانما أصل قولهم ظنهم ان الاجارة لشرعية انما تكون على المنافع التي هي أعراض لا على أعيان هي أجسام وسنبين ان شاء الله كشف هذه الشبه ولما اعتقد هؤلاء ان اجارة الظئر على خلاف القياس صار بعضهم يحتال لاجرائها

على القياس الذي اعتقدوه فقالوا المعقود عليه فيها هو القيام التدى أو وضعه في الحجر أو نحو ذلك من المنافع التي هي مقدمات الرضاع ومعلوم ان هذه الاعمال انما هي وسيلة الى المقصود بعقد الاجارة والا فهي بمجردها ليست مقصودة ولا معقودا عليها بل ولا قيمة لها أصلا وانما هو كفتح الباب لمن اكترى دارا أو حانوتا أو كصعود الدابة لمن اكترى دابة ومقصود هذا هو السكنى ومقصود هذا هو الركوب وانما هذه الاعمال مقدمات ووسائل الي المقصود بالعقد ثم هؤلاء الذين جعلوا اجارة الظئر علي خلاف القياس طردوا ذلك في مثل ماء البئر والعيون التي تنبع في الارض فقالوا أدخلت ضمنا وتبعاً في العقد حتى ان العقد اذا وقع على نفس الماء كالذى يعقد على عين تنبع ليسقى بها بستانه أو ليسوقها الي مكانه ليشرب منها وينتفع بمائها قالوا المعقود عليه الاجراء في الارض أو نحو ذلك مما يتكلفونه ويخرجوا الماء المقصود بالمعقود عن أن يكون معقودا عليه

ونحن على هذين الاصلين على قول من جعل الاجارة على خلاف القياس وعلى قول من جعل اجارة الظئر ونحوها علي خلاف القياس أما الاول فنقول قولهم الاجارة بيع معدوم وبيع المعدوم على خلاف القياس مقدمتان مجملتان فيهما تلبيس فان قولهم الاجارة بيع ان أرادوا أنها البيع الخاص الذى يعقد علي الاعيان فهو باطل وان أرادوا البيع العام الذى هو معاوضة اما على عين واما على منفعة فقولهم فى المقدمة الثانية ان بيع المعدوم لايجوز انما يسلم ان سلم فى الاعيان لافي المنافع

ولما كان لفظ البيع يحتمل هذا وهذا تنازع الفقهاء في الاجارة هل تنعقد بلفظ البيع على وجهين والتحقيق أن المتعاقدين ان عرفا المقصود انعقدت فأي لفظ من الالفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما انعقد به العقد وهذا عام في جميع العقود ان الشارع لم يحد في ألفاظ العقود حدا بل ذكرها مطلقة فكما تنعقد العقود بما يدل عليها من الالفاظ الفارسية والرومية وغيرها من الالسن العجمية فهي تنعقد بما يدل عليها من الالفاظ العربية ولهذا وقع الطلاق والعتاق بكل لفظ يدل عليه وكذلك البيع وغيره وطرد هذا النكاح فان اصح قولي العلماء أنه ينعقد بكل لفظ يدل عليه لا يختص بلفظ الانكاح والتزويج وهذا مذهب جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك وهو أحد القولين في مذهب أحمد بل نصوصه لم تدل الا على هذا الوجه واما الوجه الآخر من أنه انما ينعقد بلفظ الانكاح والتزويج فهو قول أبي عبد الله بن حامد وأتباعه كالقاضي أبي يعلى ومتبعيه وأما قدماء أصحاب أحمد وجمهورهم فلم يقولوا بهذا الوجه وقد نص أحمد في غير موضع على أنه اذا قال أعتقت أمتي وجعلت عتقها صداقها انعقد النكاح وليس هنا لفظ انكاح وتزويج ولهذا ذكر ابن عقيل وغيره ان هذا يدل على أنه لا يختص النكاح بلفظ وأما ابن حامد فطرد قوله وقال لا بد أن يقول مع ذلك وتزوجتها والقاضي أبو يعلى جعل هذا خارجا عن القياس فجوز النكاح هنا بدون لفظ الانكاح والتزويج وأصول الامام أحمد ونصوصه تخالف هذا فان من أصله أن العقود تنعقد بما يدل على مقصودها من قول أو فعل فهو

لا يرى اختصاصها بالصيغ ومن أصله ان الكناية مع دلالة الحال كالصريح لا تفتقر الى اظهار النية ولهذا قال بذلك في الطلاق والقذف وغير ذلك والذين قالوا ان النكاح لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج من أصحاب الشافعي قالوا لان ماسوى اللفظين كناية والكناية لا يثبت حكمها الا بالنية والنية باطن والنكاح مفتقر الى شهادة والشهادة انما تقع على السمع فهذا أصل أصحاب الشافعي الذين خصوا عقد النكاح باللفظين وابن حامد وأتباعه وافقوهم لكن أصول أحمد ونصوصه تخالف هذا فان هذه المقدمات باطلة على أصله أما قول القائل ما سوى هذين كناية فانما يستقيم أن لو كان ألفاظ الصريح والكناية ثابتة بعرف الشرع كما يقوله الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخرقي والقاضي أبي يعلى وغيرهما ان الصريح في الطلاق هو الطلاق والفراق والسراح لمجيء القرآن بذلك فاما جمهور العلماء كأبي حنيفة ومالك وغيرهما وجمهور أصحاب أحمد كأبي بكر وابن حامد وأبي الخطاب وغيرهم فلا يوافقون على هذا الاصل بل منهم من يقول الصريح هو لفظ الطلاق فقط كأبي حنيفة وابن حامد وأبي الخطاب وغيرهما من أصحاب أحمد وبعض أصحاب الشافعي ومنهم من يقول بل الصريح أعم من هذه الالفاظ كما يذكر عن مالك وهو قول أبي بكر وغيره من أصحاب أحمد وهو الجمهور يقولون كلا المتقدمتين المذكورتين ان صريح الطلاق ثابته مقدمة باطلة اما قولهم ان هذه الالفاظ صريحة في خطاب الشارع فليس كذلك بل لفظ السراح والفراق في القرآن مستعمل في غير الطلاق

قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) فأمر بتسريحهن بعد الطلاق قبل الدخول وهو طلاق بائن لارجعة فيه وليس التسريح هنا تطليقاً باتفاق المسلمين وقال تعالى (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف) وفي الآية الاخرى أوفارقوهن بمعروف فلفظ الفراق والسراح ليس المراد به هنا الطلاق فاما المطلقة الرجعية فهو مخير بين ارتجاعها وبين تخلية سبيلها لايحتاج الي طلاق ثان

وأما المقدمة الثانيـة فلا يلزم من كون اللفظ صريحاً فى خطاب الشارع أن يكون صريحاً فى خطاب كل من يتكلم وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان قول القائل ان الاجارة نوع من البيع ان أراد به البيع الخاص وهو الذى يفهم من لفظ البيع عنـد الاطلاق فليس كذلك فان ذاك انما ينعقد على أعيان معينة أو مضمونة في الذمة وان أراد بأنها نوع من المعاوضة العامة التى تتناول العقد على الاعيان والمنافع فهذا صحيح لكن قوله ان المعاوضة العامة لاتكون على معدوم دعوى مجردة بل دعوي كاذبة فان الشارع جوز المعاوضة العامة على المعدوم وان قاس بيع المنافع على بيع الاعيان فقال كما ان بيع الاعيان لايكون الا علي موجود فكذلك بيع المنافع وهذا حقيقة كلامه فهذا القياس فى غاية الفساد فانه من شرط القياس أن يمكن اثبات حكم الاصل فى الفرع وهو هنا متعذر لان المنافع لايمكن ان يعقد عليها في حال وجودها

فلا يتصور ان تباع المنافع في حال وجودها كما تباع الاعيان في حال وجودها والشارع أمر الانسان أن يؤخر العقد على الاعيان التي لم تخلق الى أن يخلق فنهى عن بيع السنين وبيع حبل الحبلة وبيع التمر قبل بدو صلاحه وعن بيع الحب حتى يشتد ونهى عن بيع المضامين والملاقيح وعن المجر وهو الحمل وهذا كله نهى عن بيع حيوان قبل أن يخلق وعن بيع حب وتمر قبل أن يخلق وأمر بتأخير بيعه الى أن يخلق وهذا التفصيل وهو منع بيعه فى الحال واجارته في حال يمتنع مثله في المنافع فانه لايمكن أن تباع الا هكذا فما بقاء حكم الاصل مساويا لحكم الفرع الا أن يقال فانا أقيسه على بيع الاعيان المعدومة فيقال له هنا شيئان أحدهما يمكن بيعه فى حال وجوده وحال عدمه فنهى الشارع عن بيعه الا اذا وجد والشيء الآخر لايمكن بيعه الا في حال عدمه فالشارع لما نهى عن بيع ذاك حال عدمه فلابد اذا قست عليه أن تكون العلة الموجبة للحكم فى الاصل ثابتة في الفرع فلم قلت ان العلة في الاصل مجرد كونه معدوماً ولم لايجوز ان يكون بيعه في حال عدمه مع امكان تأخير بيعه الى حال وجوده وعلى هذا التقدير فالعلة مقيدة بعدم خاص وهو معدوم يمكن بيعه بعد وجوده وأنت ان لم تبين أن العلة في الاصل القدر المشترك كان قياسك فاسداً وهذا سؤال المطالبة وهو كاف في نقض قياسك لكن نبين فساده فنقول ماذكرناه علة مطردة وما ذكرته علة منتقضة فانك اذا عللت المنع بمجرد العدم انتقضت علتك ببعض الاعيان والمنافع واذا عللته بعدم مايمكن تأخير بيعه الى حال

وجوده أو بعدم هو غررا طردت العلة وأيضاً فالمناسبة تشهد لهذه العلة فانه اذا كان له حال وجود وعدم كان بيعه حال العدم فيه مخاطرة وقمار وبها علل النبي صلى الله عليه وسلم المنع حيث قال أرأيت ان منع الله الثمرة فيم يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق بخلاف ما ليس له الا حال واحدة والغالب فيه السلامة فان هذا ليس مخاطرة فالحاجة داعية اليه ومن أصول الشرع أنه اذا تعارض المصلحة والمفسدة قدم أرجحهما فهو انما نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التي تضر بأحدهما وفي المنع مما يحتاجون اليه من البيع ضرر أعظم من ذلك فلا يمنعهم من الضرر اليسير بوقوعهم فى الضرر الكثير بل يدفع أعظم الضررين باحتمال أدناهما ولهذا لما نهاهم عن المزابنة لما فيها من نوع ربا أو مخاطرة فيها ضرر أباحها لهم في العرايا للحاجة لان ضرر المنع من ذلك أشد وكذلك لما حرم عليهم الميتة لما فيها من خبث التغذية اباحها لهم عند الضرورة لان ضرر الموت أشد ونظائره كثيرة * فان قيل فهذا كله على خلاف القياس * قيل قد قدمنا ان الفرع اختص بوصف أوجب الفرق بينه وبين الاصل فكل فرق صحيح على خلاف القياس الفاسد وان أريد بذلك ان الاصل والفرع استويا فى المقتضى والمانع واختلف حكمهما فهذا باطل قطعاً فى الجملة الشيء اذا شابه غيره في وصف وفارقه فى وصف كان اختلافهما في الحكم باعتبار الفارق مخالفا لاستوائهما باعتبار الجامع لكن هذا هو القياس الصحيح طرداً وعكساً وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين وأما التسوية بينهما

في الحكم مع افتراقهما فيما يوجب الحكم ويمنعه فهذا قياس فاسد والشرع دائماً يبطل القياس الفاسد كقياس ابليس وقياس المشركين الذين قالوا انما البيع مثل الربا والذين قاسوا الميت على المذكى وقالوا أتأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتل الله فجعلوا العلة في الاصل كونه قتل آدمي وقياس الذين قاسوا المسيح على أصنامهم فقالوا لما كانت آلهتنا تدخل النار لانها عبدت من دون الله فكذلك ينبغي أن يدخل المسيح النار قال الله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) وهذا كان وجه مخاصمة ابن الزبعرى لما أنزل الله (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون) فان الخطاب للمشركين لا لاهل الكتاب والمشركون لم يعبدوا المسيح وانما كانوا يعبدون الاصنام والمراد بقوله وما تعبدون الاصنام فالآية لم تتناول المسيح لالفظا ولا معنى وقول من قال ان الآية عامة تتناول المسيح ولكن أخر بيان تخصيصها غلط منه ولو كان ذلك صحيحاً لكانت حجة المشركين متوجهة فان من خاطب بلفظ العام يتناول حقاً وباطلا لم يبين مراده توجه الاعتراض عليه وقد قال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي هم ضربوه مثلا كما قال (ماضربوه لك الا جدلا) أي جعلوه مثلا لآلهتهم فقاسوا الآلهة عليه وأوردوه مورد المعارضة فقالوا اذا دخلت آلهتنا النار لكونها معبودة فهذا المعنى موجود في المسيح فيجب أن يدخل النار وهو لايدخل النار فهي

لاتدخل النار وهذا قياس فاسد لظنهم أن العلة مجرد كونه معبوداً وليس كذلك بل العلة أنه معبود ليس مستحقاً للثواب أو معبود لاظلم فى ادخاله النار فالمسيح والعزير والملائكة وغيرهم ممن عبد من دون الله وهو من عباد الله الصالحين وهو مستحق لكرامة الله بوعد الله وعدله وحكمته فلا يعذب بذنب غيره فانه لاتزر وازرة وزر أخرى والمقصود بالقاء الاصنام فى النار اهانة عابديها وأولياء الله لهم الكرامة دون الاهانة فبهذا الفارق يبين فساد تعليق الحكم بذلك الجامع والاقيسة الفاسدة من هذا الجنس فمن قال ان الشريعة تأتى بخلاف مثل هذا القياس فقد أصاب هذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل والعدل والحكمة التي بعث الله بها رسوله ومن لم يخالف مثل هذه الاقيسة الفاسدة بل سوى بين الشيئين باشتراكهما في أمر من الامور لزمه أن يسوى بين كل موجودين لاشتراكهما فى مسمى الوجود فيسوى بين رب العالمين وبين بعض المخلوقين فيكون من الذين هم بربهم يعدلون ويشركون فان هذا من أعظم القياس الفاسد وهؤلاء يقولون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ولهذا قال طائفة من السلف أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس أي بمثل هذه المقاييس التى يشتبه فيها الشئ بما يفارقه كاقيسة المشركين ومن كان له معرفة بكلام الناس في العقليات رأى عامة ضلال من ضل من الفلاسفة والمتكلمين بمثل هذه الاقيسة الفاسدة التى يسوى فيها بين الشيئين لاشتراكهما في بعض الامور مع ان بينهما من الفرق مايوجب أعظم

المخالفة واعتبر هذا بكلامهم في وجود الرب ووجود المخلوقات فان فيه من الاضطراب ماقد بسطناه في غير هذا الموضع وهـذا الذي ذكرناه في الاجارة بناء على تسليم قولهم ان بيع الاعيان المدومة لايجوز وهذه المقدمة الثانية والكلام عليها من وجهين أحدها أن نقول لانسلم صحة هذه المقدمة فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل ولا عن أحد من الصحابة ان بيع المعدوم لايجوز لا لفظ عام ولا معنى عام وانما فيه النهى عن بيع بعض الاشياء التي هي معدومة كما فيه النهى عن بيع بعض الاشياء التي هي موجودة وليست العلة في المنع لا الوجود ولا العدم بل الذي ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الغرر والغرر مالا يقدر على تسليمه سواء كان موجودا أو معدوما كالعبد الآبق والبعير الشارد ونحو ذلك مما قد لايقدر على تسليمه بل قد يحصل وقد لايحصل هو غرر لايجوز بيعه وان كان موجودا فان موجب البيع تسليم المبيع والبائع عاجز عنـه والمشترى انما يشـتريه مخاطرة ومقامرة فان أمكنه أخذه كان المشـترى قد قمر البائع وان لم يمكنه أخذه كان البائع قد قمر المشترى وهكذا المعدوم الذي هو غرر نهى عن بيعه لكونه غررا لا لكونه معدوما كما اذا باع مايحـمل هـذا الحيوان أو مايحمل هذا البستان فقد يحمل وقد لايحمل واذا حـمل فالمحمول لايعرف قدره ولا وصفه فهذا من القمار وهو من الميسر الذي نهى الله عنه ومثل هـذا اذا أكراه دواب لايقدر على تسليمها أو عقارا لايمكنه تسليمه بل قد يحصل وقد لايحصل فانه اجارة غرر

الوجه الثانى أن نقول بل الشارع صحح بيع المعدوم فى بعض المواضع فانه ثبت عنه فى غير وجه انه نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه ونهى عن بيع الحب حتى يشتد وهذا من أصح الحديث وهو فى الصحيح عن غير واحد من الصحابة فقد فرق بين ظهور الصلاح وعدم ظهوره فأحل أحدهما وحرم الآخر ومعلوم انه قبل ظهور الصلاح لو اشتراه بشرط القطع كما يشترى الحصرم ليقطع حصرما جاز بالاتفاق و نما نهى عنه اذا بيع على أنه باق فيدل ذلك على انه جوزه بعد ظهور الصلاح أن يبيعه على البقاء الى كمال الصلاح وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعى وأحمد وغيرهم ومن جوز بيعه فى الموضعين بشرط القطع ونهى عنه بشرط التبقية أو مطلقا لم يكن عنده لظهور الصلاح فائدة ولم يفرق بين ما نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم وما أذن فيه وصاحب هذا القول يقول موجب العقد التسليم عقبيه فلا يجوز التأخير فيقال له لا نسلم ان هذا موجب العقد اما أن يكون ما أوجبه الشارع بالعقد أو ما أوجبه المتعاقدان على أنفسهما وكلاهما منتف فلا الشارع أوجب أن يكون كل بيع مستحق التسليم عقب العقد ولا العاقد ان التزما ذلك بل تارة يعقدان العقد على هذا الوجه كما اذا باع معينا بدين حال وتارة يشترطان تأخير تسليم الثمن كما فى السلم وكذلك فى الاعيان وقد يكون للبائع مقصود صحيح فى تأخير التسليم كما كان لجابر حين باع بعيره من النبي صلى الله عليه وسلم واستثنى ظهره الى المدينة ولهذا كان الصواب انه يجوز لكل عاقد أن يستثنى من منفعة

المعقود عليه ماله فيه غرض صحيح كما اذا باع عقاراواستثنى سكناه مدة أو دوابه واستثنى ظهرها أو وهب ملكا واستثنى منفعته أو أعتق العبد واستثنى خدمته مدة أو مادام السيد أو وقف عينا واستثنى غلتها لنفسه مدة حياته وأمثال ذلك وهذا منصوص أحمد وغيره وبعض أصحاب أحمد قال لابد اذا استثنى منفعة المبيع من أن يسلم العين الى المشترى ثم يأخذها ليستوفي المنفعة بناء على هذا الاصل الفاسد وهو انه لابد من استحقاق القبض عقب العقد وهو قول ضعيف وعلى هذا الاصل قال من قال انه لاتجوز الاجارة الا لمدة تلى العقد وهؤلاء نظروا الى مايفعله الناس أحيانا جعلوه لازما لهم في كل حال وهو من القياس الفاسد وعلى هذا بنوا اذا باع العين المؤجرة فمنهم من قال البيع باطل لكون المنفعة لاتدخل فى البيع فلا يحصل التسليم ومنهم من قال هذا مستثنى بالشرع بخلاف المستثنى بالشرط * ولو باع الامة المزوجة صح باتفاقهم وان كانت منفعة البضع المزوج وقد فرق من فرق بينهما بما قد بسط فى موضعه والمقصود هنا ان هذا كله تفريع على ذلك الاصل الضعيف وهو ان موجب العقد استحقاق التسليم عقبه والشرع لم يدل على هذا الاصل بل القبض فى الاعيان والمنافع كالقبض في الدين تارة يكون موجب العقد قبضه عقبه بحسب الامكان وتارة يكون موجب العقد تأخير التسليم لمصلحة من المصالح وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم جوز بيع الثمر بعد بدو الصلاح مستحق الابقاء الي كمال الصلاح وعلى البائع السقي والخدمة الى كمال الصلاح ويدخل في هذا ماهو

معدوم لم يخلق وهـذا اذا قبض كان بمنزلة قبض العين المؤجرة فقبضه يبيح له التصرف فيه في أظهر قولي العلماء وهو أصح الروايتين عن أحمد وقبضه لا يوجب انتقال الضمان اليه بل اذا تلف الثمر بعد بدو صلاحه كان من ضمان البائع كما هو مذهب أهل المدينة مالك وغيره وهو مذهب أهل الحديث أحمد رضي الله عنه وغيره وهو قول معلق للشافعي وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بعت من أخيك ثمرة فأصابتها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ من مال أخيك شيئاً بم يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق وليس مع المنازع دليل شرعي يدل على ان كل قبض جوز التصرف ينقل الضمان وما لم يجوز التصرف لم ينقل الضمان بل قبض العين المؤجرة يجوز التصرف ولا ينقل الضمان ومن هذا الباب بيع المقاثئ فان من العلماء من لم يجوز بيعها الا لقطة لقطة لانه بيع معدوم وجعلوا هذا من بيع الثمر قبل بدو صـلاحه ثم من هؤلاء قال اذا بيعت بعروقها كان كبيع أصل الشجر مع الثمر وذلك يجوز قبل ظهور صـلاحه لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته من باع نخلا قد أبرت فثمرها للبائع الا أن يشترطه المبتاع اذا اشـترط الثمر دخل في البيع وهنا جاز بيع الثمر قبل بدو صلاحه تبعاً للاصل ولهذا تكون خـدمته على المشـتري ومعلوم أن المقصود من الشجر هو الاصـل والمقصود في المقاثئ هو الثمر فلا يقاس أحـدهما بالآخر ومن العلماء من جوز بيع المقاثئ كما هو قول مالك وغيره وهو قول في مذهب أحمد وهذا أصح فانه لا يمكن بيعها الا على هذا الوجه اذ لا تتميز لقطة عن

لقطة ومالا يباع الاعلى وجه واحد لاينهى عن بيعه كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم انما نهي عن بيع الثمار التي يمكن تأخير بيعها حتي يبدو صلاحها فلم تدخل المقاثي في نهيه ولذلك كثير من العلماء أدخلوا ضمان البساتين في نهيه فقالوا اذا ضمن الحديقة لمن يعمل عليها حتى تثمر بشيء معلوم كان هذا بيعاً للثمر قبل بدو صلاحه فلا يجوز ومن الناس من حكى الاجماع على منع هذا وليس كما قال بل قد ثبت أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قبل حديقة أسيد بن حضير ثلاث سنين ويستلف الضمان فقضى به دينا كان على أسيد لانه كان وصيه وقد جوزابن عقيل ضمانها مع الاراضي المؤجرة اذا لم يمكن افراد أحدهما عن الآخر وجوز مالك ذلك تبعاً للارض في قدر الثلث وقضية عمر ابن الخطاب مما يشتهر مثلها في العادة ولم ينقل ان أحدا من الصحابة أنكره فالصواب مافعله عمر بن الخطاب اذ الفرق بين البيع والضمان هو الفرق بين البيع والاجارة ألا ترى أن النبي صلي الله عليه وسلم نهى عن بيع الحب حتى يشتد ثم اذا استأجر أرضاً ليزرعها جاز هذا مع ان المستأجر مقصود الحب لكن مقصوده ذلك بعمله هو لا بعمل البائع وكذلك الذى يستأجر البستان ليخدم شجره ويسقيها حتى تثمر هو بمنزلة المستأجر ليس بمنزلة المشترى الذى يشترى ثمرا وعلى البائع مؤنة خدمتها وسقيها * فان قيل هذه أعيان والاجارة لاتكون على الاعيان * قيل الجواب من وجهين . أحدهما ان الاعيان هنا حصلت بعمله هو من الاصل المستأجر كما حصل الحب بعمله المؤجر في أرض * واذا قيل الحب

حصل من بذره والثمر حصـل من شجر المؤجر كان هذا فرقا لا أثر له في الشرع ألا ترى ان المساقاة كالمزارعة والمساقي يستحق جزءاً من الثمرة الحاصلة من أصل المالك والمزارع يستحق جزءاً من الزرع النابت في أرض المالك وان كان البذر من المالك وكذلك ان كان البذر منـه كما ثبت بالسنة واجماع الصحابة فالبذر يتلف لا يعود الى صاحبه وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر مايخرج من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم فالارض والنخل والماء كان للنبي صلى الله عليه وسـلم واستحقوا بعملهم جزءاً من الثمر كما استحقوا جزءاً من الزرع وان كان البذر منهم والشجر من النبي صـلى الله عليه وسـلم فعلم ان هـذا الفرق لا تأثير له في الشرع واذا لم يؤثر في المساقاة والمزارعة التي يكون النماء مشتركا لم يؤثر في الاجارة بطريق الاولى فان استئجار الارض ليس فيه من النزاع مافي المزارعة فاذا كانت اجارتها أجوز من المزارعة فاجارة الشجر أجوز من المساقاة

الوجه الثاني أن نقول هذا كاجارة الظئر والبئر ونحو ذلك والكلام على هذا هو الكلام على الاصل الثاني في الاجارة فنقول قول القائل ان اجارة الظئر على خـلاف القيـاس انمـا هو لاعتقاده ان الاجارة لاتكون الا على منافع اعراض لاتستحق بها أعيان وهـذا القدر لم يدل عليه كتاب ولا سـنة ولا اجمـاع ولا قياس بل الذي دلت عليه الاصول ان الاعيان التي تحدث شيئا بعـد شيء مع بقاء أصلها حكمها حكم المنافع كالثمر والشجر واللبن في الحيوان ولهذا سوى بين هـذا

وهذا فى الوقف فان الاصل تحبيس الاصل وتسبيل الفائدة فلا بدأن يكون الاصل باقيا وأن تكون الفائدة تحدث مع بقاء الاصل فيجوزأن تكون فائدة الوقف منفعة كالسكنى ويجوز أن يكون ثمره كوقف الشجر ويجوزأن يكون لبناً كوقف الماشية للانتفاع بلبنها وكذلك باب التبرعات فان العارية والعرية والمنحة هي اعطاء العين لمن ينتفع بها ثم يردها فالمنحة اعطاء الماشية لمن يشرب لبنها ثم يردها والعرية اعطاء الشجرة لمن يأكل ثمرها ثم يردها والسكنى اعطاء الدار لمن يسكنها ثم يعيدها فكذلك في الاجاره تارة تكريه العين للمنفعة التى ليست أعيانا كالسكنى والركوب وتارة للعين التى تحدث شيئا بعدشىء مع بقاء الاصل كلبن الظئر ونقع البئر والعين فان الماء واللبن لما كانا شيئا بعدشىء مع بقاء الأصل كان كالمنفعة والمسوغ للاجارة هو مابينهما من القدر المشترك وهو حدث والمقصود بالعقد شيئا فشيئا سواء كان الحادث عيناً أومنفعة اذ كونه جسماً أو معنى قائماً بالجسم لاأثرله فى جهة الجواز مع اشتراكهما فى المقتضى للجواز بل هذا أحق بالجواز فان الاجسام أكمل من صفاتها ولايمكن العقد عليها الا كذلك وطرد هذا أكثري الظئر من الحيوان للارضاع ثم الظئر تارة تستأجر بأجرة مقدرة وتارة بطعامها وكسوتها وتارة يكون طعامها وكسوتها من جملة الأجرة وأما الماشية اذا عقد على لبنها بعوض فتارة يشترى لبنها مع ان علفها وخدمتها على المالك وتارة على ان ذلك علي المشترى فهذا الثانى يشبه ضمان البساتين وهو بالاجارة أشبه لان اللبن تسقيه الطفل فيذهب وينتفع به فهو كاستئجار العين يستقي ماءها أرضه بخلاف

من يقبض اللبن فانه هنا قبض العين المعقود عليها وتسمية هـذا بيعا وهذا اجارة نزاع لفظي والاعتبار بالمقاصد ومن الفقهاء من يجعل اختلاف العبارات مؤثرا في صحة العقد وفساده حتى ان من هؤلاء من يصحح العقد بلفظ دون لفظ كما يقول بعضهم ان السلم الحال لايجوز واذا كان بلفظ البيع جاز ويقول بعضهم ان المزارعة على أن يكون البذر من العامل لاتجوز واذا عقده بلفظ الاجارة جاز وهـذا قول بعض أصحاب أحمد وهذا ضعيف فان الاعتبار في العقود بمقاصدها واذا كان المعنى المقصود في الموضعين واحدا فتجويزه بعبارة دون عبارة كتجويزه بلغة دون لغة نعم اذا كان أحد اللفظين يقتضي حكما لايقتضيه الآخر فهذا له حكم آخر وليس هذا موضع بسط هذه المسائل وانما المقصود التنبيه على مايقال انه موافق القياس ومخالفه وان الشارع اذا سوى بين شيئين كما سوى بين الاستئجار على الرضاع والخدمة فالفارق بينهما عدم التأثير وهو كون هـذا عينا وهذا منفعة واذا فرق بين شيئين فالجامع بينهما ليس هو وحده مناط الحكم بل للفارق تأثير

(فصل) ومن هذا الباب قول من يقول حمل العقل على خلاف القياس فيقال لاريب أن من أتلف مضمونا كان ضمانه عليه والناس متنازعون في العقل هل تحمله العاقلة ابتداء أو تحملا كما تنازعوا في صدقة الفطر التي تجب على الغير كصدقة الفطر عن الزوجة والولد هل تجب ابتداء أو تحملا وفي ذلك نزاع معروف في مذهب أحمد وغيره وعلى ذلك ينبني لو أخرجها الذي يخرج عنه بدون اذن المخاطب

بها فمن قال هي واجبة على المخاطب تحملا قال تجزئ ومن قال هي واجبة عليه ابتداء قال هي كاداء الزكاة عن الغير ولذلك تنازعوا في العقل اذا لم تكن عاقلة هل تجب في ذمة القاتل أم لا والعقل فارق غيره من الحقوق في أسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك ان دية المقتول مال كثير والعاقلة انما تحمل الخطأ لا تحمل العمد بلا نزاع وفي شبه العمد نزاع والاظهر انها لا تحمله والخطأ مما يعذر فيه الانسان فايجاب الدية في ماله ضرر عظيم به من غير ذنب تعمده ولا بد من ايجاب بدل المقتول فالشارع أوجب على من عليهم موالاة القاتل ونصره أن يعينوه على ذلك فكان هذا كايجاب النفقات التي تجب للقريب أو تجب للفقراء والمساكين وايجاب فكاك الاسير من بلد العدو فان هذا أسير بالدية التي تجب عليه وهي لم تجب باختيار مستحقها ولا باختياره كالديون التي تجب بالقرض والبيع وليست أيضا قليلة في الغالب كابدال المتلفات فان اتلاف مال كثير بقدر الدية خطأ نادر جدا بخلاف قتل النفس خطأ فما سببه العمد في نفس أو مال فالمتلف ظالم مستحق فيه للعقوبة وما سببه الخطأ في الاموال فقليل في العادة بخلاف الدية ولهذا كان عند الاكثرين لا تحمل العاقلة الا ماله قدر كثير فعند مالك وأحمد لا تحمل مادون الثلث وعند أبي حنيفة مادون السن والموضحة فكان ايجابها من جنس ماأوجبه الشارع من الاحسان الى المحتاجين كبني السبيل والفقراء والمساكين والاقارب المحتاجين ومعلوم ان هذا من أصول الشرائع التي بها قيام مصلحة العالم فان الله لما قسم خلقه الى غني وفقير

ولاتتم مصلحتهم الا بسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي يضر الفقراء فكان الامر بالصدقة من جنس النهي عن الربا ولهذا جمع الله بين هذا وهذا في مثل قوله تعالى[1] يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وفي مثل قوله تعالى وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)وقد ذكر الله في آخر البقرة أحكام الاموال وهي ثلاثة أصناف عدل وفضل وظلم فالعدل البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم المربين وبين عقابهم وأباح البيع والتداين الى أجل مسمى فالعقل من جنس ماأوجبه من الحقوق لبعض الناس على بعض كحق المسلم وحق ذي الرحم وحق الجار وحق المملوك والزوجة

(فصل) والاحكام التي يقال انها على خلاف القياس نوعان نوع مجمع عليه ونوع متنازع فيه فما لانزاع في حكمه تبين انه على وفق القياس الصحيح وينبني على هذا ان مثل هذا هل يقاس عليه أم لا فذهب طائفة من الفقهاء ان ماثبت على خلاف القياس لايقاس عليه ويحكى هذا عن أصحاب أبي حنيفة والجمهور انه يقاس عليه وهذا هو الذي ذكره أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما وقالوا انما ينظر الى شروط القياس فما علمت علته ألحقنا به ماشاركه في العلة سواء قيل انه على خلاف القياس أولم يقل وكذلك ماعلم انتفاء الفارق فيه بين الاصل والفرع والجمع بدليل العلة كالجمع بالعلة وأما اذا لم يقم دليل على ان الفرع كالاصل فهذا لايجوز فيه القياس سواء قيل انه على وفق القياس

أو خلافه ولهذا كان الصحيح ان العرايا يلحق بها ما كان في معناها وحقيقة الامر انه لم يشرع شيء علي خلاف القياس الصحيح بل ما قيل انه علي خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الامور التي خالفها واقتضى مفارقته لها في الحكم واذا كان كذلك فذلك الوصف ان شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه والا كان من الامور المفارقة له . وأما المتنازع فيه فمثلما يأتي حديث بخلاف أمر فيقول القائلون هذا بخلاف القياس أو بخلاف قياس الاصول وهذا له أمثلة من أشهرها المصراة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصروا الابل ولا الغنم فمن ابتاع مصراة فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ان رضيها أمسكها وان سخطها ردها وصاعا من تمر وهو حديث صحيح فقال قائلون هذا يخالف قياس الاصول من وجوه . منها انه رد المبيع بلا عيب ولا خلف في صفة . ومنها ان الخراج بالضمان فاللبن الذي يحدث عند المشتري غير مضمون عليه وهنا قد ضمنه . ومنها ان اللبن من ذوات الامثال فهو مضمون بمثله ومنها ان ما لا مثل له يضمن بالقيمة من النقد وهنا ضمنه بالتمر . ومنها ان المال المضمون يضمن بقدره لا بقدر بدله بالشرع وهنا قدر بالشرع فقال المتبعون للحديث بل ما ذكرتموه خطأ والحديث موافق للاصول ولو خالفها لكان هو أصلا كما أن غيره أصل فلا يضرب الاصول بعضها ببعض بل يجب اتباعها كلها فانها كلها من عند الله أما قولهم رد بلا عيب ولا فوات صفة فليس في الاصول ما يوجب انحصار الرد في هذين الشيئين بل التدليس نوع ثبت به الرد وهو من جنس الخلف في الصفة

فان البيع تارة تظهر صفاته بالقول وتارة بالفعل فاذا ظهر أنه على صفة وكان على خلافها فهو تدليس وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم الخيار للركبان اذا تلقوا واشترى منهم قبل أن يهبطوا السوق ويعلموا السعر وليس كذلك واحد من الامرين ولكن فيه نوع تدليس * وأما قوله الخراج بالضمان فأولا حديث المصراة أصح منه باتفاق أهل العلم مع أنه لامنافاة بينهما فان الخراج ما يحدث في ملك المشتري ولفظ الخراج اسم للغلة مثل كسب العبد وأما اللبن ونحوه فلحق بذلك وهنا كان اللبن موجوداً في الضرع فصار جزءاً من المبيع ولم يجعل الصاع عوضا عما حدث بعد العقد بل عوضاً عن اللبن الموجود في الضرع وقت العقد وأما تضمين اللبن بغيره وتقديره بالشرع فلان اللبن المضمون اختلط باللبن الحادث بعد العقد فتعذرت معرفة قدره فلهذا قدر الشارع البدل قطعاً للنزاع وقدر بغير الجنس لان التقدير بالجنس قد يكون أكثر من الاول أو أقل فيفضي الي الربا بخلاف غير الجنس فانه كأنه ابتاع لذلك اللبن الذى تعذرت معرفة قدره بالصاع من التمر والتمر كان طعام أهل المدينة وهو مكيل مطعوم يقتات به كما أن اللبن مكيل مقتات وهو أيضا يقتات به بلا صنعة بخلاف الحنطة والشعير فانه لايقتات به الا بصنعة فهو أقرب الاجناس التى كانوا يقتاتون بها الى اللبن ولهذا كان من موارد الاجتهاد أن جميع الامصار يضمنون ذلك بصاع من تمر أو يكون ذلك لمن يقتات التمر فهذا من موارد الاجتهاد كأمره في صدقة الفطر بصاع من شعير أوتمر ومن

ذلك قول بعضهم ان أمره المصلي خلف الصف وحده بالاعادة على خلاف القياس فان الامام يقف وحده والمرأة تقف خلف الرجال وحدها كما جاءت به السنة وليس الامر كذلك فان الامام يسن في حقه التقدم بالاتفاق والمؤتمون يسن في حقهم الاصطفاف بالاتفاق فكيف يشبه هذا بهذا وذلك لان الامام يؤتم به فاذا كان امامهم رأوه وكان اقتداؤهم به أكمل وأما المرأة فانها تقف وحدها اذا لم يكن هناك امرأة غيرها فالسنة في حقها الاصطفاف لكن قضية المرأة تدل على شيئين تدل على انه اذا لم يجد خلف الصف من يقوم معه وتعذر الدخول في الصف صلى وحده للحاجة وهذا هو القياس فان الواجبات تسقط للحاجة وأمره بأن يصاف غيره من الواجبات فاذا تعذر ذلك سقط للحاجة كما سقط غير ذلك من فرائض الصلاة للحاجة في مثل صلاة الخوف محافظة على الجماعة وطرد ذلك اذا لم يمكنه أن يصلي مع الجماعة الا قدام الامام فانه يصلي هنا لاجل الحاجة أمامه وهو قول طوائف من أهل العلم وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد وان كانوا لايجوزون التقدم على الامام اذا أمكن ترك التقدم عليه وفي الجملة فليست المصافة أوجب من غيرها فاذا سقط غيرها للعذر في الجماعة فهي أولى بالسقوط ٭ ومن الاصول الكلية ان المعجوز عنه في الشرع ساقط الوجوب وان المضطر اليه بلا معصية غير محظور فلم يوجب الله مايعجز عنه العبد ولم يحرم مايضطر اليه العبد ومن ذلك قول بعضهم في الحديث الصحيح الذي فيه ان الرهن مركوب ومحلوب وعلى الذي

يركب ويحلب النفقة انه على خلاف القياس وليس كذلك فان الرهن اذا كان حيوانا فهو محترم فى نفسه وللمالك فيه حق وللمرتهن فيه حق واذا كان بيد المرتهن فلم يركب ولم يحلب ذهبت منفعته باطلة وقدقدمنا أن اللبن يجرى مجرى المنفعة فاذا استوفي المرتهن منفعته وعوض عنها نفقته كان فى هذا جمع بين المصلحتين وبين الحقين فان نفقته واجبة على صاحبه والمرتهن اذا أنفق عليه أدى عنه واجباً وله فيه حق فله أن يرجع ببدله والمنفعة تصلح أن تكون بدلا فأخذها خير من أن تذهب على صاحبها وتذهب باطلا وقد تنازع الفقهاء فيمن أدى عن غيره واجبا بغير اذنه كالدين فمذهب مالك وأحمد فى المشهور عنه له أن يرجع به عليه ومذهب أبى حنيفة والشافعى ليس له ذلك واذا أنفق نفقة تجب عليه مثل أن ينفق على ولده الصغير أو عبده فبعض أصحاب أحمد قال لا يرجع وفرقوا بين النفقة والدين والمحققون من أصحابه سووا بينهما وقالوا الجميع واجب ولو افتداه من الاسر كان له مطالبته بالفداء وليست دينا والقرآن يدل على هذا القول فان الله قال فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فأمر بايتاء الاجر بمجرد الارضاع ولم يشترط عقدا ولا اذن الاب وكذلك قال (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فأوجب ذلك عليه ولم يشترط عقداولااذنا ونفقة الحيوان واجبة على ربه والمرتهن والمستأجر له فيه حق فاذا أنفق عليه النفقة الواجبة على ربه كان أحق بالرجوع من الانفاق على ولده فاذا

قدر أن الراهن قال لم آذن لك في النفقة قال هي واجبة عليك وانا أستحق أن أطالبك بها لحفظ المرهون والمستأجر واذا كان المنفق قد رضي بأن يعتاض بمنفعة الرهن التي لا يطالبه بنظير النفقة كان قد أحسن الى صاحبه فهذا خير محض مع الراهن وكذلك لو قدر أن المؤتمن على حيوان الغير كالمودع والشريك والوكيل أنفق من مال نفسه واعتاض بمنفعة المال لان هذا احسان الى صاحبه اذا لم ينفق عليه صاحبه ومما يقال انه أبعد الاحاديث عن القياس الحديث الذي في السنن عن الحسن عن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في رجل وقع على جارية امرأته ان كان استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها وان كانت طاوعته فهي له وعليه لسيدتها مثلها وقد روى في لفظ آخر وان كانت طاوعته فهي ومثلها من ماله لسيدتها وهذا الحديث تكلم بعضهم في اسناده لكنه حديث حسن وهم يحتجون بما هو دونه في القوة ولكن لاشكاله قوى عندهم تضعيفه وهذا الحديث يستقيم على القياس مع ثلاثة أصول هي صحيحة كل منها قول طائفة من الفقهاء أحدها أن من غير مال غيره بحيث يفوت مقصوده عليه فله أن يضمنه اياه بمثله وهذا كما اذا تصرف في المغصوب بما أزال اسمه ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره أحدها انه باق على ملك صاحبه وعلى الغاصب ضمان النقص ولا شيء له في الزيادة كقول الشافعي والثاني يملكه الغاصب بذلك ويضمنه لصاحبه كقول أبي حنيفة والثالث يخير المالك بين أخذ وتضمين النقص

وبين المطالبة بالبدل وهذا أعدل الاقوال وأقواها فان فوت صفاته المعنوية مثل أن ينسيه صناعته أو يضعف قوته أو يفسد عقله ودينه فهذا أيضاً يخير المالك بين تضمين النقص وبين المطالبة بالبدل ولو قطع ذنب بغله القاضي فعند مالك يضمنها بالبدل ويملكها لتعذر مقصودها على المالك في العادة أو يخير المالك وكذلك السلطان اذا قطع آذان فرسه وذنبها ﴿الاصل الثاني﴾ أن جميع المتلفات تضمن بالجنس بحسب الامكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان كما أنه في القرض يجب فيه رد المثل واذا اقترض حيوانا رد مثله كما اقترض النبي صلى الله عليه وسلم بكرا ورد خيرا منه وكذلك في المغرور يضمن ولده بمثلهم كما قضت به الصحابة وكذلك اذا استثنى رأس المبيع ولم يذبحه فان الصحابة قضوا بشرائه أي برأس مثله في القيمة وهذا أحد القولين في مذهب أحمد وغيره وقصة داود وسليمان عليهما السلام من هذا الباب فان الماشية كانت قد أتلفت حرث القوم وهو بستانهم قالوا وكان عنبا والحرث اسم للشجر والزرع فقضى داود بالغنم لاصحاب الحرث كأنه ضمنهم ذلك بالقيمة ولم يكن لهم مال الا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة * وأما سليمان فحكم بأن أصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان فضمنهم اياه بالمثل وأعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضا عن المنفعة التي فاتت من حين تلف الحرث الى أن يعود وبذلك أفتى الزهري لعمر بن عبد العزيز فيمن كان أتلف له شجرا فقال يغرسه حتى يعود كما كان وقيل ربيعة وأبا الزناد قالا عليه القيمة فغلط الزهري القول

فيهما وهذا موجب الادلة فان الواجب ضمان المتلف بالمثل بحسب الامكان قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدي عليكم) وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) وقال (والحرمات قصاص) فاذا أتلف نقدا أوحبوبا ونحو ذلك أمكن ضمانها بالمثل وان كان المتلف ثيابا أو آنية أو حيوانا فهنا مثله من كل وجه وقد يتعذر فالامر دائر بين شيئين اما أن يضمنه بالقيمة وهي دراهم مخالفة للمتلف في الجنس والصفة لكنها تساويه في المالية واما أن يضمنه بثياب من جنس ثياب المثل أو آنية من جنس آنيته أو حيوان من جنس حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان ومع كون قيمته بقدر قيمته فهنا المالية مساوية كما في النقد وامتاز هذا بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك أمثل من هذا وما كان أمثل فهو أعدل فيجب الحكم به اذا تعذر المثل من كل وجه ونظير هذا ماثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة والضربة وهو قول كثير من السلف وقد نص عليه أحمد في رواية اسماعيل ابن سعيد الشالنجي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالمترجم فقال طائفة من الفقهاء المساواة متعذرة في ذلك فيرجع الى التعزير فيقال لهم ماجاءت به الآثار هوموجب القياس فان التعزير عقابه غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيه الى اجتهاد الوالي ومن المعلوم الامر بضرب يقارب ضربه وان لم يعلم انه مساو له أقرب الى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير

مقدرة أصلا واعلم أن المماثل من كل وجه متعذر حتى في المكيلات فضلا عن غيرها فانه اذا أتلف صاعا من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم أن أحد الصاعين فيه من الحب ماهو مثل الآخر بل قد يزيد أحدهما على الآخر ولهذا قال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفسا الاوسعها) فان تحديد الكيل والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا يقال هذا أمثل من هذا اذا كان أقرب الى المماثلة منه اذا لم تحصل المماثلة من كل وجه • الاصل الثالث من مثل بعبده عتق عليه وهذا مذهب مالك وأحمد وغيرهما وقد جاءت بذلك آثار مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كعمر بن الخطاب كما قد ذكر في غير هذا الموضع فهذا الحديث موافق لهذه الاصول الثلاثة الثابتة بالادلة الموافقة للقياس العادل فاذا طاوعته فقد أفسدها على سيدها فانها مع المطاوعة تبقى زانية وذلك ينقص قيمتها ولا يمكن سيدها من استخدامها لما كانت تمكن قبل ذلك لبغضها لها ولطمع الجارية في السيد ولاستشراف السيد اليها لاسيما ويعسر على سيدها فلا يطيعها كما كانت تطيعه واذا تصرف بالمال بما ينقص قيمته كان لصاحبه المطالبة بالمثل فقضى لها بالمثل ومعلوم انها لو رضيت أن تبقي ملكا لها وتغرمه مانقص من قيمتها لم يمتنع من ذلك وانما المقضى به ماأبيح لها ولكن موجب هذا أن الامة اذا أفسدها رجل على أهلها حتى طاوعت على الزنا فلاهلها أن يطالبوه ببدلها واجب مثلها بناء على أن المثل يجب في كل مضمون بحسب الامكان وأما اذا استكرهها فان هذا من باب المثلة فان الاكراه على الوطء

مثلة فان الوطء يجرى مجرى الاتلاف ولهذا قيل ان من استكره عبده على التلوط به عتق عليه ولهذا لايخلو من عقر أو عقوبة لاتجرى مجرى منفعة الخدمة فهي لما صارت له بافسادها على سيدها أوجب عليه مثلها كما فى المطاوعة وأعتقها عليه لكونه مثل بها • وقد يقال انه يلزم على هذا اذا استكره عبده على الفاحشة عتق عليه ولو استكره أمة الغير على الفاحشة عتقت وضمنها بمثلها الا أن يفرق بين أمة امرأته وبين غيرها فان كان بينهما فرق شرعى والافوجب القياس التسوية وأما قوله عزوجل (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) فهذا نهى عن اكرههن على كسب المال بالبغاء كما نقل ان ابن أبى المنافق كان له من الاماء مايكرهن على البغاء وليس هو استكراها للامة على أن يزني هو بها فان هذا بمنزلة التمثيل بها وذاك الزام لها بأن تذهب فتزني بنفسها مع انه قد يمكن أن يقال العتق بالمثلة لم يكن مشروعا عند نزول الآية ثم شرع بعد ذلك والكلام على هذا الحديث من أدق الامور فان كان ثابتاً فهذا الذي ظهر في توجيهه وتخرجه على الاصول الثابتة وان لم يكن ثابتاً فلايحتاج الى الكلام عليه وبالجملة فما عرفت حديثاً صحيحاً الا ويمكن تخرجه على الاصول الثابتة وقد تدبرت ماأمكنني من أدلة الشرع فمارأيت قياساً صحيحاً يخالف حديثاً صحيحاً لما أن المعقول الصريح لايخالف المنقول الصحيح بل متى رأيت قياساً يخالف أثراً فلا بد من ضعف أحدهما لكن التمييز

بين صحيح القياس وفاسده مما يخفى كثير منه على أفاضل العلماء فضلا عمن هو دونهم فان ادراك الصفات المرتبة في الاحكام على الوجه ومعرفة الحكم والمعاني التي تضمنها الشريعة من أشرف العلوم فمنه الجليل الذي يعرفه كثير من الناس ومنه الدقيق الذي لا يعرفه الا خواصهم فلهذا صار قياس كثير من العلماء يرد مخالفاً للنصوص لخفاء القياس الصحيح عليهم كما يخفى على كثير من الناس ما في النصوص من الدلائل الدقيقة التي تدل على الاحكام.

(فصل) وأما قولهم ان المضي في الحج الفاسد على خلاف القياس فليس الامر كذلك فان الله أمر باتمام الحج والعمرة فعلى من شرع فيهما أن يمضي فيهما وان كان متطوعا بالدخول باتفاق الائمة وهم متنازعون فيما سوى ذلك من التطوعات هل تلزم بالشروع فقد وجب عليه بالاحرام أن يمضي الى حين يتحلل وأن لا يطأ في الحج فاذا وطئ في الحج لم يمنع وطؤه ما وجب عليه من اتمام الحج ونظير هذا الصيام في رمضان لما وجب عليه الاتمام بقوله ثم أتموا الصيام الى الليل فاذا أفطر لم يسقط عنه فطره ما وجب من الاتمام بل يجب عليه اتمام صوم رمضان وان أفسده وهذا لان الصيام له حد محدود وهو غروب الشمس كما للحج وقت مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو يوم عرفة وما بعده ومكان مخصوص وهو عرفة ومزدلفة ومنى فلا يمكنه احلال الحج قبل وصوله الى مكانه كما لا يمكنه احلال الصيام اللهم الا اذا كان معذورا كالمحصر فهذا كالمعذور في الفطر

وهذا بخلاف الصلاة اذا أفسدها فانه يبتديها لان الصلاة يمكنه فعلها فى اثناء الوقت والحج لايمكنه فعله فى أثناء الوقت

(فصل) وأما الاكل ناسياً فالذين قالوا هو خلاف القياس قالوا هو من باب ترك المأمور ومن ترك المأمور ناسياً لم تبرأ ذمته كما لو ترك الصلاة ناسياً أو ترك نية الصيام ناسياً لم تبطل عبادته الا من فعل محظور ولكن من يقول هو على وفق القياس يقول القياس ان من فعل محظورا ناسياً لم تبطل عبادته لان من فعل محظوراً ناسياً فلا اثم عليه كما دل عليه قوله تعالى (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد ثبت فى الصحيح ان الله قال قد فعلت وهذا مما لايتنازع فيه العلماء ان الناسى لايأثم لكن يتنازعون في بطلان عبادته فيقول القائل اذا لم يأثم لم يكن قد فعل محرما ومن لم يفعل محرماً لم تبطل عبادته فان العبادة انما تبطل بترك واجب أو فعل محرم فاذا كان مافعله من باب فعل المحرم وهو ناس فيه لم تبطل عبادته وصاحب هذا القول يقول القياس أن لاتبطل الصلاة بالكلام في الصلاة ناسياً وكذلك يقول القياس اذ من فعل شيئا من محظورات الاحرام ناسياً لافدية عليه وقيل الصيد هو من باب ضمان المتلفات كدية المقتول بخلاف الطيب واللباس فانه من باب الترفه وكذلك الحلق والتقليم هو فى الحقيقة من باب الترفه لامن باب متلف له قيمة فانه لاقيمة لذلك فلهذا كان أعدل الاقوال أن لا كفارة في شىء من ذلك الا فى جزء الصيد وطرد هذا ان من فعل المحلوف عليه ناسياً لايحنث سواء حلف بالطلاق أو العتاق أو غيرها لان من فعل المنهى.

هذه ناسياً لم يعص ولم يخالف والحنث في الأيمان كالمعصية في الامر والنهي.
وكذلك من باشر النجاسة في الصلاة ناسياً فلا اعادة عليه لانه من باب
فعل المحظور بخلاف ترك طهارة الحدث فانه من باب المأمور * فان قيل
الترك في الصوم مأمور به ولهذا يشترط فيه النية بخلاف الترك في هذه
المواضع فانه ليس مأمورا به فانه لايشترط فيه النية * قيل لاريب أن
النية في الصوم واجبة ولولا ذلك لما أثيب لان الثواب لايكون الا مع
النية وتلك الامور اذا قصد تركها لله أثيب على ذلك أيضاً وان لم
يخطر بقلبه قصد تركها لم يثب ولم يعاقب ولو كان ناويا تركها لله وفعله
ناسياً لم يقدح نسيانه في أجره بل يثاب على قصد تركها لله وان فعلها
ناسياً كذلك الصوم فانما يفعله الناسي لايضاف اليه بل فعله لله به من
غير قصده ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل أو شرب ناسياً
فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه فأضاف اطعامه واسقائه الى الله لانه
لم يتعمد ذلك ولم يقصده وما يكون مضافا الى الله لاينهى عنه العبد فانما
ينهى عن فعله والافعال التي ليست اختيارية لاتدخل تحت التكليف
ففعل الناسي كفعل النائم والمجنون والصغير ونحو ذلك يبين ذلك ان
الصائم اذا احتلم في منامه لم يفطر ولو استمنى باختياره أفطر ولو ذرعه
القيء لم يفطر ولو استدعى القيء أفطر فلو كان مايوجد بغير قصده بمنزلة
مايوجد بقصده لأفطر بهذا وهذا * فان قيل فالمخطىء يفطر مثل من
يأكل يظن بقاء الليل ثم تبين انه طلع الفجر أو يأكل يظن غروب
الشمس ثم تبين له أن الشمس لم تغرب * قيل هذا فيه نزاع بين السلف

والخلف والذين فرقوا بين الناسى والمخطئ قالوا هـذا يمكن الاحتراز منه بخلاف النسيان وقاسوا ذلك على ماذا أفطر يوم الشك ثم تبين أنه من رمضـان ونقل عن بعض السلف انه يقضى في مسـئلة الغروب دون الطلوع كما لو استمر الشـك والذين قالوا لا يفطر في الجميع قالوا حجتنا أقـوى ودلالة الكتاب والسـنة على قولنـا أظهـر فان الله قال (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) فجمع بين النسـيان والخطأ ولان من فعل المحظورات الحج والصلاة مخطئا كمن فعلها ناسيا وقد ثبت فى الصحيح انهم أفطروا على عهد النبي صلى الله عليه وسـلم ثم طلعت الشمس ولم يذكروا في الحديث انهم أمروا بالقضاء ولكن هشام ابن عروة قال أو بد من القضاء وأبوه أعـلم منه وكان يقول لا قضاء عليهـم وثبت فى الصحيحين أن طائفة من الصحابة كانوا يأكلون حتى يظهر لاحـدهم الخيط الابيض من الخيط الاسود وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم ان وسادك لعريض انما ذلك بياض النهار وسواد الليل ولم ينقل أنه أمرهم بقضاء وهؤلاء جهلوا الحكم فكانوا مخطئين وثبت عن عمر بن الخطاب انه أفطر ثم تبـين النهار فقال لا نقضى فانا لم نتجانف لاثم وروى عنـه انه قال لا نقضى ولكن اسـناد الاول أثبت وصح عنه انه قال الخطب يسـير فتأول ذلك من تأوله على انه أراد خفة أمر القضاء لكن اللفظ لا يدل على ذلك وفي الجملة فهذا القول أقوى أثرا ونظرا وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس وبه يظهر ان القياس في الناسي أنه لا يفطر والاصل الذى دل عليه الكتاب والسنة ان من فعل

محظورا ناسيا لم يكن قد فعل منهيا عنه فلا يبطل بذلك شيء من العبادات ولا فرق بين الوطء وغيره سواء كان في إحرام أو صيام

﴿ فصل ﴾ وأما قول القائل انهم يقولون ذلك فيما يروى عن بعض الصحابة فهذا باب واسع والذي يلتزمه انما كان من أقوال الصحابة فقال بعضهم بقول وقال بعضهم بخلافهم فقد يكون أحد القولين مخالفا للقياس الصحيح بل وللنص الصريح والذى لاريب فيه انه حجة ماكان من سنة الخلفاء الراشدين الذي سنوه للمسلمين ولم ينقل ان أحدا من الصحابة خالفهم فيه فهذا لاريب انه حجة بل اجماع وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة مثال ذلك حبس عمر وعثمان رضي الله عنهما للأرضين المفتوحة وترك قسمتها على الغانمين فمن قال ان هذا لايجوز قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر وقال ان الامام اذا حبسها نقض حكمه لاجل مخالفة السنة فهذا القول خطأ وجرأة على الخلفاء الراشدين فان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر انما يدل على جواز مافعله لايدل على وجوبه فلولم يكن معنا دليل يدل على عدم وجوب ذلك لكان فعل الخلفاء الراشدين دليلا على عدم الوجوب فكيف وقد ثبت انه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الاحاديث الصحيحة بل تواتر ذلك عند أهل المغازى والسير فانه قدم حين نقضوا العهد ونزل بمر الظهران ولم يأت أحد منهم صالحه ولا

لم يرسل اليهم أحدا يصالحهم بل خرج أبو سفيان يتجسس الاخبار فأخذه العباس وقدم به كالاسير وغايته أن يكون العباس أمنه فصار مستأمنا ثم أسلم فصار من المسلمين فكيف يتصور أن يعقد عقد صلح الكفار بعد اسلامه بغير اذن منهم مما يبين ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علق الامان بأسباب كقوله من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن فأمن من لم يقاتله فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا الى ذلك وأيضا فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم طلقاء لانه أطلقهم بعد القدرة عليهم كما يطلق الاسير فصاروا بمنزلة من أطلقهم من الاسر كثمامة بن أثال وغيره وأيضا فانه أذن في قتل جماعة منهم من الرجال والنساء . وأيضا فقد ثبت عنه فى الصحاح انه قال في خطبته ان مكة لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ودخل مكة وعلى رأسه المغفر لم يدخلها باحرام فلو كانوا قد صالحوه لم يكن قد أحل له شيء لو صالح مدينة من مدائن الحل لم يكن قد أحلت فكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون له صلح معه وايضا فقد قاتلوا خالدا وقتل طائفة منهم وفي الجملة من تدبر الآثار المنقولة علم بالاضطرار ان مكة فتحت عنوة ومع هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقسم أرضها كما لم يسترق رجالها ففتح خيبر عنوة وقسمها وفتح مكة عنوة ولم يقسمها فعلم جواز الامرين والاقوال في هذا الباب ثلاثة اما وجوب قسم العقار كقول الشافعى واما تحريم قسمه ووجوب تحبيسه كقول مالك واما التخيير بينهما كقول الاكثرين الثورى وأبي

حنيفة وأبي عبيد وهو ظاهر مذهب أحمد وعنه كالقولين الاولين ومن أشكل ما أشكل على الفقهاء من أحكام الخلفاء الراشدين أمر المفقود فانه قد ثبت عن عمر بن الخطاب انه لما أجل امرأته أربع سنين وأمرها أن تتزوج بعد ذلك ثم قدم المفقود خيره عمر بين امرأته وبين مهرها وهذا مما اتبعه فيه الامام أحمد وغيره وأما طائفة من متأخرى أصحابه فقالوا هذا يخالف القياس والقياس انها باقية على نكاح الاول الا أن نقول الفرقة تنفذ ظاهرا وباطنا فهي زوجة الثاني و لاول قول الشافعي والثاني قول مالك و آخرون أسرفوا في انكار هذا حتى قالوا لو حكم حاكم بقول عمر لنقض حكمه لبعده عن القياس و آخرون أخذوا ببعض قول عمر وتركوا بعضه فقالوا اذا تزوجت فهي زوجة الثاني واذا دخل بها الثاني فهي زوجته ولا ترد الى الاول ومن خالف عمر لم يهتد الى ما اهتدى اليه عمر ولم يكن له من الخبرة بالقياس الصحيح مثل خبرة عمر فان هذا مبنى على أصول وهو وقف العقود اذا تصرف الرجل في حق الغير بغير اذنه هل يقع تصرفه مردودا أو موقوفا على اجازته على قولين مشهورين هما روايتان عن أحمد أحدهما الرد في الجملة على تفصيل عنه والرد مطلقا قول الشافعي والثاني انه موقوف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهذا في النكاح والبيع والاجارة وغير ذلك فظاهر مذهب أحمد ان المتصرف اذا كان معذورا لعدم تمكنه من الاستئذان وحاجته الي التصرف وقف على الاجازة بلا نزاع وان أمكنه الاستئذان أو لم يكن به حاجة الي التصرف ففيه النزاع فالاول

مثل من عنده أموال لا تعرف أصحابها كالغصوب والعوارى ونحوهما اذا تعذرت عليه معرفة أرباب الاموال ويئس منها فان مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد أنه يتصدق به عنهم فان ظهروا بعد ذلك كانوا مخيرين بين الامضاء وبين التضمين وهذا مما جاءت به السنة فى اللقطة فان الملتقط يأخذها بعد التعريف ويتصرف فيها ثم ان جاء صاحبها كان مخيرا بين امضاء تصرفه وبين المطالبة بها فهو تصرف موقوف لكن تعذر الاستئذان ودعت الحاجة الي التصرف وكذلك الموصى بما زاد على الثلث وصيته موقوفة على اجازة الورثة عند الاكثرين وانما يخيرون عند الموت ففى المفقود المنقطع خبره ان قيل ان امرأته تبقى الى أن يعلم خبره بقيت لا أيما ولا ذات زوج الي أن تصير عجوزا وتموت ولم تعلم خبره والشريعة لم تأت بمثل هذا فلما أجلت أربع سنين ولم ينكشف خبره حكم بموته ظاهرا وان قيل انه يسوغ للامام أن يفرق بينهما للحاجة فانما ذلك لاعتقاده موته والا فلو علم حياته لم يكن مفقودا كما ساغ التصرف فى الاموال التى تعذر معرفة أصحابها فاذا قدم الرجل تبين انه كان حيا كما اذا ظهر صاحب المال والامام قد تصرف فى زوجته بالتفريق فيبقى هذا التفريق موقوفا على اجازته فان شاء أجاز ما فعله الامام واذا أجازه صار كالتفريق المأذون فيه ولو أذن للامام أن يفرق بينهما ففرق وقعت الفرقة بلا ريب وحينئذ فيكون نكاح الاول صحيحا وان لم يجز مافعله الامام كان التفريق باطلا من حين اختار امرأته لا ما قبل ذلك بل المجهول

كالمعدوم كما في اللقطة فانه اذا ظهر مالكها لم يبطل ماتقدم قبل ذلك وتكون باقية على نكاحه من حين اختارها فتكون زوجته فيكون القادم مخيرا بين اجازة مافعله الامام ورده واذا أجازه فقد أخرج البضع عن ملكه وخروج البضع من ملك الزوج متقوم عند الاكثرين كمالك والشافعي وأحمد في أنص الروايتين عنه وهو مضمون بالمسمى كما يقوله مالك وأحمد في احدى الروايتين عنه والشافعي يقول هو مضمون بمهر المثل والنزاع بينهم فيما اذا شهد شهود انه طلق امرأته ورجعوا عن الشهادة فقيل لاشيء عليهم بناء على ان خروج البضع من ملك الزوج غير متقوم وهو قول أبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين اختارها متأخروا أصحابه كالقاضي أبي يعلى وأصحابه وقيل عليهم مهر المثل وهو قول الشافعي وهو وجه في مذهب أحمد وقيل عليهم المسمى وهو مذهب مالك وهو أشهر في نصوص أحمد وقد نص على ذلك فيما اذا أفسد نكاح امرأته برضاع انه يرجع بالمسمى والكتاب والسنة دلا على هذا القول ففي سورة الممتحنة في قول الله تعالى (واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا) وقوله (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) وهذا المسمى دون مهر المثل وكذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم زوج المختلعة أن يأخذ ما أعطاها ولم يأمر بمهر المثل وهو انما يأمر في المعاوضات المطلقة بالعدل وهو مبسوط في غير هذا الموضع فقصة عمر تنبني على هذا والقول بوقف العقود عند الحاجة متفق عليه بين الصحابة ثبت ذلك عنهم في قضايا متعددة ولم يعلم ان أحدا أنكر ذلك

مثل قصـة ابن مسعود في صدقته عن سيد الجارية التي ابتاعها باليمن الذي كان له عليه في ذمته لما تعذرت عليه معرفته وكتصدق الغال بالمال المغلول لما تعذر قسمته بين الجيش واقرار معاوية على ذلك وغير ذلك من القضايا مع أن القول بوقف العقود مطلقا هو الاظهر في الحجة وهو قول الجمهور وليس ذلك اضرارا أصـلا بل صلاح بلا فساد فان الرجل قد يرى أن يشتري لغيره أو يبيع له أو يستأجر له أو يوجب له ثم يشاوره فان رضي و لا فلم يصبه مايضره وكذلك في تزويج موليتـه ونحو ذلك وأما مع الحاجة فالقول به لابد منه فمسئلة المفقود هي ممـا يقف فيها تعريف الامام على أن الزوج اذا جاء كما يقف تصرف الملتقط على اذن المالك اذا جاء والقول برد المهر اليه لخروج امرأته من ملكه ولكن تنازعوا في المهر الذي يرجع به هل هو ماأعطاها هو أوماأعطاها الثاني وفيه روايتان عن أحمد والصواب انه انمـا يرجع بمهره هو فانه الذي استحقه وأما المهر الذي أصدقها الثاني فلا حق له فيه واذا ضمن الاول للثاني المهر فهل يرجع به عليهـا فيه روايتان . احداها يرجع لانها التي أخذته والثاني قد أعطاها المهر الذي عليه فلا يضمن مهرين بخلاف المرأة فانها لما اختارت فراق الاول ونكاح الثاني فعليها أن ترد المهر لان الفرقة جاءت منها . والثانية لايرجع لان المرأة استحق المهر بمـا استحل من فرجها والاول يستحق المهر لخروج البضع من ملكه فكان على الثاني مهران وهذا المأثور عن عمر في مسـئلة المفقود هو عند طائفة من أئمة الفقهاء من أبعد الاقوال عن القياس حتى قال من

أئمة الفقهاء فيه ماقال وهو مع هذا أصح الاقوال وأجراها على القياس وكل قول قيل سواه فهو خطأ فمن قال انها تعاد الى الاول وهو لايختارها ولا يريدها وقد فرق بينه وبينها تفريقاً سائغاً في الشرع وأجاز هو ذلك التفريق فانه وان كان الامام تبين ان الامر بخلاف ماعتقده فالحق في ذلك للزوج فاذا أجاز مافعله الامام زال المحذور وأما كونها زوجة الثاني بكل حال مع ظهور زوجها وتبين الامر بخلاف مافعل فهو خطأ أيضاً فانه لم يفارق امرأته وانما فرق بينهما بسبب ظهر انه لم يكن كذلك وهو يطالب امرأته فكيف يحال بينهما وهو لو طلب ماله أو بدله رد اليه فكيف لاترد اليه امرأته وأهله أعز عليه من ماله وان قيل تعلق حق الثاني بها قيل حقه سابق على حق الثاني وقد ظهر انتقاض السبب الذى به استحق الثاني أن تكون زوجة له وماالموجب لمراعاة حق الثاني دون حق الاول . فالصواب ماقضى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واذا ظهر صواب الصحابة في مثل هذه المشكلات التي خالفهم فيها مثل أبي حنيفة ومالك.والشافعي فلأن يكون الصواب معهم فيما وافقهم فيه هؤلاء بطريق الاولى وقد تأملت من هذا الباب ماشاء الله فرأيت الصحابة أفقه الامة وأعلمها واعتبر هذا بمسائل الايمان بالنذر والعتق والطلاق وغير ذلك ومسائل تعليق الطلاق بالشروط ونحو ذلك وقد بينت فيما كتبته ان المنقول فيها عن الصحابة هو أصح الاقوال قضاء وقياساً وعليه يدل الكتاب والسنة وعليه يدل القياس الجلي وكل قول سوى ذلك تناقض في القياس مخالف للنصوص

وكذلك في مسائل غير هذه مثل مسئلة ابن الملاعنة ومسئلة ميراث المرتد وما شاء الله من المسائل لم أجد أجود الأقوال فيها الا الاقوال المنقولة عن الصحابة والى ساعتي هذه ما علمت قولا قاله الصحابة ولم يختلفوا فيه الا وكان القياس معه لكن العلم بتصحيح القياس وفاسده من أجل العلوم وانما يعرف ذلك من كان خبيراً بأسرار الشرع ومقاصده وما اشتملت عليه شريعة الاسلام من المحاسن التي تفوق التعداد وما تضمنته من مصالح العباد في المعاش والمعاد وما فيها من الحكمة البالغة والرحمة السابغة والعدل التام

والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

(تم)

كتاب السماع والرقص

جمعه

الشيخ محمد بن محمد بن محمد المنبجي الحنبلي من كلام الائمة
والعلماء المفسرين وقد نقلت هـذه
النسخة عن أصل مسودته
رحمه الله تعـالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه عن صفة سماع الصالحين ماهو وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح

فاجاب الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

*أصل هذه المسألة أن يفرق بين السماع الذى ينتفع به في الدين وبين مايرخص فيه رفعا للحرج وبين سماع المتقربين وسماع المتلعبين فاما السماع الذى شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة فان الله تعالى لما ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام في قوله (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (واذا سمعوا ماأنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وبهذا السماع أمر

الله تعالى فى قوله (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) وعلى أهله أثنى تعالى كما فى قوله تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وقال تعالى فى الاخرى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فالقول الذى أمروا بتدبره هو الذي أمروا بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أثنى تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى (واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا) وقال تعالى (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقال تعالى (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) وقال تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين فى صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر وصلاة العشاءين وفي غير ذلك وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم يقرأ والباقى يستمعون وكان عمر يقول لابى موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون

وهذا هو السماع الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه

ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اقرأ علي قال قلت أقرأ عليك وعليك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الي هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك فاذا عيناه تذرفان

وهذا هو الذي كان النبي صلي الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى (قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالي(يابني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وكذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالي (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الي جهنم زمرا حتى اذاجاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية

وقد أخبر الله تعالى ان المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض

ضال شقي قال الله تعالى (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى) الآية وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه و يراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) وقال تعالى (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) وقال (ياأيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) وقال تعالى (وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) وقال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) وقال تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار ايمانية من المعارف القدسية والاحوال الزكية مايطول شرحها ووصفها وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد وهذا مذكور في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب الصراخ والاغماء والموت في التابعين

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع مابلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضل وشقي

وأما سماع المكاء والتصدية والتصدية هي التصفيق بالايدى والمكاء مثل الصفير ونحوه فهذا سماع المشركين الذى ذكره الله تعالى في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) فأخبر الله تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قربة ودينا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته والحديث الذى ذكره محمد بن طاهر المقدسي في مسئلة السماع في صفة التصوف ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص عمر السهروردى صاحب عوارف المعارف ان النبي صلى الله عليه وسلم أنشده اعرابي

قد لسعت حية الهوي كبدى * فلا طبيب لها ولا راقى .

الا الحبيب الذى شغفت به * فعنده رقيتي وترياقى

وانه تواجد حتي سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لهوكم فقال مهلا يامعاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا حديث آخر يذكرون فيه انه لما بشر الفقراء بسبقهم للاغنياء الى الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم وان جبريل نزل من السماء فقال يامحمد ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعلقها بالعرش وان ذلك هو زيق الفقراء * وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل

الناس بحال النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الايمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أوغير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشئ كان الله أمر نبيه أن يكتمه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا اياه فقال يارب ألم تأمرني أن لاأفشيه فقال أمرتك أنت أن لاتفشيه ولكن أنا أعلمتهم به ونحو هذه الاحاديث التى يرويها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام ويبنون عليها من النفاق والبدع ماينا سبها تارة يسقطون التوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقاً وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم كان هذا أغلظ من كفر أولئك لكنهم يقولون لاتسقط الوساطة الا عن الخاصة لاعن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقاً عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أكفر من جهة اسقاط السفارة مطلقاً بل أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الي الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لايبقى معه الا خيالات ووساوس وظنون القاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله وتارة يجعلون هذه

الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الاسلام ويدعون أنها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية وتارة يجعلونه حجة في الاعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهوا ولعباً

وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الابيات الملحنة مع ضرب بالاكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبح لاحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الامر ولا في ظاهره لا لعامي ولا لخاص ولكن رخص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الاعراس والافراح وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في الصحيح انه قال انما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك مخنثاً ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم ومن هذا الباب حديث عائشة رضي الله عنها لما دخل عليها أبو بكر في أيام العيد وعندها جاريتان من الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار يوم بعاث فقال أبو بكر أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنه مقبلا

بوجهه الى الحائط فقال دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام ففي هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر رضي الله عنه مزمور الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى عليه معللا ذلك بانه يوم عيد والصغار يرخص لهم في اللعب في الاعياد كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحا وكما كان يكون لعائشة لعب تلعب بهن وتجيء صواحباتها من صغار النسوة يلعبن معها وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع الى ذلك والامر والنهي انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية فانه انما يتعلق بقصد الرؤية لانها يحصل منها بغير الاختيار كذلك في اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم فاما اذا شم مالا يقصده فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع والبصر والشم والذوق واللمس انما يتعلق الامر والنهي في ذلك بما للعبد فيه قصد وعمل وأما مايحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهي وهذا مما وجه به الحديث الذى في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال هل تسمع حتى انقطع الصوت فان من الناس من يقول بتقدير صحة الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجاب بان ابن عمر لم يكن يستمع وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله عليه وسلم عدل طلبا الاكمل والافضل كمن اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون بكلام

يحرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأثم بذلك
اللهم الا أن يكون فى سماعه ضرب دينى لايندفع لا بالسد

وبالجملة فهذه مسئلة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع هل هو محظور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الربابات لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من المرهوب والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلي به مشاهد أهل العرفان حتي يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه وحتى يجعلونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا للنفوس يحدوها على المسير الى الله عز وجل ويحثها على الاقبال عليه ولهذا يوجد من اعتاده واغتذي به لايحب القرآن ولا يفرح به ولا يجدي فى سماع الآيات كما يجدى فى سماع الابيات بل اذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل المكاء والتصدية خشعت الاصوات وسكنت الحركات وأصغت القلوب وتعاطت المشروب فمن تكلم فى هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه بما كان النساء يغنين به في الاعياد والافراح لم يكن قد اهتدى الي الفرق بين طريق أهل الخسارة والفلاح ومن لم يتكلم فى هذا هل هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصدين ومن أعمال أهل اليقين ومن طريق المحبين المحبوبين ومن أفعال

السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه هل هو محمود أو مذموم فاخذ يتكلم فى جنس الكلام وانقسامه الي الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لايمس المحل المشتبه المتنازع فيه واذا عرف هذا

فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لابالحجاز ولابالشام ولاباليمن ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصدية لابدف ولا بكف ولا بقضيب وانما حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الائمة أنكروه فقال الشافعى خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هرون مايغبر الا فاسق ومتى كان التغبير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل أنجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخى ولا أبو سليمان الدارانى ولا أحمد بن أبي الحوارى ولا السرى السقطى وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهله كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعى رضى الله عنه انه من احداث الزنادقة من كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو

اليه في الاصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندى والفارابي وابن سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسئلة السماع عن ابن الراوندى أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم وكرهه قوم وأنا أوجبه أو قال آمر به فخالف اجماع العلماء في الامر به وأبو نصر الفارابي كان بارعا في الغناء الذى يسمونه الموسيقا وله فيه طريقة معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما ضرب فابكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرج • وابن سينا ذكر في اشاراته في مقامات العارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب طريقة أسلافه الصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والاصنام كارسطو وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس وثامسطيوس والاسكندر الافروديسى وكان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلفوس المقدوني الذى تؤرخ له اليهود والنصارى وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وأما ذو القرنين المذكور في القرآن الذى بنى السد فكان قبل هؤلاء بزمان طويل وأما الاسكندر الذى وزر له ارسطو فانه انما بلغ بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل الى السد وهذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونانى ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومزجه بشئ من كلام الصوفيـة وحقيقته تعود الى كلام اخوانه الاسماعيلية القرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من اتباع

الحاكم الذى كان بمصر وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافقى الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابى قد حذق فى حروف اليونانى التى هى تعاليم ارسطو وأتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الغناء ففى هذه الطوائف من يرغب فيه ويجعله مما تزكو به النفوس وترتاض به وتهذب به الاخلاق

وأما الحنفاء أهل ملة ابراهيم الخليل الذى جعله الله للناس اماما وأهل دين الاسلام لايقبل الله من أحد دينا غيره المتبعون لشريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليما فهؤلاء ليس منهم من يرغب فى ذلك ولا يدعو اليه وهؤلاء هم أهل القرآن والايمان والهدى والرشاد والسعد والفلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والاخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والانابة اليه

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة وممن له نصيب فى المحبة لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته كما دخل قوم من الفقهاء أهل الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في أنواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الاسلام ظنا منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغبته فان القيام بحقائق الدين علما وقولا وعملا وذوقا وخبرة لايستقل به أكثر الناس ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله

شهيدا وقد قال تعالى(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال تعالي (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلي الله عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل علي كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيما) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعا فيها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع المكاء والتصدية لايجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفي ضمن ذلك من الضلال والمفسدة ماهو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس أعظم ماتفعله حميا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكرا أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة كما يجد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله أعني الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد بل بما يقترن بهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تتنزل عليهم الشياطين فى تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجنى على لسان المصروع اما بكلام من جنس كلام الاعاجم الذين لايفقه كلامهم كلسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذى لبسه الشيطان عربياً لايحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من اخوانهم واما بكلام لا يعقل

ولا يفهم له معنى وهــذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعيانا وهؤلاء الذين يدخـلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هـذا النمط فان الشـياطين تلبس أحـدهم بحيث يسقط احسـاس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضربا عظيماً وهو لايحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم فى الهواء وانما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله كالمصروع وبالمغرب ضرب من الزط يقال لاحدهم المصل يلبسه الشـياطين ويدخلها ويطير فى الهواء ويفعل أشياء أبلغ ممـا يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لاخلاق لهم والجن تخطف كثيراً من الانس وتغيبه عن أبصار الناس وتطير به في الهواء وقدباشرنا من هـذه الامور مايطول وصـفه وكذلك هؤلاء المتولهون المنتسبون الي بعض الشيوخ اذا حصل لهم وجد سماعى عند سماع المكاء والتصدية منهم من يصعد فى الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد المحمى بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هـذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الافعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولاعند قراءة القرآن لان هذه عبادات شرعية ايمانية اسـلامية نبوية محمدية تطرد الشـياطين وتلك عبادات بدعية شركية شـيطانية فلسفية تستجلب الشياطين

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسـلم لم يترك شيئاً يقرب الى الجنة الا وقد حدث به ولاشيئا يبعد عن النار الا وقد حدث به وان هـذا السماع لو كان مصلحة لشرعه الله ورسوله فان الله

يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية واذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم يلتفت اليه كما ن الفقيه اذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم يلتفت اليه

وفصل النزاع فى حكم مسئلة السماع ثلاث قواعد من أهم قواعد الايمان والسلوك فمن لم يبن عليها فبناؤه على شفا جرف هار ﴿القاعدة الاولى﴾ ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه محاكم آخر أو متحاكم اليه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكما يتحاكمون اليه فيما هو صحيح، فاسد فجعلوه حكما بين الحق والباطل فنبذوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الاذواق والحال والمواجيد فعظم الفساد وطمست معالم الايمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا فى الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات الى شهوات أكبر منها ومن حظوظ الى حظوظ أعظم منها وكان حالهم فى الشهوات التى انتقلوا عنها أكمل وخير من هؤلاء لانهم لم يعارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوها قربة ودينا واقفون مع حظوظهم من الله فانون بها عن مراد الله وانما زهدوا في حظ الى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة فليتدبر اللبيب هذا فى نفسه وفي غيره فكل ماخالف مراد الله الدينى من العبد فهو حظه وشهوته ذوقا كان أو حالا أو وجدا أو لا أو صورة ونحو ذلك فمن قدمه على مراد فهو أسوأ حالا ممن يعترف انه يعصى ويحبه وان

مراد الله أولى بالتقديم منه وانه ذنب تجب التوبة منه

﴿القاعدة الثانية﴾ أنه اذا وقع النزاع في حكم فعل من الافعال أو حال أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الاساس ومن لم يبن على هذا الاصل فعلمه وسلوكه ليس على شئ

﴿القاعدة الثالثة﴾ اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شئ هل هو الاباحة أو التحريم فلينظر الى مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان طريقه مفضيا الى ما يبغضه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس الابرة من المسكر لانه يشوق النفس الى المسكر الذى يشوقها الى المحرمات ثم يبيح ماهو أعظم منها شوقا للنفوس الى المحرم بكثير فان الغناء كما قال ابن مسعود هو رقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ماناله صبي الا وفسد ولا امرأة الا وبغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور

وقال شيخ الاسلام بن تيمية فصل الخطاب في هذا الباب ينبغى أن ينظر فى ماهية الشئ ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج فانهم ينشدون أشعارا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الاشعار مباح وفى معنى هؤلاء الغزاة فانهم ينشدون أشعارا يحرضون بها على الغزو وفى هذا المعنى انشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه

وسلم لحاديه رويدك سوقا بالقوارير وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم

وقال الشيخ فى موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللهو هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم فى ذلك ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعي قولين ولم يذكروا عن أبى حنيفة ومالك في ذلك نزاعا وذكر زكريا بن يحيى الساجي وهو أحد الائمة المتقدمين من المائلين الى مذهب الشافعى انه لم يخالف من الفقهاء المتقدمين الا ابراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبرى من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيرى وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وانما وقعت به لان بعض أهل المدينة كان يحضر السماع الا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم

وقال شيخ الاسلام أيضا وجماع الامر في ذلك أنه اذا كان الكلام فى السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلابد من دليل شرعى يدل على ذلك واذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلابد من دليل شرعى

يدل على ذلك اذ لاحرام الا ماحرمه الله ولا دين الا ماشرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابتدعوا في الدين مالم يأذن به الله وأنهم حرموا مالم يحرمه الله قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وقال تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية

قال أبو سليمان الداراني انه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضا ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نورا على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لايصلح له أن يتكلم فى علمنا وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبوعثمان النيسابورى من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة

وقال أبو الفرج بن الجوزى اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهى القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى والقيام بخدمته والثانى أن يميله الي اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا فى المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية فى موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثورى ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكار الذلك من الشافعى وأحمد

وقال فى موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل ابن عياض ولا معروف الكرخى ولا السرى السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدى والشيخ أبي البيان والشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهى عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والامكان والخلان والشيخ الذى يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالجنيد فانه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للجلوس له وسبب ذلك انه مجمل ليس فيه تفصيل فان الابيات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل واللوم ونحو ذلك هو قول مجمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب النسوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة اذ هيج القاطن أثار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما اثما كبيرا ومنافع للناس واثمهما

أكبر من نفعهما فلهذا لم يأت به الشريعة فان الشريعة لم تأت الا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ماتكون مفسدته غالبة على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك أنه يهيج الوجد المشترك فيثير من النفس كوا من تضره آثارها ويغذى النفس ويقيتها به فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لايبقى فيها محبة لسامع القرآن ولا يلتذ به ولا يستطيبه بل قد يبقى في النفس بغض لذلك واستثقال به كمن يستثقل نفسه بتعلم التوراة والانجيل وعلوم أهل الكتابين والصابئين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله الى أشياء أخر يطول ذكرها

فلما كان هذا السماع لا يعطي بنفسه مايحبه الله ورسوله من الاحوال والمعارف بل قد يصد عن ذلك ويعطي مالا يحبه الله ورسوله بل مايبغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الامة ولا أعيان مشايخها

والصوت يؤثر في النفس بحسب الاوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا واذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس اذا سكرت بالصور والجسد اذا سكر بالطعام والشراب فان السكر هو الطرب الذى يورث لذة بلا عقل فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذى صد عن ذكر الله وعن الصلاة وأورث العداوة والبغضاء .

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من

الائمة بل قال الله تعالى (ولا تمش فى الارض مرحا) والرقص شئ من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار

وأما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزفن والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ولو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه لسلم اليه ذلك كما تقدم فاما الذى اذا تكلف من الاسباب مالم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وأنا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفر التتر وأعوان الظلمة من ذوى الاحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصاري والمشركين ببعض مالهم من الاحوال ومن كان كاذبا فهو منافق ضال

(فصل) وقد استدل قوم على اباحة السماع بامور أخصها ثلاثة

منها أنه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار لاينام حتى تحدوله القائمة بامره والابل تقاسى تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليها بالحداء

ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه

وقد يستدلون عليه بقوله (يزيد في الخلق مايشاء) وبان الله تعالى ذم الصوت الفظيع (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) فقال

ومنها ان الله وصف أهل الجنة انهم في روضة يحبرون وان ذلك هو السماع الطيب فكيف يكون حراما وهو في الجنة

ومنها ماثبت ان الله تعالى ماأذن لشيء كاذنه أي كاستماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن .

ومنها ان أبا موسى الاشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبيرا أى زينته وحسنته

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن والصحيح انه من التغنى وهو تحسين الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويعضده مافسره الامام أحمد فقال يحسن صوته ماستطاع

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم العيد وقال لابي بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الاسلام

ومنها انه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماه لهوا

ومنها انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه

ومنها انه كان يسمع انشاد الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه

في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد مابقينا أبدا

ودخل مكة والمرتجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدا به الحادي في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينـا * وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الالي قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

فدعا لقائله

ومنها انه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه

ومنها انه استنشد الاسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الاعشى شيئا من شعره فسمعه

ومنها انه صدق لبيدا في قوله

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل

ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس مادام ينافح عنه وكان يعجبه شعره وقال له اهجهم وروح القدس معك وأنشدت عائشة رضى الله عنها قول أبي كثير الهذلى

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها

ومنها انهم ادعوا انه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن

جعفر وأهل المدينة وبار كذا وكذا ولى فقد حضره وسمعوه فمن حرمه فقد قدح فى هؤلاء السادة القدوة الاعلام

ومنها ان اجماع العلماء منعقد على اباحة أصوات الطيور المطربة الشجية فلذة سماع صوت الآدمى أولى بالاباحة أومساوية وبان السامع يجد وروح السامع وقلبه الي نحو محبوبه فان كان محبوبه حراما كان السماع معينا له على الحرام وهو حرام فى حقه وان كان مباحا كان السماع في حقه مباحا وان كانت محبته رحمانية كان السماع فى حقه قربة وطاعة لانه يحرك المحبة الرحمانية ويهيجها وبان التذاذ الاذن بالصوت الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة والذوق بالطعم الطيب فاذا كان هذا حراما كانت هذه اللذات والادراكات محرمة

والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم وغيرهما كفاية وما ذكر حيد عن المقصود وروغان عن محل النزاع فان جهة كون الشيء مستلذا للحاسة ملائما لها لايدل على اباحته ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة تكون في أحكام التكليف الخمسة فكيف يستدل بها على الاباحة من يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال وهل هذا الا بمنزلة من يستدل على اباحة الزنا بما يجد به فاعله من اللذة ولذته لاينكرها ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود اللذة الملائمة على حل اللذيذ الملائم أحد وهل خانت غالب المحرمات من اللذات وهل أصوات المعازف التى صح عن النبي صلى الله عليه وسلم تحريمها وان في أمته من يستحلها

بأصح الاسانيد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم جلتها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة يعني اذا كان معه آلة لهو وهل التذاذ الابل والطفل بالصوت الطيب دليل شرعي من اباحة أو تحريم وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بان الله تعالى خالق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطي حسنها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الاطلاق وهل هذا الا مذهب أهل الاباحة الجارين على رسوم الطبيعة وهل في ذم الله لصوت الحمار مايدل على اباحة الاصوات المطربات بالنغمات الموزونات والالحان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع القصائد المستحسنات بالدفوف والشبابات هذا من المضحكات المعجبات وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يحبرون فما يخاف صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة الخمر بان في الجنة خمرا وعلى اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة الحرير وعلى حل أواني الذهب والفضة والتحلي بها للرجال فان هذا كله مباح لاهل الجنة

فان قيل قام الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع قيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة فعلم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم دليل على تحريم السماع فيقال أي السماعات تعني وأي المسموعات

تريد فان منهما المحرم والمكروه والمباح و لواجب والمستحب فبين نوعا يقع الكلام فيه نفيا واثباتا

فان قلت سماع القصائد مامدح الله به ورسوله وكتابه وهجي به أعداؤه فهذا لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويدرسونها وهى التى سمعها الرسول وأصحابه وأثاب عليها وحرض حسان عليها وهى التى غرت أصحاب السماع الشيطانى فقالوا تلك قصائد ويكفى هذا والسنة كلام والبدعة كلام والتسبيح كلام والغيبة كلام ولكن هل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا المشتمل علي قريب من مائة مفسدة ولظير هذا مااستدلوا به علي ان الرسول استحسن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبى موسى الاشعرى وغيره فنقلوا هذا الاستحسان الى صوت النسوان والمردان وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصنوج والشبابات والاوتار وغير ذلك من المعازف وذكر القدود والثغور والنهود والخصور ووصف فواتر العيون وسوادها وسواد الشعور ومحاسن الشباب وحمرة الخدود وذكر الوصل والصد والتجنى والهجران والعتاب ولاستعطاف والاشتياق والقلق والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من سكر الخمر وأى نسبة لسكر يوم ونحوه الى سكرة العشق التى لايستفيق صاحبها الا فى عسكر الهالكين أسيرا قتيلا حزينا وهل يقاس سكرة الشراب الى سكرة الارواح بالسماع فان نازع منازع فى سكر السماع وتأثيره في العقول والارواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت

مكابرة القوم فكيف يحمى الطبيب والمريض عما يشوش عليه محنته ويبيح له ما فيه أعظم السم والكلام مع من وجد لا من فقد وأعجب من هذا من استدل على اباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية اجتماع البنتين الصغيرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية فى يوم عيد وفرح بأبيات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ، مكارم الاخلاق والشيم فأين هذا من هذا والعجب ان هذا من أكبر الحجج عليهم فان الصديق سمى ذلك مزمور الشيطان وأقره على هذه التسمية مرخصا فيه لجويريتين غير مكلفتين ولا مفسدة فى الشاده ولا فى استماعه أفيدل هذا على اباحة ما يفعلونه من السماع اليوم وأعجب من هذا كله الاستدلال على اباحته بما سمعه الرسول من الحد المشتمل على الحق والتوحيد وهل حرم أحد مطلق الشعر وقوله واستماعه وأعجب استدلالهم باباحته على اباحة أصوات الطيور اللذيذة وهل هذا الا من جنس قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور الي نغمات النسوان والمردان والاوتار والعيدان والغناء منهن بما يحدو الارواح والقلوب الى مواصلة كل محبوبة ومحبوب وأين الفتنة بمن هو من جنسك الى الفتنة بصوت القمرى والبلبل والهزار والشحرور ونحوها وأعجب من هذا من قال انه من أنكره فقد أنكر على كذا كذا ولى لله فحجة عامية لم ينكر أولياء الله على أولياء الله فقد أنكر عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله فى صفين بالسيوف ولما سار بعضهم الى

بعض كان يقال سار أهـل الجنة الى الجنـة وكون ولى الله يرتكب المكروه أو المحظور متأولا أو عاصيا لايمنع ذلك الانكار عليـه ولا يخرجه عن أصل ولايته لله وهيهات هيهات أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التى تفتن القلوب أعظم فتنة

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق ابن موسى الطباع سألت مالكا عما يترخص فيه أهـل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق وهـذا النص عن مالك معروف فى كتب أصحاب مالك مشهور وهم أعرف بمذهبه وأضبط ممن ينقل عنه الغلط وعن أهـل المدينـة من طائفة بالمشرق لاعلم بمذاهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك انه ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نبهت على هـذا لان فيما جمعه أبوعبد الرحمن السلمى ومحمد بن طاهر المقدسى في ذلك حكايات وآثارا يظن من لاخبرة له بالعلم وأحوال السلف انها صـدق وكان الشيخ أبو عبـد الرحمن السلمى فيـه من الخير والزهد والدين والتصوف ميحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التى توافق مقصوده كل ميجـده ولهذا يوجـد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام ماينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام المردود مايضر من لاخبرة له وبعض الناس توقف في روايته حتى ان البيهقى كان اذا روى عنه يقول حدثنا أبوعبد الرحمن من أصل سماعه وأكثر الحكايات التى يرويها أبوالقاسم القشيرى صاحب الرسالة عنـه

فانه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ماروي من غث وسمين ولم يميزوا ذلك اه كلامه

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ماروى فيه من غث وسمين ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن يصنف في الابواب مثل المصنفين في فضائل الشهور والاوقات وفضائل الاعمال والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الايام والليالي صلاة يوم الاحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة أول جمعة في رجب والتي أول رجب ونصف شعبان واحياء ليلة العيدين وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب مارواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب انه كان يضرب أيدى الناس في رجب حتى يفطروا ويقول لا تشبهوه برمضان وكذا كره افراده بالصوم غير واحد من السلف والائمة وأجود مايروى من هذه الصلوات حديث

صلاة التسبيح وقد رواه أبوداود والترمذي وغيرهما ومع هذا فلم يقل به أحد من الائمة الاربعة بل الامام أحمد ضعف الحديث وقال لايصح ولم يستحب هـذه الصلاة وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشئ مثـل الصلاة المرفوعة فان تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهـذا يخالف الاصول فلايجوز أن يثبت بمثل هـذا الحـديث ومن تدبر الاصول علم انه موضوع وأما سائر هـذه الاحاديث فانها كلها أحاديث موضوعة مكذوبة باتفاق أهل المعرفة مع انها توجد في مثـل كتاب أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتاب الشيخ عبـد القادر وتوجـد في مثـل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص بن شاهين وعبدالعزيز الكناني وأبوعلي بن البناء وأبوالفضـل بن ناصر وغيرهم وكذلك أبو الفرج بن الجوزي ذكر مثل هذا في كتاب فضائل الشهور ويذكر في الموضوعات انه كذب موضوع

والذين جمعوا الاحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ماروي في هذا الباب ومن أجل ماصنف في هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك وفيـه أحاديث واهية وكذلك كتاب الزهـد لهناد بن السري ولوكيع وكذلك الزهد لاسـد بن موسى وغيرهم وأجود ماصنف في ذلك كتاب الزهد للامام أحمد لكنه مرتب على الاسماء وزهـد ابن المبارك على الابواب وهـذه الكتب يذكر فيها زهـد الانبياء والصحابة والتابعين ثم ان المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهـد المتقدمين والمتأخرين كأبي نعيم في الحلية وأبي الفرج في صفوة الصفوة

ومنهم من اقتصر على ذكر المتأخرين من حين حدث اسم الصوفية كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم القشيري في رسالته ثم الحكايات التي يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن خميس الموصلي وأمثاله يذكرون حكايات مرسلة بعضها صحيح وبعضها باطل قطعا والله أعلم

وقال الشيخ رحمه الله والمقصود هنا ان المذكور عن سلف الامة وأئمتها من المنقولات ينبغي للانسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما ينبغي مثل ذلك في المعقولات والنظريات وكذلك في الاذواق والمواجيد والمكاشفات والمخاطبات فان كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة فيها حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجماع ذلك أن ماوافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عليه أصحابه فهو حق وما خالف ذلك فهو باطل فان الله تعالى يقول: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم، الآية

(فصل) وأما من زعم ان الملائكة أو الانبياء تحضر سماع المكاء والتصدية محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر بل انما تحضره الشياطين وهي التي تتنزل عليهم وتنفخ فيهم كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا ان الشيطان قال يارب اجعل لي بيتا قال بيتك الحمام قال اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذنا قال مؤذنك المزمار وقد قال الله تعالى مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين فى مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصدية وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتي ان بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتي رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لايشهدها الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ماجاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخير الدنيا والآخرة وان لم يعرف حقائق الامور بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادى فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في مواطنه وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادى كان ضالا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق والدليل الهادى هو الرسول الذى بعثه الله الي الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذى له مافي السموات وما في الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارغاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجدون فى

نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد فى الهوى المذموم واما غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التى تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالاشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله ويقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من أصابه بعينه ولهذا قال من قال من العلماء ان هؤلاء يجب عليهم القود والدية اذا عرف انهم قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يغتبطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة كما يغتبط الظلمة المسلطون ومن هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة وهمة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الاعانة على الظلم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن

ظاهرا وباطنا ليس مستلزما لولاية الله بل قد يكون ولي الله متمكنا ذا سلطان وقد يكون مستضعفا الى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفا وقد يكون مسلطا الى أن ينتقم الله منه فخفراء السر في الباطن من جنس التستر في الظاهر هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الاجناد وأما الغلبة فان الله قد يديل الكافرين كما كان يكون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذا كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهرا عليهم كان ذلك لسبب ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنا وظاهرا وأما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا قال الله تعالى (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وقال تعالى (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم)وقال تعالى(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ التصفيق والغناء والضرب بالدفوف والنفخ في الشبابات والاجتماع على ذلك دينا وطريقا الى الله وقربة فهذا ليس من دين الاسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسن ذلك أحد من ائمة المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم باحسان ولا تابعي التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثه لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر يجتمع على مثل هـذا السماع وانما ابتدع في الاسـلام بعـد القرون الثلاثة ولهـذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة

سئل شيخ الاسـلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع والرقص فانكر عليه رجل فقال هذه الابيات

أنكروا رقصا وقالوا حرام * فعليهم من أجل ذاك سلام

اعبـد الله يافقيه وصـل * والزم الشرع فالسماع حرام

بل حرام عليـك ثم حلال * عنـد قوم أحوالهم لا تلام

مثل قوم صفوا وبان لهم من * جانب الطور جذوة وكلام

فاذا قوبل السـماع بلهو * فحـرام على الجميع حرام

أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر يتضمن منكرا من القول وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعـة وآخره يفتح باب الزندقة والالحاد المخالفة للحقيقة الالهية الدينية النبوية وذلك أن قول القائل مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو جذوة من النار لعلكم تصطلون وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق

الرياضة والتصفية ويظنون انهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف

صنف يزعمون انهم يخاطبون أعظم مما خوطب به موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بان الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الانبياء وأن الخطاب الذى يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ ومعلوم ان هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الانبياء ويكفرون ببعض

والنوع الثانى من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفتهم الذين يقولون ان تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة مكتسبة

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذى سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا كما يوجد هذا فى اخبار صاحب مشكاة الانوار وكذلك سلك مسلكه صاحب خلع النعلين وأمثالهما وأما قوله في أول الشعر لمن يخاطبه الزم الشرع يافقيه وصل يشعر بانك أنت تبع الشرع وأما نحن فلنا الى الله طريق غير الشرع ومن ادعى أن له الى الله طريقا يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التى بعث الله بها

ورسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة استغطوا

وزعموا ان العبد يصل الى الله بلا متابعة الرسل وطائفة يظنون ان الخواص من الاولياء يستغنون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا وباطنا مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن الاسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى علمها فلما علمها تبين أن الافعال توافق شريعته لاتخالفها

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى المأذنة ينشد أبياتا يذكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكر عليه رجل فقال له لاتفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد الربانية فهل أصاب أم لا

أجاب رضي الله عنه الحمد لله لم ينهى المؤذن أن ينشد الابيات التي هي من جنس النياحة والمراثى وكذلك ما كان من جنس الغزله فان في ذلك مفاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع للمؤذنه ولا بأس بالابيات المتضمنة لذكر الآيات والاخبار والتوبة والاستغفار والله أعلم

(فصل) نافع ان شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) قال العلماء من المفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذى خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أى لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لااضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لامذمومة يبين ذلك قوله (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولهذا نصب على المصدر الذى دل عليه الفعل الاول عند سيبويه وأصحابه فدل على ان اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التى فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال كتب الله عليكم وسن الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف

رسالة في الكلام على الفطرة ومعرفة الله

عز وجل جمع الشيخ محمد

ابن محمد بن محمد المنبجي

رحمه الله تعالى

في قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) رواه البخاري ومسلم فالفطرة المراد بها الاسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب * وسئل مجاهد عن الفطرة فقال هي الاسلام وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لخلق الله) قال لا تبديل لدين الله وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي وروى عن ابن عباس وعكرمة في احدى الروايتين عنهما والقول بان الفطرة الاسلام هو احدى الروايات عن الامام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد وقال آخرون والفطرة ههنا الاسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل قاله في تفسير هذا الحديث المتقدم * ثم قال وأما قوله فطرة الله التي فطر الناس عليها (فقد أجمعوا على) أن قالوا دين الاسلام انتهى وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها دين الاسلام وهو المعروف عند عامة السلف الى أن قال ومعنى هذا أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى

وقال أبو بكر النقاش اختلف أهل التأويل في الفطرة فقيل على ملة ابراهيم ثم ذكر قريبا مما ذكره القرطبي

وقد احتج لهذا القول بادلة

منها حديث أبي هريرة الذى في الصحيحين وقد تقدم

ومنها ماثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل خلقت عبادى حنفاء مسلمين فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ماأحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا

ومنها مارواه الترمذى عن أنس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا

ومنها مافي الصحيحين خمس من الفطرة أي من فطرة الاسلام وفي مسلم وورواه أحمد وأبو داود عشر من الفطرة وفي لفظ عشر من سنن الاسلام

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التى خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلقة البهائم التى لاتصل بخلقتها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالي (وما لى لاأعبد الذى فطرنى) يعني الذى خلقني ووجهوا هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني تسالمة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا ففى هذا الحديث تمثيل أولاد بنى آدم وأولاد البهائم لانقص فيهم.

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد

على ماسبق له في علم الله أنه سائر اليه

قال الشيخ ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هى مولودة على ماسبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى فانهما فعلا به ماهو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين التهويد والتنصير

ثم قال بعد أسطر فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التى ولدت جمعاء ثم جدعت يبين ان أبويه غيرا ماولد عليه

ثم قال بعد ذلك وقولكم خلقوا خالين من المعرفة والانكار من غير أن تكون الفطرة تقتضى واحدا منهما بل يكون القلب كاللوح الذي يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لافرق بالنسبة الي الفطرة بين المعرفة والانكار والتهويد والتنصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغى أن يقال فابواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه فى حصول سبب منفصل غيرحكم الكفر

ثم قال بعد ذلك ففى الجملة كل ماكان قابلا للمدح والذم على السواء لايستحق مدحا ولا ذما والله تعالي يقول (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) فامره بلزوم فطرته التى فطر الناس عليها

وأيضا فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه مايطرأ عليها من الكفر بجدع الانف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لامحمودة ولامذمومة اه

وقد ذكر الخلال في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة

(أنبأ) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبي أهل الحرب انهم مسلمون اذا كانوا صغارا وان كانوا مع أحد الابوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصا كثيرة في هذا الباب

وقد سئل الزهرى عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزيه رضيع يعتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهرى يصلى على كل مولود متوفى وان كان لغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لااله الاالله وذلك في قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام) قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لااله الا الله ولهذا كان معلوما بالفطرة أنه لابد لكل موجود من موجد ولكل مصنوع من صانع كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) قل (من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله) الآيات الثلاث

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجاتهم العاجلة قبل الآجلة

كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا انما بعث الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له فتفاصيل الامر والنهى انما تعرف من جهة الرسل

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة (قالت رسلهم أفي الله شك) فالمشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به انه ربهم وخالقهم ورازقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المقصود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي عمران بن حصين كم تعبد اليوم الها قال ستة فى الارض وواحد في السماء قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك قال الذى في السماء رواه الترمذى فالله تعالي فطر الخلق كلهم علي معرفته فطرة توحيد حق من خلق مجنونا مطبقا مصطلما لايفهم شيئا مايحلف الا به ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضى الجبل عن بعض العلماء لااستحضره قال لو ترك طفل رضيع فى بيت لايكلم وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التى فطر عليها لم يستبعد فنوع الانسان أشرف من كثير من المخلوقات قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله في قوله (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ولا شك انه أفضل من الجمادات وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه

وتحميده وتنزيهه نطقا لا يفهمه الا الذى أنطقها به قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) قال شيخنا ابن قاضى الجبل فى هذه الآية قال تسبيحها تسبيح حقيقى ولهذا قال انه كان حليما غفورا أى اذا كانت الجمادات التى لا تتم تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور اذ لم يعاجل المقصرين الذين كملت النعمة فى حقهم بالعقوبة وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الآية وقال تعالى (سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (يسبح لله مافى السموات ومافي الارض) والآيات كثيرة فى هذا الباب وقد أتي بلفظ الماضى الدال على وقوع التسبيح وصدوره باللفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح وتجدده كل وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر بنى آدم على الاقرار بربوبيته ألست بربكم قالوا بلى لم يتخلف منهم أحد وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا في قوله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) ا وقال تعالى (فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى في حق داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) قال أبو هريرة كان داود اذا سبح أجابته الجبال والطير

بالتسبيح والذكر وقال أبو الفرج ابن الجوزى قد روى أن داود كان لذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشتاق هو فيسبح وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان فقال هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر الله بل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير) والتأويب هو ترجيع التسبيح وأخبر سبحانه عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على أنها تعرف ربها معرفة تليق بها فان الخشية تستلزم العلم بالمخشى وكذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وهذا خطاب من يعرف ربه ويعقل أمره وليس هذا خطاب تكوين لمعدوم فانه خاطبهما بعد وجودهما وكذلك قوله (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) ومعنى أذنت أصغت واستمعت لقوله وأمره وكذلك اخباره عن الارض يوم القيامة أنها يومئذ تحدث أخبارها وفى الترمذى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد بما عمل على ظهرها من خير أوشر وهذه شهادة نطق لما تحملته من الشهادة في هذه الدار لما أوحي لها فانه تعالى قال (بأن ربك أوحى لها) وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن فى الارض والشمس

والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من النـاس وكثير حق عليه العذاب ولو كان سجودها هو مجرد دلالتهـا على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختص بكثير من الناس بل جميع العـالم دال على صانعه وأمثال هـذا كثير في القرآن وما كان بهـذه المثابة كيف يستنكر معرفته لربه وسجوده له وتسبيحه بحمده ولو لم يكن في هذه الآيات الا قوله تعـالى (سبح لله مافى السموات ومافى الارض وهو العزيز الحكيم) فى أوائل هذه السور فانه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولى العلم قطعا اما اختصاصا واما تغليبا ولا يصح حمل ماذكرنا من الآيات على أولى العلم وتخصيصها بهم اذ لو أريد ذلك لجيء بلفظ من المختصة بمن يعقل وان كان قد وقع فى القرآن مالمن يعقل ومن لما لايعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره

والمقصود اذا كانت هذه الجمـادات قد فطرت على معرفة ربهـا وتسبيحه وتنزيهه والانسان أشرف منها فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الاولى والاحرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفطنة لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الاسلام والاسـلام كلمة التوحيد كما تقـدم وان كان الاسلام في الاصـل هو الاستسلام والانقياد

(فصل) ومن تمام الكلام على ان معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاسـتدلال بالآية والحديث فان أول مايبدأ به في الاستدلال الكتاب والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وان كان في أصـل المسئلة الناس

متنازعون فى أصل المعرفة بالصانع هل هى فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل فيقول يختلف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبي صلي الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة ولكن قد يعرض للفطرة مايفسدها فتحتاج حينئذ الى النظر فهي فى الاصل ضرورية وقد تكون نظرية ثم المعرفة الواجبة لاتتعلق بنظر خاص بل قد تحصل ضرورية فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الاسباب فى حصول المعرفة الضرورية ولكن قد يحتاج الى أمور يجب الايمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لما طرا على الفطرة من الفساد فان كون هذا العالم لابد له من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فكونه لايعرف هذا الا بطريق النظر فيه نظر وأى نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجمادها كما تقدم أنها مسبحة بحمده عارفة به ففى كل شئ له آية تدل على انه واحد ومع دلالتها على الوحدانية مسبحة بحمده معترفة به تسجد له وان جميع المخلوقات خلا كفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شئ بحسبه فلولا ان كل شئ يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لانفهمه نحن ولا يعلمه الا الذي أنطقه به لما أخبرنا به وانه دال على عظمته

وقد روينا في جزء الفريابي فى كتاب الذكر له باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الجبل لينادي الجبل مقابله باسمه هل مر بك اليوم ذاكر الله عز وجل فان قال نعم فيقول هنيأ لك لكن ماحر

على اليوم أحد يذكر الله

وروى أيضا باسناده عن أنس رضي الله عنه قال ماس صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضا ياجارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك فمن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلا فكل فطرة سليمة لم تجتالها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقربه وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لاتفيد شيئا في هذا الباب وانما هذه من باب الفرجة والمطالعة

قلنا يكفينا ماتقدم لنامن اخبار الله تعالى فى القرآن من الدليل القطعى عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها والا لما هبطت من خشيته فان الخشية تستلزم العلم بالمخشى وقد تقدم ذلك

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وانها تهبط من خشية الله ثلاث مذاهب قالت الصوفية هي حيوان وفيها جزء حيّ تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له وقال آخرون هذا من مجاز التشبيه وقال الاشعرى الله تعالى يخلق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل الطور انتهى كلامه ذكره في النكت

قلت ماذكره من هذه الاقوال * أما القول الاول فهو قول بعض جهلة الصوفية والا فكون الحجارة حيوانا مما يعلم بالفطرة بطلانه* وأما القول الثانى كونه من مجاز التشبيه فان هذا مما يشهد

الكتاب والسنة بطلانه أما الكتاب فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شئ بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى فى كف النبي صلى الله عليه وسلم ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسمعه الحاضرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولولم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل جمدان فقال هذا جمدان يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يبغضنا ونبغضه

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن يتجلى لموسى تطاولت الجبال لينجلى لها وتواضع زبير يعني الطور فتجلى له وهذا يدل على انها تعرف ربها

وروى ابن الجوزى عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وجعله دكا قال صار لعظمته ستة أجبال فوقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة ثبير وحراء وثور

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجمادات فقال تعالى(انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) فهذا الاباء والاستعفاء بعد ان عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها

وليس المقصود ذلك وانما المقصود ان الانسان أشرف عند الله

وأعظم من الجبال حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك

فمع شرف الانسان لا يركب الله في فطرته وعقله مايعرفه ربه من غير دليل نظرى يحتاج فهمه الى عسر وقد ينتقض عليه أو يشككه فيه من هو ألحن بحجته منه

هذا الهدهد طير من الطيور وفي نظرنا عديم العقل يصيح كغيره من الطيور قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بذير ذلك (فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين) الى قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عليها جميع المخلوقات

فان أريد بالمعرفة المعرفة التامة وهى معرفته بصفات الكمال ونعوت الجلال فيما لم يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراده من عباده شرعا وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه فهذا مايعلم الا بالسمع من جهة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعبادة الله تعالى والايمان به انما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ

قال الامام أحمد فى رواية المروزى معرفة الله تعالى فى القلب تفاضل وتزيد وهذا يدل على ان المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم انها

تزيد وتمكن بتظاهر الادلة والقاضي أبو يعلى في المعتمد استدل بهذه الرواية على انها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم تزدوقال في رواية يعقوب ان المعرفة لاتزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولى وحملها القاضي على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لايزيد ولا ينقص لانه موقوف على الشهادتين وفيما قاله نظر لانه صدر في أول المسألة فقال معرفة الله تحصل بادلته الظاهرة وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسموات والارض وما بينهما وذلك ان آثار الصنعة لازمة لهذه الاشياء فدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم وذكر أن أول ماأوجب الله على نبيه وأمره به اقرأ باسم ربك الذى خلق ثم قال بعد كلام كثير فقد بين ان الاقرار بالاعتراف بالخالق فطرى ضرورى في نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له مايفسد فطرته حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور الناس وعليه حذاق النظار ان المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرته كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى

وقال الشيخ أيضا في شرح الاصفهانية وأما طريقة القرآن في اثبات الصانع فا قد بينا في غير هذا الموضع اختلاف الناس في الاقرار بالصانع هل هو فطرى أو نظري وبينا قول من قال انه فطرى وان كل مولود يولد على الفطرة وانه قد يصير نظريا لبعض الناس لما يعرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالادلة الكثيرة انتهى فاذا قلنا هذا احدث

وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجد أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالفطرة وقد يقول من يخذلق بذهنه ويتهم أذهان الناس بالفساد ويركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل على محدث مطلق وواجب مطلق وواحد مطلق لايمتنع تصوره من وقوع الشركة فيه فلهذا يكله الله تعالى الى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا فمن يهدالله فهو المهتد

فمن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لابد أن ينتهي الى فاعل قديم لايكون الا واحدا وواجب بنفسه لايكون الا واحدا فهو واحد مطلق عندنا، أليس هو معينا في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالي دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمثاله ممن فسدت فطرته لاسيما في معرفة ربه فلابد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وان الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه مايفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذى عرض هو ماذكره النبي صلى الله عليه وسلم فى نفس الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أتهم فاجتالتهم عن دينهم فمنهم من هودته ومنهم من نصرته ومنهم من مجسته وتقول ومنهم من وسوست له بما تشككه في خالقه وقد أخبر فقال عن رسله انهم قالوا

لقومهم أفي الله شك فاطر السموات والارض يسمى خالق السموات والارض ومالي لاأعبد الذي فطرني أي خلقني أفي الخالق شك وقد قال هل من خالق غير الله

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره ايجاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الائمة الاربعة كالقاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري وأصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحاق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتفى به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال واختلفوا أيضا في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لايصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونه لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها مايقوم الدليل من الكتاب والسنة الا على بعضها

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لايجب على أحد اما لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة

وذلك لايحتاج الى نظر واما لان المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاما وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعي وغيرهما والله أعلم

وقال بعض العلماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال لا من اللوازم العامة فيقال كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجبا لم يكن النظر واجبا

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هذا اعدل الاقوال وكلام الائمة والسلف انما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس معهم مايدل على عموم وجوبه انما يدل على انه قد يجب فانهم قالوا الواجب لايحصل الا به لقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات و لنذر) الآية وقوله (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله (فلينظر الانسان مم خلق) فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا ريب ان النظر يجب على هؤلاء والذين خالفوا في وجوب النظر ومنعوا قالوا الا نسلم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها في النظر

والمقصود أن الذين أوجبوا لله على عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله

وأن يطيعوا الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ووجوب الايمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ونصوص القرآن متظاهرة به فالعلم بمعرفة الله ضروري والا لو كان نظريا لكان يجب على الرسل أول مايدعونهم الى النظر وهذا مما علم فساده من دين الاسلام فان كل كافر اذا أراد الدخول في دين الاسلام أول مايؤمن بالشهادتين فلو قال أنا أقر بالخالق لم يكن بذلك مسلما ولو قال أنا أعرف الله انه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلما فمعرفة الله فطرية حاصلة لجمهور الخلق

فان قيل اذا كانت معرفته تعالي فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد وكيف ينكر ذلك كثير من النظار نظار المسلمين أوغيرهم وفي زعمهم انهم الذين يقيمون الادلة العقلية على المطالب الالهية

فيقال أول من عرف في الاسلام بانكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف علي ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند سلف الامة من أضل الطوائف وأجهلهم هذا معني ماذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك ماأركزه الله في فطرة كل أحد انه اذا دعا لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ولهذا قال امام الحرمين لما أورد عليه معني هذا قال حيرني الهمداني

وأما العلم الذي لايحصل الا بالنظر فيجب لاجله النظر لفهم القرآن الذي لايحصل الا بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر في مسائل النزاع التي لايعلم الحق فيها الا بالنظر فاذا أراد معرفة الحق فيها وجب

عليه النظر فاذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه وأداه النظر الي غير الحق فيها فخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده وان أصاب الحق فله أجران فالله تعالى يلهمنا الرشاد * ويوفقنا للسداد * في أقوالنا وأعمالنا مما يحبه ربنا ويرضاه ويفعل ذلك باخواننا من المؤمنين آمين انه ولى ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله علي محمد النبي الامى وآله وصحبه وسلم

رسالة تتضمن أجوبة شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية عن الاحاديث التي يرويها القصاص

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سئل الشيخ تقي الدين بن تيمية عن أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويها القصاص وغيرهم بالطرق وغيرها فأجاب عنها

*منها مايروون انه قال (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

أجاب الحمد لله المعنى صحيح لكن لا يعرف له اسناد ثابت

*ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لو كان المؤمن في ذروة جبل قيض الله له من يؤذيه أو شيطانا يؤذيه)

أجاب الحمد لله ليس هذا معروفا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم * ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال(لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا)

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف عنه باسناده ولكن المؤمن لابد أن يتيح الله له من الرزق مايغنيه ويمتنع في الشرع أن يحرم علي المؤمن مالا بد منه فان الله لم يوجب على المؤمنين مالا يستطيعونه ولا حرم عليهم مايضطرون اليه من غير معصية منهم وتحت ذلك كله قاله وكتبه أحمد بن تيمية

* ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم عن الله(ماوسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)

أجاب الحمد لله هذا مذكور في الاسرائيليات ليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومعنى وسعني قلبه الايمان بي

ومحبتي ومعرفتي ولامن قال ان ذات الله تحل في قلب الناس فهذا من النصارى خصوا ذلك بالمسيح وحده .

ومما يروونه عنه أيضا (القلب بيت الرب)

أجاب الحمد لله هذا كلام من جنس الاول فان القلب بيت الايمان بالله ومعرفته ومحبته وليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما يروونه عنه أيضا (كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني)

أجاب ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له اسناد صحيح ولا ضعيف

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم مع أبي بكر كنت كالزنجي بينهما الذي لا يفهم)

أجاب الحمد لله هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث ولم يروه الا جاهل أو ملحد .

ومما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (أنا مدينة العلم وعلي بابها) .

أجاب هذا حديث ضعيف بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث لكن قد رواه الترمذي وغيره ومع هذا فهو كذب .

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله يعتذر للفقراء يوم القيامة ويقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم علي

لكن أردت أن أرفع قدركم فى هـذا اليوم انطلقوا الى الموقف فمن أحسن اليكم بتمرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خرقة انطلقوا به الى الجنة)

أجاب الحمد لله هـذا الشأن كذب لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث وهو باطل مخالف للكتاب والسنة بالاجماع

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (انه لما قدم المدينة فى الهجرة خرجت بنات النجار بالدفوف وهن يقلن طلع البدر علينا من ثنيات الوداع الى آخر الشعر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هزوا كرابيلكم بارك الله فيكم)

أجاب أما ضرب النسوة الدف فى الزواج فقد كان معروفا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله هزوا كرابيلكم بارك الله فيكم فهذا لا يعرف عنه صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه انه قال (لو وزن ايمان أبى بكر بايمان الناس لرجح ايمان أبى بكر على ذلك)

أجاب الحمد لله هذا جاء معناه فى حديث معروف في السنن أن أبا بكر رضى الله عنه وزن هذه الامة فرجح

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فاسكنى فى أحب البقاع اليك)

أجاب الحمد لله هذا باطل بل ثبت فى الترمذى وغيره انه قال لمكة والله انك لاحب بلاد الله الى الله وقال انك لاحب البلاد الىّ

فأخبر أنها أحب البلاد الى الله واليه

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد دخل الجنة)

أجاب الحمد لله حديث كذب موضوع ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (فقراؤكم)

أجاب الحمد لله هذا اللفظ ليس مأثورا لكن معناه صحيح وان الفقراء موضع الاحسان اليهم فبهم تحصل الحسنات

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (البركة مع أكابركم)

أجاب الحمد لله قد ثبت في الصحيح من حديث جبير انه قال كبر كبر أي يتكلم الاكبر وثبت من حديث الامامة انه قال فان استووا أي في القراءة والسنة والهجرة فليؤمهم أكبرهم سنا

ومما يروون أيضا (الشيخ في قومه كالنبي في أمته)

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما يقوله بعض الناس.

ومما يروون أيضا (لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)

أجاب الحمد لله هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح

ومما رووا عن علي رضي الله عنه ان اعرابيا صلى ونقر صلاته فقال له علي لا تنقر صلاتك فقال له الاعرابي لو نقرها أبوك مادخل النار

أجاب الحمد لله هذا كذب ورووه عن عمر وهو كذب

ومما يروون عن عمر رضى الله عنه أنه قتل أباه

أجاب هذا كذب فان أبا عمر رضى الله عنه مات في الجاهلية قبل أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين

أجاب الحمد لله هذا اللفظ كذب باطل ولكن اللفظ المأثور الذى رواه الترمذى وغيره انه قيل يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد وفي السنن عن العرباض بن سارية انه قال انى عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته

ومما يروون أيضا العازب فراشه من النار ومسكين رجل بلا امرأة ومسكينة امرأة بلا رجل

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ولم أجده مرويا ولم يثبت

ومما يروون أن ابراهيم عليه السلام لما بنى البيت صلى فى كل ركن ألف ركعة فأوحى الله تعالى اليه ياابراهيم أفضل من هذا سد جوعة أو ستر عورة

أجاب الحمد لله هذا كذب ظاهر ليس هو من كتب المسلمين

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ذكر ابراهيم وذكرت أنا فصلوا عليه ثم صلوا على واذا ذكرت أنا والانبياء غيره

فصلوا على ثم صلوا عليهم

أجاب الحمد لله هذا لايعرف من كتب أهل العلم ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم من أكل مع مغفور له غفر له

أجاب الحمد لله هذا ليس له اسناد عن أهل العلم ولا هو في شئ من كتب المسلمين وانما يروونه عن سالم وليس معناه صحيحا على الاطلاق فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون

ومما يروون أيضا من أشبع جوعة أو ستر عورة ضمنت له الجنة

أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون لاتكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين

أجاب الحمد لله هذا ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون سب أصحابي ذنب لا يغفر

أجاب رحمه الله هذا كذب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء

ومما يروون من علم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقه

أجاب الحمد لله هذا كذب ليس في شئ من كتب أهل العلم

ومما يروون عنه آية من القرآن خير من محمد وآله

أجاب الحمد لله القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فلا يشبه بالمخلوقين واللفظ المذكور غير مأثور

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا من العرب وليس العرب مني

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه أيضا اللهم احيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين

أجاب هذا يروى لكنه ضعيف لايثبت ومعناه أحيني خاشعا متواضعا لكن اللفظ لم يثبت

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم عني حديثا فأعرضوه على الكتاب والسنة فان وافق فاروه وان لم يوافق فلا

أجاب الحمد لله هذا مروي ولكنه ضعيف عن غير واحد من الائمة كالشافعي وغيره

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ياعلي اتخذ لك نعلين من حديد وافنهما في طلب العلم ولو بالصين

أجاب الحمد لله ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لاتقوني بنياتكم ولا تلاقوني بأعمالكم

أجاب الحمد لله ليس هذا اللفظ معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ابريق المتوضئ فكأنما قدم جوادا مسرجا ملجوما يقاتل عليه في سبيل الله

أجاب هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف في شيء من كتب المسلمين المعروفة

وممـا يروون عنه صلى الله عليه وسلم يأتى على أمتى زمان مايسلم بدينه الا من يفر من شاهق الي شاهق

أجاب الحمد لله هذا اللفظ ليس معروفا عن النبي صـلى الله عليه وسلم

وممـا يروون عنه صلى الله عليه وسـلم أنه قال حسنات الابرار سيئات المقربين

أجاب الحمد لله هـذا كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

وممـا يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستروا من أصحابى هدية القاتل والمقتول فى الجنة

أجاب الحمد لله هذا اللفظ لايعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم

وممـا يروون عنـه اذا وصلتم الى ماشجر بين أصحابي فامسكوا واذا وصلتم الى القضاء والقدر فأمسكوا

أجاب الحمد لله هذا مأثور باسنادمنقطع وما له اسناد ثابت

وممـا يروون عنه صلى الله عليه وسـلم اذا كثرت الفتن فعليكم بأطراف اليمن

أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف

وممـا يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من بات في حراسة كلب بات فى غضب الرب

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر النساء بالغنج لأزواجهن عند الجماع

أجاب ليس هذا عنه صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كسر قلبا فعليه جبره

أجاب الحمد لله هذا أدب من الآداب وهذا اللفظ ليس معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من الكلام يكون صحيحا لكن يمكن أن يقال عن الرسول صلى الله عليه وسلم مالم يقدح اذ هذا اللفظ ليس بمطلق في كسر قلوب الكفار والمنافقين اذ به اقامة الملة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين

رسالة المؤلف أيضا فى الجواب
عن حنفي صلى بجماعة
ورفع يديه فى كل
تكبيرة وغير
ذلك

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رجل حنفي صلى بجماعة ورفع يديه في كل تكبيرة فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له ان هذا لايجوز في مذهبك وأنت مبتدع فيه فهل مافعله نقص في صلاته مخالف السنة وللامامة أم لا

فأجاب الحمد لله أما رفع اليدين مع كل تكبيرة حتى في السجود فليست هي السنة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها ولكن الامة متفقة على انه يرفع اليدين مع تكبيرة الافتتاح وأما رفعها عند الركوع والاعتدال من الركوع فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كابراهيم النخعي وأبي حنيفة والثوري وغيرهم وأما أكثر فقهاء الامصار وعلماء الآثار فانهم عرفوا ذلك كما أنه استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم كالاوزاعي والشافعي واسحق وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وهي احدى الروايتين عن مالك فانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا افتتح الصلاة واذا ركع واذا رفع رأسه من الركوع ولا كذلك بين السجدتين وثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من حديث مالك بن الحويرث ووائل بن حجر وأبي حميد الساعدي في عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهم أبو قتادة وهو معروف من حديث على بن أبي طالب وأبي هريرة وعدد كثير من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر اذا رأى من

يصلى ولا يرفع يديه فى الصلاة حسبه وقال عقبة بن عامر له بكل اشارة عشر حسنات والكوفيون حجتهم ان عبد الله بن مسعود لم يكن يرفع يديه وهم معذورون فهذا قبل أن تبلغهم السنة الصحيحة فان عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذى بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليعلم أهل الكوفة السنة لكن قد حفظ الرفع عن النبى صلى الله عليه وسلم خلق كثير من الصحابة وابن مسعود لم يصرح بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرفع الا أول مرة لانهم رأوه يصلي ولا يرفع الا أول مرة والانسان قد ينسى وقد يذهل وقد خفى على ابن مسعود التطبيق فى الصلاة فكان يصلى واذا ركع طبق بين يديه كما كانوا يفعلون أول الاسلام ثم ان التطبيق نسخ بعد ذلك وأمر بالركب وهذا لم يحفظه ابن مسعود فان الرفع المنازع فيه ليس من نواقض الصلاة بل يجوز أن يصلي بلا رفع واذا رفع كان أفضل وأحسن وان كان الرجل متبعا لابى حنيفة أو مالك أو الشافعى أو أحمد ورأى فى بعض المسائل ان مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن فى ذلك ولم يقدح فى عدالته ولا دينه بلا نزاع بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله فمن يتعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كمن يتعصب لمالك أوالشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة ويري ان قول هذا المعين هو الصواب الذى ينبغى اتباعه دون قول الامام الذى خالفه فمن فعل هذا كان جاهلا ضالا بل قد يكون كافرا فانه متى اعتقد انه يجب علي الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الائمة دون الامام الآخر فانه يجب أن

يستتاب فان تاب والا قتل بل غاية مايقال له انه يسوغ أو ينبغي أو يجب على العامي أن يقلد واحدا بعينه من غير تعيين زيد ولا عمرو واما أن يقول قائل انه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله مسلم ومن كان مواليا للائمة محبا لهم يقلد واحدا منهم فيما يظهر له انه موافق للسنة فهو محسن فى ذلك هذا أحسن حالا من غيره ولا يقال لمثل هذا مذبذب على وجه الذم وانما المذبذب المذموم الذى لايكون مع المؤمنين ولا مع الكافرين بل يأتى المؤمنين بوجه والمنافقين بوجه كما قال تعالى فى المنافقين (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لاالى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال النبي صلي الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الي هؤلاء مرة والي هؤلاء مرة فهؤلاء المنافقون المذبذبون وهم الذين ذمهم الله ورسوله وقال فى حقهم (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) وقال في حقهم (ألم تر الي الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون علي الكذب وهم يعلمون) فهؤلاء المنافقون الذين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ماهم من اليهود ولا منا مثل من أظهر الاسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وقلبه مع طائفة فلا هو مؤمن محض ولا هو كافر ظاهرا وباطنا فهؤلاء المذبذبون الذين ذمهم الله ورسوله وأوجب على عباده

أن يكونوا لا كفارا ولا منافقين بل يحبون لله ويبغضون لله ويعطون لله ويمنعون لله قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) الى قوله (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الآية وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية وقال تعالى (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) * وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحيحين عنه انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وفي الصحيحين عنه أنه قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وفي الصحيحين أنه قال والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وقال والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أخبركم بشيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم والله تعالى قد أمر المؤمنين بالاجتماع والائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) الى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة القائمة الذين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين وان تنازعوا في بعض فروع الشريعة مثل الطهارة والصلاة والحج والطلاق والفرائض وغير ذلك فاجماعهم حجة قاطعة وتنازعهم رحمة واسعة ومن تعصب لواحد بعينه من الائمة دون الباقين فهو بمنزلة من يتعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة وكالخارجي الذي يقدح في عثمان وعلي وهذه طرق أهل البدعة والاهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والاجماع انهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله فمن تعصب لواحد من الائمة بعينه فقد شبه بهؤلاء سواء تعصب لمالك أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم ثم غاية المتعصب لواحد منهم يكون جاهلا قدره في العلم والدين وبقدر الآخرين فيكون جاهلا ظالما والله يأمر بالعلم والعدل وينهى عن الجهل والظلم قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما) وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لابي حنيفة وأعلمهم بقوله وهما خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى لما تبين لهما من السنة والحجة ما وجب عليهما

اتباعه وهما مع ذلك يعظمان لامامهما لايقال فيهما مذبذبان بل أبو حنيفة وغيره من الائمة يقول القول ثم تتبين له الحجة في خلافه فيقول بها ولا يقال له مذبذب فان الانسان لايزال يطلب العلم والايمان فاذا تبين له من العلم ما كان خافيا عليه اتبعه وليس هذا بمذبذب بل هذا مهتد زاده الله هدى وقد قال تعالى (وقل رب زدني علما) والواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وان يقصد الحق ويتبعه حيث وجده ، علم ان من اجتهد منهم فأصاب فله أجران ومن اجتهد منهم فأخطأ فله أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور له وعلى المؤمنين أن يتبعوا امامهم اذا فعل مايسوغ فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما جعل الامام ليؤتم به وسواء رفع يديه أولم يرفع يديه لايقدح ذلك في صلاتهم ولا يبطلها لاعند أبي حنيفة ولا مالك ولا الشافعي ولا أحمد ولو رفع الامام دون المأموم أوالمأموم دون الامام لم يقدح في صلاة واحد منهما ولو رفع الرجل بعض الاوقات دون بعض لم يقدح ذلك في صلاته وليس لاحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارا يوجب اتباعه وينهى عن غيره مما جاءت به السنة بل كل ماجاءت به السنة فهو واسع مثل الاذان والاقامة فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر بلالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة وثبت عنه في الصحيح انه علم أبا محذورة الاقامة شفعا شفعا كالاذان فمن شفع الاقامة فقد أحسن ومن أفردها فقد أحسن ومن أوجب هذا دون هذا فهو مخطئ ضال ومن والى من يفعل هذا دون هذا

بمجرد ذلك فهو مخطئ ضال وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم فى المذاهب وغيرها حتى تجد المنتسب الى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين والمنتسب الى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج من الدين والمنتسب الى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا وفي المغرب تجد المنتسب الى مالك يتعصب لمذهبه على هذا وهذا وكل هذا من التفرق والاختلاف الذى نهى الله ورسوله عنه وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوي الانفس المتبعين لاهوائهم بغير هدى من الله مستحقون الذم والعقاب وهذا باب لاتحتمل هذه الفتيا لبسطه فان الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من فروع الحقيقة فكيف يقدح في الاصل بخفض النوع وجمهور المتعصبين لايعرفون من الكتاب والسنة الا ماشاء الله بل يتمسكون بأحاديث ضعيفه أو آراء فاسدة أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد تكون صدقا وقد تكون كذبا أوكانت صدقا فليس صاحبها معصوما يتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو مانقله الاثبات الثقات من أهل العلم ودونوه فى الكتب الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم فان الناقلين لذلك مصدقون باتفاق أئمة الدين والمنقول عنه معصوم لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحي قد أوجب الله تعالى على جميع الخلق طاعته واتباعه وقال تعالى (فلاوربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) والله تعالى يوفقنا وسائر اخواننا المؤمنين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والهدى والنية والله أعلم * تمت

كتاب مناسك الحج تأليف الشيخ الامام العالم العلامة
ناصر الاسلام والمسلمين وقامع الشرك والمشركين
تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام بن تيمية الحرانى رضى
الله عنه وأرضاه وعنا وسائر
المسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة ناصر السنة وماحي البدعة تقي الدين أبو العباس أحمد بن شهاب الدين عبدالحليم ابن الامام مجد الدين عبدالسلام ابن عبدالله بن تيميـة رضى الله عنه الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صـلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فقد تكرر السؤال من كثير من المسلمين أن أكتب في بيان مناسك الحج ما يحتاج اليه غالب الحجاج في غالب الاوقات فاني كنت قد كتبت منسكا في أوائل عمرى فذكرت فيه أدعية كثيرة وقلدت في الاحكام من اتبعته قبلي من العلماء وكتبت في هذا ما تبين لي من سـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مختصرا مبينا ولا حول ولا قوة الا بالله

فصـل أول ما يفعله قاصد الحج والعمرة اذا أراد الدخول فيهما أن يحرم بذلك وقبل ذلك فهو قاصد الحج أو العمرة ولم يدخل فيهما بمنزلة الذى يخرج الى صلاة الجمعة فله أجر السعى ولا يدخل في الصلاة حتى يحرم بهـا • وعليه اذا وصل الى الميقات أن يحرم * والمواقيت خمسة • ذو الحليفة • والجحفة • وقرن المنازل • ويلملم • وذات عرق ولما وقت النبي صلى الله عليه وسلم المواقيت قال هن لاهلهن ولمن مر عليهن من غير أهلهن لمن يريد الحج والعمرة ومن كان منزله دونهن فمهله من أهله حتى أهل

مكة يهلون من مكة فذو الحليفة هى أبعد المواقت بينها وبين مكه عشر مراحل أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف الطرق فان منها الى مكة عدة طرق وتسمى وادى العقيق ومسجدها يسمى مسجد الشجرة وفيها بئر تسميها جهال العامة بئر على لظنهم ان عليا قاتل الجن بها وهو كذب فان الجن لم يقاتلهم أحد من الصحابة وعلى أرفع قدراً من أن يثبت الجن لقتاله ولا فضيلة لهذا البئر ولا مذمة ولا يستحب أن يرمى بها حجرا ولا غيره . وأما الجحفة فبينها وبين مكة نحو ثلاث مراحل وهي قرية كانت قديمة معمورة وكانت تسمى مهيعة وهى اليوم خراب ولهذا صار الناس يحرمون قبلها من المكان الذى يسمى رابغا وهذا ميقات لمن حج من ناحية المغرب كأهل الشام ومصر وسائر المغرب اذا اجتازوا بالمدينة النبوية كما يفعلونه فى هذه الاوقات أحرموا من ميقات أهل المدينة فان هذا هو المستحب لهم بالاتفاق فان أخروا الاحرام الى الجحفة ففيه نزاع وأما المواقيت الثلاثة فبين كل واحد منها وبين مكة نحو مرحلتين وليس لاحد أن يجاوز الميقات اذا أراد الحج أو العمرة الا باحرام . وان قصد مكة لتجارة أو لزيارة فينبغى له أن يحرم وفى الوجوب نزاع ومن وافى الميقات في أشهر الحج فهو مخير بين ثلاثة أنواع وهى التي يقال لها التمتع والافراد والقران ان شاء أهل بعمرة فاذا حل منها أهل بالحج وهو يخص باسم التمتع وان شاء أحرم بهما جميعا أو أحرم بالعمرة ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف وهو القران وهو داخل في اسم التمتع فى الكتاب والسنة وكلام الصحابة وان شاء أحرم بالحج مفردا وهو الافراد

فصل في الافضل من ذلك فالتحقيق في ذلك أنه يتنوع باختلاف
حال الحاج فان كان يسافر سفرة للعمرة وللحج سفرة أخري أو يسافر
الى مكة قبل أشهر الحج ويعتمر ويقيم بها حتى يحج فهذا الافراد
له أفضل باتفاق الائمة الاربعة والاحرام بالحج قبل أشهره ليس مسنونا
بل مكروه واذا فعله فهل يصير محرما بعمرة أو بحج فيه نزاع وأما اذا فعل
مايفعله غالب الناس وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة
ويقدم مكة في أشهر الحج وهن شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة
فهذا ان ساق الهدى فالقران أفضل له وان لم يسق الهدى فالتحلل
من احرامه بعمرة أفضل فانه قد ثبت بالنقول المستفيضة التي لم يختلف
في صحتها أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج حجة
الوداع هو وأصحابه أمرهم جميعهم أن يحلوا من احرامهم ويجعلوها عمرة
الا من ساق الهدى فانه أمره أن يبقى على احرامه حتى يبلغ محله يوم النحر
وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدى هو وطائفة من أصحابه وقرن
هو بين العمرة والحج فقال لبيك عمرة وحجا ولم يعتمر بعد الحج أحد
ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الا عائشة وحدها لانها كانت قد
حاضت فلم يمكنها الطواف لان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقضي الحائض
المناسك كلها الا الطواف بالبيت فامرها أن تهل بالحج وتدع أفعال العمرة لانها
كانت متمتعة ثم انها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمرها فأرسلها
مع أخيها عبد الرحمن فاعتمرت من التنعيم والتنعيم هو أقرب الحل الى مكة
وبه اليوم المساجد التي تسمى مساجد عائشة ولم تكن هذه على عهد النبي

صلى الله عليه وسلم وانما بنيت بعد ذلك علامة على المكان الذى أحرمت منه عائشة وليس دخول هذه المساجد ولا الصلاة فيها لمن اجتاز بها محرما لافرضا ولا سنة بل قصد ذلك واعتقاد انه يستحب بدعة مكروهة لكن من خرج من مكة ليعتمر فانه اذا دخل واحدا منها وصلى فيه لاجل الاحرام فلا بأس بذلك ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر الا لعذر لا في رمضان ولا غير رمضان والذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من اعتمر بعد الحج من مكة الا عائشة كما ذكر ولا كان هذا من فعل الخلفاء الراشدين والذين استحبوا الافراد من الصحابة انما استحبوا أن يحج في سفرة ويعتمر فى أخرى ولم يستحبوا أن يحج ويعتمر عقب ذلك عمرة مكية بل هذا لم يكونوا يفعلونه قط اللهم الا أن يكون شيئا نادرا وقد تنازع السلف في هذا هل يكون متمتعا عليه دم أم لا وهل تجزئه هذه العمرة عن عمرة الاسلام أم لا وقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته أربع عمر * عمرة الحديبية وصل الى الحديبية والحديبية وراء الجبل الذى بالتنعيم عند مساجد عائشة عن يمينك وأنت داخل الى مكة فصده المشركون عن البيت فصالحهم وحل من احرامه وانصرف * وعمرة القضية اعتمر من العام القابل * وعمرة الجعرانة وانه كان قد قاتل المشركين بحنين وحنين من ناحية المشرق من ناحية الطائف وأما بدر فهي بين المدينة وبين مكة وبين الغزوتين ست سنين ولكن قرنتا في الذكر لان الله تعالى أنزل فيهما الملائكة لنصر النبي صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين في القتال ثم ذهب فحاصر المشركين بالطائف ثم رجع وقسم غنائم حنين بالجعرانة فلما قسم غنائم حنين اعتمر من الجعرانة داخلا الي مكة لا خارجا منها للاحرام*والعمرة الرابعة مع حجته فانه قرن بين العمرة والحج باتفاق أهل المعرفة بسنته وباتفاق الصحابة على ذلك ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه تمتع تمتعا حل فيه بل كانوا يسمون القران تمتعا ولا نقل عن أحد من الصحابة انه لما قرن طاف طوافين وسعى سعيين وعامة المنقول عن الصحابة في صفة حجته ليست بمختلفة وانما اشتبهت على من لم يعرف مرادهم وجميع الصحابة الذين نقل عنهم انه أفرد الحج كعائشة وابن عمر وجابر قالوا انه تمتع بالعمرة الى الحج فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة وابن عمر باسناد أصح من اسناد الافراد ومرادهم بالتمتع القران كما ثبت ذلك فى الصحاح أيضا فاذا أراد الاحرام فان كان قارنا قال لبيك عمرة وحجا وان كان متمتعا قال لبيك عمرة وان كان مفردا قال لبيك حجة أوقال اللهم انى أوجبت عمرة وحجا أو أوجبت عمرة أو أوجبت حجا أو أريد الحج أوأريدهما أو أريد التمتع بالعمرة الى الحج فمهما قال من ذلك أجزأه باتفاق الائمة ليس في ذلك عبارة مخصوصة ولا يجب شئ من هذه العبارات باتفاق الائمة كما لا يجب التلفظ بالنية في الطهارة والصلاة والصيام باتفاق الائمة بل متى لبى قاصدا للاحرام انعقد احرامه باتفاق المسلمين ولا يجب عليه أن يتكلم قبل التلبية بشئ ولكن تنازع العلماء هل يستحب أن يتكلم

بذلك كما تنازعوا هل يستحب التلفظ بالنية في الصلاة والصواب المقطوع به أنه لا يستحب شيء من ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع للمسلمين شيئا من ذلك ولا كان يتكلم قبل التكبير بشيء من ألفاظ النية لاهو ولا أصحابه بل لما أمر ضباعة بنت الزبير بالاشتراط قالت فكيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني رواه أهل السنن وصححه الترمذي ولفظ النسائي اني أريد الحج فكيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض حيث تحبسني فان لك على ربك ما استثنيت وحديث الاشتراط في الصحيحين لكن المقصود بهذا اللفظ انه أمرها بالاشتراط في التلبية ولم يأمرها أن تقول قبل التلبية شيئا لا اشتراطا ولا غيره وكان يقول في تلبيته لبيك عمرة وحجا وكان يقول للواحد من أصحابه بم أهللت وقال في المواقيت مهل أهل المدينة ذو الحليفة ومهل أهل الشام الجحفة ومهل أهل اليمن يلملم ومهل أهل نجد قرن المنازل ومهل أهل العراق ذات عرق ومن كان دونهن فمهله من أهله والاهلال هو التلبية فهذا هو الذي شرع النبي صلى الله عليه وسلم التكلم به في ابتداء الحج والعمرة وان كان مشروعا بعد ذلك كما تشرع تكبيرة الاحرام ويشرع التكبير بعد ذلك عند تغير الاحوال ولو أحرم احراما مطلقا جاز فلو أحرم بالقصد للحج من حيث الجملة ولا يعرف هذا التفصيل جاز ولو أهل ولبى كما يفعل الناس قصدا للنسك ولم يسم شيئا بلفظه ولا قصد بقلبه لا تمتعا ولا افرادا ولا قرانا صح حجه أيضا وفعل واحدا من الثلاثة.

فان فعل ماأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كان حسنا وان اشترط على ربه خوفا من العارض فقال وان حبسني حابس فمحلي حيث حبستني كان حسنا فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب أن تشترط على ربها لما كانت شاكية فخاف أن يصدها المرض عن البيت ولم يكن يأمر بذلك كل من حج وكذلك ان شاء المحرم أن يتطيب فى بدنه فهو حسن ولا يؤمر المحرم قبل الاحرام بذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم فعله ولم يأمر به الناس ولم يكن النبي صلي الله عليه وسلم يأمر أحدا بعبارة بعينها وانما يقال أهل بالحج أهل بالعمرة أو يقال لبي بالحج لبي بالعمرة وهو تأويل قوله تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) وثبت عنه فى الصحيحين انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهذا على قراءة من قرأ فلا رفث ولا فسوق بالرفع فالرفث اسم للجماع قولا وعملا والفسوق اسم للمعاصى كلها والجدال على هذه القراءة هو المراء في أمر الحج فان الله قد وضحه وبينه وقطع المراء فيه كما كانوا فى الجاهلية يتمارون في أحكامه وعلى القراءة الاخرى قد يفسر بهذا المعنى أيضا وقد فسروها بان لايماري الحاج أحدا والتفسير الاول أصح فان الله لم ينه المحرم ولا غيره عن الجدال مطلقا بل الجدال قد يكون واجبا أومستحبا كما قال تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) وقد يكون الجدال محرما في الحج وغيره كالجدال بغير علم،

وكالجدال في الحق بعد ماتبين ولفظ الفسوق يتناول ماحرمه الله تعالى ولا يختص بالسباب وان كان سباب المسلم فسوقا فالفسوق يعم هذا وغيره * والرفث هو الجماع وليس في المحظورات مايفسد الحج الا جنس الرفث فلهذا ميز بينه وبين الفسوق * وأما سائر المحظورات كاللباس والطيب فانه وان كان يأثم بها فلا تفسد الحج عند أحد من الائمة المشهورين . وينبغى للمحرم أن لايتكلم الا بما يعنيه وكان شريح اذا أحرم كانه الحية الصماء ولا يكون الرجل محرما بمجرد مافي قلبه من قصد الحج ونيته فان القصد مازال فى القلب منذ خرج من بلده بل لابد من قول أو عمل يصير به محرما هذا هو الصحيح من القولين والتجرد من اللباس واجب فى الاحرام وليس شرطا فيه فلو أحرم وعليه ثياب صح ذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتفاق أئمة أهل العلم وعليه أن ينزع اللباس المحظور

﴿ فصل ﴾ يستحب أن يحرم عقيب صلاة اما فرض واما تطوع إن كان وقت تطوع في احد القولين وفي الآخر ان كان يصلى فرضا أحرم عقيبه والا فليس للاحرام صلاة تخصه وهذا أرجح * ويستحب أن يغتسل للاحرام ولو كانت نفساء أو حائضا وان احتاج الى التنظيف كتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ونحو ذلك فعل ذلك وهذا ليس من خصائص الاحرام وكذلك لم يكن له ذكر فيما نقله الصحابة لكنه مشروع بحسب الحاجة وهكذا يشرع لمصلى الجمعة والعيد على هذا الوجه . ويستحب أن يحرم فى ثوبين نظيفين فان كانا أبيضين

فهما أفضل ويجوز أن يحرم في جميع أجناس الثياب المباحة من القطن والكتان والصوف. والسنة أن يحرم فى ازار ورداء سواء كانا مخيطين أو غير مخيطين باتفاق الائمة ولو أحرم في غيرهما جاز اذا كان مما يجوز لبسه ويجوز أن يحرم في الابيض وغيره من الالوان الجائزة وان كان ملونا. والافضل أن يحرم فى نعلين ان تيسر والنعل هى التى يقال لها التاسومة فان لم يجد نعلين لبس خفين وليس عليه أن يقطعهما دون الكعبين فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقطع أولا ثم رخص بعد ذلك فى عرفات فى لبس السراويل لمن لم يجد ازار أو رخص في لبس الخفين لمن لم يجد نعلين وانما رخص فى المقطوع أولا لانه يصير بالقطع كالنعلين ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يلبس مادون الكعبين مثل الخف المكعب والجمجم والمداس ونحو ذلك سواء كان واجدا للنعلين او فاقدا لهما واذا لم يجد نعلين ولا مايقوم مقامهما مثل الجمجم والمداس ونحو ذلك فله أن يلبس الخف ولا يقطعه وكذلك اذا لم يجد ازارا فانه يلبس السراويل ولا يفتقه هذا أصح قولى العلماء لان النبي صلى الله عليه وسلم رخص في البدل فى عرفات كما رواه ابن عمر وكذلك يجوز أن يلبس كل ما كان من جنس الازار والرداء فله أن يلتحف بالقباء والجبة والقميص ونحو ذلك ويتغطى به باتفاق الائمة عرضا ويلبسه مقلوبا يجعل أسفله أعلاه ويتغطى باللحاف وغيره لكن لايغطى رأسه الا لحاجة والنبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرم أن يلبس القميص والبرنس والسراويل والخف والعمامة ونهاهم أن يغطوا

رأس المحرم بعد الموت وأمر من أحرم في جبة أن ينزعها عنه فما كان من هذا الجنس فهو في معني مانهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فما كان في معنى القميص فهو مثله وليس له أن يلبس القميص لابكم ولا بغير كم وسواء أدخل يديه أولم يدخلهما وسواء كان سليما أو مخروقا وكذلك لايلبس الجبة ولا القباء الذى يدخل يديه فيه وكذلك الدرع الذى يسمى عرق جين وأمثال ذلك باتفاق الائمة وأما اذا طرح القباء على كتفيه من غير ادخال يديه ففيه نزاع وهذا معنى قول الفقهاء لايلبس المخيط والمخيط ما كان من اللباس على قدر العضو وكذلك لايلبس ماكان في معنى الخف كالموق والجورب ونحو ذلك ولايلبس ما كان في معني السراويل كالتبان ونحوه وله أن يعقد مايحتاج الى عقده كالازار وهميان النفقة والرداء لايحتاج الى عقده فلا يعقده فان احتاج الى عقده ففيه نزاع والاشبه جوازه حينئذ وهل المنع من عقده منع كراهة أو تحريم فيه نزاع وليس على تحريم ذلك دليل الا مانقل عن ابن عمر رضى الله عنه فمنهم من قال هو كراهة تنزيه كابي حنيفة وغيره ومنهم من قال كراهة تحريم وأما الرأس فلا يغطيه لابمخيط ولا غيره فلا يغطيه بعمامة ولا قلنسوة ولا كوفية ولا ثوب يلصق به ولا غير ذلك . وله أن يستظل تحت السقف والشجر ويستظل في الخيمة ونحو ذلك باتفاقهم وأما الاستظلال بالمحمل كالمحارة التي لها رأس في حال السير فهذا فيه نزاع والافضل للمحرم أن يضحى لمن أحرم له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يحجون وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل

عليه فقال أيها المحرم أضح لمن أحرمت له ولهذا كان السلف يكرهون القباب على المحامل وهي المحامل التي لها رأس وأما المحامل المكشوفة فلم يكرهها الا بعض النساك وهذا في حق الرجل وأما المرأة فانها عورة فلذلك جاز لها أن تلبس الثياب التي تستتر بها وتستظل بالمحمل لكن نهاها النبي صلى الله عليه وسلم أن تنتقب أو تلبس القفازين والقفازان غلاف يصنع لليد كما يفعله حملة البزاة ولو غطت المرأة وجهها بشيء لايمس الوجه جاز بالاتفاق وان كان يمسه فالصحيح انه يجوز أيضا ولا تكلف المرأة أن تجافي سترتها عن الوجه لابعود ولا بيد ولا غير ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم سوى بين وجهها ويديها وكلاهما كبدن الرجل لا كرأسه. وأزواجه صلى الله عليه وسلم كن يسدلن على وجوههن من غير مراعاة المجافاة ولم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال احرام المرأة في وجهها وانما هذا قول بعض السلف لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أن تنتقب أو تلبس القفازين كما نهى المحرم أن يلبس القميص والخف مع أنه يجوز له أن يستر يديه ورجليه باتفاق الأئمة والبرقع أقوى من النقاب فلهذا ينهى عنه باتفاقهم ولهذا كانت المحرمة لاتلبس مايصنع لستر الوجه كالبرقع ونحوه فانه كالنقاب وليس للمحرم أن يلبس شيئا مما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه الا لحاجة كما انه ليس للصائم أن يفطر الا لحاجة والحاجة مثل البرد الذي يخاف أن يمرضه اذا لم يغط رأسه أو مثل مرض نزل به يحتاج معه الى تغطية رأسه فيلبس قدر الحاجة

فاذا استغنى عنه نزع وعليه أن يفتدى اما بصيام ثلاثة أيام واما بنسك شاة أو باطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من تمر أو شعير أو مد من بر وان أطعمه خبزا جاز ويكون رطلين بالعراقى قريبا من نصف رطل بالدمشقى وينبغي أن يكون مأدوما وان أطعمه مما يأكل كالبقسماط والرقاق ونحو ذلك جاز وهو أفضل من أن يعطيه قمحا أوشعيرا وكذلك فى سائر الكفارات اذا أعطاه مما يقتات به مع ادمه فهو أفضل من أن يعطيه حبا مجردا اذا لم يكن عادتهم أن يطحنوا بأيديهم ويخبزوا بأيديهم والواجب فى ذلك كله ماذكره الله تعالى بقوله (اطعام عشرة مساكين من أوسط ماتطعمون أهليكم أو كسوتهم) الآية فأمر الله تعالى باطعام المساكين من أوسط مايطعم الناس أهليهم . وقد تنازع العلماء فى ذلك هل ذلك مقدر بالشرع أو يرجع فيه الي العرف وكذلك تنازعوا في النفقة نفقة الزوجة والراجح فى هذا كله أن يرجع فيه الى العرف فيطعم كل قوم مما يطعمون أهليهم . ولما كان كعب بن عجرة ونحوه يقتاتون التمر أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقا من التمر بين ستة مساكين . والفرق ستة عشر رطلا بالبغدادى وهذه الفدية يجوز أن يخرجها اذا احتاج الي فعل المحظور قبله وبعده ويجوز أن يذبح النسك قبل أن يصل الي مكة ويصوم الايام الثلاثة متتابعة ان شاء ومتفرقة ان شاء فان كان له عذر أخر فعلها والا عجل فعلها واذا لبس ثم لبس مرارا ولم يكن أدى الفدية أجزأته فدية واحدة في أظهر قولي العلماء

(فصـل) فاذا أحرم لبى بتلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وان زاد على ذلك لبيك ذا المعارج أو لبيك وسعديك ونحو ذلك جاز كما كان الصحابة يزيدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعهم فلم ينههم وكان هو يداوم على تلبيته ويلبي من حين يحرم سواء ركب دابة أولم يركبها وان أحرم بعد ذلك جاز والتلبية هي اجابة دعوة الله تعالى لخلقه حين دعاهم الي حج بيته على لسان خليله والملبي هو المستسلم المنقاد لغيره كما ينقاد الذي لبب وأخذ بلبته والمعنى انا مجيبوك لدعوتك مستسلمون لحكمتك مطيعون لامرك مرة بعد مرة لانزال علي ذلك والتلبية شعار الحج فافضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة دماء الهدى ولهذا يستحب رفع الصوت بها للرجل بحيث لايجهد نفسه والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها ويستحب الاكثار منها عند اختلاف الاحوال مثل أدبار الصلوات ومثل ماذا صعد نشزا أو هبط واديا أو سمع ملبيا أو أقبل الليل والنهار أو التقت الرفاق وكذلك اذا فعل مانهي عنه وقد روي انه من لبي حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفورا له وان دعا عقيب التلبية وصلى علي النبي صلى الله عليه وسلم وسأل الله رضوانه والجنة واستعاذ برحمته من سخطه والنار فحسن

﴿ فصل ﴾ ومما ينهى عنه المحرم أن يتطيب بعد الاحرام في بدنه أو ثيابه أو يتعمد لشم الطيب وأما الدهن في رأسه أو بدنه بالزيت

والسمن ونحوه اذا لم يكن فيه طيب ففيه نزاع مشهور وتركه أولى ولا يقلم أظفاره ولا يقطع شعره وله أن يحك بدنه اذا حكه ويحتجم في رأسه وغير رأسه وان احتاج أن يحلق شعر الذكر جاز فانه قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وهو محرم ولا يمكن ذلك الا مع حلق بعض الشعر وكذلك اذا اغتسل وسقط شئ من شعره بذلك لم يضره وان تيقن انه انقطع بالغسل ويفتصد اذا احتاج الى ذلك وله أن يغتسل من الجنابة بالاتفاق وكذلك لغير الجنابة ولا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ولا يصطاد صيدا بريا ولا يتملكه بشراء ولا اتهاب ولا غير ذلك ولا يعين على صيد ولا يذبح صيدا فاما صيد البحر كالسمك ونحوه فله أن يصطاده ويأكله وله أن يقطع الشجر لكن نفس الحرم لا يقطع شيأ من شجره وان كان غير محرم ولا من نباته المباح الا الاذخر وأما ما غرس الناس أو زرعوه فهو لهم وكذلك ما يبس من النبات يجوز أخذه ولا يصطاد به صيدا وان كان من الماء كالسمك على الصحيح بل ولا ينفر صيده مثل أن يقيمه ليقعد مكانه وكذلك حرم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما بين لابتيها واللابة هي الحرة وهي الارض التي فيها حجارة سود وهو بريد في بريد والبريد أربع فراسخ وهو من عير الى ثور وعير هو جبل عند الميقات يشبه العير وهو الحمار وثور هو جبل من ناحية أحد وهو غير جبل ثور الذي بمكة فهذا الحرم أيضا لا يصاد صيده ولا يقطع شجره الا لحاجة كآلة الركوب والحرث ويؤخذ

من حشيشه مايحتاج اليه للعلف فان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لاهل المدينة فى هذا لحاجتهم الى ذلك اذ ليس حولهم مايستغنون به عنه بخلاف الحرم المكى واذا أدخل عليه صيد لم يكن عليه ارساله وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ولا غيره الا هذان الحرمان ولا يسمي غيرهما حرما كما يسمى الجهال فيقولون حرم المقدس وحرم الخليل فان هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين والحرم المجمع عليه حرم مكة*وأما المدينة فلها حرم أيضا عند الجمهور كما استفاضت بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتنازع المسلمون في حرم ثالث الا وجاء وهو واديا لطائف وهو عند بعضهم حرم وعند الجمهور ليس بحرم*وللمحرم أن يقتل مايؤذي بعادته الناس كالحية والعقرب والفأرة والغراب والكلب العقور وله أن يدفع مايؤذيه من الآدميين والبهائم حتى لو صال عليه أحد ولم يندفع الا بالقتال قاتله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمته فهو شهيد واذا قرصته البراغيث والقمل فله القاؤها عنه وله قتلها ولا شئ عليه والقاؤها أهون من قتلها وكذلك مايتعرض له من الدواب فينهى عن قتله وان كان فى نفسه محرما كالاسد والفهد فاذا قتله فلا جزاء عليه في أظهر قولي العلماء وأما التفلي بدون التأذى فهو من الترفه فلا يفعله ولو فعله فلا شئ عليه ويحرم على المحرم الوطء ومقدماته ولا يطأ شيأ سواء كان امرأة ولا غير امرأة ولا يتمتع بقبلة

ومس يد ولا نظر بشهوة فان جامع فسد حجه وفي الانزال بغير الجماع نزاع ولا يفسد الحج بشيء من المحظورات الا بهذا الجنس فان قبل بشهوة أو أمذي لشهوة فعليه دم

﴿ فصل ﴾ اذا أتي مكة جاز أن يدخل مكة والمسجد من جميع الجوانب لكن الافضل أن يأتي من وجه الكعبة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه دخلها من وجهها من الناحية العليا التي فيها اليوم باب المعلاة ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمكة ولا للمدينة سور ولا أبواب مبنية ولكن دخلها من الثنية العليا ثنية كداء بالفتح والمد المشرفة على المقبرة ودخل المسجد من الباب الاعظم الذي يقال له باب بني شيبة ثم ذهب الى الحجر الاسود فان هذا أقرب الطرق الى الحجر الاسود لمن دخل من باب المعلاة ولم يكن قديما بمكة بناء يعلو على البيت ولا كان فوق الصفا والمروة والمشعر الحرام بناء ولا كان بمنى ولا بعرفات مسجد ولا عند الجمرات مساجد بل كل هذه محدثة بعد الخلفاء الراشدين ومنها ما أحدث بعد الدولة الاموية ومنها ما أحدث بعد ذلك فكان البيت يرى قبل دخول المسجد وقد ذكر ابن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما فمن رأى البيت قبل دخول المسجد فعل ذلك وقد استحب ذلك من استحبه عند رؤية البيت ولو كان بعد دخول المسجد لكن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن دخل المسجد ابتدأ بالطواف ولم يصل قبل ذلك تحية المسجد ولا غير ذلك بل تحية المسجد الحرام هو الطواف بالبيت وكان صلى الله عليه وسلم يغتسل لدخول مكة كما كان يبيت بذي طوى وهو عند الآبار التى يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت بها والاغتسال ودخول مكة نهارا والافليس عليه شيء من ذلك واذا دخل المسجد بدأ بالطواف فيبتدئ من الحجر الاسود يستقبله استقبالا ويستلمه ويقبله ان أمكن ولا يؤذى أحدا بالمزاحمة عليه فان لم يمكن استلمه وقبل يده والا أشار اليه ثم ينتقل للطواف ويجعل البيت عن يساره وليس عليه أن يذهب الى مابين الركنين ولا يمشى عرضا ثم ينتقل للطواف بل ولا يستحب ذلك ويقول اذا استلمه بسم الله والله أكبر وان شاء قال اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ويجعل البيت عن يساره فيطوف سبعا ولا يخترق الحجر في طوافه لما كان أكثر الحجر من البيت والله أمر بالطواف به لا بالطواف فيه ولا يستلم من الاركان الا الركنين اليمانيين دون الشاميين فان النبي صلى الله عليه وسلم انما استلمهما خاصة لانهما على قواعد ابراهيم والآخران هما في داخل البيت فالركن الاسود يستلم ويقبل واليماني يستلم ولا يقبل والآخران لا يستلمان ولا يقبلان والاستلام هو مسحه باليد وأما سائر جوانب البيت ومقام ابراهيم وسائر مافي الارض من المساجد وحيطانها ومقابر الانبياء والصالحين كحجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ومغارة ابراهيم ومقام نبينا صلى الله عليه وسلم الذى

كان يصلي فيه وغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس فلا تستلم ولا تقبل باتفاق الائمة وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة ومن اتخذه دينا يستتاب فان تاب والا قتل ولو وضع يده على الشاذر وان الذي يربط فيه أستار الكعبة لم يضره ذلك في أصح قولي العلماء وليس الشاذر وان من البيت بل جعل عمادا البيت ويستحب له في الطواف الاول أن يرمل من الحجر الى الحجر في الاطواف الثلاثة والرمل مثل الهرولة وهو مسارعة المشي مع تقارب الخطا فان لم يمكن الرمل للزحمة كان خروجه الى حاشية المطاف والرمل أفضل من قربه الي البيت بدون الرمل وأما اذا أمكن القرب من البيت مع اكمال السنة فهو أولي ويجوز أن يطوف من وراء قبة زمزم وما وراءها من السقائف المتصلة بحيطان المسجد ولو صلى المصلي في المسجد والناس يطوفون أمامه لم يكره سواء مرّ أمامه رجل أو امرأة وهذا من خصائص مكة وكذلك يستحب ان يضطبع في هذا الطواف والاضطباع هو أن يبدي ضبعه الايمن فيضع وسط الرداء تحت ابطه الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر وان ترك الرمل والاضطباع فلا شئ عليه * ويستحب له في الطواف أن يذكر الله تعالى ويدعوه بما يشرع وان قرأ القرآن سرا فلا بأس وليس فيه ذكر محدود عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه بل يدعو فيه بسائر الادعية الشرعية وما يذكره كثير من الناس من دعاء معين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يختم طوافه بين الركنين بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار كما كان يختم سائر دعائه بذلك وليس فى ذلك ذكر واجب باتفاق الائمة والطواف بالبيت كالصلاة الا أن الله أباح فيه الكلام فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير ولهذا يؤمر الطائف أن يكون متطهرا الطهارتين الصغرى والكبرى ويكون مستور العورة مجتنب النجاسة التى يجتنبها المصلى والطائف طاهرا لكن فى وجوب الطهارة فى الطواف نزاع بين العلماء فانه لم ينقل أحد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أمر بالطهارة للطواف ولا نهى المحدث أن يطوف ولكنه طاف طاهرا لكنه ثبت عنه انه نهى الحائض عن الطواف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم فالصلاة التى أوجب لها الطهارة ما كان يفتتح بالتكبير ويختم بالتسليم كالصلاة التى فيها ركوع وسجود كصلاة الجنازة وسجدتى السهو وأما الطواف وسجود التلاوة فليسا من هذا والاعتكاف يشترط له المسجد ولا يشترط له الطهارة بالاتفاق والمتكفة الحائض تنهى عن اللبث فى المسجد مع الحيض وان كانت تلبث فى المسجد وهي محدثة * قال أحمد بن حنبل فى مناسك الحج لابنه عبدالله حدثنا سهل بن يوسف أنبانا شعبة عن حماد ومنصور قال سألتهما عن الرجل يطوف بالبيت وهو غير متوضئ فلم يريا به بأسا قال عبدالله سألت أبي عن ذلك فقال أحب الى أن لا يطوف بالبيت وهو غير متوضئ لان الطواف بالبيت صلاة وقد اختلفت الرواية عن أحمد في اشتراط الطهارة فيه ووجوبها كما هو أحد القولين

في مذهب أبي حنيفة لكن لايختلف مذهب أبي حنيفة انها ليست بشرط ومن طاف في جورب ونحوه لئلا يطأ نجاسة من ذرق الحمام أو غطى يديه لئلا يمس امرأة ونحو ذلك فقد خالف السنة فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين مازالوا يطوفون بالبيت ومازال الحمام بمكة لكن الاحتياط حسن مالم يخالف السنة المعلومة فاذا أفضى الي ذلك كان خطأ *واعلم ان القول الذي يتضمن مخالفة السنة خطأ كمن يخلع عليه نعليه في الصلاة المكتوبة أوصلاة الجنازة خوفا من أن يكون فيهما نجاسة فان هذا خطأ مخالف للسنة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في نعليه وقال ان اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم وقال اذا أتى المسجد أحدكم فلينظر في نعليه فان كان فيهما أذى فليدلكهما في التراب فان التراب لهما طهور وكما يجوز أن يصلي في نعليه فكذلك يجوز أن يطوف في نعليه وان لم يمكنه الطواف ماشيا فطاف راكبا أو محمولا أجزأه بالاتفاق وكذلك مايعجز عنه من واجبات الطواف مثل من كان به نجاسة لايمكنه ازالتها كالمستحاضة ومن به سلس البول فانه يطوف ولا شيء عليه باتفاق الائمة وكذلك لولم يمكنه الطواف الا عريانا فطاف بالليل كما لولم يمكنه الصلاة الا عريانا وكذلك المرأة الحائض اذا لم يمكنها طواف الفرض الا حائضا بحيث لايمكنها التأخر بمكة ففي أحد قولي العلماء الذين يوجبون الطهارة على الطائف اذا طافت الحائض أو الجنب أو المحدث أو حامل لنجاسة مطلقا أجزاه الطواف وعليه دم اما شاة واما بدنة مع الحيض والجنابة وشاة مع الحدث الاصغر

ومنع الحائض من الطواف قد يعلل بأنه يشبه الصلاة وقد يعلل بأنها ممنوعة من المسجد كما تمنع منه بالاعتكاف وكما قال عز وجل لابراهيم صلى الله عليه وسلم وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فأمره بتطهيره لهذه العبادات فنعت الحائض من دخوله وقد اتفق العلماء على انه لايجب للطواف مايجب للصلاة من تحريم وتحليل وقراءة وغير ذلك ولا يبطله مايبطلها من الاكل والشرب والكلام وغير ذلك ولهذا كان مقتضى تعليل من منع الحائض لحرمة المسجد أنه لايرى الطهارة شرطا بل مقتضى قوله انه يجوز لها ذلك عند الحاجة كما يجوز لها دخول المسجد عند الحاجة وقد أمر الله تعالى بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود والعاكف فيه لايشترط له الطهارة ولا تجب عليه الطهارة من الحدث الاصغر باتفاق المسلمين ولو اضطرت العاكفة الحائض الي لبثها فيه للحاجة جاز ذلك وأما الركع السجود فهم المصلون والطهارة شرط للصلاة باتفاق المسلمين والحائض لاتصلى لاقضاء ولاأداء يبقى الطائف هل يلحق بالعاكف أو بالمصلى أو يكون قسما ثالثا بينهما هذا محل اجتهاد وقوله الطواف بالبيت صلاة لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هو ثابت عن ابن عباس وقد روى مرفوعا ونقل بعض الفقهاء عن ابن عباس أنه قال اذا طاف بالبيت وهو جنب عليه دم ولا ريب أن المراد بذلك أنه يشبه الصلاة من بعض الوجوه ليس المراد انه نوع الصلاة التي يشترط لها الطهارة وهكذا قوله اذا أتى أحدكم المسجد فلا يشبك بين أصابعه

فإنه في صلاة وقوله ان العبد في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وما دام
ينتظر الصلاة وما كان يعمد الى الصلاة ونحو ذلك فلا يجوز لحائض أن
تطوف الا طاهرة اذا أمكنها ذلك باتفاق العلماء ولو قدمت المرأة
حائضا لم تطف بالبيت لكن تقف بعرفة وتفعل سائر المناسك كلها مع
الحيض الا الطواف فانها تنتظر حتى تطهر ان أمكنها ذلك ثم تطوف
وان اضطرت الي الطواف فطافت أجزأها ذلك على الصحيح من
قولى العلماء فاذا قضى الطواف صلى ركعتين للطواف وان صلاهما
عند مقام ابراهيم فهو أحسن ويستحب أن يقرأ فيهما بسورتى
الاخلاص قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم اذا صلاهما
استحب له أن يستلم الحجر ثم يخرج الى الطواف بين الصفا والمروة
ولو أخر ذلك الى بعد طواف الافاضة جاز فان الحج فيه ثلاثة أطوفة.
طواف عند الدخول وهو يسمى طواف القدوم والدخول والورود
والطواف الثانى هو بعد التعريف ويقال له طواف الافاضة والزيارة
وهو طواف الفرض الذى لابد منه كما قال تعالى ثم ليقضوا تفثهم.
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق والطواف الثالث هو لمن
أراد الخروج من مكة وهو طواف الوداع واذا سعى عقيب واحد.
منها أجزأه فاذا خرج للسعي خرج من باب الصفا وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يرقي على الصفا والمروة وهما في جانب جبلى مكة فيكبر
ويهلل ويدعو الله تعالى واليوم قد بنى فوقها دكتان فمن وصل الي
أسفل البناء أجزأه السعي وان لم يصعد فوق البناء فيطوف بالصفا

والمروة سبعا يبتدئ بالصفا ويختم بالمروة ويستحب أن يسعى في بطن الوادي من العلم الى العلم وهما معلمان هناك وان لم يسع في بطن الوادي بل مشى على هيئته جميع ما بين الصفا والمروة أجزاه باتفاق العلماء ولا شئ ولا صلاة عقيب الطواف بالصفا والمروة وانما الصلاة عقيب الطواف بالبيت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق السلف والائمة فاذا طاف بين الصفا والمروة حل من احرامه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لما طافوا بهما أن يحلوا الا من كان معه هدى فلا يحل حتى ينحره والمفرد والقارن لايحلان الا يوم النحر ويستحب له أن يقصر من شعره ليدع الحلاق للحج وكذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحل حل له ماحرم عليه بالاحرام

﴿ فصل ﴾ فاذا كان يوم التروية أحرم وأهل بالحج فيفعل كما فعل عند الميقات وان شاء أحرم من مكة وان شاء من خارج مكة هذا هو الصواب وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انما أحرموا كما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم من البطحاء والسنة أن يحرم من الموضع الذى هو نازل فيه وكذلك المكي يحرم من أهله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان منزله دون مكة فمهله من أهله حتى أهل مكة يهلون من مكة والسنة أن يبيت الحاج بمنى فيصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ولا يخرجون منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأما الايقاد فهو بدعة مكروهة باتفاق العلماء وانما الايقاد بمزدلفة خاصة بعد الرجوع من عرفة وأما الايقاد

بمنى أو عرفة فبدعة أيضا ويسيرون منها الي نمرة على طريق ضب من يمين الطريق ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات من جهة اليمين فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسيرون منها الى بطن الوادى وهو موضع النبي صلى الله عليه وسلم الذى صلى فيه الظهر والعصر وخطب وهو في حدود عرفة ببطن عرنة وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم وانما بنى في أول دولة بني العباس فيصلى هناك الظهر والعصر قصرا كما فعل النبي صلي الله عليه وسلم ويصلى خلفه جميع الحاج أهل مكة وغيرهم قصرا وجمعا يخطب بهم الامام كما خطب النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره ثم اذا قضي الخطبة أذن المؤذن وأقام ثم يصلى كما جاءت بذلك السنة ويصلي بعرفة ومزدلفة ومنى قصرا ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومنى وكذلك كانوا يفعلون خلف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى أتموا صلاتكم فانا قوم سفر ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ ولكن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك فى غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلى بأصحابه ثم لما خرج الي منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بمنى أيام منى

صلوا معه ولم يقل لهم أتموا صلاتكم فانا قوم سفر ولم يحد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان ولم يكن بمنى أحد ساكنا في زمنه ولهذا قال منى مناخ من سبق ولكن قيل انها سكنت فى خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لأنه كان يرى ان المسافر من يحمل الزاد والمزاد ثم بعد ذلك يذهب الى عرفات فهذه السنة لكن في هذه الاوقات لايكاد يذهب أحد الى نمرة ولا الى مصلى النبي صلى الله عليه وسلم بل يدخلون عرفات بطريق المازمين ويدخلونها قبل الزوال ومنهم من يدخلها ليلا ويبيتون بها قبل التعريف وهذا الذى يفعله الناس كله يجزي معه الحج لكن فيه نقص عن السنة فيفعل مايمكن من السنة مثل الجمع بين الصلاتين فيؤذن أذانا واحدا ويقيم لكل صلاة والايقاد بعرفة بدعة مكروهة وكذلك الايقاد بمنى بدعة باتفاق العلماء وانما يكون الايقاد بمزدلفة خاصة في الرجوع ويقفون بعرفات الى غروب الشمس ولايخرجون منها حتى تغرب الشمس واذا غربت الشمس يخرجون انشاؤا بين العلمين وان شؤا من جانبيهما والعلمان الاولان حد عرفة فلايجاوزهما حتى تغرب الشمس والميلان بعد ذلك حد مزدلفة ومابينهما بطن عرنة ويجتهد فى الذكر والدعاء هذه العشية فانه مارؤى ابليس فى يوم هو فيه أصغر ولا أحقر ولاأغيظ ولا أدحض من عشية عرفة لما يرى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام الاما رؤى يوم بدرفانه رأى جبريل يزع الملائكة ويصح وقوف الحائض وغير الحائض ويجوز الوقوف ماشيا وراكبا وأما الافضل

فيختلف باختلاف الناس فإن كان ممن اذا ركب رآه الناس لحاجتهم اليه أو كان يشق عليه ترك الركوب وقف راكبا فان النبي صلى الله عليه وسلم وقف راكبا وهكذا الحج فان من الناس من يكون حجه راكبا أفضل ومنهم من يكون حجه ماشيا أفضل ولم يعين النبي صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاء ولا ذكرا بل يدعو الرجل بما شاء من الادعية الشرعية وكذلك يكبر ويهلل ويذكر الله تعالى حتى تغرب الشمس والاغتسال لعرفة قد روى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عمر وغيره ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه في الحج الا ثلاثة أغسال غسل الاحرام والغسل عند دخول مكة والغسل يوم عرفة وما سوى ذلك كالغسل لرمى الجمار وللطواف والمبيت بمزدلفة فلا أصل له لا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولا استحبه جمهور الائمة لا مالك ولا أبو حنيفة ولا أحمد وان كان قد ذكره طائفة من متأخرى أصحابه بل هو بدعة الا أن يكون هناك سبب يقتضى الاستحباب مثل أن يكون عليه رائحة يؤذى الناس بها فيغتسل لازالتها وعرفة كلها موقف ولا يقف ببطن عرنة وأما صعود الجبل الذى هناك فليس من السنة ويسمى جبل الرحمة ويقال له الال على وزن هلال وكذلك القبة التى فوقه يقال لها قبة آدم لا يستحب دخولها ولا الصلاة فيها والطواف بها من الكبائر وكذلك المساجد التى عند الجمرات لا يستحب دخول شئ منها ولا الصلاة فيها وأما الطواف بها أو بالصخرة أو بحجرة النبي

صلى الله عليه وسلم أو ما كان غير البيت العتيق فهو من أعظم البدع المحرمة

﴿ فصل ﴾ فاذا أفاض من عرفات ذهب الى المشعر الحرام على طريق المازمين وهو طريق الناس اليوم وانما قال الفقهاء على طريق المأزمين لانه الى عرفة طريق أخرى تسمى طريق ضب ومنها دخل النبي صلى الله عليه وسلم الى عرفات وخرج على طريق المأزمين وكان صلى الله عليه وسلم فى المناسك والاعياد يذهب من طريق ويرجع من أخرى فدخل من الثنية العليا وخرج من الثنية السفلى ودخل المسجد من باب بنى شيبة وخرج بعد الوداع من باب حرورة اليوم ودخل الى عرفات من طريق ضب وخرج من طريق المأزمين وأتى الى جمرة العقبة يوم العيد من الطريق الوسطى التى يخرج منها الى خارج منى ثم يعطف على يساره الى الجمرة ثم لما رجع الى موضعه بمنى الذى نحر فيه هديه وحلق رأسه رجع من الطريق المتقدمة التى يسير منها جمهور الناس اليوم فيؤخر المغرب الى أن يصليها مع العشاء بمزدلفة ولا يزاحم الناس بل ان وجد خلوة أسرع فاذا وصل الى المزدلفة صلى المغرب قبل تبريك الجمال ان أمكن ثم اذا بركوها صلوا العشاء وان أخر العشاء لم يضره ذلك ويبيت بمزدلفة ومزدلفة كلها يقال لها المشعر الحرام وهي ما بين مازمى عرفة الى بطن محسر فان بين كل مشعرين حدا ليس منهما فان بين عرفة ومزدلفة بطن عرنة وبين مزدلفة ومنى بطن محسر قال النبي صلى الله عليه وسلم عرفة كلها

موقف وارفعوا عن بطن عرنة ومزدلفة كلها موقف وارفعوا عن بطن محسر ومنى كلها منحر وفجاج مكة كلها طريق والسنة أن يبيت بمزدلفة الى أن يطلع الفجر فيصلى بها الفجر فى أول الوقت ثم يقف بالمشعر الحرام الى أن يسفر جدا قبل طلوع الشمس فان كان من الضعفة كالنساء والصبيان ونحوهم فانه يتعجل من مزدلفة الى منى اذا غاب القمر ولا ينبغى لاهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع الفجر فيصلوا بها الفجر ويقفوا بها ومزدلفة كلها موقف لكن الوقوف عند قزح أفضل وهو جبل الميقدة وهو المكان الذى يقف فيه الناس اليوم قد بنى عليه بناء وهو المكان الذي يخصه كثير من الفقهاء باسم المشعر الحرام فاذا كان قبل طلوع الشمس أفاض من مزدلفة الى منى فاذا أتي محسرا أسرع قدر رمية بحجر فاذا أتى منى رمى جمرة العقبة بسبع حصيات ويرفع يده في الرمى وهى الجمرة التي هى آخر الجمرات من ناحية منى وأقربهن من مكة وهي الجمرة الكبرى ولا يرمى يوم النحر غيرها يرميها مستقبلا لها يجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه هذا هو الذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها ويستحب أن يكبر مع كل حصاة وان شاء قال مع ذلك اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا ويرفع يديه في الرمى ولا يزال يلبى في ذهاب من مشعر الى مشعر مثل ذهابه الى عرفات وذهابه من عرفات الى مزدلفة حتى يرمي جمرة العقبة فاذا شرع فى الرمى قطع التلبية فانه حينئذ يشرع في التحلل والعلماء في التلبية على ثلاثة أقوال منهم من

يقول يقطعها اذا وصل الى عرفة ومنهم من يقول بل يلبي بعرفة وغيرها الى أن يرمى الجمرة والقول الثالث انه اذا أفاض من عرفة الى مزدلفة لبى واذا أفاض من مزدلفة الى منى لبى وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وأما التلبية في وقوفه بعرفة ومزدلفة فلم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد نقل عن الخلفاء الراشدين وغيرهم أنهم كانوا لا يلبون بعرفة فاذا رمى جمرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدى ويستحب أن تنحر الابل مستقبلة القبلة قائمة معقولة اليد اليسرى والبقر والغنم يضجعها على شقها الايسر مستقبلا بها القبلة ويقول بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم خليلك وكلما ذبح بمنى وقد سيق من الحل الى الحرم فانه هدى سواء كان من الابل أو البقر أو الغنم ويسمى أيضا أضحية بخلاف مايذبح يوم النحر بالحل فانه أضحية وليس بهدى وليس بمنى ماهو أضحية وليس بهدى كما فى سائر الامصار فاذا اشترى الهدى من عرفات وساقه الى منى فهو هدى باتفاق العلماء وكذلك ان اشتراه من الحرم فذهب به الى التنعيم وأما اذا اشترى الهدى من منى وذبحه فيها ففيه نزاع فمذهب مالك أنه ليس بهدى وهو منقول عن ابن عمر ومذهب الثلاثة أنه هدى وهو منقول عن عائشة وله أن يأخذ الحصى من حيث شاء لكن لا يرمى بحصى قد رمى به ويستحب أن يكون فوق الحمص ودون البندق وان كسره جاز والتقاط الحصى أفضل من تكسيره من الجبل

ثم يحلق رأسه أو يقصره والحلق أفضل من التقصير واذا قصره لجمع الشعر وقص منه بقدر الانملة أو أقل أو أكثر والمرأة لاتقص أكثر من ذلك وأما الرجل فله أن يقصره ماشاء واذا فعل ذلك فقد تحلل باتفاق المسلمين التحلل الاول فيلبس الثياب ويقلم أظفاره وكذلك له على الصحيح أن يتطيب ويتزوج وأن يصطاد ولا يبقى عليه من المحظورات الا النساء وبعد ذلك يدخل مكة فيطوف طواف الافاضة ان أمكنه ذلك يوم النحر والا فعله بعد ذلك لكن ينبغي أن يكون في أيام التشريق فان تأخيره عن ذلك فيه نزاع ثم يسعى بعد ذلك سعي الحج وليس على المفرد الا سعي واحد وكذلك القارن عند جمهور العلماء وكذلك المتمتع في أصح أقوالهم وهو أصح الروايتين عند أحمد وليس عليه الا سعي واحد فان الصحابة الذين تمتعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يطوفوا بين الصفا والمروة الا مرة واحدة قبل التعريف فاذا اكتفى المتمتع بالسعي الاول أجزأه ذلك كما يجزى المفرد والقارن وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قيل لابي المتمتع كم يسعى بين الصفا والمروة قال ان طاف طوافين يعني بالبيت وبين الصفا والمروة فهو أجود وان طاف طوافا واحدا فلا بأس وان طاف طوافين فهو أعجب الي وقال أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يقول المفرد والمتمتع يجزئه طواف بالبيت وسعي بين الصفا والمروة وقد اختلفوا في الصحابة المتمتعين مع النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاق الناس على أنهم طافوا أولا بالبيت وبين الصفا

والمروة ولما رجعوا من عرفة قيل انهم سعوا أيضا بعد طواف الافاضة وقيل لم يسعوا وهذا هو الذى ثبت في صحيح مسلم عن جابر قال لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمروة الا طوافا واحدا طوافه الاول وقد روى في حديث عائشة انهم طافوا مرتين لكن هذه الزيادة قيل انها من قول الزهرى لا من قول عائشة وقد احتج بها بعضهم على أنه يستحب طوافان بالبيت وهذا ضعيف والاظهر ما في حديث جابر ويؤيده قوله دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة فالمتمتع من حين أحرم بالعمرة دخل بالحج لكنه فصل بتحلل ليكون أيسر على الحاج وأحب الدين الى الله الحنيفية السمحة ولا يستحب للمتمتع ولا لغيره أن يطوف للقدوم بعد التعريف بل هذا الطواف هو السنة في حقه كما فعل الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاف طواف الافاضة فقد حل له كل شيء النساء وغير النساء وليس بمنى صلاة عيد بل رمى جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لاهل الامصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل جمعة ولا عيدا في السفر لا بمكة ولا عرفة بل كانت خطبته بعرفة خطبة نسك لا خطبة جمعة ولم يجهر بالقراءة في الصلاة بعرفة

﴿ فصل ﴾ ثم يرجع الى منى فيبيت بها ويرمى الجمرات الثلاث كل يوم بعد الزوال يبتدىء بالجمرة الاولى التى هى أقرب الى مسجد الخيف * ويستحب أن يمشى اليها فيرميها بسبع حصيات * ويستحب له أن يكبر مع كل حصاة وان شاء قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا

مشكورا وذنبا مغفورا ويستحب له اذا رماها أن يتقدم قليلا الي موضع لايصيبه الحصى فيدعو الله تعالى مستقبل القبلة رافعا يديه بقدر سورة البقرة ثم يذهب الى الجمرة الثانية فيرميها كذلك فيقدم عن يساره يدعو مثل مافعل عند الاولى ثم يرمي الثالثة وهى جمرة العقبة فيرميها بسبع حصيات أيضا ولا يقف عندها ثم يرمى في اليوم الثانى من أيام منى مثل مارمى فى الاول ثم ان شاء رمى فى اليوم الثالث وهو الافضل وان شاء تعجل في اليوم الثانى بنفسه قبل غروب الشمس كما قال تعالي فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه الآية فاذ غربت الشمس وهو بمنى أقام حتى يرمي مع الناس فى اليوم الثالث ولا ينفر الامام الذى يقيم للناس المناسك بل السنة أن يقيم الى اليوم الثالث. والسنة للامام أن يصلى بالناس بمنى ويصلى خلفه أهل الموسم * ويستحب أن لايدع الصلاة في مسجد منى وهو مسجد الخيف مع الامام فان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يصلون بالناس قصرا بلا جمع بمنى ويقصر الناس كلهم خلفهم أهل مكة وغير أهل مكة وانما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ياأهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سفر لما صلى بهم بمكة نفسها فان لم يكن للناس امام عام صلي الرجل بأصحابه والمسجد بمنى بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على عهده ثم اذا نفر من منى فان بات بالمحصب وهو الابطح وهو مابين الجبلين الي المقبرة ثم نفر بعد ذلك فحسن فان النبي صلي الله عليه وسلم بات به وخرج ولم يقم بمكة بعد صدوره من مني لكنه ودع البيت وقال

لاينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت فلا يخرج الحاج حتى يودع البيت فيطوف طواف الوداع حتى يكون آخر عهده بالبيت ومن أقام بمكة فلا وداع عليه وهذا الطواف يؤخره الصادر من مكة حتى يكون بعد جميع أموره فلا يشتغل بعده بتجارة ونحوها لكن ان قضى حاجته أو اشترى شيأ فى طريقه بعد الوداع أو دخل الى المنزل الذى هو فيه ليحمل المتاع على دابته ونحو ذلك مما هو من أسباب الرحيل فلا اعادة عليه وان أقام بعد الوداع أعاده وهذا الطواف واجب عند الجمهور لكن يسقط عن الحائض وان أحب أن يأتى الملتزم وهو مابين الحجر الاسود والباب فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعل ذلك وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع فان هذا الالتزام لافرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة وان شاء قال فى دعائه الدعاء المأثور عن ابن عباس اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ماسخرت لى من خلقك وسيرتني فى بلادك حتى بلغتني بنعمتك الي بيتك وأعنتنى على أداء نسكى فان كنت رضيت عنى فازدد عني رضا والا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك دارى فهذا أوان انصرافى ان أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغبا عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبنى العافية في بدنى والصحة فى جسمى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبي وارزقنى طاعتك ماأبقيتنى واجمع لي بين خيرى الدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير ولو وقف عند

الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسنا فاذا ولى لا يقف ولا يلتفت ولا يمشي القهقرى قال الثعلبي في فقه اللغة القهقرى مشية الراجع الى خلف حتى قد قيل انه اذا رأى البيت رجع فودع وكذلك عند سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم لا ينصرف ولا يمشي القهقرى بل يخرج كما يخرج الناس من المساجد عند الصلاة وليس في عمل القارن زيادة على عمل المفرد لكن عليه وعلى المتمتع هدى بدنة أو بقرة أو شاة أو شرك في دم فمن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام قبل يوم النحر وسبعة اذا رجع وله أن يصوم الثلاثة من حين أحرم بالعمرة في أظهر أقوال العلماء وفيه ثلاث روايات عن أحمد قيل انه يصومها قبل الاحرام بالعمرة وقيل لا يصومها الا بعد الاحرام بالحج وقيل يصومها من حين الاحرام بالعمرة وهو الارجح وقد قيل انه يصومها بعد التحلل من العمرة فانه حينئذ شرع في الحج ولكن دخلت العمرة في الحج كما دخل الوضوء في الغسل قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا متمتعين معه وانما أحرموا بالحج يوم التروية وحينئذ فلا بد من صوم بعض الثلاثة قبل الاحرام بالحج ويستحب أن يشرب من ماء زمزم ويتضلع منه ويدعو عند شربه بما شاء من الادعية الشرعية ولا يستحب الاغتسال منها * وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفح أبي قبيس ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمسجد المولد وغيره فليس قصد شيء من ذلك من السنة ولا استحبه أحد من الائمة وانما المشروع اتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر عرفة ومزدلفة والصفا والمروة وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفة ومزدلفة ومنى مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال انه كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك فانه ليس من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بل هو بدعة وكذلك ما يوجد في الطرقات من المساجد المبنية على الآثار والبقاع التي يقال انها من الآثار لم يشرع النبي صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بخصوصه ولا زيارة شيء من ذلك ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة بل دخولها حسن والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها في الحج ولا في العمرة لا عمرة الجعرانة ولا عمرة القضية وانما دخلها عام فتح مكة ومن دخلها يستحب له أن يصلي فيها ويكبر الله ويدعوه ويذكره فاذا دخل مع الباب تقدم حتى يصير بينه وبين الحائط ثلاثة أذرع والباب خلفه فذلك هو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدخلها الا حافيا والحجر أكثر من البيت من حيث ينحنى وأما حائطه فمن دخله فهو كمن دخل الكعبة وليس على داخل الكعبة ماليس على غيره من الحجاج بل يجوز له من المشى حافيا وغير ذلك ما يجوز لغيره والاكثار من الطواف بالبيت من الاعمال الصالحة فهو أفضل من أن يخرج الرجل من الحرم ويأتي بعمرة مكية فان هذا لم

يكن من أعمال السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ولا رغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم لامته بل كرهه السلف

(فصل) واذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولا تشد الرحال الا اليه والى المسجد الحرام والمسجد الاقصى هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو مروي من طرق أخر ومسجده كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الاحكام ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فانه قد قال مامن رجل يسلم على الا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام رواه أبوداود وغيره وكان عبد الله بن عمر يقول اذا دخل المسجد السلام عليك يارسول الله السلام عليك ياأبا بكر السلام عليك ياأبت ثم ينصرف وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه ويسلمون عليه مستقبلي الحجرة مستدبري القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة ومنهم من قال يجعلها عن يساره واتفقوا على انه لايستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي اليها واذا قال في سلامه السلام عليك يارسول الله يانبي الله ياخيرة الله من خلقه ياأكرم الخلق على ربه ياامام المتقين فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وكذلك اذا صلى عليه مع السلام

عليه فهذا مما أمر الله به ولا يدعو هناك مستقبل الحجرة فان هذا كله منهى عنه باتفاق الائمة ومالك من أعظم الائمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه أمر المنصور أن يستقبل الحجرة وقت الدعاء كذب على مالك ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه فان هذا بدعة ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون فى مسجده فانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد وقال لاتجعلوا قبرى عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى وقال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة على فقالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء فاخبر انه يسمع الصلاة والسلام من القريب وانه يبلغ ذلك من البعيد . وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر مافعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكنه كره أن يتخذ مسجدا أخرجاه فى الصحيحين فدفنته الصحابة من موضعه الذى مات فيه من حجرة عائشة وكانت هى وسائر الحجر خارج المسجد من قبليه وشرقيه لكن لما كان فى زمن الوليد بن عبد الملك عمر هذا المسجد وغيره وكان نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز فأمر أن تشترى الحجر ويزاد فى المسجد فدخلت الحجرة فى المسجد من ذلك الزمان وبنيت منحرفة عن القبلة مسنمة لئلا يصلى أحد اليها فانه قال صلى الله عليه وسلم لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها * رواه مسلم عن أبى

مرشد الفتوى والله أعلم * وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية وزيارة بدعية * فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء له كما يقصد بالصلاة على جنازته فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عليه فالسنة أن يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبيا أو غير نبي كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم وهكذا يقول اذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار شهداء أحد وغيرهم وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس فيها قبر أحد من الانبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي على القبور اما محرمة واما مكروهة * والزيارة البدعية أن يكون مقصود الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت أو يقصد الدعاء عند قبره أو يقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا استحبه أحد من سلف الامة وأئمتها وقد كره مالك وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اللفظ لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بل الاحاديث المذكورة في هذا الباب مثل قوله من زارني وزار أبي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة

وقوله من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن زارني بعد مماتي حلت عليه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة ليست في شيء من دواوين الاسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها امام من أئمة المسلمين لا الائمة الاربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار والدارقطني ونحوهما باسانيد ضعيفة ولان من عادة الدار قطني وأمثاله يذكرون هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف من ذلك فاذا كانت هذه الامور التي فيها شرك وبدعة نهي عنها عند قبره وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى * ويستحب أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته وأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة * رواه احمد والنسائي وابن ماجه وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حسن والسفر الى المسجد الاقصى والصلاة فيه والدعاء والذكر والقراءة والاعتكاف مستحب في أي وقت شاء سواء كان عام الحج أو بعده ولا يفعل فيه وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الا ما يفعل في سائر المساجد وليس فيها شيء يتمسح به ولا يقبل ولا يطاف به هذا كله ليس لاحد الا في المسجد الحرام خاصة ولا يستحب زيارة الصخرة بل المستحب أن يصلي في قبلي المسجد الاقصى الذي بناه عمر بن الخطاب للمسلمين ولا يسافر أحد ليقف بغير عرفات ولا يسافر للوقوف بالمسجد الاقصى ولا للوقوف عند قبر أحد لا من الانبياء ولا المشايخ ولا غيرهم،

باتفاق المسلمين بل أظهر قولي العلماء انه لا يسافر أحد لزيارة قبر من القبور ولكن تزار القبور بالزيارة الشرعية من كان قريبا ومن اجتاز بها كما ان مسجد قباء يزار من المدينة وليس لاحد أن يسافر اليه لنهيه صلى الله عليه وسلم أن تشد الرحال الا الى المساجد الثلاثة وذلك أن الدين مبني على أصلين أن لا يعبد الا الله وحده لاشريك له ولا يعبد الا بما شرع لا نعبده بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل فيه لاحد شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ليبلوكم (أيكم أحسن عملا) قال أخلصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله والمقصود بجميع العبادات أن يكون الدين كله لله وحده فالله هو المعبود والمسؤل الذي يخاف ويرجي ويسئل ويعبد فله الدين خالصا وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها والقرآن مملوء من هذا كما قال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الى قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) الى قوله (أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) وقال تعالى (ما كان لبشر أن

يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد الى من دون الله) الآيتين وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم) الآيتين

﴿ فصل ﴾ قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون الملائكة والانبياء كالمسيح والعزير فانزل الله تعالى هذه الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول) الآيات ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا مقصود القرآن ولبه وهو مقصود دعوة الرسل كلهم وله خلق الخلق كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فيجب على المسلم أن يعلم أن الحج من جنس الصلاة ونحوها من العبادات التي يعبد الله بها وحده لاشريك له وأن الصلاة على الجنائز وزيارة قبور الاموات من جنس الدعاء لهم والدعاء للخالق من جنس المعروف والاحسان الذي هو من جنس الزكاة والعبادات التي أمر الله بها توحيد وسنة وغيرها فيه شرك وبدعة كعبادات النصارى ومن أشبههم مثل قصد البقعة لغير العبادات التي أمر الله بها فانه ليس من الدين ولهذا كان أئمة العلماء يعدون من جملة البدع المنكرة السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين وهذا في أصح القولين غير مشروع حتى صرح بعض من قال ذلك ان من سافر هذا السفر لايقصر الصلاة لانه سفر معصية وكذلك من يقصد بقعة لاجل الطالب من مخلوق هي منسوبة اليه كالقبر والمقام أو لاجل الاستعاذة به ونحو ذلك فهذا شرك وبدعة كما تفعله النصارى ومن أشبههم من مبتدعة

هذه الامة حيث يجعلون الحج والصلاة من جنس مايفعلونه من الشرك والبدع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما ذكر له بعض أزواجه كنيسة بأرض الحبشة وذكر له من حسنها وما فيها من التصاوير فقال أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولهذا نهى العلماء عما فيه عبادة لغير الله وسؤال لمن مات من الانبياء أو الصالحين مثل من يكتب رقعة ويعلقها عند قبر نبي أو صالح أو يسجد لقبره أو يدعوه أو يرغب اليه وقالوا انه لايجوز بناء المساجد على القبور لان النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس ليال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك * رواه مسلم وقال لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وهذه الاحاديث في الصحاح وما يفعله بعض الناس من أكل التمر في المسجد أو تعليق الشعر في القناديل فبدعة مكروهة * ومن حمل شيئا من ماء زمزم جاز فقد كان السلف يحملونه وأما التمر الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والعجوة خير منه والاحاديث انما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك كما جاء في الصحيح من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر ولم يجيء عنه في الصيحاني شيء وقول بعض الناس انه صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم جهل منه بل انما سمي بذلك ليبسه فانه يقال تصوح التمر اذا يبس وهذا كقول بعض الجهال ان عين

الزرقاء جاءت معه من مكة ولم يكن بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عين جارية الا الزرقاء ولا عيون حمزة ولا غيرها بل كل هذا مستخرج بعده ورفع الصوت فى المساجد منهي عنه وقد ثبت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلين يرفعان أصواتهما فى المسجد فقال لو أعلم انكما من أهل البلد لاوجعتكما ضربا ان الاصوات لاترفع فى مسجده فما يفعل بعض جهال العامة من رفع الصوت عقيب الصلاة من قولهم السلام عليك يارسول الله بأصوات عالية من أقبح المنكرات ولم يكن أحد من السلف يفعل شيأ من ذلك عقيب السلام بأصوات عالية ولا منخفضة بل مافي الصلاة من قول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته هو المشروع كما ان الصلاة عليه مشروعة فى كل زمان ومكان وقد ثبت في الصحيح انه قال من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا وفى المسند أن رجلا قال يارسول الله أجعل عليك ثلث صلاتى قال اذا يكفيك الله ثلث أمرك فقال أجعل عليك ثلثي صلاتى قال اذا يكفيك الله ثلثى أمرك قال أجعل صلاتي كلها عليك قال اذا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وأمر آخرتك وفي السنن عنه أنه قال لاتتخذوا قبرى عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى وقد رأى عبد الله بن حسن شيخ الحسنيين في زمنه رجلا ينتاب قبر النبي صلى الله عليه وسلم للدعاء عنده قال ياهذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتتخذوا قبري عيدا وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغنى فما أنت ورجل

بالأندلس الا سواء ولهذا كان السلف يكثرون الصلاة والسلام عليه في كل مكان وزمان ولم يكونوا يجتمعون عند قبره لاالقراءة ختمة ولا ايقاد شمع واطعام واسقاء ولا انشاد قصائد ولا نحو ذلك بل هذا من البدع بل كانوا يفعلون في مسجده ماهو المشروع في سائر المساجد من الصلاة والقراءة والذكر والدعاء والاعتكاف وتعليم القرآن والعلم وتعلمه ونحو ذلك وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر كل عمل صالح تعمله أمته فانه صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى فله من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وهو الذى دعا أمته الى كل خير فكل خير يعمله أحد من الامة فله مثل أجره فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحتاج أن يهدى اليه ثواب صلاة أو صدقة أو قراءة من كان له مثل أجره يعملونه من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وكل من كان له أطوع وأتبع كان أولى الناس به في الدنيا والآخرة قال تعالى (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال صلى الله عليه وسلم ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين وهو أولى بكل مؤمن من نفسه وهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده فالحلال ماحلله والحرام ماحرمه والدين ماشرعه والله هو المعبود المسؤل المستعان به الذي يخاف ويرجى ويتوكل عليه قال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول كما قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وجعل الخشية والتقوى لله وحده لا شريك له فقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله أنا الى الله راغبون) فأضاف الايتاء الى الله والرسول كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس لأحد أن يأخذ الا ما أباحه الرسول وان كان الله آتاه ذلك من جهة القدرة والملك فانه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في الاعتدال من الركوع وبعد السلام اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من آتيته جدا وهو البخت والمال والملك فانه لا ينجيه منك الا الايمان والتقوى وأما التوكل فعلى الله وحده والرغبة فاليه وحده كما قال تعالى (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله وقالوا (انا الى الله راغبون) ولم يقولوا هنا ورسوله كما قال في الآية بل هذا نظير قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد قال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أي الله وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين اتبعوك ومن قال (ان الله والمؤمنين حسبك فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فان الله وحده هو حسب كل مؤمن به والحسب

الكافي كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) ولله تعالى حق لا يشركه فيه مخلوق كالعبادات والاخلاص والتوكل والخوف والرجاء والحج والصلاة والزكاة والصيام والصدقة والرسول له حق كالايمان به وطاعته واتباع سنته وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه وتقديمه في المحبة على الاهل والمال والنفس كما قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين بل يجب تقديم الجهاد الذي أمر به على هذا كله كما قال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) وقال تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) وبسط مافى هذا المختصر وشرحه مذكور في غير هذا الموضع والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

آمين

يقول مصححه راجي عفو ربه الكريم * ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم

بك اللهم أحمدك حق حمدك ياواحد وأستمطرك غيث عفو كريم واجد وأستهديك هداية الناسكين العابدين وأصلي وأسلم على سيد الخلائق أجمعين سيدنا محمد الرحمة المهداة لسائر الثقلين وآله وصحبه ومن بهديه اهتدى صلاة وسلاما دائمين أبدا ﴿ وبعد ﴾ فقد تم طبع مجموع الرسائل نسيج امام الائمة الجهابذة الاماثل شيخ الاسلام والمسلمين خادم سنة سيد المرسلين من لاسبيل الى الوقوف له على ثاني سيدي أحمد بن تيمية الحنبلي الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه وكان طبعها الزاهي الزاهر وتمثيل شكلها الفائق الباهر بالمطبعة العامرة الشهيرة الشرفيه ذات الادوات الكاملة البهيه الثابت محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المعزية العزيزية لمالكها ومديرها (حضرة السيد حسين أفندي شرف) تولانا الله واياه وبنا في كل الامور لطف آمين وقد بدر بدر التمام وفاح مسك الختام أواخر الثاني من الربيعين من سنة ١٣٢٤ من هجرة سيد الثقلين عليه صلاة الله وسلامه مابدا شيء وراق ختامه وآله وصحبه وسائر جنده

آمين

﴿ فهرست الجزء الاول من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ﴾

صحيفة


تمت

﴿ فهرست الجزء الثاني من مجموع الرسائل الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ﴾

صحيفة

﴿ تمت ﴾